الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كليـــة: الآداب والحضارة الإسلامية

قســـم: التاريخ

رقم التسجـــيل: ....

الرقم التسلسلي: ....

العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06هـ/11-12م

-دراسة اجتماعية وثقافية-

مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي تاريخ وسيط

إعداد الطالبة:
حناش فهيمة

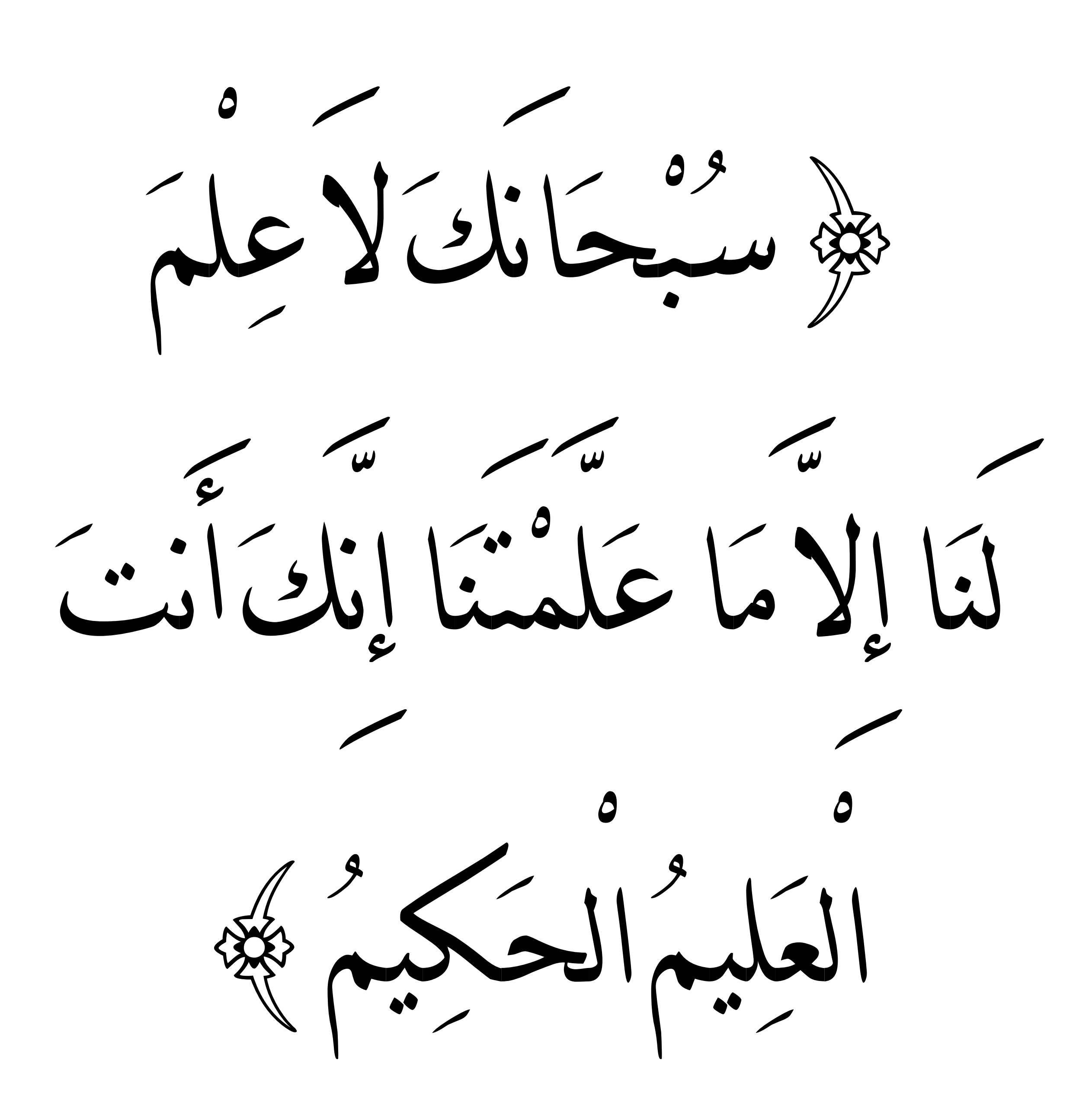
إشراف الأستاذ الدكتور:
إسماعيل سامعي

لجنة المناقشـــــــة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د.علاوة عمارة	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
أ.د.إسماعيل سامعي	أستاذ	جامعة الأمير عبد القار	مشرفا ومقررا
أ.د.مسعود مزهودي	أستاذ	جامعة باتنة	عضوا
د.عبد العزيز فيلالي	أستاذ محاضر	جامعة منتوري	عضوا

السنـــــة الـــجامعية: 1432-1433هـ/2011-2012م

بسم الله الرحمن الرحيم



الآية 32 من سورة البقرة

المقدمة

يعد الجانب الحضاري واحدا من أهم الجوانب التي ينبغي البحث فيها لما لها من ارتباط وثيق بالتاريخ الاجتماعي والثقافي انطلاقا من مخلفات الشعوب في مجالات عدة، وما يمكن أن ينشأ عنه من العلاقات وما يترتب عن ذلك الاتصال من تأثيرات متبادلة.

كما وأنه لا سبيل لإنكار موقع التاريخ الاجتماعي والثقافي في أي دراسة تطمح إلى الإلمام بالعناصر الفاعلة في حركة التاريخ، خاصة وأن المتأمل في الدراسات التاريخية للمغرب والأندلس في الفترة الوسيطية يلاحظ أن بعضها انصب على معالجة الجوانب السياسية، في حين لم تتوسع في تاريخ المجتمع وثقافته وعلاقاته في هذه المنطقة من الغرب الإسلامي، وحتى الدراسات القليلة التي نشرت ركزت على كل من بلاد المغرب الأقصى وتونس ولم تهتم كثيرا بالمغرب الأوسط (الجزائر) في الفترة الإسلامية المزدهرة (الوسيطية) ظلّ مغمورا لم يلتفت إليه بالقدر المطلوب، وذلك ما حفزني على البحث في هذا الموضوع رغم ما فيه من صعوبات، ولم أجد إلا فئة قليلة من الباحثين والدارسين المغاربة والأجانب الذين تناولوا بعض الجوانب منه[1].

لهذا فإن تناولي للموضوع من زاوية العلاقات والذي أردت البحث فيه بعنوان " **العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05–06 هـــ /11–12 م (دراسة اجتماعية وثقافية)**" يطرح التساؤل عن واقع العلاقة بين الجانبين، وما نتج عن هذا اللقاء من تفاعل، لأنّ ه من أمتع الدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية عموما ودراسة العلاقات بين الأمصار خصوصا، وذلك من أجل الإجابة عن السؤال: كيف كان الأخذ والعطاء؟ فعن طريق الأخذ والعطاء تكامل بناء الحضارة الإسلامية حتى صارت صرحا شامخا.

إن اتصال جزء من المغرب الإسلامي وهو المغرب الأوسط بالثغور البحرية الشرقية للأندلس سمح بتوثيق مختلف الصلات الحضارية؛ ومن هنا فإن **للموضوع أهمية كبيرة** إذ يبرز دور المنطقة لاسيما في مجال علاقاتها، وما نتج عن ذلك من تقارب وتأثير متبادل في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية والأدبية والفنية، إذ حرصت على أن أستقصيها لأتتبع قصة هذا التكامل، كما تخيرت مرحلة خاصة توثقت فيها هاته الصلات وازدهر فيها التبادل، ذلك لأن الثقافة والحضارة بالمغرب

[1] محمد بن عمرو الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.
-عزرودي نصيرة: الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) وحتى آخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي)، رسالة ماجستير، إشراف سحر السيد عبد العزيز سالم، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007.
-رزوق محمد: الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب في القرنين 16–17م، ط3، الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، 1998.
-Maria. J Viguera Molines, Relations entre Maghreb y And Andalous En el Siclo XI, Agencia Espanola de Cooperacion con Mindo Arabe, Madrid, 1992.

الأوسط والأندلس لم تكن يوما أشدّ إشعاعا وأقوى خصوبة مما كانت عليه خلال الفترة المدروسة (ق **05-06** هـــ / **11-12** م)، برغم ما سادها من الاضطرابات السياسية والنزاعات الداخلية وتوسع حركة الاسترداد المسيحي، إلا أن للتوحد السياسي الذي حصل في العهدين المرابطي والموحدي بين المنطقتين آثار بادية في رسم خطوط ذلك التفاعل الذي انعكس في مظاهر التبادل المتنوعة؛ وإن كانت الصلات التاريخية تعود إلى أيام الإسلام الأولى منذ أن فتح العرب والمغاربة الأندلس، وقاموا بدور فعال في تعمير شبه الجزيرة بالسكان، حيث كان بربر المغرب هم أكثر الذين تولوا عملية الفتح حسب ما تشير إليه المصادر.

وقد رصدت درجات مختلفة من التداخل أفضت كلها في النهاية إلى إثبات الواقع الذي تعدى مجال الاحتكاك إلى مجال التأثير والتأثر.

وبذلك فإنّ **إشكالية الموضوع** تظهر جلية في استقصاء مسار تلك العلاقات، وتتبعها في الفترة الزمنية المحددة، مع رصد كل التحولات والتأثيرات التي صاحبتها انطلاقا من طرح بعض الإشكالات الجزئية ومحاولة الإجابة عنها للوصول إلى معرفة مظاهر تلك التأثيرات، والبحث عن جذورها والتي تبلورت خلال القرنين 05-06ه / 11-12م، والتساؤل عن العوامل التي ساعدت على تفعيلها، والدور الذي قامت به الهجرة المتبادلة بين سكان البلدين خلال الفترة موضوع الدراسة وما نتج عنها، وهل وقع تأثير وتأثر بينهما في ذلك؟ وما مدى التفاعل والانصهار الاجتماعي بين سكان المغرب الأوسط والأندلس من خلال علاقات الزواج والمصاهرة؟ وهل انعكس تأثيره على مظاهر الحياة الاجتماعية التي ميزت كل من أهل المغرب الأوسط والأندلس في العادات والتقاليد، كالمأكل والملبس والاحتفالات؟ وما هي مظاهر العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس لاسيما في العلوم والفنون كالموسيقى والغناء والعمران؟ وهل استفاد كل منهما من خبرات الآخر وأثّر فيها؟

وبهذا **فإن هذه الدراسة تهدف إلى:**

التعريف بأهم مظاهر التأثير والتأثر الحاصل بين المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة المحددة، كما تحاول كشف التراث الحضاري والثقافي المشترك والمتنوع والوقوف خاصة على إبراز دور المغرب الأوسط وتأثيره في حضارة الأندلس، وتدخل أيضا في إطار الجهود الرامية إلى ربط الحاضر بالماضي وتأكيد التواصل بين الأجيال، كما أنني أهدف أيضا من خلال هذا العمل العلمي توسيع دائرة البحث في مجال التاريخ الاجتماعي والثقافي لبلاد المغرب.

ولدراسة ذلك اعتمدت على قراءة تمتد عبر مساحات معرفية متنوعة، و**منهج يقوم على** رصد ظاهرة العلاقات الاجتماعية والثقافية بين قطرين هما المغرب الأوسط والأندلس مستندة في ذلك إلى توظيف **المنهج التاريخي** من خلال سرد الأحداث حسب تسلسلها الزمني وتتبع الظواهر المختلفة ووصفها، زيادة على المنهجين **الاستقرائي التحليلي والمقارن** انطلاقا من

معالجة القضايا المتطرق لها بالمناقشة والتعقيب وتحليلها والوقوف على الموازنة خاصة في مظاهر وصور التشابه الحاصل بين البلدين واستخلاص التأثير والتأثر.

وبطبيعة الحال فإنّ أي عمل لا يخلوا **من صعوبات،** لأنّ تناولي لهذا الموضوع من الجوانب الاجتماعية والثقافية، لم تتناولها المصادر التاريخية بالقدر الكافي وأحجمت عن ذكر العديد من القضايا في المجالين، رغم أن المصنفات التراثية أنارت لي بعض الزوايا المظلمة من الموضوع، إضافة إلى صعوبة الحصول على بعض المصادر والمؤلفات المتعلقة بالفترة موضوع الدراسة سواء عن تاريخ المغرب الأوسط أو الأندلس، منها ما هو مخطوط ومنها ما هو مفقود، التي كان من الممكن لو تحصلت عليها لأنارت البحث أكثر[1].

ومع ذلك فقد حاولت أن أثري هذه الدراسة بما تمكنت منه، وقد عالجتُ الموضوع من خلال تقسيمه إلى مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول، وخاتمة تضمنت النتائج التي توصلت إليها إضافة إلى ملاحق ونصوص مختارة وفهارس كالآتي:

*__المقدمة:__ تناولت فيها أهمية الموضوع والتعريف به، وحددت إشكاليته، وأسباب ودوافع اختياري له مع ذكر الأهداف المرجو تحقيقها والصعوبات التي صادفتني.

*__الفصول: الفصل التمهيدي:__ خصصته لتتبع العوامل المساعدة على الاتصال الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس وبينت فيه أهم العوامل التي تحكمتْ في تفعيل علاقات التقارب بين البلدين خاصة منها العامل الجغرافي، حيث رصدتُ المسالك البرية والبحرية التي ربطت بلاد المغرب الأوسط بالأندلس، كما تتبعتُ مظاهر التشابه في التضاريس والمناخ والغطاء النباتي، وتطرقتُ أيضا إلى دور الحركة التجارية في الاتجاهين وفاعليتها في تسهيل العلاقات الثقافية والاجتماعية، كما وقفتُ على تأثير العامل السياسي انطلاقا من تتبعُ الأوضاع السياسية التي ميزت كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس في القرنين 05-06هـــ / 11-12م وتأثيراتها، ذلك أنّ التوحيد السياسي على العهدين المرابطي والموحدي ودافع الجهاد لمواجهة المدّ النصراني كان لهما الدور الكبير في تفعيل العلاقات بين البلدين.

2-الفصل الأول: تعرضتُ فيه للاتصال الاجتماعي الذي حصل بين أهل المغرب الأوسط والأندلس عن طريق الهجرة والمصاهرة، وذلك انطلاقا من تتبع ظاهرة الهجرة، ولدواعي منهجية ركزتُ على المراحل التاريخية لتلك الهجرات بدأتُها بهجرات البربر نحو الأندلس وأبرزتُ ظروف كل مرحلة، ثم الأماكن التي استقر بها البربر، ووضحتُ كيفية توزيعهم الجغرافي بالأندلس، وكذلك الحال بالنسبة للهجرة

---

[1] نوازل ابن بشتغير (أحمد بن سعيد اللخمي الأندلسي)، ت 516هـــ/1122م، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: 1690- الجرسيفي (عمر بن عثمان بن العباس) ت: ق6هـــ/12م، رسالة في الحسبة وآداب المحتسب (مخطوط). كتاب تاريخ تلمسان، لأبي عثمان سعيد بن عيسى المعروف "بابن الأصفر" ت 460هـــ/1067م. -كتاب نظم اللآلئ في فتوح الأمر العالي، عن تاريخ الموحدين، لأبي عبد الله حسن بن محمد بن عبد الله الآشيري ت561هـــ/1165م.

المعاكسة أي هجرات الأندلسيين نحو المغرب الأوسط، حيث قسمتُها إلى مرحلتين الأولى تتبعتُ فيها بدايات الهجرة من القرن 02 إلى نهاية القرن 04هـــ/08-10م وأبرزتُ طابع الهجرة خلال هذه الفترة والثانية حيث سجل فيها زيادة أعداد المهاجرة والتي تمتد من نهاية القرن 04هـــ إلى نهاية القرن 06هـــ / 10-12م؛ كما تحدثتُ عن المصاهرة والزواج بين أهل المغرب الأوسط والأندلسيين وإلى أيّ مدى كان لهما دور في التفاعل الاجتماعي، ثم تطرقتُ للوضعية الاجتماعية التي يعيشها أفراد كلّ بلد في البلد الآخر فتعرضتُ إلى مختلف الطبقات الاجتماعية والفئات التي تحتويها، وأبرزتُ حالة كل طبقة ومستواها المعيشي، وقارنتُ بين وضع أهل المغرب الأوسط بالأندلس، وما قابله من وضع أهل الأندلس بالمغرب الأوسط.

3-الفصل الثاني:

تتبعتُ فيه مظاهر التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين أهل المغرب الأوسط والأندلس انطلاقا من التعريف بأشكال اللباس ونوعه، ووسائل الزينة عند النساء والرجال، وحاولتُ الوقوف عند بعض النماذج لتوضيح ذلك، كما تعرضتُ إلى مختلف الأطعمة والأشربة وأسمائها، والوقوف على أهم ما انتقل منها إلى بلاد المغرب الأوسط من الأندلس أو العكس، ووقفتُ على مظاهر الاحتفالات والأعياد، والأعراس، وحفلات الزواج والختان، ومجالات اللهو والترفيه كالتنزه والصيد والسباق والألعاب، وحاولتُ استنتاج مظاهر التشابه وعلاقات التأثير والتأثر في هذا المجال بين البلدين.

4-الفصل الثالث:

تطرقتُ فيه إلى إبراز مظاهر التبادل العلمي بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06هـــ/11-12م انطلاقا من عدة عناصر، فتناولت في البداية العوامل المساعدة على تفعيل العلاقات العلمية بين الجانبين، وركزتُ بشكل خاص على دور كل من المؤسسات التعليمية وعناية الحُكام بالعلم والعلماء، وإبراز دور الرحلة العلمية وهجرة العلماء والإجازات العلمية.

ثم تتبعتُ حركة تنقل العلماء الأندلسيين إلى المغرب الأوسط وما قابلها من تنقل لعلماء الأندلس إلى حواضر ومراكز العلم بالمغرب الأوسط انطلاقا من توزيع المادة العلمية المتحصل عليها في جداول وتحليلها، والوقوف على أهم المؤلفات، ودور علماء البلدين في إثراء الحركة العلمية في تلك الفترة، من خلال تقسيمهم إلى مجموعات حسب ما أمكنني الوصول إليه من الروايات المترجمة لهم والتي تناولت حياتهم، مع تقديم قراءة وتحليل وتعقيب على ذلك.

5–الفصل الرابع:

وهو مُركز على مجالين اثنين، تناولتُ فيه مظاهر العلاقات الأدبية والفنية بين أهل المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة، حيث تطرقتُ في المجال الأول إلى الجانب الأدبي وبخاصة مجال اللغة البربرية الأمازيغية من حيث انتشارها وتداولها بالمغرب الأوسط كلغة تخاطب شعبي، كما رصدتُ حركة انتقالها ودخولها إلى الأندلس مع الهجرات ومدى انتشارها وتداولها هناك، وبالمقابل تأثُر أهل المغرب الأوسط باللهجة الأندلسية.

كما تتبعتُ مسألة الأمثال العامية المتداولة بين سكان البلدين وأبرزتُ بأنها مظهر للتواصل الشعبي في ثقافة البلدين؛ حيث تعرضتُ للأمثال ذات الأصل البربري وكان يُتمثَلُّ بها في الأندلس من طرف الأندلسيين، والأمثال التي كانت مشتركة ومتعارفة يُتمثلُ بها في المغرب والأندلس وهي دليل على تقارب ثقافة وحضارة الشعبين ووحدة التواصل الأدبي بينهما.

أما المجال الثاني في هذا الفصل فقد خصصتهُ إلى إبراز العلاقات بين الطرفين في فنّ الموسيقى والغناء وفنّ العمارة والبناء.

أما عن الموسيقى والغناء فقد حاولت تتبع نشأة هذا الفن وتطوره بالأندلس والمغرب حتى القرن 06هـــ/12م، وكيفية انتقالهما إلى المغرب الأوسط وتأثيرهما انطلاقا من حركة هجرة الوشاحين والزجالين والمغنين والموسيقيين.

أمّا الفنّ المعماري فتطرقتُ فيه إلى مظاهره ومميزاته خلال القرنين 05–06هـــ/11–12م التي طبعت كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس، كما وقفتُ على كيفية انتقال التأثيرات المعمارية بينهما من خلال دور كل من الصُنّاع والحرفيين والمهندسين وجلب مواد البناء.

وقدمتُ عرضا لنماذج عن التأثير المتبادل بينهما في فنون العمارة الإسلامية، وركزتُ بشكل خاص على العمارة الدينية باعتبارها أكثر من ظَهر فيه هذا التأثير، حيث أوردتُ ذكر بعض المساجد بالمغرب الأوسط والأندلس بعقد مقارنة عن تلك التأثيرات انطلاقا من شكل البناء وزخارفه النباتية والكتابية.

وختمتُ البحث بنتائج نسبية تضمنتها الخاتمة، يمكن أن تكون منطلقات لدراسات مستقبلية تكشف حقائق جديدة عن واقع العلاقات بين أهل المغرب الأوسط والأندلس، وذيلتُ البحث بملاحق ضمنها نصوصا وصورا وفهارس تزيد البحث وضوحا وتساعد القارئ على التعمق والإفادة.

وبطبيعة الحال **اعتمدت في إنجاز هذا البحث على العديد من المصادر**، كما استفدت من المراجع العربية والأجنبية التي تطرقت لبعض جوانب الموضوع، وغايتي من تقديمها هو التعريف بها، وإبراز مجالات الاستفادة منها، وترتيبها الزمني حسب ما أفادت به الموضوع وهي كالتالي:

أولا–كتب الفقه والأحكام والنوازل والحسبة:

اهتمت هاته المصادر بتجسيد كل ما يمت بصلة للحياة الاجتماعية والاقتصادية التي مست أفراد المجتمعين المغربي والأندلسي، وكان لهذه المؤلفات اليد الطولى في إخبارنا بنوع من التدقيق عن المعاملات الاجتماعية بحكم تناولها لقضايا معيشة عالجها الفقهاء والمفتون بحكمة وروّية، وأبرز الكثير من الباحثين أهمية كتب الفقه والنوازل باعتبار أنها مصادر هامة تساعد على دراسة وتدوين حضارة وتاريخ الأندلس والمغرب خاصة ما تعلق منها بالجنبين الاجتماعي والاقتصادي[1].

***نوازل ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن أحمد التجيبي) ت (529 ه/1134م):**

وهو صاحب قضاء قرطبة، وبحكم أنه في موقع يؤهله للإطلاع على مجريات الأمور وقضايا المجتمع التي جرت تحت سمعه وبصره في القرن 06 ه / 12م فقد تناول حياة الأندلسيين اليومية من معاملات، ومنازعات خلال عصر الطوائف والمرابطين، الذي أفادني في كشف وضعية المرأة ودورها في المجتمع وأحوال الناس في مطاعمهم وملابسهم وعاداتهم في الأفراح والأعياد، وللكتاب قيمة كبيرة إذ لا يزال مخطوطا يشرف على تحقيقه وإخراجه أحد الباحثين المغاربة[2].

***نوازل البرزلي المسماة "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام":**

لأبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ت (841ه/1438م).

وهو يعدّ أيضا موسوعة فقهية يحتوي على عدد هائل من المسائل والنوازل التي تعرض مختلف الجوانب المتعلقة بالحياة الاجتماعية لأهل المغرب، والتي عالجت مسائل الزواج، النفقة، المواسم،

---

[1] راجع حول ذلك الدراسة التي أنجزها كل من: السيد عبد العزيز سالم، حول مصادر نادرة الاستخدام لتاريخ الأندلس الاجتماعي والاقتصادي، منشورة ضمن كتاب سلسلة أبحاث وندوات حضارة الأندلس في الزمان والمكان، (أعمال الندوة الدولية 16–18 أفريل 1992، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، 191 –محمد فتحة، النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 06 إلى 09 ه / 12–15م، (د ط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، 1999)، 07–23 –محمد المنصور ومحمد المغراوي، التاريخ وأدب النوازل، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنير، إنجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 46، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب)، 121–123.

[2] أحمد اليوسفي شعيب، أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية، (نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجا)، نشر ضمن محاضرات السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الأول، (التاريخ وفلسفته، ط 1، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996)، 381–384.

الأعياد، الاحتفالات وغيرها[1]، وقد أفادتني في رسم صورة المجتمع المغربي خلال الفترة موضوع الدراسة انطلاقا من أجوبة الفقهاء الذين عايشوا تلك الفترة، وقد كان منهم العديد من فقهاء المغرب الأوسط.

***المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب:**

لصاحبه أبو العباس أحمد بن يحي الونشريسي التلمساني ت (914 ه / 1508م).

مع أنه متأخر عن الفترة موضوع البحث، إلا أنه جمع عددا كبيرا من فتاوى علماء من الأندلس والمغرب الأوسط ممن عاشوا في القرنين 05-06ه / 11-12م، إذ أن نوازله كانت أكثر شمولا وإحاطة وتفصيلا لأنه غطى حقبة زمنية طويلة عاشها الغرب الإسلامي منذ الفتح إلى غاية سقوط غرناطة سنة 897ه/1492م، وبالتالي فهو يحوي مسائل تتعلق بالحياة الاجتماعية في البلدين إذ يضم معلومات قيمة تبين أساليب الزواج، ومقدار الصداق، والشورة، وقضايا الزواج بين البربر والأندلسيين وغيرها، وقد ساعدتني كثيرا تلك النوازل في كشف أوجه التقارب الاجتماعي الذي طبع قطري الأندلس والمغرب الأوسط، انطلاقا مما خلفه هؤلاء المفتون من أحكام، وقد وضعت عدة دراسات تبرز وتؤكد أهمية كتاب المعيار في دراسة التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس[2].

***كتب الحسبة:**

لابن عبد الرؤوف ت (424ه/1031م)، السقطي وابن عبدون (عاشا أواخر القرن 05ه/11م) وكتاب الحوادث والبدع للطرطوشي ت (520ه/1127م).

وتتضمن كتب الحسبة مادة هامة جدا وتغطي جزءا كبيرا من التاريخ الاجتماعي لبلاد المغرب عموما والأندلس، حيث يبرز دور المحتسب انطلاقا من احتكاكه بالشارع حالة وطريقة معيشة الأفراد وأهم ممارستهم الاجتماعية، وقد اعتمدتها بشكل خاص فيما تعرضت له وعالجته من قضايا ترتبط بزي النساء بالمغرب والأندلس وخروجهن للاحتفال في الأعياد إلى الشارع وأماكن التجمع مختلطات بالرجال، زيادة على ما تصوره من طرق الاحتفال بعديد المناسبات، وإيرادها أسماء الأطعمة والألبسة التي كانت متداولة في الفترة موضوع البحث ومختلف الألعاب ووسائل اللهو

---

[1] سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، مثال: نوازل البرزلي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 16، 1978، 74.

[2] أنظر على سبيل المثال مقال: عبد الواحد دنون طه، أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس، نموذج تطبيقي عن كتاب المعيار للونشريسي، منشور ضمن كتاب سلسلة أبحاث وندوات حضارة الأندلس في الزمان والمكان، 119-121 -كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة الغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، د ط، 07-08.

والترفيه، إذ أمكنني بناءا على تلك التسجيلات عقد مقارنات ومقاربات بحالة المجتمع بالمغرب الأوسط، وكشف أوجه التشابه في ممارسة مختلف تلك المظاهر الاجتماعية.

ثانيا-كتب الطبقات والتراجم والسير والمناقب:

لكتب التراجم قيمة كبيرة في استخلاص المادة التاريخية، ولا تخفى أهميتها في إعطاء صورة صادقة عن عصر ما في مستوياته الاجتماعية والثقافية والدينية، إذ تعكس بعض زوايا المجتمع المغربي، وتلقي أضواء على ملامحه، ففي التراجم نقف على فيض من الجزئيات الحية النابضة عن حياة العلماء اليومية في مجالسهم وعلاقتهم بالمجتمع كمأكلهم وملبسهم وسلوكهم[1]، وكان من أهمها:

***كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم:**

لابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت (494ه/578م).

وهو صلة وتكملة لكتاب آخر هو "تاريخ الأندلس" للمؤرخ ابن الفرضي ت (403ه/1012م)، يقدم الكتاب عرضا بأسماء العديد من العلماء الذين أسهموا في تنشيط الحركة العلمية ببلاد الأندلس خلال الفترة موضوع البحث، وقد أفادني كثيرا في مجال تتبع ورصد حركة العلماء الأندلسيين الذين وفدوا على بلاد المغرب الأوسط من الأندلس للدراسة أو التدريس، زيادة على الذين تولوا مناصب بها كالقضاء والفتيا والإمامة.

***بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس:**

للضبي (أحمد بن يحي بن أحمد) ت (559ه/1202م).

لا يقل هذا المصنف عن سابقه أهمية إذ يحتوي أيضا على تراجم مهمة لشخصيات علمية فاعلة أثرت الساحة الثقافية بالأندلس في مختلف العلوم، وقد أفادني كسابقه في تتبع حركة العلماء زيادة على أنه تضمن ذكر أسماء العديد من علماء المغرب الأوسط الذين رحلوا للأندلس وأدوا دورا فاعلا فيه كبيت بني الطبني.

***التكملة لكتاب الصلة:**

لابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت (659ه/1261م).

يعدّ هذا المصنف أعم وأشمل من سابقه بحيث أكمل فيه صاحبه ما نسيه ابن بشكوال في الصلة، وزاد فيه من معلومات عن حياة العلماء، وقد اعتمدته زيادة على محتواه في الجانب العلمي

---

[1] الشريف محمد، ملاحظات منهجية لقراءة جديدة لكتب التراجم المغربية الأندلسية، قراءة في كتاب عالم علماء الأندلس "لدومينيك أورنو"، مقال نشر ضمن كتاب التراث المغربي الأندلسي التوثيق والقراءة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1991، 507-509.

بإمدادي ببعض الإشارات المتناثرة التي تكشف عن الحياة الاجتماعية التي كان يحياها بعض العلماء الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط خلال الفترة موضوع الدراسة ومستواهم المعيشي، كما استقيت منه أسماء الألبسة وبعض أنواع الأطعمة وطريقة الاحتفالات.

***الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة:**

لعبد الملك الأنصاري المراكشي ت (703ه/1303م).

هو مصنف واسع في عدة أجزاء قام بتحقيقه مجموعة من الباحثين، وهو تذييل لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وكتاب الصلة لابن بشكوال، وبالتالي يشكل قاموس لرجال الأندلس ومن رحل إليها من المغاربة والمشارقة حتى القرن 07ه/13م، وهو في تسعة أجزاء، سبعة للأندلس واثنان للغرباء الذين دخلوا الأندلس، وينتهي بتراجم لنساء أندلسيات ومغربيات زرن الأندلس.

وقد أفدت منه في الكشف عن دور علماء الأندلس ببلاد المغرب الأوسط خاصة الذين جاءوا في إطار الرحلة العلمية، كما قدم نماذج للعلماء الذين حصولا على إجازات، وفيه مادة خبرية استعنت بها تتعلق ببعض جوانب المجتمع الأندلسي وحياة هؤلاء العلماء الخاصة من وصف للدور التي سكنوها، ونمط معيشتهم وميل الكثيرين منهم إلى الزهد والتقشف والبساطة في المأكل والملبس.

ثالثا–كتب الأدب والشعر:

يحتوي هذا النوع من المصادر التراثية على كمّ هائل من الإشارات والإيحاءات التي تعطي صورة عن واقع الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلسيين وأهل المغرب الأوسط خلال القرنين 05–06ه / 11–12م، انطلاقا من الرسائل الأدبية أو القصائد الشعرية، فكان من أهم ما وقفت عليه في هذا البحث وأفادني منها:

***الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:**

لابن بسام الشنتريني ت(542ه/1147م).

نسبة إلى شنترين غرب الأندلس، والكتاب هو عبارة عن موسوعة أدبية تاريخية تضمنت تراث القرن 05ه/11م، وهي فترة علمية مزدهرة جمعت بين عصري الخلافة الأموية وملوك الطوائف وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام، وقد أفادني فيما قدمه من وصف لأحوال سقوط مدن الأندلس في يد النصارى، وما ترتب عنها من هجرات الأندلسيين نحو بلاد المغرب، كما أن فيه إشارات إلى المجال الفني وبخاصة أسماء المغنين والموسيقيين الذين برعوا في الأندلس ونقلوا غناءهم إلى المغرب الأوسط، إضافة إلى معلومات متناثرة في ثنايا القصائد الشعرية والمراسلات الأدبية حول العادات

والتقاليد التي أفادت في بحث الحياة الاجتماعية، ووصف علاقة المغاربة بالأندلسيين، ومثله كذلك كتاب:

***خريدة القصر وجريدة العصر:**

للعماد الأصفهاني ت (597ه/1200م)، وبخاصة القسم الثالث حول شعراء المغرب.

***ديوان الزجل:**

لابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى) ت (556ه/1160م).

يعتبر هذا المؤلف مصدرا هاما يؤرخ لفترة حكم المرابطين للمغرب والأندلس، وهو وثيقة مميزة لدراسة الأحوال الاجتماعية خاصة بالأندلس خلال تلك الفترة، وما يتعلق بها من مظاهر لحياة الناس، حيث يقدم في أزجاله وصفا لتلك المعاملات والعادات وطرق الزواج والاحتفالات والأعياد وألوان اللباس، وأصناف الأكل، وقد ساعدني كثيرا باعتبار صاحبه شاهد عيان عايش تلك الفترة، وسجلّ صورة الحياة الاجتماعية وإن كان أسلوبه قد تأثر بالعامية لتوظيف مصطلحاتها، وهذا ما قرّب أكثر نقل صور الواقع بلغة العامة، وقد أمكننا انطلاقا ممّا قدمه من عقد مقارنات ومقاربات مع واقع الحياة الاجتماعية بالمغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

***أمثال العوام:**

للزجالي القرطبي (أبو يحي عبد الله بن أحمد) ت (694ه/1295م).

تعدّ الأمصال مصدرا مهما في دراسة التاريخ الاجتماعي والحضاري، لأنها تجسد واقع المجتمع والناس انطلاقا مما تمثلوا به والزجالي هو ذلك القرطبي الذي حرص ألا يضيّع ما كان يجري على ألسنة أهل الأندلس في محاوراتهم اليومية، فنهض إلى تدوينه، وقد أفادني مؤلفه لأنه يضم مجموعة من الأمصال التي صيغت مفرداتها وتراكيبها باللهجة العامية الأندلسية، و لم تكن بعيدة عن لهجة أهل المغرب، وقد دوّنه في عصر الموحدين عصر نضجت فيه الوحدة بين المغرب والأندلس وكان من نتائج ذلك أن توحدت النظم والتقاليد ، وبالتالي نجد أمثال الأندلس قد رويت في المغرب والعكس.

كما أن تلك الأمصال تصور مظاهر حياة الناس وتصف طبائعهم، وطرائق عيشهم من مأكل وملبس واحتفالات وبالتالي منحني صورة مفصلة عن مظاهر التقارب بين العدوتين المغرب والأندلس.

***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب:**

لأبي العباس (أحمد بن أحمد التلمساني) ت (1041ه/1632م).

من المعروف أن مصنف الكتاب هو مؤرخ مغربي من مدينة مقرة من أعمال قسنطينة، طاف ببلاد المغرب ورحل إلى المشرق، وكان من المعجبين بشخصية المؤرخ الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب، حتى ألف كتابا تناول فيه تاريخ ابن الخطيب وحياته وإنتاجه العلمي.

وهو يعتبر مصدر أساسي لجميع الباحثين في تاريخ المغرب والأندلس، ومع أنه متأخر عن موضوع البحث إلا أنه يغطي فترات عديدة من تاريخ الأندلس خاصة، وينقل عن مؤرخين وشعراء وأدباء من القرنين 05-06ه / 11-12م وقد أفادني في مجالات عدة خاصة الاجتماعية منها.

رابعا-كتب الجغرافيا والرحلات:

تتميز كتب الجغرافيا والرحلات بميزة تاريخية خاصة، وهي أن أصحابها دونوا وسجلوا انطلاقا من معايشتهم للأحداث، ومعاينتهم لها بالمشاهدة المباشرة للأماكن والمدن والمسالك إلى جانب نقل الأخبار عن المدن والمناطق التي مروا عليها، وقد زودتنا مصادرهم بمعلومات مهمة وقيّمة عن الجوانب الاقتصادية والثقافية والفكرية ببلاد المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06ه / 11-12م منها:

***المغرب في ذكر إفريقية والمغرب:**

للبكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز القرطبي) ت (487ه/1094م).

يعتبر مؤلفه من أبرز الكتب، والمعروف عنه أن كاتبه لم يبرح الأندلس وأنه جمع معلوماته من بعض الرحالة والجغرافيين منهم محمد بن يوسف الوراق ت (363ه/973م)، وتأتي أهمية هذا المصنف فيما احتواه من معلومات هامة تخص بلاد المغرب الأوسط، وقد أفادني في رصد المسالك البحرية والبرية التي ربطته ببلاد الأندلس، وسهلت عملية التنقل التجاري، كما أمدّني بمعلومات غزيرة على التجارة وأهم السلع المتنقلة بين البلدين، وفيه إشارات إلى بعض عادات القبائل ببلاد المغرب.

***نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:**

للإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف) ت (560ه/1164م).

من المعروف أن صاحب الكتاب هو من سلالة الأدارسة ولد بسبتة، ودرس بقرطبة واستدعاه الملك النورماندي "روجار" فلبى دعوته ورسم له خريطة للعالم على دائرة فضية، وألف كتابا لوصف الخريطة هو "نزهة المشتاق" والكتاب يتضمن أقسام أهمها الخاص بأرض المغرب والأندلس، حيث استفاد منه البحث فيما يتعلق بأسماء المراسي التي ارتبطت بالنشاط التجاري

البحري مع الأندلس، وما قابلها من مراسي الأندلس، وغيرها من الطرق والمسافات بين المدن، زيادة على وصف مميزات البيئة الطبيعية بالمغرب الأوسط والأندلس (وصف المدن، القلاع، الوديان، السهول)، حيث يظهر فيها مدى التشابه حينا والاختلاف أحيانا أخرى، وهو ما مكنني من استنتاج صور التأقلم لدى سكان البلدين انطلاقا مما تعكسه البيئة على حياة الفرد بالمغرب الأوسط والأندلس.

***الاستبصار في عجائب الأمصار:**

لكاتب مراكشي مجهول من القرن 06ه/12م.

يمتاز هذا المصنف بأنه أوسع تفصيلا عن سابقيه، إذ يتتبع النشاطات الاقتصادية بالمغرب الأوسط، ويقف على الموارد الأولية التي تزخر بها المنطقة زراعيا وصناعيا وتوزيعها الجغرافي، كما يتكلم كذلك عن المسافات والطرق ويبرز بعض السلع التي كانت تنتقل إلى الأندلس من بلاد المغرب عموما في إطار عمليات التبادل التجاري، هذا زيادة عن إعطائنا صورة عن بعض مظاهر العمران بالمنطقة وإشارات لمظاهر الحياة الاجتماعية لبعض القبائل كصنهاجة والعمائم التي كانوا يرتدونها، ويتكلم عن سكان مدينة وهران والقبائل التي تسكنها.

***كتاب الجغرافيا:**

لابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ت (683ه/1283م).

تبرز أهمية هذا المؤلف خاصة في أنه يقدم صورة حية عن مختلف الأنشطة الاقتصادية التي تتميز بها مدن الأندلس كمالقة، مرسية، المرية، حيث يفصل في أنواع المنتجات الصناعية والسلع المتوفرة بها التي تتواجد بكميات تسمح بممارسة النشاط التجاري وعمليات تبادل السلع وتصديرها نحو المغرب، بحيث يعرض نماذج عن السلع التي كان يتاجر بها من الأندلس إلى المغرب عموما بما فيه المغرب الأوسط.

خامسا–كتب التاريخ العام:

تحتل كتب التاريخ أهمية بالغة لدراسة الحقب الزمنية المختلفة، لما تقدمه من معلومات مباشرة، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ المغرب والأندلس الاستغناء عنها، وكان من أهم ما أفادني منها خلال الفترة موضوع الدراسة:

***المقتبس في أخبار بلد الأندلس:**

لابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت (469ه/1076م).

يغطي هذا المؤلف فترة من حياة الدولة الأموية بالأندلس، ودول الطوائف، وأهم ما فيه أن صاحبه كان شاهد عيان في العديد من الأحداث حتى أنه حين يكتب يشير إلى دخول السنوات وأهم الأحداث التي وقعت فيها، وقد استفدت منه خاصة فيما يحتويه من معلومات تاريخية حول دول القبائل البربرية التي هاجرت للأندلس وأماكن استقرارها به، ودورها السياسي والعسكري بالمنطقة خلال القرن 04ه/09م، كما تضمن إشارات إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية كالاحتفال بعيد الفطر، وطريقة تحديده في الكور والأقاليم بالأندلس، ووصف مظاهر الاحتفال به لدى الطبقة الحاكمة والعامة والشعراء.

***كتاب التبيان في الحادثة الكائنة بدولة بني زيري:**

لمؤلفه عبد الله بن بلكين الصنهاجي ت (483ه/1090م)، أمير غرناطة.

فقد وضعه في شكل مذكرات تحولت إلى تأليف تاريخي، كتبه حين نفي إلى مدينة أغمات بالمغرب بعد أن أسقط المرابطون حكم ممالك الطوائف المتفرقة بالأندلس، وقد نشره المستشرق الفرنسي "إيليفي بروفنسال" بالقاهرة سنة 1955م، وإن كان الكتاب في الأصل يدور حول تاريخ دولة بني زيري في الأندلس إلا أنه أفاد أيضا حول فترة من حكم المرابطين بالأندلس، ويتضمن إشارات عن الحياة الاجتماعية، وقد أفدت منه في الجانب السياسي عن الحالة التي آلت إليها الأندلس من تنازع أمراء الطوائف فيما بينهم، واستنجاد الأندلسيين بيوسف بن تاشفين، كما ساعدني في التعرف على الحالة الاجتماعية لبعض أمراء الأندلس، وتطرق لمسألة زواج ابنيه، هذا زيادة على أنه وثيقة هامة لدراسة المجتمع فقد أفادني أيضا من جهة ما تضمنه من أمثال وحكم شعبية تمثل بها بألفاظ عامية فيها مزيج بين اللهجة البربرية التي يعود لها في أصوله، واللهجة الأندلسية أي استقر وحكم.

***نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان:**

لابن القطان (أبو محمد الحسن بن علي) ت (638ه/1230م).

تكمن أهمية الكتاب في أن صاحبه انتفع بكتب من سبقوه من مؤرخي الدولة الموحدية واضطلع على كتبهم مثل كتاب "المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس" لعبد الملك بن موسى الوراق، وكتاب "النبذ المحتاجة من أخبار صنهاجة" لأبي الحسن علي بن حماد الصنهاجي، وهذه الكتب معظمها ضاع و لم يبق منها إلا مقتطفات في المراجع المتأخرة.

للكتاب قيمة تاريخية لأنه من أمهات المصادر حول المغرب والأندلس، ويضم تاريخ مفصل للمغرب بمعناه الواضح منذ الفتح حتى أيام الموحدين، والذي حقق منه هو القطعة الموجودة الباقية من تلك الموسوعة، إذ أنها لا تتناول إلا أخبار (33 سنة) من (500ه/533م)، ويحتوي على رسائل الخلفاء الموحدين التي كانت ترسل من المغرب إلى الأندلس والعكس، كما يلقى الضوء على نظام الحكم عند الموحدين، وقد أفادني في التعرف على أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس على عهدهم، والأهم هو تعرضه لمسألة انتقال أهل المغرب للأندلس بدافع الجهاد ضد النصارى.

***المعجب في تلخيص أخبار المغرب:**

لعبد الواحد المراكشي (أبو محمد محي الدين) ت (ق 7ه/13م).

ويقصد بالمغرب بلاد المغرب والأندلس معا، ويتناول دولة الموحدين، كما قدم له بمقدمة عن تاريخ المغرب والأندلس منذ الفتح العربي فصار الكتاب تاريخا عاما وقد رجعت إليه في العديد من المواضع المتعلقة بأحداث الفتنة البربرية ومعاداة الأندلسيين لأهل المغرب، إضافة إلى التوحد السياسي بين المغرب والأندلس على عهد يوسف بن تاشفين، زيادة على فتح الموحدين للمغرب الأوسط، كما فيه إشارات عن الأحوال الاجتماعية تزاوج بعض الأمراء الموحدين، وإلى مسألة الألعاب كلعبة الشطرنج وتفوق الأندلسيين فيها.

***البيان المغرب في أخبار الأندلس:**

لابن عذارى المراكشي (أبو العباس أحمد) كان حيا سنة 712ه/1312م.

والأهم في هذا المصنف هو الجزئين 3-4 الخاصين بتاريخ الطوائف إلى تاريخ الموحدين، وقد أفادني في تتبع أحوال بلاد المغرب الأوسط والأندلس خاصة بعد توحدهما السياسي، وزيادة على ما تناوله من أخبار أفادت البحث فيما يخص توسعات الموحدين والمرابطين بالأندلس، والأراضي التي دخلت تحت نفوذهم ودورهم في إدماج القبائل المغربية في عمليات الجهاد ضد النصارى، وقبل ذلك كله أفدت منه في مجال الانصهار الاجتماعي من خلال تتبع علاقة البربر المغاربة بالأندلسيين زمن الفتنة بعد سقوط الخلافة الأموية، ووصف حالتهم الاجتماعية ودورهم وما تعرضوا له.

***العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر:**

لابن خلدون (عبد الرحمن) ت (808ه/1405م).

يعتبر مؤلفه من أهم المصنفات التي تمدنا بمعلومات غزيرة عن الأحداث الجارية ببلاد المغرب الأوسط والأندلس في القرنين 05-06ه/11-12م وبخاصة الأحداث السياسية والعسكرية، وقد

استفدت بشكل خاص من الجزأين الخامس والسادس في تغطية تلك الأحداث، زيادة على ما أورده من معلومات حول مواطن القبائل البربرية التي دخلت الأندلس من المغرب الأوسط وأسباب انتقالها إلى هناك، وأماكن استقرارها مع بعض الإشارات المتناثرة في ثنايا تلك الأحداث، حيث أمكنني منها استخلاص مظاهر تتعلق بالحياة الاجتماعية.

كما استفدت أيضا من كتابه "المقدمة" الذي يعالج الكثير من المواضيع العلمية المتنوعة.

***الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس:**

لابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت (926ه/1325م).

اختص هذا المصنف بتتبع تاريخ مدينة فاس، ولكنه يحتوي أيضا على مادة إخبارية غزيرة تتناول تاريخ بلاد المغرب الأقصى من سنة 145ه إلى 726ه (أي يشمل تاريخ الدول الخمس التي تناوبت على حكم المغرب وهي: الأدارسة، زناتة [المغراويين-اليفرانيين] ثم دولتي المرابطين والموحدين وأخير دولة بني مرين)، وقد أفادني بمعلومات ساعدتني في رصد التطورات السياسية والعسكرية التي عاشتها كل من بلاد المغرب عموما بما فيه المغرب الأوسط والأندلس على عهد كل من المرابطين والموحدين، وفيه أيضا معلومات عن الجانب المعماري وبخاصة عمارة المساجد.

سادسا-المؤلفات الحديثة:

وإلى جانب هاته المصادر فقد رجعت في هذا البحث أيضا إلى عدد معتبر من المراجع والدراسات والأبحاث العربية والأجنبية التي لها علاقة بالموضوع.

وقد خدمني كل منها في جانب معين من هذا البحث، إلا أنني سأقتصر على ذكر أهمها، في حين سيرد ذكر ما بقي منها مثبتا في قائمة المصادر والمراجع، وأبدؤها بكتابات إبراهيم القادري بوتشيش القيمة، وخاصة كتابي: "المغرب والأندلس في عصر المرابطين" و "المغرب والأندلس عصر المرابطين (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)"، مع أنه اقتصر فيهما على تناول الحقبة المرابطية، إلا أنني أفدت منه خاصة فيما عرضه من قضايا مست الجانب الاجتماعي، كمسألة الزواج والمصاهرة بين المغاربة والأندلسيين، وشيوع زواج ذوي القرابة عند الطبقة الخاصة أكثر ، وتعرضه لمظاهر الاحتفال بالأعياد الدينية الإسلامية والمسيحية، كالفطر والأضحى مثلا، وتحدثه عن وسائل اللهو والترفيه.

وكذلك الشأن مع كتابه الآخر "حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي" والذي اعتمدته فيما يتعلق بدخول البربر المغاربة للأندلس على عهد المرابطين بدافع الجهاد ضد النصارى، كما أنه تعرض لطبقات المجتمع وفئاته المختلفة، وأوضاعها الاجتماعية بالمغرب والأندلس خلال نفس الحقبة.

-ومن المؤلفات الحديثة التي خدمتني في البحث أيضا كتاب محمد بن شريفة: "تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب" إذ لهذا المؤلف قيمة كبيرة جدا، حيث يستعرض عددا هاما من الأمثال الشعبية التي ساعدتني على تصور واقع المجتمع، وطريقة حياة الناس بالمغرب والأندلس في المأكل والملبس والاحتفالات، كما تعرفت من خلاله على الألفاظ والمصطلحات التي تكشف انتقال اللهجة العامية البربرية للغة الأندلسيين، وفي تلك الأمثال أمكنني الوقوف على مشاعر الناس وأحاسيسهم والمواقف التي كانت تعترض حياتهم، وكيف كانوا يجسدونها من خلال ما يتقولونه من أمثال.

-ومن الكتابات التي لها صلة بالموضوع أيضا نجد كتاب: محمد بن عمرو الطمار "الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج"، حيث تطرق هذا الأخير لموضوع الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط وأشار إلى أنها كانت مميزة، إذ ضمت خيرة ما أنجبت الأندلس من كبار المفكرين والشعراء وغيرهم كما وقف على نماذج ومظاهر تلك التأثيرات في المجالين الفكري والفني.

-أما المؤلفات الأخرى، فقد أفدت منها في بعض جوانب هذا البحث، كتلك الكتابات التي تتعلق بالمجال الفني كالموسيقى، والعمران، وكان من أهمها ما كتبه عبد الرحمن حجي بعنوان: "تاريخ الموسيقى الأندلسية" ومقال محمد المنوني: "تاريخ الموسيقى بالمغرب"، حيث تمكنت بناءا عليها من تتبع المراحل التطورية لفن الموسيقى والغناء، وطريقة دخوله للمغرب والأندلس وفترات ازدهاره، وكيفية انتقال تأثيراته عن طريق هجرة الوشاحين والزجالين والموسيقيين خاص من الأندلس إلى المغرب الأوسط.

-أما العمران، فأفدت من كتابات كل من: عبد الله عنان "الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال" ومحمد الطيب عقاب: "لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر"، ومحمد عبد العزيز مرزوق: "الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس"، حيث وقفت من خلالها على ما تطرقوا له من أشكال العمارة الإسلامية بالمغرب الأوسط والأندلس، ومظاهر التأثير والتأثر بينهما خلال الفترة موضوع الدراسة، وكيفية انتقال تلك التأثيرات.

-أما المقالات والأبحاث، فقد تعددت مجالات استفادتي منها، بتعدد المواضيع التي عالجتها، وخدمني منها في ذلك كتابات كل من: سحر السيد عبد العزيز سالم: "الهجرات الأندلسية والمورسكية" وهو مقال نشرته ضمن كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية، حيث تتبع فيه مسألة الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط وتستعرض مراحلها التاريخية، ومما أفادني من كتاباتها أيضا مقال "ملابس الرجال في الأندلس" والذي نشر ضمن مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، إذ

ساعدني في التعرف على أسماء وأنواع الألبسة التي كانت متداولة خاصة في الأندلس من طرف الرجال.

بالإضافة إلى هذا استفدت من مقال لـــ: نصر الدين سعيدوني بعنوان "الجالية الأندلسية بالجزائر ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي" والذي نشر في مجلة أوراق الأندلسية، كما نشر ضمن كتاب دراسات أندلسية، غذ يتكلم فيه عن الهجرات الأندلسية نحو الجزائر (المغرب الأوسط) والأماكن التي استقر بها الأندلسيون فيه، كما أفادني فيما تعرض له عن طبائع الأندلسيين، المتميزة وتفضيلهم للعيش مع بعضهم ونفورهم من المغاربة خاصة فيما يتعلق بالزواج والمصاهرة.

ومن المقالات التي خدمتني أيضا كتابات كل من سهام الدبابي الميساوي في مقاليها: "الخبز طعام في الأندلس في القرون 05-06-07 هـــ / 11-12-13 م" وهو منشور بمجلة الدراسات الأندلسية، ومقال "تهذيب المائدة في الأندلس" حيث أفدت منهما في التعرف على أسماء العديد من أنواع الأطعمة التي كان يتخذها الأندلسيون من الخبز ويطبخونها على أصناف وأشكال عدة، إضافة إلى طريقة تقديم الأطعمة وترتيبها على المائدة، ومثلها في ذلك كتابات كل من: دايفيد ويتز "فنون الطبخ في الندلس" ولوسي بولسن "الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة" هذا إضافة إلى مقالات أخرى خدمت البحث تم إثباتها في قائمة الدوريات.

وفي الختام أتوجه بأسمى عبارات التقدير وخالص شكري، والشكر في هذا المقام واجب إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور إسماعيل سامعي الذي أولاني عنايته، وشجعني على مواصلة الطريق، وخصّص لي من وقته العلمي الثمين جلسات أرشدني فيها بتوجيهاته وملاحظاته القيّمة وأفادني من خبرته العلمية، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر أيضا لجميع أساتذتي الذين أخذتُ من غزير علمهم ولكلّ من قدم لي يد العون والمساعدة فجزاهم الله خير الجزاء.

وأخيرا فإنّ ما بذلته من جهد في إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع، أبتغي به وجه الله أولاً وإثراء البحث العلمي في بلادي ثانيا، فإن وُفقتُ فمن فضله تعالى ومنّه، وإن قصرتُ فأدعو الله المزيد من العون والسداد.

التمهيد

العوامل التي ساعدت على الاتصال الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس

توطئة:

1-العامل الجغرافي "الطبيعي"

3 -المـوقع

4 -الخصائص الطبيعية "التضاريس - المناخ - الغطاء النباتي - المياه"

2-العامل التجاري

ت حركة التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والأندلس

3-العـامل السيـاسي

1 -الأوضاع السياسية في عهد الحماديين و ملوك الطوائف ق 05 هـ / 11 م وانعكاساتها على علاقات المغرب الأوسط بالأندلس

2 -الأوضاع السياسية على عهدي المرابطين والموحدين ق 06 هـ / 12 م وانعكاساتها على علاقات المغرب الأوسط بالأندلس

-توطئة:

إن التعرف على طبيعة الاتصال الذي كان قائما بين المغرب الأوسط والأندلس يتطلب منا البحث عن العوامل التي أسهمت في تشكيله، وتبيين كيف أن تلك العوامل قد تحكمت في تسيير مسار العلاقات بين الطرفين.

وإذا حاولنا النظر في هذه المسألة نجد أن عوامل عديدة كان لها تأثير فاعل منها الطبيعية والجغرافية ومنها السياسية والتجارية وغيرها، وحتى يتضح دورها فإنّه لابد من استعراضها والوقوف على التفعيل الذي تؤديه، وخاصة منها بنظري التي تحكمت بشكل مباشر في توجيه مختلف العلاقات الناشئة بين البلدين، ونذكر منها ما يلي:

1-العـــامل الجغرافي "الطبيعي":

أ-المـــوقع:

يسهم العامل الجغرافي والطبيعي بشكل كبير في توجيه مسار العلاقات، إذ عادة ما يكون مساعدا على تفعيلها أو العكس من ذلك حين تكون الطبيعة وعرة وصعبة أو عازلة، وإذا تقصينا في الخصائص الطبيعية للبلدين، فإن ذلك يستدعي منا بالضرورة استعراض العديد منها، وفي مقدمتها ضبط الموقع الجغرافي.

فبالنسبة للأندلس وهي التسمية التّي أطلقها المسلمون على شبه جزيرة إيبيريا بعد فتحها فهي تحتل موقعا متميّزًا، بحيث تتوضع طبيعيا في شكل مثلث قائم على ثلاثة أركان الأول عند قادس بين المغرب والقبلة بإزاء افريقية، والثاني شرقي الأندلس ما بين مدينة أربونة وبرذيل، بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة والثالث ما بين الشمال والغرب من إقليم جليقية[1][*].

كما يحيط بهذه الجزيرة البحر من جهاتها الثلاث، فبجنوبها البحر الشمالي، وشمالها بحر الأنقليشين وبجوفيها يحيط البحر المظلم (المحيط الأطلسي) [2]، وبهذا يمكن تقسيم الأندلس إلى ثلاثة

---

(1) -الإدريسي (أبو عبد اله الشريف)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم إسماعيل العربي، (دط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، 255 - الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق أ.إليفي بروفنسال، (دط، دت)، 02.

(*) -حول التعريف بالمدن المذكورة في المتن: أربونة - برذيل - ميروقة - منورقة - جليقية، أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 12، 41، 66، 188، 185.

(2) -الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 02.

أقسام هي: الأندلس الشرقي، وهو يشمل كل المدن التي تشرف على البحر الرومي (البحر المتوسط) كبلنسية، دانية، سرقسطة [1]، والأندلس الغربي ويضم عددا من المدن التي تصب أوديتها في البحر المحيط، كاشبيلية، ماردة، أشبونة [2]، وقسم ثالث، وهو وسط الأندلس ويضم من المدن: قرطبة طليطلة، جيان وغرناطة [3]، وهناك قسم آخر منفصل جغرافيا عن الأندلس إلا أنه تابع لها، ويشمل ثلاث جزر تقع شرقي بلنسية أكبرها جزيرة ميورقة وأوسطها منورقة، وأصغرها بلنسية [4].

أما بلاد المغرب الأوسط، فإنها أخذت تسميتها تلك من توسطها للمغربين الأقصى والأدنى وبهذا فهي لم تشكل وحدة جغرافية متميزة عن بقية أجزاء المغرب، وحدودها كانت تتغير تبعا للقوى السياسية المسيطرة عليها، وقد اختلف المؤرخون والرحالة في ضبطها خاصة حدودها الشرقية[5] حيث كان نهر ملوية يمثل الحد الطبيعي الغربي الذي يفصلها عن بلاد المغرب الأقصى[6] في حين يشير ابن خلدون إلى حدودها الشرقية، فيذكر تارة أنّها تبدأ من بونة باتجاه الجنوب إلى الأربس فالأوراس[*].

(1) -المراكشي (أبو محمد محي الدين عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998)،09.

(2) -ابن الشباط (محمد بن علي التوزري)، نص عن تاريخ الأندلس ووصفه، من كتاب صلة السمط وسمة المرط ، تحقيق احمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971)، 128.

(3) -ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى)، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، (ط 2، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، 167.

(4) -ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطي)، نص أندلسي جديد، قطعة عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، من كتاب فرحة الأنفس، نشر لطفي عبد البديع، (مجلة معهد المخطوطات العربية، 1955)، 1/282-285 – الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 47، 185، 188.

(5) -إن هذا الاختلاف والتضارب بين المؤرخين والرحالة مرده عائد إلى اضطراب الحدود في تلك العهود، باعتبارها حدود وهميّة، يحدد معالمها نفوذ الدولة أو القوة السياسية المسيطرة عليها، وقد تطرق الدكتور إسماعيل العربي في كتابه: "دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية" إلى حدود المغرب الأوسط السياسية أثناء فترة حكم الحماديين، وبيّن أنها قد تركزت في الأراضي الواقعة شرقي تيهرت وأسفل نهر الشلف في سهول الحضنة وسطيف جنوبا، وفي سهول متيجة ووادي الساحل وسهول بونة شمالا، أنظر إسماعيل العربي، دولة بني حماد، (دط، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980)، 07-08.

(6) -جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 03-04هـ/ 09-10م، (دط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992)، 05.

(*) -الأوراس: سلسلة من جبال الأطلس الصحراوي بالمغرب الأوسط، وتمثل شكلا رباعيا يبلغ محيطه نحو 65 ميلا، وفي نهاية هذه السلسلة إلى الجنوب تمتد تلال قليلة الارتفاع حتى تتصل بالصحراء، ومن أكثر قمم جبل الأوراس ارتفاعا قمة شيليا، "Celia"، وتقع هذه السلسلة على مسافة 160 ميل من بجاية أي 256 كلم، و 80 ميل من قسنطينة 128كلم، أنظر الحسن الوزان (الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، ومحمد الأخضر، (دط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983)،

فتبسة[1]، ويذكر تارة أخرى أن المغرب الأوسط يجاور من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمدية وما يليها إلى بجاية[2].

ومع هذا الاختلاف، فإنّ موقع بلاد المغرب الأوسط متميّز، فهي تشرف من الناحية الشمالية على واجهة بحرية مهمة وهي البحر المتوسط، الذي يمثل نفس الواجهة البحرية التي تطل عليها بلاد الأندلس في شقها الشرقي[3] ممّا يعني أن هذا المجاز المائي شكّل همزة الوصل الأساسية التي تربط بين الطرفين، وهو ما سيلعب دورًا هاما في تفعيل العلاقات بينهما [4]؛ ذلك أن طبيعة المغرب الجغرافية جعلت الاتصال بينه وبين العالم الخارجي يتم بواسطة شبكة من الطرق، كان منها ما اصطلح على تسميته بالطرق أو المسالك المائية[5] تلك التي ربطته ببلاد الأندلس عن طريق الموانئ، حيث تتصل موانئها بموانئ الطرف المقابل[6] فقد كانت السفن الأندلسية تتردد على مراسي وموانئ المغرب

102/2 – رضوان محمد البارودي، جبل الأوراس منذ الفتح الإسلامي حتى الغزوة الهلالية، (د ط، الإسكندرية: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1985)، 65.

[1] –ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، (د ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1986)، 173/6–174.

[2] –المصدر نفسه، 174/6.

[3] –عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، (د ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969)، 07.

[4] –عن دور البحر المتوسط وأهميته في بلاد المغرب، أنظر: مقال G.Fxybold، بدائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية محمد ثابت الفندي، إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، 388/3 –389 – رشيد باقة، أهمية البحر الأبيض المتوسط في إستراتيجية الصراع بين الشرق والغرب منذ العهود القديمة إلى نهاية العصور الوسطى، (منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث مغربية، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال)، إعداد وتنسيق، إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، إشراف بوبة مجاني، (د ط، قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، 2008)، 264–275.

[5] –تناول الجغرافيون العرب الطرق الرئيسية لبلاد المغرب، وبيّنوا مسافاتها، ومراحلها وأنواعها من حيث كونها ساحلية أو داخلية، وتقسيماتها من حيث كونها طرق أساسية أم فرعية واتجاهاتها كتلك التي تربط بلاد المغرب بالمشرق أو بالسودان، ولتفصيل أكثر حول هاته الطرق أنظر: اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)، البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، (ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002)، 103، 107، 115 – المقدسي (أبو عبد الله محمد شمس الدين)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ط 2، مطبعة ليدن، 1938)، 246–247 – الاصطخري (أبو القاسم إبراهيم بن محمد)، المسالك والممالك، تحقيق محمد عبد العال الحسني، (د ط، القاهرة: دار القلم، 1961)، 37 – موريس لومبارد، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، (دمشق: دار الفكر، 1979)، 26.

[6] –البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (د ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د ت)، 81 – 82 –ابن سعيد، الجغرافيا، 145، ويذكر أحد الباحثين أن الشواطئ المغربية كانت مهملة نسبيًا، ولا تستخدم إلاّ بصورة عرضية حتى أواخر القرن 4هـــ، وأوائل القرن 05هـــ–11م، حتى أننا نرى أن جميع المدن التي ازدهرت، وكانت مراكز للعمران والحضارة في العصور الوسطى قبل بجاية، كتيهرت وآشير والقلعة، كلها داخلية بعيدة عن البحر، لكن نتيجة الخطر المسيحي الذي

الأوسط، ومن الواضح أن ذلك ارتبط بالنشاط التجاري وقد ناب ذلك عن الطرق البرية [(1)]، إذ أن الخط البحري الدائم الذي ربط بينه وبين الأندلس ومنه إلى بقية مدن المغرب الأخرى، كان يبدأ من تنس محط السفن الأندلسية التجارية[(2)] حيث ذكر اليعقوبي أن ميناء تنس من الموانئ الهامة التي تربط المغرب بالأندلس، قائلا: «فمن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس، فركب البحر المالح يسير فيه عشرة أيام مُسحّلا غير موغَل حتى يحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس بينه وبين تيهرت أربعة أيام، أو سار إلى تيهرت يوافي جزيرة الأندلس، فيقطع اللّج في يوم وليلة حتى يسير إلى بلد تدمير» [(3)]، ويقابل مرسى تنس من بر الأندلس مرسى شنت بول "Chent pol"[(4)].

وبهذا فقد مثلت تنس أقرب نقطة في المدن الساحلية بالمغرب الأوسط إلى الساحل الأندلسي.

أمّا بالنسبة لمرسى وهران، فإنّه لا يقل أهمية عنه، حيث أسهم بشكل كبير في ربط علاقات لاسيما التجارية منها بين المغرب والأندلس [(5)]، وكان مرساه في غاية السلامة والصون من كل ريح، حيث كفلته الجبال من كل جهة فوفرت له الحماية الكاملة من الرياح البحرية [(6)]، وقدرت المسافة بين هذا

استفحل في القرن 05هـــ-11م، هي التي دفعتهم للاهتمام بتحصين المناطق الغربية من البحر المتوسط، أنظر : إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 249 .

(1) -إن الاهتمام والتركيز على الطرق البحرية، لا ينفي دور وأهمية الطريق البري، فقد كان الاتصال بين المغرب الأوسط والأندلس يتم عن طريق طنجة وسبتة ومنه إلى الأندلس، وقد أشارت إلى هذا الطريق العديد من كتب الجغرافيا من ذلك: ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد)، حيث يصف المسافة الرابطة بين تاهرت وطنجة بقوله: "ومن تاهرت إليها مسيرة خمس وعشرون يوما"، أنظر : مختصر كتاب البلدان، (د ط، بيروت: دار صادر، 1982)، 80-81، ويحدد ابن حوقل (أبو القاسم إبراهيم بن محمد)، طريقا مغايرًا بقوله: "فمن تلمسان إلى تاتانلوت ومنها إلى وادي الصفاصف، ثم إلى إفكان ومنها إلى تاهرت"، أنظر : صورة الأرض، (د ط، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د ت)، 88، ويمتد هذا الطريق من تلمسان إلى مدينة فاس، ويذكر الاصطخري أن الطريق من تاهرت إلى فاس خمسون مرحلة، أنظر: المسالك والممالك، 36، إلاّ أن البكري يرى أن الطريق من مدينة فاس إلى القيروان أربعون مرحلة، ثم يمتد الطريق من فاس إلى سبتة مسيرة ستة أيام، أو من فاس إلى طنجة، ومن هناك تعبر المراكب إلى الأندلس، أنظر : المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 115-141، ويؤكد ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله)، ذلك بقوله: «أن الخارج من الأندلس أو من فرنجة، يعبر إلى السوس الأقصى، فيصير إلى طنجة ثم إلى أفريقية»، المسالك والممالك، (ليدن: مطبعة بريل، 1889)، 154-155.

(2) -الإصطخري، المسالك والممالك، 34.

(3) -اليعقوبي، البلدان، 105.

(4) -البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 81.

(5) -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(6) -ابن حوقل، صورة الأرض، 79 - الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 153.

الميناء إلى الأندلس بيوم وليلة، وذكر الإدريسي بأنّه ترسوا به المراكب الكبار والسفن السفرية ويقابله من الأندلس مدينة المرّية[1].

وأما مرسى فروج "أو مرسى عين فروج، أو مرسى فروخ"، فهو أيضا مأمون شتوي ويقابل مرسى مدينة لورقة الأندلسية "Lorca"[2].

وإلى جانب دور تلك المراسي هناك أخرى ارتبطت هي أيضا بالنشاط التجاري البحري مع الأندلس، كمرسى قصر الفلوس، وهي مدينة على البحر قريبة من مدينة وهران، مرساها غير مأمون يقابله مرسى قرطاجنة "Carthagéne"[3] ومرسى جزيرة وقور الذي يقابله من الجهة الأندلسية مرسى لقنت، ومرسى جنابية الذي يقابله مرسى دانية [4]؛ ومن المراسي أيضا مرسى شرشال[5] يقابله مرسى مديرة "Modeira"[6] بينما يجعل صاحب الاستبصار، ما يقابلها من الأندلس الأندلس مرسى لقنت[7]، واشتهر مرسى البطال الذي كان في غرب جبل شنوة، الذي يقابله من ساحل الأندلس جبل قرون "Capst Martine"[8].

---

(1) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 153 - بينما يذكر البكري أن ما يقابله من بر الأندلس هو مرسى أشكورش، أنظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 81.

(2) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 159، لقد تضاربت آراء الباحثين حول هذا الميناء، فبينما يذهب الدكتور عبد العزيز فيلالي إلى القول بأن مرسى فروخ هذا هو مرسى الدجاج في مقاله: «جوانب من العلاقات التجارية بين تاهرت والأندلس»، مجلة سيرتا، (السنة الثانية، عدد 3، قسنطينة، 1980)، 35، فإن إسماعيل العربي ينفي ذلك في مقاله: العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، (مجلة الأصالة، عدد 19، 1974)، 353، وعن هذا المرسى الذي يقع على منتصف الطريق بين آرزيو ومستغانم، وردت دراسة من طرف إحدى الباحثات، ترجح أن يكون هذا الحصن من بناة الأندلسيين في القرن الثالث الهجري، مستندة في ذلك إلى أن هذا الاسم: "فروخ" يرجع إلى أسرة أندلسية، لتفصيل أكثر حول ذلك، أنظر: سحر السيد عبد العزيز سالم، أضواء على بعض المراكز التجارية بين المغربين الأوسط والأقصى في القرن الثالث الهجري من كتاب أوراق بحر متوسطية من العصر الإسلامي، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1995)، 151.

(3) -اليعقوبي، البلدان، 105 - البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 81.

(4) -البكري، المصدر نفسه، 82 - ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، 142.

(5) -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 81 = وهي مرسى ومدينة رومانية قديمة ذكر بأنّه كان لها ميناء ارتدم يصفها بأنها عظيمة.

(6) -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(7) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، (د ط، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د ت)، 132.

(8) -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 81.

وبذلك فقد تعددت المسالك الرابطة بين ساحل المغرب الأوسط من شرشال إلى جزائر بني مزغناي وبين الساحل الأندلسي الممتد من قرطاجنة إلى مصب نهر الإبر[1].

زيادة على أن الظروف التاريخية التي شهدها المغرب الأوسط خلال القرن 05هـــ-11م، وما ترتب عنها من تجزئة سياسية إثر الصراع الزيري الحمادي[2] وبلاد الأندلس إثر انقراض الخلافة في قرطبة[3] أدى إلى ظهور مسالك جديدة تفضي إلى جزائر بني مزغنة وضواحيها، حيث أصبحت تمثل تمثل نقطة اتصال بحري هامة تقوم بدور مماثل للذي كانت تقوم به مدينة تنس من قبل [4] وليس أدل على أهميتها الجغرافية في ربط العلاقات مع الأندلس من شهادات الجغرافيين العرب؛ ففي حين اكتفى المقدسي في القرن 03 هـــ/9 م، بالإشارة إلى أنّها على ساحل البحر مسوّرة يعبر منها إلى الأندلس[5]. فقد اعترف كل من ابن حوقل (ق 04 هـــ- 10م) والبكري (ق 05هـــ- 11م) وصاحب الاستبصار (ق 06 هـــ-12 م)، بأهميتها والدور الذي لعبه ميناؤها، حيث كان يستقبل أفواجا من البحارة والأندلسيين والتجار وغيرهم[6] أضف إلى ذلك بجاية التي لم تلبث أن أصبحت بمثابة المهدية بالنسبة للمغرب الأوسط، وأن تتفوق حتى على مدينة الجزائر، وأشار الإدريسي إلى ازدهارها في القرن 06 هـــ-12 م، فقد اشتهرت بمراسيها لاسيما في عصر بني حماد، إذ كانت السفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحطة [7]، ووصفها ابن فضل الله العمري بأنها ثانية تؤمن في الرتبة والجمال وجميع المعاملات والوجوه والأحوال، ولها حصانة عظيمة ومنعة ورفق كثير بمدخل السفن

---

[1] -المصدر نفسه، 81 – 82 – الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 169، 247 – مؤلف مجهول، الاستبصار، 127 – ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، 142.

[2] -عن صراع الزيري الحمادي أنظر: ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر ج.س كولان، وليفي بروفنسال، (ط 3، باريس، 1951)، 1/269 – 273 – الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م، نقله إلى العربية، حمادي الساحلي، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992)، 293/01 – 294.

[3] -سوف نتحدث بتفصيل أكثر عن هاته التحولات عند تناولنا لعنصر الأوضاع السياسية وتأثيرها على العلاقات.

[4] -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 66 – الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 159 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 132.

[5] -المقدسي، أحسن التقاسيم، 238.

[6] -ابن حوقل، صورة الأرض، 78 – البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 66 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 132.

[7] -الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وترجمة عن الفرنسية، محمد حاج صادق، الجزائر، 116 –القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 159.

إليها من البحر[1] ويقابل مرسى بجاية من الأندلس طرطوشة Taratose[2]، وعليه يتضح أن الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، كان مهيئا بحدوده وامتداداته ومراسيه، لأن يتصل ببلاد الأندلس ممّا جعل الملاحة بين الشاطئين تسير في خط مستقيم كما أن كثرة المراسي وتقارب المسافات بين القطرين يدل دلالة واضحة على قوة التبادل التجاري بينهما.

وإذا كان هذا الحال مع الموقع، فكيف سيكون الأمر بالنسبة للخصائص الطبيعية التي تتمثل في أشكال التضاريس، ونوعية المناخ والغطاء النباتي والمجاري المائية.

ب-الخصائص الطبيعية: «التضاريس – المناخ – الغطاء النباتي – المياه»:

إن أحسن من يمكن أن يقدم وصفًا لهذه الخصائص، ويفسح المجال للكشف عن مدى تأثيرها في توجيه مسار العلاقات بين بلاد المغرب الأوسط والأندلس، الصورة التي تنقلها لنا كتب الجغرافيا والرحلات خاصة منها المعاصرة للقرنين 05-06هـ/11-12م[3]، حيث تظهر التشابه التشابه حينا والتمايز أحيانا أخرى في طبيعة البلدين. فإذا أخذنا جانب التضاريس على سبيل المثال، نجد أن بلاد المغرب الأوسط يغلب عليها الطابع الجبلي في المنطقة الشمالية، وتمتد فيها الجبال من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي بموازاة الساحل، وهي عدّة أقسام منها سلسلة الأطلس التلّي، وتقع على البحر المتوسط، تشتهر بها جبال تلمسان [4]، وسلسلة الأطلس الصحراوي التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي من أهمها جبال الأوراس [5]، وقد وصف الإدريسي هذه السلسلة بأنها عالية الإرتفاع كثيرة الخصب، حيث يقول من جبل أميسون ببجاية "جبل ڤورايا حاليا": أنّه سامي العلو صعب المرتقى في أكنافه جمل من النباتات[6].

ويسود هذا الطابع مناطق عدّة بالأندلس، بحيث تخترق السلاسل الجبلية الأراضي الأندلسية ناحية الشمال كجبال البرتات المعروفة بجبال البرانس، والتي تمثل الحد الفاصل بين الأندلس، وبلاد

---

[1] -ابن فضل الله العمري (أبو العباس شهاب الدين)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (ممالك اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، د ط، الإمارات العربية المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2001)، 91/4.

[2] -أبو الفداء (عماد الدين)، تقويم البلدان، (بيروت: دار صادر، د ت)، 137.

[3] -تسهب المصادر الجغرافية وكتب الرحلات في وصف طبيعة بلاد المغرب الأوسط والأندلس، نجد من أهمها خلال القرنين 05-06هـ/11-12م: البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 54، 66، 70، 80، 81 – ابن غالب، قطعة عن كور الأندلس ومدنها، 283، 289، 292، 309 – الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 256، 263، 266، 271، 278 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 127، 131، 134.

[4] -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 76.

[5] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 163.

[6] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 160.

الفرنجة، وتسمى بالجبل الحاجز أو باب الأندلس [1]،كما يفصل الجنوب والجنوب الشرقي في وسط الأندلس وشماله سلسلة جبال نفادا وتعرف عند المسلمين بجبال الثلج [2]، بحيث يطل هذا الجبل على مدينة غرناطة وإلبيرة، ومع أن الجبال كثيرا ما تشكل حواجز طبيعية عازلة، ومُصعّبة لعملية الاتصال من جهة، إلاّ أنّها خدمت هذا الجانب من جهة أخرى، ذلك أن التشابه البيئي والطبيعي، انعكس إيجابًا على الصّعيد النفسي والاجتماعي، حيث أن التطابق النسبي في نوع البيئة الجغرافية سهلّ على العناصر السكانية في حالة التنقل أو الهجرة المتبادلة بين الطرفين، التأقلم والانسجام والاستقرار، لأنّهم لم يجدوا طبيعة مختلفة عن تلك التي اعتادوا عليها في أوطانهم، سواء كان ذلك مع الأندلسيين الذين وفدوا على المغرب الأوسط واستقروا به أو العكس بالنسبة للمغاربة[3].

وما يقال على التضاريس يقال على باقي الخصائص الطبيعية الأخرى، كالمناخ ففي بلاد المغرب الأوسط تظهر أقاليم مناخية متباينة من الشمال إلى الجنوب، منها مناخ البحر المتوسط الذي يسود المناطق المحاذية لسطح البحر شمال الأطلس التلي، كوهران – بجاية – الجزائر، يمتاز طقسه بالاعتدال وكثرة الأمطار في فصل الشتاء[4].

وهناك المناخ الانتقالي الذي يسود المناطق الداخلية وهو شبه جاف يمتاز بالأمطار غير المنتظمة، وآخر صحراوي يغطي مناطق واسعة من الجنوب، تغلب عليه الحرارة العالية وقلة الأمطار[5].

أما مناخ الأندلس فيتردد وصفه في كتب الجغرافيا والرحلات، حيث تذهب أكثريتها إلى القول بأن الأندلس شامية في طيبها وهوائها يمانية في اعتدالها واستوائها [6]؛ باستثناء بعض المناطق الجبلية العالية التي تمتاز بالبرودة الشديدة وكثرة الثلوج التي تغطي قممها كجبل شلير، لقد ذكر

---

(1) –الحميري، صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار، 112.

(2) –الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر)،كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق،(د ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية)، 93.

(3) –يتأكد تأثير التشابه البيئي ودوره في توجيه العلاقات الاجتماعية فيما سيتم عرضه خلال الفصل التالي من هذا البحث، انطلاقا من تتبع توزع القبائل البربرية المستقرة بالأندلس، ودور البيئة في توجيه ذلك التركز.

(4) –حلمي عبد القادر علي، جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، (ط1،الجزائر:المطبعة العربية الجزائرية، 1968)،98.

(5) –المرجع نفسه، 104.

(6) –الزهري، كتاب الجغرافية، 80 – ابن الشباط، نص عن تاريخ الأندلس ووصفه، 130 – الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 03.

الزهري بأنه يعرف عند المسلمين بجبل الثلج لأنّه لا يفارق قممها صيفًا ولا شتاءًا [(1)]، والأمر ذاته نجده في بعض المرتفعات ببلاد المغرب الأوسط، حيث يشير صاحب الاستبصار إلى أن جبال الأوراس الواقعة جنوب مدينة قسنطينة تغطيها الثلوج في الشتاء والربيع [(2)]، ممّا يدل على أن الطابع المناخي متقارب في البلدين، وله تأثير مباشر على نمط حياة السكان وعلى أنشطتهم الاقتصادية، ونظرا لأهمية وتأثير المناخ ودوره في تشكيل المحطات الكبرى في التاريخ فقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلاً هامًا عن أثر المناخ في طابع وعادات الشعوب [(3)] كما أن هذا التنوع المناخي انعكس بشكل فعال على تشكيلة الغطاء النباتي سواء ببلاد المغرب أو الأندلس، حيث يتميّز البلدين بتنوع الغطاء النباتي والمنتوج الزراعي، والثروة الغابية، ويكفي كدليل على ذلك إلقاء نظرة على ما تحتويه كتب الجغرافيا من وصف للمناطق الغنية بذلك، كمرسية بالأندلس حيث أشار الزهري إلى وفرة القمح والفواكه بها[(4)]، والشأن ذاته ببلنسية، حيث يشير نفس الرحالة إلى: « أنها مدينة قد أغلقتها الثمار والأشجار، والأشجار، كشجرات السروّ وفيها أنواع من التين ما ليس له نظير في الأندلس كلها» [(5)]، ومثلهما الكثير من تلك المدن التي تزخر بالغنى الزراعي[(6)] ومثل هذه المزروعات موجودة بمناطق عديدة من المغرب الأوسط بحيث يتنوع المنتوج الزراعي ويتباين الغطاء النباتي من منطقة لأخرى، فعن بجاية مثلا يقول صاحب الاستبصار: "أنها مدينة كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات [(7)]، واشتهرت مدينة

[(1)] -الزهري، كتاب الجغرافية، 93 – الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 297 – الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 112 – المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 08.

[(2)] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 163.

[(3)] -ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب المقدمة، (ط1، بيروت: دار صادر، 2000)، 68-72.

[(4)] -الزهري، كتاب الجغرافية، 100.

[(5)] -المصدر نفسه، 101.

[(6)] -للتوسع أكثر حول ذلك أنظر: العذري (أبو العباس أحمد بن عمر ابن الدّلائي)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، (ط 1، مدريد: مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965)، 17، 21، 95 – الغرناطي (أبو حامد)، المعرب عن بعض عجائب المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إنغريد بيخارانو، (د ط، مدريد:المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1991)، 14، 36، 52.

[(7)] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 130.

بونة بغزارة إنتاجها للقمح والشعير إذ كان في أكثر أوقاتها كما لا قدر له [1] كما كانت مدينة جيجل كثيرة العنب والتفاح والفواكه[2]؛ وكذلك وهران قال عنها صاحب الاستبصار: "هي مدينة كثيرة البساتين والثمار[3]،ومثلها تلمسان إذ هي كثيرة الخصب رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات والنعم[4]".

أمّا جزائر بني مزغناي فيتصل بها فحص كبير يسمى فحص متيجة وهو عظيم كثير الخصب[5] وغيرها من ذلك الكثير.

ومن هنا نلاحظ بأن هذا التنوع والتشابه في الغطاء النباتي الذي ميز طبيعة البلدين سوف يسهم كثيرا في دفع العلاقات، خاصة وأن المزروعات عادة ما تتعلق بالنشاط الاقتصادي للسكان، حيث ستجد العناصر المهاجرة في البلدين ما يساعدها على ممارسة ما يتعلق بذلك من زراعة ورعي.

وإذا كان قد تبيّن أن الموقع الجغرافي والتضاريس وتنوع الغطاء النباتي لهما دور مساهم في تنشيط مسار العلاقات، فإنّه لا يمكن تجاوز دور عامل طبيعي آخر هو المياه، لأنّ كميات التساقط تتحكم عادة في تنوع الغطاء النباتي؛ والصورة التي يمكن استخلاصها بناءًا على استقراء المصادر الجغرافية، توحي بأن موارد المياه في بلاد المغرب والأندلس واحدة، تتمثل بشكل خاص في الأنهار والأودية والمياه الجوفية التي تظهر في شكل عيون وآبار.

فهي تشترك في خاصية أنها جميعها تنبع من السلاسل الجبلية، وتصب إمّا في البحر المتوسط أو البحر المحيط، أو في الداخل، وعن الأنهار بمياهها الجارية قال الزهري: "فالأندلس يشقها حوالي أربعين نهرًا، ولا يوجد هذا في معمور الأرض إلاّ فيها"[6]، كما يخرج من جبل شلير خمسة وعشرون وعشرون نهرا يصب منها في البحر المتوسط ثمانية عشر نهرًا والغالب على هذه الأنهار أنها عذبة تتميز بقوّة اندفاعها[7]؛ وكانت تصرف في أغراض الشرب والمنازل والرّي، كنهر شنترين بالأندلس يقول

---

[1] -ابن حوقل، صورة الأرض، 77 - الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 192 - الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله البغدادي)، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990)، 512/1.

[2] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 128.

[3] -المصدر نفسه، 133.

[4] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 150 — مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 176.

[5] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 159 — مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 132.

[6] -كتاب الجغرافية، 80.

[7] -المصدر نفسه، 83.

عنه الحميري بأنّه: «يفيض على بطائحها كفيض نيل مصر، فتزدرع أهلها على ثراه عند انقطاع الزريعة في البلاد وذهاب أوانها، فلا يقصر على نمائه العشب ولا يتأخر»[1].

أما العيون والينابيع والآبار، فيستفيد منها أهل البلد للشرب أو الرّي، وهي متفاوتة من حيث الغزارة والتذبذب في الجريان [2].

ولا تختلف طبيعة المياه بالأندلس عنها ببلاد المغرب الأوسط، إذ تمتاز بديمومة جريانها وقصرها فالأودية منها تنبع من سلسلتي الأطلس التلي والصحراوي، وتصب إمّا في البحر أو في الداخل أو الصحراء من أهمها نهري سطيف والشلف، كما تستفيد بلاد المغرب الأوسط أيضا من المياه الجوفية الباطنية كمياه الآبار والعيون[3].

وبهذا يتبيّن أن الشبكة المائية بالأندلس كانت شبيهة بما هي عليه ببلاد المغرب الأوسط وأن وفرة المياه من العوامل التي تساعد على جلب واستقرار العناصر البشرية كما وأنه من خلال كل ما سبق ذكره، نستنتج بأن تلك الشواهد ما هي إلاّ دليل حي نقف من خلاله على ما كان يتمتع به كلا البلدين من رخاء وغنا طبيعي وزراعي، وذلك ما يدعم تفعيل العلاقات الاقتصادية خاصة مجال التجارة والمبادلات لتغطية النقص عند أحدهما مما يجعل كل طرف بحاجة إلى الآخر، ويصاحب تلك المبادلات حركة تنقل الأشخاص والأفكار التي تفتح المجال للاتصال والتبادل الحضاري، وذلك ما سيتضح لاحقا.

---

[1] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 273.

[2] -من ذلك عين البراوة بالقرب من مدينة رندة، وهي تجري من أول الربيع إلى آخر الصيف، فإذا دخل الخريف نضب ماؤها، فلا يفيض بقطرة إلى أوّل الربيع من عامٍ ثانٍ، أمّا عن الآبار فنجد بمدينة أرنيط بالأندلس بئر عذبة على حد وصف الحميري لا تنضح قد أنيطت في الحجر الصلد، أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 14، 79.

[3] -لتفصيل حول ذلك أنظر: اليعقوبي، البلدان، 113– 114 – البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 51، 55، 69، 76 – 77 -الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، 115 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 171.

2-العـــامل التجـــاري:

أ-حركـــة التبادل التجاري بين المغرب الأوسط والأندلس :

لقد اتصلت بلاد المغرب الأوسط تجاريًا مع مناطق عدّة كبلاد المشرق والسودان [1]؛ كما ربطتها علاقات تجارية مع الأندلس، ساعد على تفعيلها العوامل الطبيعية السابقة الذكر خاصة تقابل الشواطئ، حيث كانت السفن التجارية تتردد بين الموانئ المغربية والأندلسية إمّا بشكل دائم أو مؤقت كميناء أرشغول، وميناء عين فروخ بالجزائر، ومرسى الجزيرة الخضراء وبجانة وشاطبة وغيرها من الموانئ الأندلسية الممتدة على الساحل الجنوبي والجنوب الشرقي، وهي محملة بالبضائع والمسافرين[2].

هذا وقد بلغت عناية واهتمام الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط، وبدورها التجاري أن قام بحاروها بإنشاء مدن على طول ساحل المغرب الأوسط، كمدينة تنس التي أنشأت سنة 262هـــ/875م، واستقرت فيها جاليات أندلسية، بحيث كان يسكنها بعض الناس من أهل إلبيرة وأهل تدمير من الأندلس[3]، فأصبحت بذلك محطة تجارية تختلف إليها السفن الأندلسية، ويظهر ذلك في قول ابن حوقل: «أن الأندلسيين كانوا يعبرون البحر بمراكبهم إليها، ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها» [4]، ومثلها في ذلك مدينة وهران التي بناها جماعة من البحارة الأندلسيين، وسكنوها بالاتفاق مع قبائل البربر المجاورين، وأقاموا بها مدة سبع سنوات [5] كما

---

[1] -عن العلاقات التجارية التي ربطت بلاد المغرب الأوسط مع المشرق وبلاد السودان، أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، 76 -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 145 - ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، 127.

[2] -سحر السيد عبد العزيز سالم، أضواء على بعض المراكز التجارية بين المغربين الأوسط والأقصى، 151 - 154.

[3] -البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، 61 = ويشير إلى أن بعض هؤلاء الأندلسيين قد ركبوا مراكبهم وعادوا إلى الأندلس، أما الباقين فلم يزالوا بها حتى على عهده، وشاركوا أهل تنس منازلهم وأموالهم.

[4] -ابن حوقل، صورة الأرض، 78.

[5] -البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، 70 -عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982)، 101.

سيطرت جاليات أندلسية أخرى على كثير من المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط كبونة، وبجاية ومرسى فروخ بجزائر بني مزغناي[1].

ولقد أتاح هذا المجال الفرصة أمام الطرفين لربط علاقات تعاون وتبادل تجاري ساعد على تفعيله الرخاء الاقتصادي الذي تميّز به كلا البلدين، ممّا أعطى دفعا لتنشيط المبادلات التجارية وذلك منذ وقت مبكر، إذ كانت تنس تزود الأندلس بالطعام وذلك لكثرة الزرع بها على حد قول صاحب الاستبصار[2]؛ وكذلك وهران التي ذكر ابن حوقل بأنها كانت تحمل منها مختلف الغلال [3]. كما وقد اشتهرت مدينة قسنطينة بمطامرها التي كانت تستعمل لإدخار الحنطة فتقيم بها لمدة طويلة ولا تفسد، كما عرفت بالعسل الكثير، والسمن الذي يتجهز به منها إلى سائر البلاد [4]. من دون أن ننسى تاهرت ودورها في إمداد الأندلس بالحبوب خاصة أوقات القحط [5]. وفيما يبدو فإن نوعية السلع المتاجر بها كانت أكثريتها نباتية ممثلة خاصة في الحبوب [6]، ومن المحتمل أن يكون نقلها إلى الأندلس خاصة خلال القرن 05هـ/11م، قد ارتبط بظروف المرحلة التاريخية التي مرت بها البلاد وحاجتها إلى مثل هذا النوع من السلع[7]، وإن كان ابن حوقل قبل هذه الفترة قد ذهب إلى أبعد من من ذلك حيث اعتبر أن جميع ما بالأندلس من المجالب في جملة ما يرد من المغرب من التجارة

[1] -محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، مجلة المناهل، (العدد 34، السنة 13، المغرب: مطبعة فضالة، 1986)، 163.

[2] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 133 – ابن سعيد، كتاب الجغرافية، 142.

[3] -ابن حوقل، صورة الأرض، 79.

[4] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 166.

[5] -عبد العزيز فيلالي، جوانب من العلاقات التجارية بين الرستميين والأمويين في الأندلس، 39 – عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، (الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 1987)، 235.

[6] -إن الوثائق الموجودة لا تسمح بمعرفة ما كانت تصدره بلاد المغرب الأوسط من حبوب إلى الأندلس، ولكن الاتفاقيات التجارية التي عقدت بين حكام المغرب الأوسط والتجار البندقيين والجنويين أوائل القرن 13م، لا تدع مجالا للشك في أهمية هذه المواد التي تستغل للتجارة بين البلاد وشواطئ أوروبا، ومن المؤكد أن تيار التواصل قد استمر حتى مع الأندلس، راجع حول هاته الوثائق مثلا: مجموعة رسائل موحدية جديدة، تحقيق ودراسة أحمد عزاوي، (ط 1، القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، 1995)، ج1، (رسالة رقم 35، عبارة عن إمضاء اتفاقية سلام وتجارة بين المنصور الموحدي وحكومة بيشة سنة 582هـ/1186م)، 173–175، وأخرى رسالة عن السيد أبي زيد عبد الرحمن بن أبي حفص والي تونس وبجاية إلى تجار بيشة مشجعا لهم للتردد على بلاد المغرب، 176– 177.

[7] -خاصة منها الحروب التي كانت قائمة بين ملوك الطوائف من أجل توسع مملكة على حساب أخرى، أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، 3/211–213 – ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، (ط 1، القاهرة: مكتبة الخانجي للطبع والنشر، 1977)، 1/140.

والجهاز[1] وهذا يعني أن المنتوجات الزراعية لم تكن وحدها ما كان يصدر من المغرب الأوسط نحو الأندلس بل هناك أيضا مواد أخرى كالخيول العربية والبربرية، والسمك المقدد والجلود المدبوغة والمصبوغة والمواد التي تستعمل للدباغة من ذلك القشور المعروفة بالقشور البجائية. كما كان يصدر من سباخ آرزيو الملح إلى إقليم الأندلس، وذلك عن طريق التجار الأندلسيون الذين يقصدون المنطقة[2] إضافة إلى زراعة القطن التي انتشرت منذ القرن 04 هـــ/10م، واشتهرت بها خاصة المسيلة وطبنة من بلاد الزاب، أين كان ينتج أجود أنواع القطن[3]، أمّا المرجان فلم يكن في بلاد المغرب كله كله أجود من الذي كان يستخرج من تنس ومرسى الخرز[4] حيث يحمل بكميات كبيرة إلى مختلف المناطق، ولعل منه ما كان يصدّر نحو الأندلس[5]، كما اشتهرت في التجارة أيضا بونة، ووصفت بأن بأن لها أسواقا حسنة وتجارة مقصودة، وأرباح متوسطة، وبها من العسل والخير والمير ما تزيد بها على ما داناها من البلاد المجاورة[6]، وذكر البكري أن أكثر تجارها أندلسيين[7]؛ هذا وإن الاستقرار السياسي قد كفل للمغرب الأوسط ازدهارا اقتصاديًا ممّا أعطى دفعًا قويًا للنشاط التجاري الذي توطد مع الأندلس خلال القرن 05هـــ/11م منذ عهد الحماديين، بالرغم ممّا أصابه من جراء هجمات العرب الهلالية[8] حيث ضرب الحماديون في التجارة سهما وافرا، وأصابوا منها أرباحا طائلة [9]؛ إذ كانت عاصمتهم بجاية مقصدا للتجار المغاربة والأندلسيين، ويمكن أن نقف على ذلك من خلال

---

(1) -ابن حوقل، صورة الأرض، 106.

(2) -المصدر نفسه، 85 – إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 249.

(3) -ابن حوقل، صورة الأرض، 85 – البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 59، 69.

(4) -المرجان هو شجرة في البحر متحجرة، يخرج أبيض اللون لينا، فإذا ضربه الهواء إحمّر وتصلّب، ومرسى الخرز الذي يستخرج منه هو موضع يقع على هوامش ساحل كتامة الشرقي يحيط به البحر، ويقابل باجة في جهة الشمال، وهو من مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وتسمى الآن بالقالة، للتفصيل عن ذلك أنظر: البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 55 – الإدريسي، الإفريقية وجزيرة الأندلس، 153 – ابن سعيد، كتاب الجغرافية، 143 – البغدادي، (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي، (ط1، بيروت: دار الجيل، 1992)، مج 1257/3.

(5) -ابن حوقل، صورة، 76 – مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 126 – المقدسي، أحسن التقاسيم، 239 – القزويني (زكريا بن محمد بن محمود)، آثار البلاد وأخبار العباد، (د ط، بيروت: دار صادر)، 261.

(6) -ابن حوقل، صورة، الأرض، 77.

(7) -البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 55.

(8) -العرب الهلالية (أو بنو هلال)، هم قبائل فيها بطون كثيرة مثل رياح وزغبة وأثبج وقرّة وعدي وربيعة، وقد اشتهروا بالتخريب، للتفصيل عن تخريب تلك القبائل ببلاد المغرب الأوسط أنظر: ابن خلدون، المقدمة، 116–117 –العبر، 30/6، 42، 114

(9) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 129– 130 –الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، 215/1 – إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 150، 243 – إليفي بروفنسال، مادة بجاية، دائرة المعارف الإسلامية، مج 351/3.

وصف الإدريسي لها الذي كان يكتب في منتصف القرن 06هـــ/ 12م، (وتحديدا سنة 548هـــ/1153م)، حين قال: «إن مدينة بجاية في وقتنا هذا هي مدينة المغرب الأوسط، والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة والأمتعة إليها برًا وبحرًا والسلع إليها مجلوبة والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد»[1].

كما أن سيطرت الحماديين على تجارة الصحراء وبخاصة نفوذهم في الفترة الأولى الذي امتد إلى حدود سجلماسة التي كانت تمثل همزة الوصل بين المغرب في الشمال وبلاد السودان في الجنوب جعلهم يتحكمون في تجارة الذهب الذي كان يجلب من السنغال والنيجر[2].

وبطبيعة الحال، فإن هذا قد انعكس لا محالة على علاقاتهم التجارية بالأندلس لاسيما وأنّ السفن الأندلسية كانت ترسوا بشكل دائم على السواحل الجزائرية، وأكثر جاليتهم مقيمة هناك، وعن طريق ذلك انتقل إلى الأندلس الذهب ومختلف البضائع والغلات المغربية والسودانية[3].

ومن خلال ما سبق نستنتج بأن بلاد المغرب الأوسط كانت تزود الأندلس بمختلف احتياجاتها من السلع والمواد، خاصة مع نشاط حركة التجارة بين البلدين من خلال تنقل السفن والبضائع، وإن كنا نعدم وجود إحصائيات تضبط بدقة مقدار وكمّ ذلك المدد، إلاّ أنّ وصف كتب الجغرافيا والرحلات يمثل وثائق حيّة تبرز وتوضح بما لا يدع مجالا للشك تنوع تلك الصادرات.

وفي المقابل فقد كان التجار المغاربة ينتقلون بدورهم إلى الأندلس، حيث يجلبون السلع التي لم تكن متوفرة في أسواقهم، والتي تتواجد بكميات قليلة لا تكفي لتغطية جميع حاجاتهم، خاصة وأن العديد من مناطق الأندلس على حدّ وصف الإدريسي كانت غنية بالمناجم والمنتجات الزراعية كما تتوافر فيها الماشية والثروة السمكية والصناعة مزدهرة ازدهارا عظيما، حيث كانت تصدّر منتجاتها إلى المغرب[4]؛ لذلك فقد جلب المغاربة منها الأدوات الفلاحية وغيرها نظرا لشهرة الأندلس الأندلس بها كآلة الحفر، وأنواع من الآلات الحديدية كالسلاح والطبول والسكاكين والأمقاص المـــذهبة[5] فضلا عن تجهيزات العروس إذ يقول ابن سعيد مشيرًا إلى ذلك: «كانت العروس تجهز

---

(1) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 161.

(2) -عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، (ط 1، القاهرة: دار الشروق، 1983)، 265.

(3) -المرجع نفسه، نفس الصفحة –عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 104.

(4) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 256، 266، 268، 273.

(5) -المقدسي، أحسن التقاسيم، 232– 233 – ابن عذارى، البيان المغرب، 180/2.

من مرسية كما يجهز الفارس من تلمسان»[1]، كما زادت حاجات المغرب الأوسط إلى مختلف أنواع الخشب الذي يستعمل لأدوات الطبخ والبنيان، وتأثيث المنازل، وصناعة السفن، وبالرغم من أنّها كانت تستفيد في هذا الجانب من غابات البلد الممتدة في جنوب وهران وغابات جبال القبائل الصغرى لكنها كانت أقل من أن تفي بكل الأغراض، زيادة على بعد المسافة التي تفصل بينها وبين مراكز العمران[2]، لهذا كانت تعتمد على ما يستورد من خارج البلد، ولعلّ خشب طرطوشة بالأندلس قد وجد طريقه إلى أسواق المغرب الأوسط خاصة وأنّها مشهورة تحلها التجار من كل ناحية، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، بحيث تتخذّ منه القرى، لما يتصف به من كونه خشب أحمر صافي البشر بعيد التغيّر[3]، أمّا خشب قيشاطة فكان يصل أكثر بلاد المغرب ومنه تصنع القصاع والأطباق[4].

وبالرغم من قلة وانعدام الوثائق الدالة على عمليات التبادل التجاري بين القطرين في مسألة الخشب خلال هذه الفترة، إلاّ أنّه من الممكن التخمين بوجود عملية التبادل وحيويّة التعامل التجاري انطلاقا من وصف كتب الجغرافيا والرحلات له، يضاف إلى هذا أن الأندلس لّما كانت ترتكز في تجارتها بشكل كبير على مصنوعاتها من المنتوجات الصوفية والحريرية [5]؛ فقد لعبت بعض مدنها وموانئها دورًا بارزًا ومميّزًا في حركة النشاط التجاري المتعلقة بهذا الجانب مع العالم الإسلامي بشقيه المشرقي والمغربي، لما تتميّز به من منتوجات وتعد المرية من أنشطها في هذا لما كانت تتمتع به من صناعة مشرّفة في الأقمشة الحريرية التقليدية المنسوجة بالذهب[6]، والتي كانت تجد رواجا في أسواق العالم الإسلامي، بما في ذلك أسواق المغرب الأوسط، فقد كان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز يعمل بها الحلل الديباج خاصة في أيام المرابطين[7].

---

(1) –ابن سعيد (علي بن موسى بن محمد)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، (ط 3، القاهرة: دار المعارف، 1978)، 246/2.

(2) –إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 245.

(3) –الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 124 – ابن الشباط، نص عن تاريخ الأندلس ووصفه، 107.

(4) –قيشاطة: هي حصن بالأندلس كالمدينة، بينه وبين شوذر اثنا عشر ميلاً، فيها ربض عامر وحمّام وفنادق، وعليها جبل يقطع به من الخشب الذي تخرط منه القصاع والأطباق، لتفصيل أكثر أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 165.

(5) –الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 184.

(6) –الزهري، كتاب الجغرافية، 101 – عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، 202 –عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 105.

(7) –الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 184.

وإن ما يؤكد على حقيقة التبادل التجاري في هذا المجال هي تلك الرسالة المدونة بتاريخ 29 شوال 532 هـــ/ 10 أكتوبر 1138م، والتي حرّرت من طرف تاجر يهودي مقيم بمدينة المرية، إلى أحد التجار من أهل تلمسان، وفي الرسالة يتحدث كاتبها عن تسلمه ثمن كمية من النحاس المصقول بيعت في تلمسان، وعن أسعار أصناف الحرير في سوق المرية، وأسعار النحاس والشمع والفلفل والعقاقير الطبيّة[1]، وتوازي المرية في مثل هذا النشاط كل من مالقة ومرسية التي تصنع فيها ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الصنائع الغريبة[2]، وقد استمر النشاط التجاري بين البلدين في هذا المجال إلى ما بعد القرن 06هـــ/12م[3].

و لم تقتصر واردات المغرب الأوسط على ذلك بل تعدها أيضا إلى المنتوجات الزراعية، ومع أن بلاد المغرب عمومًا تتفوق في إنتاجها، إلاّ أنّه على ما يبدو قد فاقت حاجتها مستوى الإنتاج؛ من ذلك الزيت الذي كان يجهزّ إليها في اشبيلية، ويعد من أطيب زيوت المعمور [4] إضافة إلى القمح والأرز وقصب السكر الذي كان يصدّر بكميات كبيرة من اشبيلية ومالقة [5]، كما أن الكتّان والقطن يعدّان من أجود المحاصيل المتوفرة في إقليم إلبيرة واشبيلية، حتى أن قطنها كان يحمل إلى المغرب فيباع بأثمان مرتفعة، وقد وصفه الحميري بأن جيّده يربو على كتّان النيل، ويكثر حتى يصل إلى أقاصي بلاد المسلمين[6] ولعل منه ما كان يباع بأسواق المغرب الأوسط.

كما زادت حاجات بلاد المغرب الأوسط إلى المعادن خاصة لتمويل المشتغلين بصناعة الحليّ وضرب سكة الدولة على عهد الحماديين، فكان لابد من الاعتماد على ما يرد إليها من الخارج لتمويل قصور الأمراء ولبيوت ضرب السكة [7] لهذا كان يجلب معدن الزئبق الذي يدخل في صناعة

---

[1] -أمين توفيق الطيبي، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن 06 هــ /12 م، من خلال رسائل جنيزة القاهرة، دراسة منشورة ضمن كتاب Actes du III° congres d'histoire et de la civilisation du Maghreb, (Oran, 26-28 Novembre, 1983), Le Monde Rural Maghrébin, Communautés et stratification sociale, Université d'Oran, laboratoire d'histoire, Alger, Tome1, P 73-74.

[2] -ابن سعيد، كتاب الجغرافية، 140.

[3] -وعلى وجه خاص في عهد الدولة الحفصية والزيانية، فقد أشار ابن خلدون إلى ذلك حيث ذكر أن تجار بجاية كانوا يستوردون من الأندلس الثياب الحريرية، وينتقون أصنافها الجيدة، أنظر: العبر، 463/06.

[4] -الزهري، كتاب الجغرافية، 89- ابن غالب، قطعة عن كور الأندلس ومدنها، 283- 284.

[5] -الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 22 ، 179.

[6] -المصدر نفسه، 21 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، 275/1.

[7] -إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 246.

الذهب من جبل البرانس بفحص البلوط[1]، ولما اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بصناعة الصوف والجلود، فقد احتاجت إلى صبغها، لهذا كانت الأصباغ تستورد من الأندلس، وقد أشار ابن حوقل إلى ذلك بقوله: «إن الأندلس اشتهرت بالأصباغ التي تصبغ بها اللبود المغربية المرتفعة الثمينة والحرير»[2]، يضاف إلى ذلك استيراد بلاد المغرب للورق بما في ذلك المغرب الأوسط، إذ أن مدينة شاطبة بالأندلس كانت متفردة بصناعة الورق في المغرب الإسلامي كله خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري، ومنها كان الورق ينتشر في المشارق والمغارب خاصة وأنّه لم ترد إشارة عن إنتاج الورق في أي بلد آخر بالمغرب والأندلس، رغم أن المناطق الشرقية من المغرب، كانت تنتج الورق قبل الغزوة الهلالية[3].

وإن كانت مثل هذه السلع تستوردها بلاد المغرب عموما من الأندلس، فهي أيضا تجلبها من غيرها، إلاّ أن هناك نوعا من التجارة قد تفوقت به الأندلس عن غيرها وهي تجارة الرقيق الأبيض، أو ما يعرف في بعض المصادر الجغرافية باسم: الصقالبة [4] بحيث يلعب التجار الأندلسيون دور الوسيط في نقلهم من أوروبا وأرض الصقالبة إلى بلدان المغرب، ويذكر المقدسي أن هؤلاء الصقالبة كانوا يُحملون إلى مدينة تقع خلف بجانة حيث تسكنها جالية من اليهود متخصصة في عملية خصي الرقيق وبيعهم[5]؛ ثمّ يسوقهم النخاسون من الأندلسيين إلى المغرب أين يوزعون بضاعتهم البشرية من غلمان

---

[1] –ابن غالب، قطعة عن كور الأندلس ومدنها، 284، 291 – ابن الشباط، نص عن تاريخ الأندلس ووصفه، 102 – الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 142.

[2] –ابن حوقل، صورة الأرض، 109 – ابن غالب، قطعة عن كور الأندلس ومدنها، 289.

[3] –سحر السيد عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، (د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995)، 346 — 348 —أمين توفيق الطيبي، جوانب من الحياة الاقتصادية في المغرب في القرن 06 هـــ /12 م، 59.

[4] –الصقالبة: الأصل في كلمة صقلب كما ورد في اللغة الصقلبية هو سلافينو "Slaveninu" وكانت تدل على سكان هذه البلاد من حيث الوطن، أي المستقرين بأوروبا الشرقية ما بين بولندا والبلقان، وعرفت هذه الكلمة في اللغة اليونانية بلفظ سكلا فينو Shna vot sklabeno بإضافة الكاف "K" وكانت لا تزال تحمل نفس المعنى السابق، حتى إذا كان القرن السابع تقريبا أصبحت تدل على معنى العبد Sklavos، واتسع استخدام لفظ الصقالبة، فأصبح يشمل جميع الأرقاء الأوروبيين ممن كان يحملهم النخاسون إلى الأندلس نتيجة الغارات والحروب، فأصبح اسم الصقالبة يطلق على الأرقاء من الفرنك والإيطاليين، وأهل غاليسيا وجنوة، للمزيد حول موضوع الصقالبة أنظر: وفاء عبد الله بن سليمان المزروع، نفوذ الصقالبة في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة (138هـــ–366هـــ/755م–976م)، من كتاب الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، (ط 1، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996)، 89 — 120 —ج.ف.ب هوبكنز، النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، (د ط، تونس: الدار العربية للكتاب، 1980)، 56– 57 – مقال لـــ W.Barthold عن صقالبة الأندلس بدائرة المعارف الإسلامية، 250/14– 256.

[5] –المقدسي، أحسن التقاسيم، 194 –ولقد أكد ابن حوقل ذلك في قوله: «وإن جميع ما على وجه الأرض من الصقالبة الخصيان فمن جلب الأندلس»، صورة الأرض، 106.

غلمان وجواري، فيتخذون للحراسة والخدمة في القصور والبيوت[1]؛ ولعل قسما منهم كان يصل إلى بلاد المغرب الأوسط[2]، ولقد استمرت تجارة الرقيق هذه بين الأندلس وبلدان المغرب عمومًا حتى على العهد الموحدي، بحيث عقد عبد الواحد المراكشي في كتابه عن وثائق الموحدين، فصلاً كاملاً عالج فيه مسائل الرقيق وما يتعلق بهم من أمور في البيع[3].

وممّا سبق ذكره نستنتج أن حركة التجارة كانت نشطة بين المغرب الأوسط والأندلس، وأن كل طرف كان يزوّد الآخر بالحاجات الاقتصادية الناقصة عنده وفي حركة التجارة تلك كانت تنتقل مختلف الروافد الفكريّة والثقافية والحضارية التي جعلت كل طرف يتأثر برافد الآخر، خاصة وأن من هؤلاء التجار من كان عالمًا أو فقيهًا أو أديبًا، ومنهم من انتقلوا بأسرهم مع تجارتهم، ومن الطبيعي أن يرافق ذلك انتقال مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة، فعلى حد تعبير أحد الباحثين: «فإن السلع هي دليل على حضارة المجتمع الذي أنتجت فيه، ومظهر من مظاهرها، فإذا ابتغاها أبناء مجتمع آخر لم يستمدوا منها فائدة عملية فحسب، بل تأثروا أيضا بمحمولاتها الحضارية»[4].

---

(1) -W.Barthold ، مقال عن صقالبة الأندلس بدائرة المعارف الإسلامية، 252/14.

(2) -إسماعيل العربي، دولة بني حماد، 247 — هناك إشارة تعود إلى القرن 3 هـ/9م وهي رواية ذكرها ابن الصغير توحي بأن قسما من هؤلاء الصقالبة كان يصل بلاد المغرب الأوسط عن طريق التجارة، أنظر: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، (د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، 66.

(3) -عبد الواحد المراكشي،وثائق المرابطين والموحدين،تحقيق حسين مؤنس،(د ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية،1997)،319-380.

(4) -محمد بن عمرو الطمّار، تلمسان عبر العصور، ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، (د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، 205.

3- العـــامل السيـــاسي:

أ-الأوضاع السياسية في عهد الحماديين وملوك الطوائف (ق 05هـــ/11م) وانعكاساهما على علاقات المغرب الأوسط بالأندلس.

لم تكن العوامل السابقة الذكر هي وحدها ما ساعد على تفعيل علاقات التواصل بين المغرب الأوسط والأندلس، بل هناك عامل آخر لا يقل أهمّيّة عنها ألا وهو العامل السياسي، إذ غالبًا ما تتحكم السياسة في توجيه العلاقات بمختلف أشكالها.

إذ على الرغم من أن مطلع القرن 05هـــ/11م، قد تميز باضطراب الأوضاع السياسية في كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس، بسبب صراع الحماديين مع أبناء عمومتهم الزيريين من جهة [1] وتدهور الأمور في الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية، وظهور الانقسامات السياسية التي ترتب عنها تشكيل دول الطوائف[2]؛ إلاّ أن ذلك لم يقف حاجزًا أو حجر عثرة في وجه التواصل الحضاري، إذ استطاع الحماديون أن يشكلوا لهم دولة قويّة ومستقلة ببلاد المغرب الأوسط منذ تأسيس عاصمتهم القلعة سنة 398هـــ/1007م، ثم الازدهار الذي شهدوه بعد تأسيسهم لمدينة بجاية "الناصرية"سنة 457هـــ/1064م[3]؛ كل ذلك أعطاهم دفعًا قويًا للاتصال بالعالم الخارجي، وبخاصة منه الدول المطلّة على الجانب الشمالي من حوض البحر المتوسط، وكان في طليعتها دول الأندلس.

---

(1) -لتفصيل حول ذلك أنظر: ابن الخطيب (أبو عبد الله لسان الدين)،أعمال الأعلام،فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثالث (تاريخ المغرب في العصر الوسيط)،تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني،(د ط، الدار البيضاء، 1964)،86-103.

(2) -ممالك الطوائف بالأندلس: هي مجموعة من الممالك صغيرة، منفصلة بإدارة إقليم، وذلك بعد زوال رسم الخلافة في قرطبة سنة 422هـــ/1031م، أنظر: ابن حيان (أبو مروان حيّان بن خلف بن حسين)، نصوص من كتاب المتين، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، (د ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997)،27 — 196 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 54-67- ابن عذارى، البيان المغرب،62/03-117-ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، (تاريخ إسبانيا الإسلامية)،تحقيق إليفي بروفنسال،(ط2، لبنان:دار المكشوف،1956)،122-137-الإحاطة في أخبار غرناطة،440/1-450-ابن خلدون، العبر،192/4-194.

(3) -ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، (تاريخ المغرب)، 86-97 - ابن خلدون، العبر، 227/6 - 229 - عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، (ط 2، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1991م)،47-99- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (د ط، قسنطينة: المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1350هـــ)، 160/2-168.

وفي إطار العلاقات السياسية التي جمعت بين الطرفين، فإن انعدام الوثائق الرسميّة كالمراسلات؛ قد حال دون تشكيل صورة حقيقية، يمكن من خلالها تمييز وتلمّس الطابع الذي ميّزها أو تتبع مسارها التاريخي خلال هذه الفترة، ولكن استنادا إلى بعض الإشارات الواردة منها الرواية التي ذكرها ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام، ومفادها أن المنصور بن الناصر بن علناس "481هـــ-498هـــ/1098م-1105م"[(1)]؛ قد استقبل في بلاده الواثق عز الدولة بن المعتصم بن صمادح أحد ملوك الطوائف الفارين من الأندلس وأقطعه مدينة دلس وضواحيها، وأسكنه بها إلى أن وافته المنية سنة 498هـــ/1098م[(2)]؛ كما آوى إلى بلاط الدولة الحمادية صاحب دانية علي بن مجاهد العامري، الذي تولى الحكم بعد والده مجاهد العامري سنة 436هـــ/1044م، ولكن بعد أن سقطت مملكته سنة 468هـــ/1076م، نقل على إثرها إلى سرقسطة، ثم فرّ منها إلى بجاية، ونزل على الناصر الحمادي، فأكرمه وقد اشتغل بها معلما لصبيانهم حتى مات هناك[(3)].

ويمكن أن نستنتج من ذلك وجود علاقات سياسية ربطت بين حكام المغرب الأوسط وبعض حكام الأندلس خلال هذه الفترة، وبأنّها كانت حسنة وودية، وإلاّ كيف يفسّر مثل هذا الموقف الصادر عن الحاكم الحمادي اتجاه الحاكم الأندلسي المخلوع، وإن كانت المصادر المتوفرة لم تسعفنا في التعرف أكثر عليها؛ وانتقال هذا الأخير للإقامة بالمغرب الأوسط يوحي بأن العلاقات السياسية قد فتحت المجال أمام انتقال التأثيرات الحضارية المختلفة؛ إذ من المؤكد أن استقراره بمنطقة دلس قد صاحبه دخول العديد من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية التي كانت سائدة بالأندلس آنذاك، ونفس الأمر يقال على ابن مجاهد العامري السابق الذكر.

[(1)] -المنصور بن الناصر بن علناس، تولى الحكم بعد وفاة والده الناصر بن علناس بن حماد سنة 481هـــ/1098م، تحرك إلى المغرب، ونازل المرابطين سنة 496هـــ/1103م، واستحوذ على تلمسان، ولما قفل عنها توفي بعد سبعة أشهر سنة 498هـــ/ 1105م، وكان قائما على أمره، حميد الخلال، ضابطا للأمور، ويكتب ويشعر، أنظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تاريخ اسبانيا الإسلامية)، 97.

[(2)] -ابن بلكين (الأمير الزيري عبد الله)، كتاب التبيان في الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، تحقيق إليفي بروفنسال، (د ط، مصر: دار المعارف)، 167-168 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 196/2 -ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، 191-192.

[(3)] -ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري)، تاريخ الأندلس، (قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء)، تحقيق أحمد مختار العبادي، (د ط، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1971)، 102 -شكيب أرسلان، الحلل السندسية في أخبار الجزيرة الأندلسية، (د ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د ت)، 82/3.

وفي المقابل فإن الانقسام السياسي الذي شهدته الأندلس خلال القرن 05هـــ/11م؛ على إثر انهيار الخلافة الأمويّة[1] قد أعطى الفرصة للبربر المقيمين هناك لأن يشكلّوا إمارات سياسية مستقلة خاصة بهم[2] كإمارة بني برزال 404هـــ-459هـــ/1013م-1067م والتي كانت يتولاها آنذاك محمد بن عبد الله البرزالي بمدينة قرمونة[3]، وهم في أصولهم من بلاد الزاب بالمسيلة[4] وإمارة بني زيري بغرناطة 403هـــ-483هـــ/1012م-1090م، وقد اشتهر من ملوكهم زاوي بن زيري 403هـــ-410هـــ/1012م-1019م، وتعاقب على حكمها عدد من أبنائه كان آخرهم حفيده عبد الله 467هـــ-483هـــ/1074م-1090م[5]، ونجاح مثل هذه الإمارات في أن تتولى السلطة، أعطى الفرصة لبربر المغرب الأوسط لأن ينشروا أصول حضارتهم وثقافتهم وطريقة حياتهم الاجتماعية المختلفة من مأكل وملبس واحتفالات وغير ذلك، وأن يتأثروا بما هو موجود أمامهم هناك، إذ من المنطقي أن يصاحب ذلك الاستقرار تواصل وتبادل، ومع هذا تبقى فترة القرن 05هـــ/11م، غير واضحة المعالم خصوصا في جانب العلاقات السياسية بين الطرفين بلاد المغرب الأوسط والأندلس ولا تبدأ تتوضح إلاّ في العهدين المرابطي والموحدي.

ب-الأوضاع السياسية على عهدي المرابطين والموحدين (ق 06هـــ/12م) وانعكاساتها على علاقات المغرب الأوسط بالأندلس:

***-في العهد المرابطي:**

لقد بدأت العلاقات السياسية تتوثق بين المغرب والأندلس، بدءا من العهد المرابطي، وتحديدا حينما حمل المرابطون مسؤولية الكفاح المسلح ضد النصارى في الأندلس، بعد أن بسطوا سلطتهم

---

[1] -ابن حيان، نصوص من كتاب المتين، 27-196 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 54-67 - ابن عذارى، البيان المغرب، 3/61-153 -عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، (دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)، (د ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990)، 3/122-137.

[2] -سوف نتطرق لمسألة البربر المقيمين بالأندلس في الفصل الأول من هذا البحث، ويكون ضمن الحديث عن انتقال البربر إلى الأندلس ودورهم في العلاقات الاجتماعية بين البلدين.

[3] -قرمونة: مدينة قديمة بالأندلس، تقع شرق اشبيلية وغرب قرطبة، أنظر: ابن الشباط، وصف الأندلس، 110 - الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 158-159.

[4] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، (د ط، الجمهورية العربية المتحدة: نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،د ت)، 50 -ابن عذارى، البيان المغرب، 3/114-ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تاريخ إسبانيا الإسلامية)، 119.

[5] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 21-25 - مريم قاسم طويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر (403هـــ-483هـــ/1012م-1090م)، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994)، 75-104 = والحديث عن بني برزال وبني زيري ودورهم، ودخولهم الأندلس، سوف يرد ضمن الفصل التالي من هذا البحث.

على جزء كبير من المغرب، حيث تمكنوا من السيطرة على مدينة تلمسان سنة 472هـــ/ 1079م، ثم تخطوا منها إلى وهران سنة 473هـــ/1080م، وتابعوا زحفهم ليشمل مدنا كثيرة بالمغرب الأوسط [1] لينطلقوا بعدها نحو الأندلس بغرض الوقوف في وجه زحف النصارى والقضاء على الانقسامات الخطيرة وإتمام الوحدة[2]؛ خاصة وأن الجبهة النصرانية بدأت توجه الضربات للمسلمين بالأندلس في دور جديد عرف: بعمليات الاسترداد[3]، مما أدى إلى سقوط عدد من مدن وقواعد الأندلس بيدهم[4]؛ في الوقت الذي عجز فيه هؤلاء الأمراء عن صد ذلك العدوان نتيجة ضعف قواهم [5] وأمام هذا الوضع شعر ملوك الطوائف بخطورة الموقف خاصة منهم المعتمد بن عباد، فقرروا اللجوء للمرابطين، والاستعانة بهم، وذلك سنة 467 هـــ/1074 م، وعلى رأسهم يوسف بن تاشفين[6] بعد وصول الأخبار للأندلس بتنامي قوّة سياسية ودينية بالمغرب منبعثة من أقاصي الصحراء، يعرف أصحابها بالمرابطين لتبنيهم مبدأ الجهاد والمرابطة في سبيل الله[7] فكان أوّل اجتياز لهؤلاء المرابطين نحو

---

[1] -حول نفوذ المرابطين ببلاد المغرب الأوسط أنظر: مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، (ط1، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979)، 28 - ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفارسي)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، (د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972)، 143 -ابن خلدون، العبر، 242/6 -السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، (د ط، الدار البيضاء، 1955)، 229/2 -محمد الأمين بلغيث، دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، (دط، الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع، 2006)، 50-52 -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 42-43.

[2] -السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، (ط2، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1982)، 604.

[3] -عن أهم عمليات الاسترداد أنظر: ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، (ط1، بيروت: دار الثقافة، 1997)، مجلد 4، قسم 132/1 -المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، (دط، بيروت: دار صادر، 1988)، 191/6 - السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 32/2.

[4] -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مجلد 4، قسم 126/1 -163 -مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، 22-25 -المقري، نفح الطيب، 26/4.

[5] -عبد الله بلكين، كتاب التبيان، 79.

[6] -المصدر نفسه، 103 - ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي)، الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، (د ط، القاهرة: دار العروبة للنشر، د ت)، 176-196 -ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 89-90 -ابن الأبار (أبو عبد الله بكر القضاعي)، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، (ط 1، القاهرة: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972)، 142/2-مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 34، 38، 44، 46 -النويري (أحمد بن عبد الوهاب التميمي)، نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، (د ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1983)، 312/24.

[7] -محمد ولد داده، مفهوم الملك في المغرب من الفتح حتى انتصاف القرن السابع الهجري، (دط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1977)، 114.

نحو الجزيرة الخضراء عام 479هـــ/1086م، حيث تلقاهم المعتمد[1] واجتمعت جيوشه معهم في موقعة الزلاقة الشهيرة في نفس السنة وتقابلت مع جيوش النصارى غرب الأندلس من إقليم باتليوس وأحرز المسلمون فيها النصر[2].

وأما عن انعكاساتها على جانب العلاقات، فإن هذه المعركة كانت فرصة أتاحت الاتصال بين المغرب عمومًا بما فيه المغرب الأوسط مع الأندلس، حيث تدفقت قبائل المغرب على إثرها نحو الأندلس للجهاد[3]، بل أن عامل الجهاد ضد النصارى قد أعطاهم الفرصة للجواز الثاني والثالث نحو الأندلس 483هـــ/1090م[4]، كما فتح ذلك المجال أمام المرابطين للاستيلاء على الأندلس وضمها سياسيا لبلاد المغرب[5].

وكان هذا أيضا سببا في زيادة تدفق البربر عليها، ويمكن أن نقف على شاهد عن ذلك من خلال تعليل أحد الباحثين سبب إقبال البربر على مدينة غرناطة بعد أن استولى عليها المرابطون سنة 483هـــ/1090م، بكونها أقرب إلى برّ العدوة، وأوفق لهم من ناحية ولأن معظم أهلها من بربر إفريقية، وقد ظلت محافظة على أهميتها تلك طيلة عهد المرابطين[6].

---

(1) -ابن عذارى، البيان المغرب، 229/3- ابن الخطيب، الحلل الموشية، 51، 52- عبد الله عنّان، دولة الإسلام في الأندلس (عهد ملوك الطوائف)، 317/2 -يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، (ط 3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1958)، 74/1.

(2) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 104-106 -ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، هامش رقم 01، 93- ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، (ط 1، بيروت: دار صادر، 1972)، 116/7 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 146-149 -ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني)، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، (ط 3، تونس: المكتبة العتيقة، 1967)، 108.

(3) -سوف نتحدث عن القبائل التي دخلت الأندلس برسم الجهاد على العهد المرابطي بتفصيل أكثر في الفصل اللاحق من هذا البحث.

(4) -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 66، 76 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 168، 169 -ابن خلدون، العبر، 186/6 -يوسف أشياخ، تاريخ الأندلس، 90/1.

(5) -عن الأماكن والمدن التي استولى عليها المرابطون بالأندلس، أنظر: عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 117-122 -ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تاريخ اسبانيا الإسلامية)، 235 -الإحاطة في أخبار غرناطة، 146/1 = وذكر ابن أبي زرع أن يوسف بن تاشفين تمكن على إثر ذلك من أن يحكم مملكة مترامية الأطراف، حددها بقوله: "وكان يوسف بن تاشفين ملكه من مدينة أفراغه أول بلاد الإفرنج قاصية شرق بلاد الأندلس، إلى آخر عمل شنترين والإشبونة على البحر المحيط من بلاد الأندلس، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا، وفي العرض ما يقرب من ذلك، وملك بالمغرب من بلاد العدوة من جزائر بني مزغنة إلى طنجة إلى آخر السوس الأقصى إلى جبل الذهب من بلاد السودان"، الأنيس المطرب، 136-137.

(6) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 134/1 — حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، (مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، القاهرة، 1949)، العدد 1، مجلد 2 / 97.

ومن انعكاسات الأوضاع السياسية خلال هاته الفترة أيضا على مسار العلاقات بين البلدين هو نظرة الأندلسيين للمرابطين خاصة، والبربر الوافدين معهم عامة، والتي كانت نظرة احترام وتبجيل، إذ اعتبروهم مخلصيهم من ظلم ملوك الطوائف وكثرة ضرائبهم، وقسوة عمالهم، زيادة على هزمهم للنصارى في الزلاقة[1]، وهذا يوحي بأن أغلب الأندلسيين كانوا راضين عن هذا التوحد السياسي الذي جمعهم بالمغرب في ظل حكم المرابطين [2]؛ حتى أنهم أظهروا إعظاما ليوسف بن تاشفين، ونشأ الودّ في صدورهم، بل أن قلوب أهل الأندلس قد أشربت حبّ يوسف وأصحابه على حد تعبير صاحب المعجب[3].

وبهذا فإن التوحد السياسي ستنعكس آثاره على توثيق العلاقات والصلات بين المغرب الأوسط والأندلس على عهد المرابطين، وسيفتح ذلك المجال لانتقال مختلف أشكال التأثير والتأثر، ممّا يساعد على خلق جانب من الاحتكاك بين المجتمعين المغاربي والأندلسي، سواء من حيث الهجرات أو الانصهار، وستستمر حركة التأثير على شتى المستويات طيلة فترة حكم المرابطين للمغرب والأندلس أي العدوتين معا، وذلك ما سنتعرف ونقف عليه بتفصيل أكثر فيما سيأتي لاحقا من هذا البحث.

***-في العهد الموحدي:**

بعد أن أمضى المرابطون فترة حكمهم بالمغرب والأندلس في جهاد ضد النصارى بدأ الضعف يدب إليهم واشتد ضغط النصارى على الأندلس منتهزين فرصة انشغال الدولة بالاضطرابات الداخلية[4]؛ وقد وجد الموحدون فرصة سانحة في ذلك للقيام بهجمات متتالية على ممتلكات المرابطين، فكثرت الهزائم وتوالت على جيوشهم [5] وفقدوا ثقة الناس فيهم، خاصة وأن الحركة

---

[1] -محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن 05 هـــ /11 م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، (ط1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984)، 248.

[2] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 160-163 -مؤلف مجهول، مفاخر البربر، تحقيق محمد يعلى، (د ط، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، د ت)، 249-251.

[3] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 98.

[4] -عن الإضطرابات الداخلية التي شهدتها الأندلس على عهد المرابطين أنظر: البيدق (أبو بكر علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، 35 -ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم)، الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقّاق، (ط 3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)، 258/10 -ابن القطّان (أبو محمد الحسن بن علي)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي (د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، 111 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 170-177 -ابن الأبّار، الحلّة السيراء، 211/2 - مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 86-87 -محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس (عصر المرابطين)، 305-318.

[5] -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 87 -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 127/7 -ابن عذارى، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، (د ط، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985)، 20-21 -مؤلف مجهول، مفاخر

الموحدّية قد ظهرت في تلك الفترة على قدر كبير من التنظيم، وحملت لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك ما قام به ابن تومرت [1] حيث دخل هذا الأخير في صراع مع الدولة المرابطية بشن حملات عسكرية ضدها إلى أن توفي في موقعة البحيرة [2] ليخلفه في حمل تلك المسؤولية عبد المؤمن بن علي 527هـ-539هـ/1132م-1163م [3] الذي واصل تضييق الخناق على الدولة المرابطية إلى أن سقطت وزال وجودها عن كامل بلاد المغرب والأندلس، ليحمل بعدها مسؤولية الجهاد والتصدي للفرنج وقد ساعدته مسألة الجهاد تلك على أن يبسط سلطته ونفوذه على الأندلس، ويوطد أركان الحكم لخلفه من بعده، حيث ساروا على نفس نهجه [4] ممّا مكّن الموحدين من السيطرة على الأندلس ودخلت تحت نفوذهم [5]، كما تدعمت تلك السيطرة عندما تمكّن الموحدين من الاستيلاء على بلاد المغرب، وكان فتح المغرب الأوسط من ضمن مشاريعهم لتوحيد كامل المغرب، إذ نجحوا في الاستيلاء على مدينة بجاية سنة 547هـ/1152م، ثم قسنطينة في نفس السنة وتلتها تلمسان سنة 548هـ/1153م، ثم عنابة ووهران بعدها [6]، وقد استطاع الموحدون أن يحافظوا على نفوذهم بتلك المناطق وأخرى ببلاد المغرب الأوسط، إذ يكفي كدليل على ذلك تصديهم لتحرشات النصارى

البربر، 200 -النويري، نهاية الإرب، 293/24 -ابن خلدون، العبر، 309/6 -السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 95/2 -السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، 251-253.

(1) -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 456/5-457 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 255 -النويري، نهاية الإرب، 277/24-286 -رشيد بوروية، ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، (د ط،الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1982)،41-49.

(2) -لتفصيل أكثر حول موقعة البحيرة أنظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 100 -ابن القطّان، نظم الجمان، 118-122 - المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 192-193 -ابن عذارى، البيان المغرب، 86/4 -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 110 -النويري نهاية الإرب، 287/24-288.

(3) -عبد المؤمن بن علي: ابن مخلوف بن يعلى بن مروان، وينتهي نسبة إلى كومية، ويقال هو من بلدة تسمى تاجرة بالقرب من هنين من نواحي تلمسان، استخلف بعد موت المهدي سنة 527هـ/1132م، وكانت له فتوحات بالمغرب والأندلس، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 481/5 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 183-184 -ابن خلدون العبر، 166/6-167 -ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، 110.

(4) -ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي)، تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، (ط 3، بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1987)، 147 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 201 -السلاوي الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،128/2 -السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، 254.

(5) -ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، 304 -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، 274 - 288 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 191 -السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 131/2-134، 138.

(6) -البيدق، أبخار المهدي بن تومرت، 52-75 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 272-275 -ابن عذارى، البيان المغرب، 108/4 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 187-188.

-E. Lévi Provençal, Documents Inédits D'histoire Almohade, Textes Arabes Relatifs, A L'histoire De L'occident Musulman, Fragments Manuscrits Duk Le Gajoi Du Fonds Arabe De L'Escurial, Librairie Orientaliste, Paris, 1928, P153-154.

الإسبان على سواحله الذين استغلوا تفوقهم البحري لغزو مدنه، واقتحموا مرسى تنس في سفينتين إحداهما من طرطوشة Tartose، والثانية من برشلونة Barcelona، لكنهم انهزموا إثر التحالف البحري الذي تم بين أهل بجاية، وأهل بونة، وذلك ما بين سنتي 550ه–558 ه/1155م–1162م[1].

وبهذا التوحد كانت أقاليم الأندلس والمغرب خاضعة للحكومة الموحّدية وفق سياسة منتظمة ساهمت في ازدهار العدوتين، وسهلت هاته الوحدة السياسية ربط العلاقات بين الطرفين، ودعمت الصلات التي نشأ عنها تأثير كل جانب في الآخر، ذلك أن دخول الموحدين للأندلس وسيطرتهم عليها، قد فسح المجال لأفواج من بربر المغرب أن تتدفق على المنطقة برسم الجهاد[2]

مما يؤكد أن الظروف السياسية في هذه المرحلة تعد عاملا مساعدا على الاتصال الحضاري وأن الأندلس التي كانت متفوقة على بلاد المغرب حضاريا قد صارت خاضعة لها عسكريا، وأن انتقال البربر إليها سيكون النتيجة الحتمية والطبيعية له هو حصول الاحتكاك وما يرافقه من تقارب وتأثير وتأثر.

وبذلك نستنتج أن هذه العوامل وغيرها، قد أعطت دفعا لتسهيل العلاقات والتواصل الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس، وأسهمت بشكل كبير في مدّ جسور التواصل انطلاقا من:

*قرب المسافة، ووفرة الطرق والمسالك الموصلة بين البلدين.

*ازدهار النشاط التجاري خاصة خلال القرنين 05–06 هـــ /11–12 م، وحركة تنقل التجار والسلع في الاتجاهين، وحاجة كل طرف لتزويد الآخر بالسلع والتجهيزات الناقصة عند أهله.

*فترة الاضطرابات السياسية كانقسام الأندلس خلال القرن 05 هـــ / 11 م أعطى فرصة للبربر بتشكيل إمارات سياسية، وبالتالي زيادة عددهم بالأندلس، وتثبيت نفوذهم بالعديد من مناطقه.

*التوحد السياسي على العهدين المرابطي والموحدي جعل من الأندلس والمغرب كتلة واحدة في وجه الزحف النصراني، كما فتح باب الجهاد الطريق أمام حصول تقارب واتصال بين المغاربة والأندلسيين، ترتب عنه فتح قنوات التواصل الحضاري والتبادل الفكري والثقافي.

---

(1) –أحمد عزاوي، مجموعة رسائل موحدية، 1/83–88 = لتفصيل حول الرسالة راجع الجزء الخاص بملاحق البحث.

(2) –سوف نتحدث بتفصيل أكثر عن القبائل المغربية التي تدفقت هجرتها نحو الأندلس في الفترة الموحدية بدافع الجهاد ضد النصارى في الفصل التالي من هذا البحث.

الفصل الأول

الاتصال الاجتماعي بين المغرب الأوسط والأندلس عن طريق الهجرة والمصاهرة

توطئة:

1-هجرات البربر نحو الأندلس

1 -المراحل التاريخية لنزوح البربر نحو الأندلس وظروف كل مرحلة

2 -الأماكن التي استقر بها البربر في الأندلس

2-الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط "الهجرة المعاكسة" وأماكن الاستقرار

أ -المرحلة الأولى من القرن 02-04 هـ / 08-10 م

ب -المرحلة الثانية من نهاية القرن 04-06 هـ / 11-12 م

3-الاتصال الاجتماعي بين أهل المغرب الأوسط والأندلسيين

أ -المصاهرة والزواج بين المغاربة والأندلسيين

ب -الوضع الاجتماعي للمغاربة والأندلسيين

توطئة:

إن الاتصال الحقيقي والفعلي الذي يمكن أن يُفسح المجال عن طريقه للتواصل الحضاري بمختلف أشكاله بين منطقتين أو بلدين، كالمغرب الأوسط والأندلس لا يمكن أن يتأتى فعليًا، من دون احتكاك شعب وأهل البلدين، وليحصل هذا الاحتكاك كان لابد من بروز ظاهرة الهجرة أو التنقل هاته الظاهرة التي تطرح إشكالية هذا التواصل، فهل وقع تقارب وتأثير حضاري بين أهل المغرب الأوسط وأهل الأندلس عن طريق الهجرة، وهل كانت هناك هجرات متبادلة بين الجانبين وما هو نوعها؟ وهل كانت فردية أم جماعية، جاءت تلقائية أم ارتبطت بظروف حتمية؟ وما مدى فاعليتها في تأصيل العلاقات؟

كل هذا وغيره يمكن الكشف عنه انطلاقا من معالجة واستقراء مظاهر عدة أولاها الهجرات المعاكسة من خلال ما يلي:

1-هجرات البربر نحو الأندلس:

أ- المراحل التاريخية لنزوح البربر نحو الأندلس وظروف كل مرحلة:

لقد تكوّن بربر الأندلس نتيجة امتزاج تاريخي من ثلاث مجموعات، أولاها المجموعة التي دخلت الأندلس منذ الفتح الإسلامي وانصهرت مع باقي الشرائح الاجتماعية، والثانية التي جلبها المنصور بن أبي عامر للخدمة في الجيش، بينما تمثلت المجموعة الثالثة في صنهاجة اللثام الذين تم استدعاؤهم لردع الخطر النصراني[1]، وتفاصيل انتقال كل مجموعة نتتبعها كالتالي:

***-مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس 97-138هـ/716م-756م:**

تمثل مرحلة الفتح الإسلامي، أولى مظاهر الاتصال الاجتماعي الذي حصل بين أهل المغرب والأندلس، ويذكر المؤرخون أن الفتح الإسلامي لشبه جزيرة إيبيريا، كان معجزة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، فالعرب قد قضوا خمسين سنة في فتح إفريقيا، في حين لم يقضوا سوى بضعة أشهر في فتح جميع إسبانيا، فأتموا فتحها بسرعة مدهشة، ودانت لهم في سنتين[2]، و لم يتم فتحها بأيدي عربية فحسب بل اشترك البربر معهم في ذلك جنبا إلى جنب، ومثلوا المجموعة الثانية من المسلمين الذين دخلوا الأندلس في أعداد كبيرة ضمن حملة طارق بن زياد " 92-93هـ/711-712م"؛ حيث شكلوا

---

(1) -إبراهيم القادري بودشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، (ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006)، 35.

(2) -غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (ط3، القاهرة: طبع دار إحياء الكتب العربية، 1964)، 397.

غالبية جند الحملة التي بلغ عدد رجالها نحو إثنا عشرة ألف رجل[1]، والأبعد من ذلك هو ما ذهب إليه أحد الباحثين، حيث يرجح أن حملة موسى بن نصير قبلها قد ضمت عددًا لا بأس به من البربر[2] على الرغم من اختلاف روايات المصادر التي تشير إلى ذلك[3] ثم دخلت بعدها أعداد كبيرة من البربر إلى البلاد بصورة غير منتظمة لاسيما بعد سماعهم بأنباء انتصار طارق بن زياد، فاتجهوا إلى عبور مضيق جبل طارق "Gibraltar"[4]؛ مستعينين بكل ما وقعت عليه أيديهم من مراكب، وقوارب، وإبتدأوا بالاستقرار في الأماكن المفتوحة السهلة التي هجرها السكان المحليون [5]، ليستمر تدفق البربر بعد ذلك إلى شبه الجزيرة الأيبيرية من المناطق المكتضة المحيطة بالمضيق لقرب المسافة وسهولة العبور وحبًا في الالتحاق برفاقهم لمشاركتهم الفتح، والاستفادة من نتائجه[6].

والواقع أننا لا نملك تقدير للأعداد التي دخلت الأندلس من هؤلاء البربر، لاختلاف الروايات في تحديد العدد[7]، لكن عددهم دون شك كبير، وربما فاق عدد العرب الداخلين في حملتيّ طارق وموسى؛ أما عن أصولهم فتشير المصادر التاريخية إلى أن البربر الداخلين إلى الأندلس كانوا ينتمون إلى العديد من قبائل البتر البرانس ومن دون شك فقد وجد من ضمن هذه القبائل بطون كانت مستقرة

---

(1) -ابن خلدون، العبر، 151/4 —المقري، نفح الطيب، 216/1.

(2) -عبد الواحد دنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس في عصر الولاة 95-138هــ/714م-756م، ضمن كتاب دراسات أندلسية، (ط1، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2004)، 76 — كما أكده مع آخرين في كتابه الموسوم بعنوان: تاريخ المغرب العربي، (ط1، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004)، 104.

(3) -قد وردت أقدم إشارة في ذلك عند أحد أوائل مؤرخي الأندلس، وهو عبد الملك بن حبيب القرطبي (ت 238 هـــ)، قال: «حدثنا ابن وهب قـــال: وجه موسى بن نصير مولاه طارقا إلى تلمسان وأمره أن يتعاهد سواحل البحر ومراسيه، ويجعل عليها رصدًا لعله أن يصيب من سفن الروم (الإسبان)، فيجد فيها شيخا عنده علم ففعل، فظفر به فقال له هل تعرف في علمك من يفتح الأندلس؟ فقال: يفتحها معكم قوم يقال لهم البربر وهم على دينكم»، والبربر المشار إليهم في النص يبدو أنهم كانوا ممن عقد حسان بن النعمان لأحد إبني الكاهنة ملكتهم التي اتخذت من باغاية على سفوح جبل الأوراس مقرًا لملكها، ومن أسلم منهم شارك في فتح الأندلس بجيش قوامه 12 ألف بربري على اختلاف الروايات، أنظر: ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله)، فتوح مصر وإفريقية، تحقيق محمد الحجيري، (ط1، بيروت: دار الفكر، 1996)، 339، 344 —ابن خلدون، العبر، 151/4 —المقري، نفح الطيب، 216/1.

(4) -جبل طارق: هو عبارة عن مضيق متطرف يقع بمنطقة طنجة بالمغرب، يتميز بموقع حصين، ويمثل الجسر الرابط بين بلاد المغرب والأندلس من جهة الغرب، لتفصيل حول ذلك، أنظر: نهلة شهاب أحمد، الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح وحتى سقوط الخلافة "92هـ-422هــ/710م-1030م"، (مجلة الأحمدية، عدد 11، 2002)، 352.

(5) -المقري، نفح الطيب، 259/1 —عبد الواحد دنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس، 76.

(6) -عبد الواحد دنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس، 77 —موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، من القرن 02 إلى 05هــ، تحقيق وترجمة إسماعيل العربي، (ط3، المغرب: دار الآفاق، 1999)، 120.

(7) -ابن عبد الحكم، فتوح مصر وإفريقية، 339 —ابن خلدون، العبر، 151/4.

ببلاد المغرب الأوسط [1]، التي تتفرع إلى فروع مختلفة[2]،شاركت هي الأخرى بدورها في تلك الفترة في عمليات الفتح لشبه الجزيرة الإيبيرية شأنها في ذلك شأن باقي قبائل المغرب [3]، وإن كانت المصادر التاريخية التي تحدثت عن ذلك لم تهتم بتحديد الانتماء الجغرافي لتلك القبائل بدقة؛ وما ورد التركيز عليه كان يدور حول القبائل الموزعة بأقصى المغرب على اعتباره أقرب المناطق عبورًا نحو الأندلس[4] وبذلك يكون البربر هم الفئة الغالبة في العناصر التي دخلت الأندلس حيث تحملوا أعباء

---

[1] -لقد أثارت هاته المسألة اهتمام الباحثين، حيث ذكر أحدهم أنّه وقع إجماع بين المؤرخين والنسابة وغيرهم على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين هما البتر والبرانس، نسبة إلى جذمان عظيمان هما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فكذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بُر، وأشار نفس الباحث إلى أن بعض المؤرخين والسوسيولوجيين قد حاولوا إعطاء تفسير لهذا التصنيف انطلاقا من نمط العيش، فالبرانس في نظرهم جبليون مستقرون، والبتر رحالة، بينما رأى البعض أن هذا التقسيم ينبني على أساس ثقافي، إذ تأثر البرانس المستقرون بمظاهر الحضارة البونيقية واللاتينية والإغريقية، بينما بقيت قبائل البتر بمعزل عنها لبداوتها وتنقلها المستمر، ليصل هذا الباحث في الأخير إلى نتيجة مفادها أن مسألة البتر والبرانس يلفها الكثير من الغموض ناهيك عن عدم إثبات أصولها التاريخية مع صعوبة إبداء رأي حاسم في هذه التصنيفات نظرا لعدم خضوعها لمعايير عملية مضبوطة؛ في حين ذهب جمهرة من الباحثين إلى جعل أساس التمييّز بين الفرعين شبه سلالي، فذكروا أنهما يمثلان موجتين مختلفتين تجسد إحداهما أهل البلاد الأصليين، بينما تمثل الأخرى الوافدين الجدد الذين اغتصبوا بلادهم، ولعل هذه النظرية أصح النظريات لوجود ما يدل عليها من روايات النسابين واستنتاجات السوسيولوجيين، لتفصيل أنظر: إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، (ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1988)، 10-11 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994)، 135/1 -سعد عبد الحميد زغلول، تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، (د ط، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1979)، 88/1-89.

[2] -تضم قبائل البرانس: ازداجة -مصمودة -أوربة -عجيسة -كتامة -صنهاجة -أوريغة، وتضم البتر قبائل، لواتة -نفوسة - نفزاوة -مغراوة -زناتة -مطغرة -مغيلة -مكناسة -مديونة، للمزيد أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د ط، القاهرة: دار المعارف، د ت)، 595 -ابن عبد البر، القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم، (د ط، القاهرة: مطبعة السعادة، 1350هـ)، 24-25 -ابن خلدون، العبر، 256/6، 265، 286، 462- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط 1، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959)، 191.

[3] -يورد ابن عذارى، رواية تؤكد مشاركة أهل المغرب الأوسط في حملة طارق ابن زياد لفتح الأندلس سنة 92هـ-711م، راجع البيان المغرب، 47/1.

[4] -تذكر المصادر أسماء القبائل البربرية المشاركة في الفتح، حيث تشير إلى أن موسى بن نصير " 92هـ-95هـ/712م-713م"، قد أخذ معه رهائن من كتامة وزناتة وهوارة، فجمعهم مع رهائن حسان وولى عليهم طارق ابن زياد، ورجع إلى إفريقية، وانضمت قبائل مدغرة ومديونة وهي متفرعة من زناتة إلى جانب الفاتحين الأوائل لبلاد الأندلس، وذلك بعد هزيمة الكاهنة داهية ابنة ثابتة بنت تيفان ملكة إفريقية والمغرب، سنة 82هـ-702م، فجمع من الرهائن على إثر ذلك اثنا عشر ألف فارس من مختلف قبائل البربر، وجعلهم فرقتين، كل فرقة 6000 فارس، وأقام على الأولى يفرن وعلى الثانية يزديان ولد الكاهنة، لتفصيل أكثر حول ذلك أنظر: عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشر إليفي بروفنسال، تعليق حسين مؤنس، (مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1954)، مجلد 02، عدد 291، ص 223-224 -ابن خلدون، العبر 143/6، 155.

الفتح، وربما يعود ذلك إلى أن البربر أكثر معرفة ببلاد الأندلس لقرب وطنهم المغرب منه، وقد شكلت هذه المرحلة بالنسبة لهم وللعرب الوافدين البداية لعملية التمازج والانصهار مع السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الأندلس قبل الفتح[1]؛ وبعد أن استقرت أوضاع العرب الفاتحين بالأندلس، وترتبت أمورهم بها، جاءت مرحلة جديدة تمثلت في تأسيس دولة، أين وُضعت أولى أركانها على يد أحد أبناء البيت الأموي المنشق عن الخلافة العباسية بالمشرق [2]، ليفتح بذلك عهد هذه الدولة دورًا جديدًا في تدفق هجرة بربرية ثانية نحو الأندلس تعد الأساس لاحقا في تكوين مجتمع بربري هناك.

***-مرحلة الخلافة الأموية بالأندلس 316هـ-422هـ/928م-1031م:**

لقد بلغت الهجرة البربرية نحو الأندلس في عهد الأمويّين أوجّها خاصة خلال القرن 04هـ-10م، وتجلت أخبارها في المصادر لتزامنها مع انطلاق التأليف التاريخي للأندلس[3]؛ حيث وردت فيها معلومات متعلقة بهذه الهجرات والفترات التي تمت فيها، وعدد القبائل التي انتقلت والأسباب والظروف التي ساهمت في ذلك، كما ان هناك دراسة مفصلة لأحد الباحثين عالج فيها صاحبها موضوع تلك الهجرات، وتتبّع مراحلها التاريخية وتأثيراتها بالأندلس[4].

وحسب ما تشير إليه المصادر التاريخية فإنّ أول وفد دخل بلاد الأندلس من البربر كان بنو صالح وذلك على أيام عبد الرحمن الناصر « 300-350هـ/912-961م» إذ خرجوا من بلدهم نكور ونزلوا بمرسى مالقة بسبب رفضهم الدخول في طاعة الفاطميين، فاستقبلهم الناصر وأمر رجاله

---

(1) -سليمان بن داود، دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس، من كتاب حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي (محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي)، (د ط، الجزائر: مطبعة أبو داود، 1993)، 109-110.

(2) -عن المميّزات السياسية لهذه الفترة (عصر الولاة والإمارة الأموية 97هـ- 138هـ/ 716م-756م) - (138هـ-316هـ/756م-928م)، أنظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط 2، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989)، 39-41 -مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989)، 37، 42، 55-56 -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، (د ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1999)، 119 - عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 51، 57، 62.

(3) -عن حركة إنطلاق التأليف التاريخي بالأندلس أنظر مقال الدكتور أمحمد بن عبود: «التأريخ في الأندلس في عهد دول الطوائف»، من كتاب جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، (ط 2، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999)، 129-138.

(4) -أنظر عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 05 هـ / 10 م "300 -422 هـ / 912 -1031 م"، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف غازي جاسم الشمري، (كلية الآداب والعلوم الإنسانية والحضارة، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002).

بإنزالهم والتوسع عليهم، وخيّرهم بين القدوم عليه إلى قرطبة أو النزول بمالقة لقربها من بلادهم[1] ومع أن بنو صالح هؤلاء ليسوا من بربر المغرب الأوسط إلاّ أنّ هجرتهم قد فتحت الباب لهجرات العديد من القبائل الأخرى، إذ تلتها هجرة قبيلة إزداجة البربرية [2] بعد تعرضها لهجوم قام به علي بن أبي محمد اليفرني، أمير بني يفرن[3] وخليفة الناصر على بلاد العدوة المغربية، ونجح على إثره في امتلاك وهران وتاهرت سنة 343هـ/954م[4]، ثم استلحم أزداجة وألحق رئاستهم بالأندلس فكانوا بها [5] ويبدوا أن استقدامهم كان بغرض الاستفادة منهم في الحروب وتقوية ملكهم، وقد أشار ابن حيان لهذا الأمر فقال: « إن الخليفة الأموي (يقصد عبد الرحمن الناصر)، عمل منذ سنة 317هـ- 930م على اجتذاب كثير من فرسان البرابر وحماة رجالهم إلى حضرته واستعان بهم في حروبه فقويت أسباب ملكه وبعد صيته، وهابته ملوك الأمم حوله»[6]، إلاّ أن التدفق الحقيقي والكبير، الذي شهدته شهدته الأندلس لوفود هجرات قبائل بربر المغرب نحوها، هو الذي كان على عهدي كل من الحكم المستنصر «350هـ-360هـ/965م-976م»، والمنصور بن أبي عامر.

حيث انتقل البربر من بلادهم بشكل مكثف بسبب بعض الظروف السياسية الناتجة عن الصراع بين الأمويين والفاطميين من جهة، والقبائل البربرية فيما بينها من جهة ثانية، والذي كانت له انعكاسات خاصة ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن 04هـ / 10 م دفعت بالكثيرين للهجرة بحثا عن الأمن وكانت الأندلس وجهة بعضهم[7]، ولقد تتبع المؤرخ ابن حيّان القبائل المهاجرة في تلك

---

[1] -ابن عذارى، البيان المغرب، 1/ 117-119.

[2] -إزداجة: ويعرفون أيضا باسم وإزداجة، وهي بطن من بطون البرانس، وكثير من النسابة يعدونهم من زناتة، وقد سكنت هذه القبيلة قرب وهران، وشاركت في الكثير من الأحداث السياسية والفكرية بالمنطقة، أنظر: ابن خلدون، العبر، 6/190-191.

- S.F.Gautier, le passé de l'Afrique du nord, les ciecles cles, obscures, Payot, paris, 1937, p 238-239.

[3] -بنو يفرن: من شعوب زناتة وأوسع بطونهم، تنتجع هذه القبلية منطقة بجنوب وهران بالمغرب الأوسط، وجبل الأوراس، كان لها دور في التاريخ السياسي لبلاد المغرب الأوسط، للتفصيل راجع: الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم)، تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، (د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، 24-34 -ابن عذارى، البيان المغرب، 2/49.

[4] -ابن عذارى، البيان المغرب، 2/49.

[5] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 89-90.

[6] -المقري، نفخ الطيب، 1/353، نقلا عن ابن حيان.

[7] -عن الصراع السياسي الحاصل بين الأمويين والفاطميين للسيطرة على بلاد المغرب الأوسط، والانقسام القبلي بين البربر بسبب الولاء لهم، راجع: القاضي النعمان (أبو النعمان بن حيون)،تاريخ افتتاح الدعوة،تحقيق فرحات الدشراوي،(د ط، تونس:الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1995)، 34-84 -الجوذري (أبو علي منصور العزيزي)،سيرة الأستاذ جوذر،تحقيق محمد كامل حسن ومحمد عبد الله شعيرة،(د ط،دار الفكر العربي،د ت)، 18-السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،2/167-171

الفترة باعتباره شاهدا معاصرا لها، وكان منها التي وفدت من بلاد المغرب الأوسط، حيث أشار إلى أول هجرة وقعت لهم سنة 360هـ-970م، وتناولها في أحداث تلك السنة بقوله: «فلما كان يوم الأربعاء لسبع خلون من شوال، ورد الخبر من الساحل القبلي بحلول يحي بن علي المعروف بابن الأندلسي[1]؛ الذي ترأس وفد زناتة[2] القادم برأس زيري بن مناد[3] إلى الخليفة المستنصر الأموي بمرسى محملة من عمل بجانة، وبحلول رجال بني خزر القادمين بمرسى المريّة[4].

وفي نفس السنة التحق وفد آخر من بربر المغرب الأوسط يعرفون ببني برزال [5] وكانوا موالين للفاطميين إلى أن خرج حاكمهم جعفر بن علي بن حمدون [6] عن الفاطميين سنة 360هـ-970م، بسبب أن العبيديين رفضوا تعيينه على إفريقية، وولوا عليها بنو زيري الصنهاجيين[7] فدخل

---

[1] -عن يحي بن علي المعروف بابن الأندلسي،أنظر: ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس،تحقيق عبد الرحمن علي حجي، (د ط، بيروت: دار الثقافة، 1965)، 41-42 -ابن عذارى، البيان المغرب، 244/2.

[2] -زناتة: قيل هم من جانا بن جالوت بن هريك بن مادغس بن قيس بن عيلان بن مضر، وتندرج من هاته القبيلة عدّة بطون من القبائل البربرية التي تنتجع غالبيتها مواطن متفرقة من بلاد المغرب الأوسط على حد تعبير ابن خلدون، أنظر: العبر، 134/6- القلقشندي،قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان،تحقيق إبراهيم الأبياري،(ط2، القاهرة:دار الكتاب المصري، 1982)، 172.

[3] -لتفصيل أكثر حول هاته الواقعة التي قتل فيها زيري بن مناد، أنظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 134 -النويري، نهاية الأرب، 166/24 -السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 224/1.

[4] -رجال بنو خزر: ينتمون إلى مغراوة، وهي بطن من بطون قبيلة زناتة النازلين بالمسيلة هاجروا إلى الأندلس عقب تحول جعفر بن علي أمير زناتة عن طاعة العبيديين، وموالاة المروانيين، ولتفصيل حول الاستقبال الذي تلقاه كل من جعفر بن علي وأخيه يحي من طرف المنصور، أنظر: ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، 41-42 -ابن عذارى، البيان المغرب، 243/2-244 -ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن أبي بكر)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، (الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980)، 48/1.

[5] -بنو برزال: هم فخذ من بني يفرن إحدى بطون قبيلة زناتة موطنهم بالزاب الأسفل من أفريقية ويشغل موطنهم المساحة الواقعة في جنوب الأوراس من أهم قواعده: المسيلة -بسكرة، للتفصيل أنظر: ابن حيّان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، 182 - البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 59 -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 463، 498.

[6] -جعفر بن علي بن حمدون، صاحب المسيلة وأمير الزاب، كان شيخا كثير العطاء، مؤثرا لأهل العلم، وأبوه علي هو من بنى المسيلة وعرفت بهم، جرت بينه وبين زيري حروب قتل فيها زيري ثم ولده بولكين، فاضطر جعفر إلى ترك بلاده وهرب إلى الأندلس فقتل على يد المنصور بن أبي عامر سنة 364 هـ / 975 م، أنظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، 305/1-308 -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 360/1-372 -ابن خلدون، العبر، 107/4.

[7] -حول أسباب اختيار الفاطميين وتفضيلهم لبني زيري على بني حمدون في استخلافهم على بلاد المغرب أنظر: العزيز الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، 123 -محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي، (مجلة الأصالة، عدد 24، سنة 1975)، 49-60.

هذا الأخير في معارك معهم[1]؛ ولما انهزم خاف بنو برزال على أنفسهم من قوّة صنهاجة فلجأوا إلى مكاتبة جعفر ليسهلّ عبورهم إلى الأندلس، وأذن لهم الحكم المستنصر بذلك واستخدمهم في جنده[2]؛ وأما في سنة 362 هـ / 972 م، فقد انتقلت قبيلة أخرى تشتهر بانتجاعها بلاد المغرب الأوسط، وهي كتامة[3]، وكتب يصف ما شاهده من موكب احتفال المستنصر بالوفود التي وصلت منهم واستقباله لهم [4].كما ذكر الذين رافقوا رئيس كتامة، حيث يقول بأن عدد فرسانهم فيما ذكره ثلاثة آلاف وخمسمائة ونيفا، ورجالتهم ستة آلاف وأربعمائة معروفون بالبسالة [5]؛ لتتلوا هذه الهجرة هجرة أخيرة على عهد الحكم المستنصر من طرف قبائل بني دمر [6]، وذلك سنة 364هـ/974م، حيث أجاز إلى الخليفة الأموي جماعة من أدمر وبنو دمر من بطون زناتة، وهم أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز إليها من زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بدعوة الحكم المستنصر، وضمّهم السلطان إلى عسكره[7]، وتعد هذه آخر الهجرات البربرية التي تمت على عهد الحكم المستنصر.

ويتضح من خلال ما سبق أن عدد البربر القادمين من العدوة المغربيّة وخاصة منهم من كان مستقرا ببلاد المغرب الأوسط إلى الأندلس قد أصبح كبيرًا، وأن أغلبهم كانوا متمكنين من فنون القتال في بلادهم، وترحيب الحكم بهم، كان غرضه في الأساس تقوية نفوذه؛ إذ تمكن بهم من تشكيل جيش ضخم يقارب سبعمائة فارس[8]، وحتى بعد وفاة الحكم المستنصر، وتمكن الحاجب محمد بن

---

[1] -عن الحروب الواقعة بينهم أنظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن حجي، 36-38 -ابن عذارى، البيان المغرب، 2/242-243 -النويري، نهاية الإرب، 160/24 -المعسكري (أبو راس محمد بن أحمد)، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، (مخطوط المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، رقم 1632)، ورقة 27.

[2] -ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، (د ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 1973)، 192 -ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، 498 -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 237.

[3] -كتـــامة: هم من ولد كتام بن برنس، موطنهم بأرياف قسنطينة وباغاية، وميلة، والقل وجيجل من حدود جبل الأوراس إلى البحر ما بين بجاية وبونة، وهم من أشد قبائل البربر بأسا وقوّة وتشيعًا وبهم أقام أبو عبيد الداعي، دعوة الفاطميين بالمغرب، أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، 93 -ابن خلدون، العبر، 6/195-199 -موسى لقبال، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1979).

[4] -ابن حيّان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، 110-111.

[5] -المصدر نفسه، 111 -ابن عذارى، البيان المغرب، 2/246.

[6] -بنو دمر: هي إحدى القبائل البربرية، وتنسب إلى دمر واد يزن بن دمر، أنظر حولهم: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 463.

[7] -مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 246.

[8] -عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 211 -عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس، 42.

أبي عامر الوصول إلى السلطة[1] فإنه اعتمد أيضا على رجال مغاربة استقدمهم من العدوة المغربية للاستعانة بهم على تمكين نفسه من أمور الخلافة وتوطيد سلطانه[2]، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره ذكره ابن خلدون حين يقول: "واستدعى أهل العدوة من رجال زناتة البرابرة فرتب منهم جندًا واصطنع أولياء وعرف عرفاء من صنهاجة [3]، ومغراوة[4]، وبني يفرن، وبني برزال ومكناسة [5] وغيرهم"[6] ونفس الأمر ورد ذكره عند ابن عذاري، وذلك في قوله: «إن المنصور استبدل جند الأندلس بالبربر وأقام لنفسه جندًا اختصهم باستصناعه واسترقهم بإحسانه، ونسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكم كما فعله في سائر أموره »[7].

ومن المجموعات التي دخلت الأندلس خلال هذه الفترة أيضا نجد هجرة جعفر بن علي الأندلسي سنة 367هـ–978م، إثر هزيمته أمام قبائل برغواطة [8]، ومعه جمع من البربر [9]، ثم تلتها

---

(1) –عن هاته المرحلة التاريخية أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، 253/2–273 –عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 219–225.

(2) –ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 461 –ابن خلدون، العبر، 147/4.

(3) –صنهاجة: اسم قبيلة نسبة لرجل هو صنهاج بن يصوكان بن ميسور، ونسبه يرتفع إلى يعرب بن قحطان، وقيل صنهاجة فخذ من هوارة، وهوارة فخذ من حمير، وكانت صنهاجة من أوفر قبائل البربر في بلاد المغرب، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونها في جبل أو بسيط، وصنهاجة على سبعين قبيلة، أهمها: لمتونة –كدالة –مسوفة، ولقد كانت مواطن صنهاجة في المغرب الأوسط ترتكز في القسم الشرقي منه، تضم المنطقة الجبلية الواقعة بين مدينتي بجاية وقسنطينة، للتفصيل أكثر حول ذلك أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 119–120 –ابن خلدون، العبر، 201/6 –سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، 96/1.

(4) –مغراوة: قبيلة عظيمة من زناتة، وهي من أوّل المدن الكبيرة والثغور الشهيرة بالمغرب الأوسط، وأهلها من أهل البأس والغلب، ونسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مرسين، واستقرت مواطن هذه القبيلة بنواحي مستغانم ببلاد المغرب الأوسط وعند مصب وادي شلف، أنظر: ابن خلدون، العبر، 33/7 –الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ورقة رقم 26.

(5) –مكناسة: من قبائل البربر بنواحي تازا أواسط المغرب الأقصى والأوسط، وكانوا يرجعون في رياستهم إلى بني باسل بن أبي الضحاك، وكانت رياستهم في المائة الثالث لمصالة بن حبوس بن منازل، وسميت باسم مكناس البربري لما نزلها مع بنيه عند دخولهم المغرب، وقد سكنت بلاد المغرب الأوسط خاصة تلمسان، جبل الونشريس، جبل الأوراس، تاهرت، تاهودة، أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا،شرح وتعليق نبيل خالد الطيب، (د ط، بيروت: دار الكتب المحلية، 1987)، 177/5 –صبحي عبد المجيد إدريس، بنو حبوس المكناسيون، ودورهم في أحداث المغرب في القرن 04 هـ / 10 م، (مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2004)، عدد 34، ص 487.

(6) –ابن خلدون، العبر، 148/4 – مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 184.

(7) –ابن عذارى، البيان المغرب، 293/2.

(8) –برغواطة: هم بطن من المصامدة، رئاستهم في بسائط تامسنا، وبين البحر المحيط، وقال عنهم ابن أبي زرع: هم أخلاط من قبائل شتى إلاّ أن التسمية ارتبطت بنحلة دينية، أطلقت على القبائل التي اتبعت صالح بن طريف البرباطي، أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 130 – مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 139.

(9) –ابن عذارى، البيان المغرب، 278/2–279 –مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 139، 145 –ابن خلدون، العبر، 189/4.

هجرة قبيلة بني يفرن سنة 382هـ-992م، وذلك بعد أن اختلف بنو يفرن على أبي يداس دوناس [1] وجاء منهم جمع عظيم حلّوا على المنصور حيث نظمهم في عسكره وأسند لهم الجراية والإقطاع[2].

وأما سنة 391هـ-1001م، فتميّزت بهجرة أهم قبيلة بالمغرب في تلك الفترة نحو الأندلس وهي قبيلة صنهاجة، حيث انتقل قسم منها إلى هناك وهم بنو زيري [3]، وكان ذلك بعد انهزامهم أمام حماد بن بلقين مؤسس الدولة الحمادية « 405هـ-547هـ/1014م-1153م»، وذلك ما دفع زاوي بن زيري وبنيه، وبني أخيه ماكسن وحاشيته إلى جواز البحر نحو الأندلس، إذ نزلوا على المنصور فأكرمهم وأحسن لهم وضمّ رجالات منهم إلى عساكره، فخدموا دولته وولديه من بعده[4].
بعده[4].

وعلى ذلك تكون فترة حكم المنصور بن أبي عامر قد مثّلت آخر مرحلة لجواز القبائل البربرية نحو الأندلس، بحيث لا تشير المصادر التاريخية إلى وجود هجرات جماعية أخرى بعد ذلك[5].
ذلك[5].

مما يعني أن فترة القرن 04 هـ / 10 م، قد مثلت أهم فترة تاريخية لتزورح أكبر القبائل البربرية المغربية نحو الأندلس، وبخاصة منها تلك التي كانت تستوطن العديد من مناطق المغرب الأوسط كبني برزال، بني دمر، صنهاجة، كتامة، وأن هجرتها قد ارتبطت بالظروف السياسية للمغرب، كما أن حاجة الأندلس وحكامها عسكريا وأمنيا لهم، قد شجع على ذلك، وعليه فهجرات القرن 04 هـ /10 م هي التي أسهمت حقيقة في تكوين مجتمع بربري فاعل بالأندلس كان له تأثير على السكان الأندلسيين.

---

[1] -أبي يداس بن دوناس: هو من قبيلة بني يفرن، اختلف مع ابن عمه حبوس بن زيري فقتله طمعا في رئاسة قومه الذين اختلفوا هم الآخرين عليه فعبروا البحر إلى الأندلس، وحلّوا على المنصور، أنظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 154.

[2] -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

[3] -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 106/2 -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 521/1.

[4] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 17 -ابن عذارى، البيان المغرب، 293/2 -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 522/1.

[5] -هناك فقط استثناءات أشار إليها ابن عذارى، توحي بأنه قد دخلت جماعات من متطوعة العدوة المغربية للأندلس، بدافع الجهاد ضد النصارى على عهد عبد الملك بن محمد بن المنصور بن أبي عامر، كتلك التي شنها على برشلونة سنة 393 هـ /1003 م، ويبدو أن منهم من استقر بالأندلس بعد انتهائها ومنهم من رجع، أنظر: البيان المغرب، 04/3-08.

***-البربر في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين والموحدين « 422هـ-595هـ/1031م-1198م»:**

لقد استمر وجود قبائل بربر المغرب الأوسط التي وفدت على الأندلس خلال القرن 04هـ-10م في القرن اللاحق له أي القرن 05هـ-11م، ويمكن أن نستدل على وجودها من خلال آثارها وصدى تردد أسمائها في المصادر التاريخية[1] حيث ارتبطت العديد من تلك القبائل بحادثة تاريخية عظيمة شهدتها الأندلس خلال هذا القرن وهي ما اصطلح على تسميته بالفتنة البربرية الثانية [2] ثمّ ظهرت على إثرها فترة اضطراب سياسي عرفت بعصر ملوك الطوائف [3] أين تمكن هؤلاء البربر من تكوين إمارات سياسية مستقلة لهم بالأندلس، وانفصلوا بإدارة أقاليم بأكملها [4] لهذا تشتغل المصادر التاريخية في هذه الفترة بسرد أمور الفتنة وأحداثها، ومجال توسع تلك الممالك، وصراعها مع بعضها ولا تورد أي إشارة إلى ما إذا كانت هناك هجرات جماعية بربرية أخرى قد تدفقت من المغرب عمومًا والأوسط بشكل خاص نحو الأندلس خلال القرن 05هـ/11م، ولعل عظم الفتنة وموقف الأندلسيين السلبي الذي تكوّن اتجاه البربر منها، قد حال دون وجود هجرات جماعية في هذا الظرف المضطرب[5] وإن كنّا نرجح أن أعدادا أخرى قد هاجرت بسبب ضغط العرب الهلالية زيادة على

[1] -أنظر على سبيل المثال ما ذكره ابن حزم عن تلك التي تتبع منها المذهب الإباضي في كتابيه: جمهرة أنساب العرب، 463- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبيد الرحمن عميرة، (ط 2، بيروت: دار الجيل، 1996)، 51/2 -وما ورد عند صاحب مفاخر البربر الذي كان يكتب سنة 712هـ/1312م، وتعرض إلى زناتة قائلا: «كان منهم بالأندلس بنو الخروبي، بنو الليث، بنو يفرن، وبنو برزال، وبنو دمر وبنو خزر... كلهم بالأندلس في الفتنة البربرية في حدود الأربعمائة للهجرة»، مجهول، مفاخر البربر، 246.

[2] -وقعت هاته الفتنة أواخر عهد الخلافة الأمويّة نتيجة تصعيد البربر لثوراتهم ودخلت الأندلس على إثرها مرحلة صعبة أسفرت عن زوال رسم الخلافة في قرطبة وإندثار السلطان الموي وزواله عنها سنة 422 هـ /1031 م، للتفصيل أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، 59/3-113، -ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 105-139.

[3] -سبق وتطرقنا في الفصل التمهيدي لعصر ملوك الطوائف، راجع عنصر العلاقات السياسية.

[4] -تحدثنا في الفصل التمهيدي عن الإمارات السياسية المستقلة التي أقامها بربر المغرب الأوسط بالأندلس، كان من بينها مملكة بني زيري بغرناطة 403هـ-483هـ/1012م-1090م، وبنو برزال في قرمونة 404 هـ -459هـ/1013م-1067م.

[5] -لتفصيل أكثر حول ذلك أنظر: عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 21-25 -ابن عذارى، البيان المغرب، 153/3-314 -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 119 -ابن خلدون، العبر، 73/4-74 -فراد محمد أرزقي، القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف القرن 05هـ/11م، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991)، 213-253 -M.Shmitz مقال حول بنو زيري بدائرة المعارف الإسلامية، 267/3، -محمد حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي، دولة برزال في قرمونة 404هـ-459هـ/1013م-1067م، (الإسكندرية: مطبعة مؤسسة شباب الجامعة، 1990)، 19-88.

المد المسيحي الوافد كاستيلاء الصقليين في القرن 05 هـ /11 م على عدد من المدن الإفريقية[1]، ومع ذلك فإنا لانكاد نعثر على إشارات عن هجرات جماعية نحو الأندلس إلاّ خلال الحقبة المرابطية وتحديدا ما بين منتصف القرن الخامس هجري وبدايات القرن السادس، والتي تتمثل في انتقال مجموعة ثالثة من بربر صنهاجة اللثام المرابطين، ممّن تم استدعاؤهم من المغرب إلى الأندلس لردع الخطر النصراني[2]، حيث تطلب هذا فتح باب الجهاد من قبل يوسف بن تاشفين «480هـ/1087م» وتوسيع دائرة التجنيد[3]، وقد أشار صاحب نظم الجمان إلى ذلك بقوله: «وتم تجنيد كل القبائل وفتح باب التطوع، فكثرت أعداد المتطوعة»[4]؛ حيث ذكر ابن أبي زرع أنّ عدد الجيش الذي لم يبلغ عام 453هـ/1061م سوى أربعين ألفا، وصل بعد سنة واحدة فقط إلى مائة ألف فارس من دون المشاة[5]، و لم يقف الأمر عند ذلك بل واصل أيضا يوسف بن تاشفين توسيع دائرة التجنيد، وذلك بإشراك حتى القبائل المغربية المهزومة من زناتة والمصامدة[6] إضافة إلى عناصر أخرى ممن تم

---

[1] -سيطرت قبائل العرب الهلالية على مناطق عدّة بالمغرب الأوسط واستوطنوها بعد هجرة القرن 05هـ/11م، فقد سكن بنو عامر ما بين تلمسان ووهران، كما استقرت جماعة من رياح والأثبج ما بين قسنطينة وبونة، وأولاد مسلم بجهة المسيلة، ومن المعقل أولاد حسان من بطون الثعالبة استقروا ما بين متيجة والجزائر، أنظر: ابن خلدون، العبر، 30/6، 114 -عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر، 259/1 -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، (د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002)، 173/1 - بوبة مجاني، مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية، دراسة اجتماعية واقتصادية، (مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، 1997)، 58 — روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي،تحقيق حماد الساحلي،(ط1،بيروت:دار الغرب الإسلامي، 1988)، 324/1-326.
- Paul. Louis Cambusat, L'Evolution des cités du tell en Ifrikya du VII au XI° siècle, office des publications universitaires, Alger, 1986, Tome 1, P 144-145.

[2] -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 38، 66، 71 -موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورة الخوارج، (د ط، قسنطينة: مطبعة البعث، 1969)، 186-187 -إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، (ط 6، بيروت: دار الثقافة، 1981)، 12.

[3] -ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي)، الفتاوى، جمع وتقديم وتحقيق وتعليق المختار بن الطاهر التليلي، (ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1987)، سفر 2، ج 1021/2-1022.

[4] -ابن القطان، نظم الجمان، 13.

[5] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 138-139.

[6] -المصامدة: ينتسبون إلى مصمود بن مادغس، أو بحسب ابن خلدون ينتسبون إلى مصمود بن برنس يتميزون بكثرة أعدادهم، فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، وينقسمون إلى ثلاث وحدات كبرى، أهل جبل درن، برغواطة، تامسنا، وقد حدد المراكشي مجال استيطانهم بالمغرب في قوله: «فحدّ بلادهم النهر الأعظم الذي يصب من جبال صنهاجة، وينتهي إلى البحر الأعظم بحر أقيانس، يدعى هذا النهر أم الربيع، وآخر بلادهم الصحراء التي تسكنها لمتونة ومسوفة ... »، أنظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 243 -ابن خلدون، العبر، 275/6 -عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، (د ط، المغرب: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1977)، 347.

استجلابهم[1]، وقد سار إبنه تاشفين من بعده على نفس نهجه من استكثار الجند البربر بالأندلس حيث قلدهم الأسلحة وأوسع عليهم الأرزاق واستكثر من الرماة وأركبهم وأقام هممهم، وعني بالغزو ومباشرة الحرب[2]، وذلك عملا بوصية أبيه إذ كان من جملة الشروط التي اشترطها عليه والده لولاية عهده أن يركب سبعة عشرة ألف فارس[3].

ويضاف إلى هذا المجموع من البربر الذي دخل الأندلس برسم الجهاد خلال هذه الفترة مجموع آخر، وقد جاء انتقالهم عبر هجرتين متباعدتين الأولى حدثت سنة 515هـ/ 1121م نحو قرطبة يبدو أنها أحدثت مشكلا إجتماعيا سكتت المصادر التاريخة عن ذكره، غير أن نوازل تلك الفترة أشارت إليه دون شرح أسبابه، إذ ورد أن سكان قرطبة استفتوا الفقيه ابن رشد حول بربرالعدوة القادمين عليهم في جموع سنة 515هـ[4].

والمعلوم أن هذه الهجرة جاءت مباشرة بعد بداية حركة المهدي بن تومرت في المغرب وثورة العامة في قرطبة ضد المرابطين سنة (514هـ/1120م)[5]؛ أما الهجرة الثانية فقد حدثت سنة 535هـ/1140م وتميّزت بكثافة عدد المهاجرين، حتى أن ابن عذارى وصفها بالانجلاء العظيم إلى الأندلس[6]، ويذهب أحد الباحثين إلى القول بأن يكون انعدام ظروف الأمن وكثرة المجاعات التي شهدتها بلاد المغرب عامة أواخر عصر المرابطين السبب وراء جعل هذه الجموع البربرية تيمم وجهها شطر الأندلس، إضافة إلى الزحف الموحدي الذي وصل في تلك السنة إلى شمال المغرب[7].

---

(1) -عن تدفق البربر نحو الأندلس مع الفتح المرابطي والموحدي،أنظر:المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 190-200،281، 293 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 152-155 -السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 105/2 -ابن عذارى، البيان المغرب، 94/4.

(2) -ويتضح ذلك من خلال فتوى ابن رشد لعلي بن يوسف بن تاشفين، حين سأله عن أي العملين أفضل في هذا الزمان هل الحج، أم الجهاد لأهل الأندلس؟ فأجابه: فرض الحج ساقط عن أهل الأندلس في وقتنا، فالجهاد أفضل منه، راجع حول ذلك: مؤلف مجهول، رسالة في تاريخ الدولة الصالحية المرابطية، مخطوطة بخزانة المكتبة الوطنية بالجزائر، تحت رقم 2235، ورقة 04 -ابن عذارى، البيان المغرب، 80/4.

(3) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 252 -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 247.

(4) -ابن رشد، الفتاوى، 1054/2 -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، 35.

(5) -عن حركة المهدي بن تومرت بالمغرب، وثورة العامة ضد المرابطين، أنظر: البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 35 - ابن القطان، نظم الجمان، 111 -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 86-87 -محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين، 305-318.

(6) -البيان المغرب، 98/4.

(7) -الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، (د ط، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 2002)، 45-46.

كما أن عامل الجهاد ضد النصارى ظل محرّكًا حقيقيا لانتقال القبائل البربرية نحو الأندلس بأعداد كبيرة[1]، وحتى على عهد الموحدين استمرت الهجرات، فقد استنفر عبد المؤمن جميع بلاد المغرب برسم الجهاد، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة ومن قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس، ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل، وجهزّ أسطولا في البحر، وغدوا جميعهم إلى الأندلس [2]؛ وحتى بعد وفاة عبد المؤمن سنة 559هـ-1163م، ومجيء خلفه من بعده يوسف بن عبد المؤمن 559هـ-580هـ/1163م-1184م[3]، أخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الإسلام بالأندلس، إذ لم يتوان في حشد جموع المتطوعة من بجاية وتلمسان ثم نهض بهم ليعبر الأندلس في مائة ألف من العرب والموحدين، قاصدا قرطبة فدخلهاسنة 567هـ/1171م، ثم ارتحل بعدها إلى اشبيلية التي أطاعه أهلها وسلموا إليه جميع بلاد شرق الأندلس[4] ثم جاز مرة ثانية لفتح الأندلس، واستدعى لذلك قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة ثم المصامدة، ثم مغراوة وصنهاجة وأصناف البربر، فعبروا إلى الأندلس[5]، وكذلك خلفه يعقوب المنصور 580هـ-595هـ/1184م-1198م[6]، إذ سار على نهجه وحشد الحشود بقيادة زعماء قبائل قبائل البربر، وعقد لكل رئيس على قبيلته وجعل الأندلس في الميمنة وزناتة والمصامدة وسائر قبائل المغرب في الميسرة، وجعل المتطوعة والرماة في المقدمة وزحفوا للقاء العدو، وهزموه في موقعة الأرك[7] وذلك سنة 591هـ-1194م[1]، كما تواصل استنفار الموحدين للقبائل البربرية نتيجة

---

(1) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 149 -محمد عابد الجابري، العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، (ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994)، 27-28.

(2) -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 202 -النويري، نهاية الأرب، 300/24-301 -ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية، 112،- السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 128/2 -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية، 254/2.

(3) -يوسف بن عبد المؤمن، ولد في رجب سنة 533هـ/1129م، هو أوّل ملك من ملوك الموحدين جاز إلى الجهاد فغزا بنفسه، توفي سنة 580هـ/1184م، وقد بلغ سنه 94 سنة ودفن بمراكش، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 205-207.

(4) -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، 114-119 -السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 134/2.

(5) -المراكشي، المعجب تلخيص أخبار المغرب، 230 -السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 138/2-139.

(6) -يعقوب المنصور، هو عبد الله بن عبد المؤمن بن علي لقبه المنصور بفضل الله، وكنيته أبو يوسف، ولد بمراكش سنة 555هـ/1160م، بويع سنة 580هـ/1184م، كانت أيامه أيام دعة ورخاء، كان ذا رأي ودين وسياسة اشتهر بانتصاره في موقعة الأرك الشهيرة، أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 216-230 -ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، 114.

(7) -الأرك: هو حصن بمدينة قلعة رباح يعرف اليوم باسم Santa maria alarcos، وكان حصنا شيده ألفونسو الثامن على بعد 07 أميال إلى الجنوب الغربي من المدينة الملكية Guidad Real، فوق جبل ينحدر تدريجيا في تجاه وادي، وفي السهل في أسفل الحصن دارت رحى المعركة التي انتصر فيها المسلمون، أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 220-228 -أحمد توفيق الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب وفي الأندلس، (د ط، تونس: الدار العربية للكتاب، 1997)، 203/2.

التحرشات النصرانية على ممتلكات المسلمين، ففي عهد الناصر الموحدي 595هـ-610هـ/1198م-1213م، اجتمع لديه من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل، وذلك سنة 607هـ- 1210م، خرج بهم إلى اشبيلية إلاّ أنّ الجيش منّي بالهزيمة عند موقعة العقاب[2] سنة 609هـ/ 1212م[3].

وكخلاصة لما سبق نستنتج ما يلي:

-إن الوجود المرابطي والموحدي، قد خلّف نتائج على بربر المغرب الأوسط تتجلى في ازدياد عددهم بالأندلس بسبب انتقالهم المتواصل بدافع الجهاد لمواجهة القوى النصرانية.

-إن المجموعات البربرية الأساسية التي ظلّت تشكل أغلب سكان الأندلس على مر مختلف حقب التاريخ هي: صنهاجة -مصمودة -زناته -كتامة، بالإضافة إلى العرب.

-صار العنصر البربري المغربي يشكل شريحة عريضة من المجتمع الأندلسي، وبسبب هذه الهجرة المستمرة لشعوب البربر ارتفع عدد السكان في الأندلس بشكل ملموس، وانطلاقا من هذا الارتفاع حصلت مسألة التعايش بين الجانبين، واستقرار كل طرف مع الآخر؛ وهذا ما يدفعنا للإستفسار حول طبيعة المناطق التي استقر فيها هؤلاء البربر، هل اختاروا مناطق خاصة بهم، أم اقتربوا واحتكوا بسكان الأندلس وتعايشوا معهم؟

ب-الأماكن التي استقر بها البربر في الأندلس:

---

(1) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 358-359 -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، 218-220 - المقري، نفح الطيب، 382/1 -السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 168/2-171.

(2) -العقاب: هي مكان بالقرب من حصن يدعى حصن سالم، للمزيد حولها أنظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 401-402 -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، 263 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 238-240.

(3) -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدين)، 263 -السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 200/2.

إن انتقال ونزوح أعداد كبيرة ووفود متعددة من القبائل البربرية خلال فترات زمنية متفاوتة والتي سبق ورأينا أنّها قد بدأت منذ الفتح الإسلامي، كان من النتيجة الحتمية لها الاستقرار واختيار أماكن للإقامة.

وفي تقدير أحد الباحثين فإن البربر الأوائل الذين قد دخلوا الأندلس إبّان فترة الفتح قد توزّعوا على طول الطريق التي سلكها كل من طارق وموسى، إلاّ أنهم تميّزوا باختيار أماكن تلائم طبيعتهم إذ سكن غالبيتهم في مناطق البلاد الجبلية التي تشابه أماكن سكناهم الأصلية في شمال أفريقيا[1]، كما أنهم توزعوا تقريبا في معظم أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية، واستقرارهم بها كان يخضع لعامل الصدفة حيث لم تكن لديهم أي فكرة عمّا ستكون عليه هذه الأماكن[2].

وقد كتب أحد الباحثين معلقا على ذلك بقوله: «وحقيقة الأمر أن المسلمين الفاتحين الذين دخلوا البلاد عربًا وبربرًا، استقروا حيث نزلوا أو ساروا، ولجأ كل فريق منهم إلى ما يناسب مزاجه من النواحي، فأمّا العرب فكانوا يفضلون دائما البسائط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة، أمّا البربر فقد اختاروا المناطق الجبلية في الأندلس ومع ذلك فقد استقرت القبائل البربرية أيضا في المناطق السهلية»[3].

وعن استقرار القبائل البربرية بالمناطق السهلية بالأندلس يقول حسين مؤنس: «إن جماعات بربرية كثيرة، كانت مستقرة في أخصب نواحي الأندلس في الجنوب والشرق والغرب، بل كادت ناحية الجزيرة الخضراء أن تكون مقصورة عليهم لكثرة من نزلها من بطونهم وعشائرهم»[4].

ومع ذلك يبقى الحكم العام حول الأماكن التي اختارها البربر لسكناهم نسبي، وإن كان يرتبط بشكل كبير بالعامل الطبيعي، حيث اختاروا المناطق الشبيهة بمواطنهم بالمغرب[5]، وهو ما يؤكده ابن الأحمر بقوله: «أما البربر، فمن كان من أهل الحاضرة استقر في المدن، ومن كان البادية

---

(1) –عبد الواحد دنون طه، التنظيم الاجتماعي في الأندلس، 76–77.

(2) –المقري، نفح الطيب، 259/1 –عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، (ط 5، دمشق: دار العلم، 1977)، 137 –موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، 121.

- Levi provençal, l'éspagne musulmane aux X^{ème} siècle, Maison Neve, Larousse, 2002, P23-25.

(3) –مصطفى أحمد أبو ضيف، القبائل العربية في الأندلس في عصري الموحدين وبني مرين، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، 78.

(4) –حسين مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، (ط 2، جدة: الدار السعودية، 1985)، 196.

(5) –عبد الواحد دنون طه، استقرار القبائل البربرية في الأندلس، (مجلة أوراق، مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، عدد 4، 1981)، ص 35.

استقر في القرى»[1]، ولقد ذكر حسين مؤنس في كتابه "فجر الأندلس" مواضع المناطق التي سكنها البربر الأوائل في الأندلس، واعطوها أسماؤهم اعتمادا على دراسة حفرية قام بها أحد المستشرقين في المواضع الاسبانية والبرتغالية التي يمكن ردها إلى أصل بربري وهي:

Villa novade ouren ← نسبة إلى بربر وهران وتقع في البرتغال الحالية.

Adzenata ← نسبة إلى بربر زناتة وتقع في الشرق على مقربة من قسطليون.

Senet أو Sanet ← نسبة إلى زناتة وتقع قرب لاردة.

Baraseal ← نسبة إلى بني برزال الزناتية، وتقع قرب قوارد في البرتغال.

Cenija ← نسبة إلى صنهاجة، وهي ضاحية من ضواحي سرقسطة.

Cotanilos ← نسبة إلى كتامة، وهي من أحياء شنقوبية[2].

كما أن هناك مناطق أخرى كشفت عنها المصادر، إذ أشار ابن حزم إلى أن بعض البربر أقاموا في لقنت إلى الشمال من إشبيلية[3]، وإلى الشرق منها كان هناك تجمع آخر للبربر وقد اشتهرت قرمونة بالعديد من البربر البرانس[4] الذين شكلوا في المدينة كورة كبرى استمرت حتى القرن 05هـ/11م، حيث نجح هؤلاء البربر في تكوين إمارة مستقلة بهم هناك كبني برزال [5]، وفي مدينة جيان سكنت جماعات من البربر الصنهاجيون[6] حيث تمكن فرع من البيت الصنهاجي خلال القرن 05 هـ /11 م وهم بنو زيري، أن يسيطروا على إقليم غرناطة ويستقروا هناك، وأسسوا لهم مملكة ويتضح ذلك في قول ابن الخطيب عن سكان هذه المدينة: "إن فيهم من البربر المهاجرة كثير"[7] كثير"[7] كما سكنت قبائل أخرى من صنهاجة في أستجة وباديتها[1] واستوطنت جماعات من قبيلة

---

[1] -ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف)، بيوتات فاس الكبرا، "ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم"، (د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972)، 25.

[2] -حسين مؤنس، فجر الأندلس، 197.

[3] -جمهرة أنساب العرب، 464 -مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 79.

[4] -ابن حيّان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، 68-70 -العذري، نصوص عن الأندلس، 103 -حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي، 42.

[5] -سبق وتحدثنا عن دولة بني برزال في الفصل التمهيدي من هذا البحث، راجع العنصر الخاص بتأثير العامل السياسي على العلاقات بين المغرب الأوسط والأندلس.

[6] -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 466-467.

[7] -الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/140 -إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982)، 31.

قبيلة هوارة في مرشانة[2]، وكذلك في أشونة من كورة اشبيلية[3]، وإلى الجنوب الشرقي من المدينة عاشت مجموعة من البربر في موررور وهم من البتر والبرانس أي من مختلف القبائل كأورربة وكتامة وأزداجة وهوارة[4].

وأما بالنسبة للبربر الذين دخلوا إلى الأندلس مع المرابطين والموحدين برسم الجهاد، فقد أنزلوا هم الآخرين قبائلهم في المدن والثغور [5]، كما وقد شهدت قرطبة استيطانا بربريا كبيرا باعتبارها قاعدة الأندلس وأهم مدنها منذ عهد الأمويين، وقد استوطنتها قبائل مصمودة وهوارة وكتامة [6]، كما سكن فرع من كتامة منطقة شقندة[7].

هذا واستقر البربر أيضا في المدن الموجودة بجنوب الأندلس، ففي الجزيرة الخضراء يوجد إقليم كامل يحمل اسم إقليم البربر [8]، وأكد ذلك اليعقوبي بقوله: «وبغربي شذونة مدينة يقال لها الجزيرة نزلها البربر وأخلاط من العرب » [9]، ويضيف ابن حيّان أن معظم هؤلاء البربر من قبيلة مصمودة[10]، وفي شذونة تستقر قبيلة زناتة وبخاصة أحد بطونهم وهم بنو دمر المقيمين هناك[11].

---

(1) -ابن الفرضي، (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف)، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر السيد عزت العطار الحسيني، (ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، 136/1، 191.

(2) -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 500 -ابن عذارى، البيان المغرب، 70/2.

(3) -ابن سعيد المغرب في حلى المغرب، 313/1 -عبد الواحد دنون طه، إشبيلية في التراث العربي، دراسة في نشأة المدينة وفتحها وتوزيع القبائل العربية والبربرية فيها في العهد الأموي، "ضمن كتاب دراسات أندلسية"، 131.

(4) -مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، 120 -ابن حيّان، المقتبس، من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، 68 ابن الفرضي، تاريخ العلماء، 257/1، 288.

(5) -وعن ذلك يقول حسين مؤنس في فجر الأندلس، ص 368 «... لقد توالت الوفود المهاجرة إلى الأندلس ولم تنقطع في أي عصر من العصور، وقد كثر دخولهم في عصر الولاة، واستمر حتى عصر المرابطين والموحدين (484هـ- 620هـ)، وكان الوافدون من العرب وغيرهم يترلون قرطبة، ويقصدون أهل قبائلهم في النواحي.

(6) -عبيد الله بن صالح،نص جديد عن فتح العرب للمغرب، 229 -ابن عذارى، البيان المغرب، 43/1 -ابن خلدون، العبر، 239/6.

(7) -شقندة: هي قرية صغيرة بحدود نهر قرطبة قبالة قصرها، وتقع على الضفة البرية لنهر الوادي الكبير، أنظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 104 -ابن خلدون، العبر، 256/6.

(8) -العذري، نصوص عن الأندلس، 120 -ليوبولد تورس بالباس، المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمه من الاسبانية إليودورو دي لابنيا، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الغمار، ونادية محمد جمال، (ط1، الرياض: مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003)، 123.

(9) -اليعقوبي، كتاب البلدان، 110 -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 469.

(10) -ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، 07.

(11) -ابن عذارى، البيان المغرب، 113/3.

كما تستقر أعداد كبيرة من بربر زناتة بإشبيلية أيضا وبشكل خاص في شمال وغرب المدينة أين سكنوا بكورة لبلة في حصن شذفيلة الذي يعد معقلا للبربر[1].

وأما قبائل نفزة ومكناسة فقد استقرتا في منطقة تمتد ما بين قرطبة وبلاد الجلالقة[2] فضلا عن عن مجموعات مصمودية انتشرت عبر المدن في الجزيرة الخضراء وبماردة[3]، يضاف إليها قبائل أخرى وبطون كانت تضطجع بأرض المغرب الأوسط كهوراة ومديونة اللتين استوطنتا شنتبريه[4] وزناتة في في بلسنية، وصنهاجة في شاطبة ومرسية، وكومية في المرية وبرشانة[5].

وانطلاقا من هذا التوزيع الذي رصدته لنا المصادر التاريخية لمواطن استقرار تلك القبائل منذ الفتح وإلى غاية القرنين 05-06 هـ /11-12 م نستنتج ما يلي:

-أنهم قد انتشروا بشكل كبير في وسط وجنوب وشرق الأندلس، ويلاحظ على تلك القبائل المهاجرة والتي دخلت في فترات زمنية مختلفة أنّها كانت تتوافد على نفس الأماكن التي استقرت بها سابقتها ممّن تنتمي إليها في أصولها، ممّا يؤكد استمرارية الاتصال البربري بالأندلس.

-في الأندلس أصبحت توجد أماكن خاصة بكل قبيلة، تنسب إليها كجزء سمي بإقليم لماية التابع لكورة ريّة وإقليم مدينة أوربة التابعة إلى دانية وغيرها [6]، وهذا يعني ظهور أحياء جديدة أضيفت إلى الأحياء السابقة التي ضمّت مختلف القبائل البربرية الوافدة خاصة من بلاد المغرب الأوسط منذ الفتح وإلى غاية القرنين 05-06 هـ /11-12 م.

-يتضح أيضا أن الأعداد الكبيرة من البربر التي دخلت الأندلس، وإن تركز عدد منها في المناطق الشمالية فإن كثيرا منها قد توزع على كامل بلاد الأندلس، و لم ينغلقوا على أنفسهم في مناطق معينة، وهذا التوزع في الاستقرار هو ما فتح المجال أمام هؤلاء البربر لأن يحتكوا بإخوانهم من الأندلسيين، وبطبيعة الحال فإن ذلك الاحتكاك والاختلاط هو ما سهل عملية الاتصال الحضاري بين الجانبين، وفتح المجال أمام انتقال التأثيرات المختلفة لمظاهر الحياة.

---

[1] -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 464 -العذري، نصوص عن الأندلس، 106، 176.

[2] -الاصطخري، المسالك والممالك، ص 36.

[3] -العذري، نصوص عن الأندلس، 120 -الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 137، 119، 170.

[4] -عبد الحليم المصمودي (أبو علي صالح بن أبي صالح)، كتاب الأنساب، منشور ضمن كتاب ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، تحقيق محمد يعلى، (د ط، مدريد: نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية)، 47-48 -فراد محمد أرزقي، القوى المغربية في الأندلس، 128.

[5] -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 127 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 224 -عبد الواحد دنون طه، استقرار القبائل البربرية في الأندلس، 38-39.

[6] -بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، أدوارها ومواطنها وأعيانها، (ط1، الجزائر: دار الكتاب العربي، 1999)، 76-77.

2-الهجرات الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط "الهجرة المعاكسة" وأماكن استقرارهم:

إنّ السؤال الذي يطرح في هذا المجال والذي عن طريقه يمكن الوقوف بشكل ملموس على الاتصال الحضاري بين المغرب الأوسط وأهل الأندلس، هو هل كان المغرب الأوسط قد استقبل جالية أندلسية خلال القرنين 05-06هـ/11-12م؟، وهل كانت هذه الجالية هي الوحيدة؟

إن التعرف على ذلك يتطلب أن نتتبع الهجرات الخارجية التي شهدها المغرب الأوسط عبر تاريخه الطويل، لاسيما بعد الفتح الإسلامي، حيث نجد أن هذه البلاد قد استقبلت جحافل المسلمين الذين كان لهم الفضل في نشر الإسلام بهذه الأصقاع[1]؛ ثم عرفت هجرة عربية من المشرق في العهد الفاطمي إذ تلقت سيلا من قبائل بني سليم وبني هلال وغيرهم من القبائل العربية [2] الذين رغم التخريب الذي ترتب عن مجيئهم، إلاّ أنّه كان لهم الفضل في تعريب الأهالي من أبناء هذه البلاد [3] كما وقد كان للمغرب الأوسط أيضا حظ من الهجرات الأندلسية التي كانت تفد عليه بلا انقطاع والتي كانت تحوي نخبة من خيرة ما أنجبت الأندلس من كبار المفكرين وفطاحل الشعراء، ممن اختاروا هذه البلاد لتكون لهم ديارًا[4].

ولقد تمت هذه الهجرات خلال فترات زمنية مختلفة كان لكل منها أسبابها وظروفها الخاصة منها السياسية والاقتصادية والعلمية، وتسليط الضوء عليها يأتي في إطار رصد وتتبع أبعادها ومعرفة مدى فعاليتها وتأثيرها على سكان المغرب الأوسط، وهل أنّها فتحت المجال لانتقال مختلف مظاهر الحياة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط أم لا؟ أضف إلى ذلك التعرف على طبيعتها ما إذا كانت هجرات وقتية مرحلية ارتبطت بظروف معيّنة انتهت بمجرد زوال تلك الظروف؟

وحتى يمكن توضيح ذلك كان لابد من تتبع مراحل الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط منذ بداياتها الأولى، وذلك من خلال تقسيم تلك الهجرات إلى مرحلتين نرصد فيهما أسباب الهجرة في كل فترة كما نتتبع الأماكن التي اختارها الأندلسيون للاستيطان والاستقرار ببلاد المغرب الأوسط، وكيف توزعوا به.

---

[1] -ابن عذارى، البيان المغرب، 1/27-28 –ابن خلدون، العبر، 4/237 -مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، 2/122 –حسين مؤنس، فتح المسلمين للمغرب، (د ط، مكتبة الثقافة الدينية، د ت)، 167.

[2] -القاضي النعمان، تاريخ افتتاح الدعوة، 34-84 –ابن عذارى، البيان المغرب، 1/153، 165 -محمد بن عمرو لطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983)، 22.

[3] -حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية، (د ط، دار النهضة المصرية، 1963)، 1/174 –عبد الحميد يونس، العرب الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، (د ط، جامعة القاهرة، 1956)، 75.

[4] -محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية، 23.

أ-المرحلـــة الأولى: وتمتد من القرن 02-04 هـــ/08-10م:

حيث شهد المغرب الأوسط قدوم الأندلسيين إلى أراضيه بدءا من عهد الرستميين الذين كانت تربطهم علاقات وديّة مع الدولة الأموية الأندلسية[1] فقد كانت عاصمتهم تيهرت على حد تعبير أحد الجغرافيين عراق المغرب لما فيها من أخلاط الناس [2] حيث اعتبرت إحدى المحطات الرئيسية للأندلسيين نظرا لما شهدته من تطور عمراني وحضاري [3] هذا وقد عرف المغرب الأوسط هجرات جماعات من الأندلسيين إليه، استقروا بمدنه وكان لهم دور في تجديد عمران العديد من المراكز الساحلية وتعميرها مثل وهران وتنس وأرشغول وغيرها [4] وهم من الملاحة البحريين الذين عملوا على تدعيم وجودهم التجاري على طول الساحل الشمالي لإفريقية، بعد أن كانوا منتشرين في الساحل الشرقي الأندلسي أين كانت لهم فيه مراسي ورباطات[5].

أما عن أسباب انتقالهم فيبدو أنها راجعة لانعدام الأمن بالأندلس بسبب اندلاع الثورات الداخلية التي أثرت على الحركة التجارية المنتظمة بين مدن الأندلس فيما بينها، وبين الأندلس والعالم الخارجي[6]، وقد أكد أحد الباحثين المستشرقين هذا الأمر حيث ذكر أن جماعة من المغامرين الأندلسيين الذين كانوا يقصدون بلاد البربر يضربون خيامهم هنا، ويبنون حصنا أو مدينة صغيرة هناك، فكانت مدينة تنس ممّا خلفه هؤلاء الأندلسيون[7] وفيما يبدو فإن المدينة كانت في بداياتها الأولى في شكل سوق بدأ ينمو ويجذب إليه الناس، وبأن الأرباح التي حققتها القبائل المجاورة هي التي دفعت بها إلى دعوة التجار الأندلسيين إلى قلعة "تنس" لكي يتخذونها سكنى لهم [8]، إذ وعدوهم

---

[1] -للتفصيل عن تلك العلاقات راجع: الورجلاني (أبو زكريا يحي بن أبي بكر)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، (دط، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1979)، 56 -ابن الأبار، الحلة السيراء، 372/2-373 -عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، 107 -سلفادور غومث نوغاليس، الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، (مجلة الأصالة، العدد 46-47، السنة الخامسة، 1977)، 11-12.

[2] -اليعقوبي، كتاب البلدان، 103.

[3] -ابن الصغير، أخبار الأئمة الرسميتين، 35-36 - سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، 310/2.

[4] -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 61 -محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، 163.

[5] -عبد العزيز سالم ومختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، 150، 167،171 -أوليفيا ريمي كونستابل، التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، (د ط، الرياض: مكتبة العبيكان، 2002)، 37.

[6] -سحر السيد عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية والموريسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط (من كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي)، 231، 249 -خالد عبد الكريم بن حمود، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عصر الإمارة "138هـــ-316هـــ/755م-929م"، (ط1، الرياض: مكتبة عبد العزيز العامة، 1993)، 290.

[7] -موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، 101.

[8] -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 61.

بالعون وحسن المجاورة، فلبوا دعوة القبائل، وانتقلوا إلى تنس وخيّموا بها، كما انتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم من أهل ألبيرة وأهل تدمير إذ توسع لهم أهل تنس وشاركوهم منازلهم وأموالهم[1] ويبدوا أن هؤلاء البحريون قد قاموا ببناء حيّ خاص بهم وبالقبائل التي استدعتهم لكن بعض هؤلاء الأندلسيين اعتلّوا عند حلول فصل الربيع فركبوا مراكبهم ونزلوا مرية بجانة في حين ظل عدد من الباقين بتنس، وهم الذي أسسوا مدينة تنس الحديثة، وذلك سنة 262هـ-876م[2] 876م[2] وإلى جانب تنس التي شهدت إقبالا كبيرًا من طرف البحارة الأندلسيين نجد مدينة وهران، حيث حلّ بها اثنان من رجال الدولة الأموية، وجماعة من الأندلسيين، أين قاموا ببنائها سنة 290هـ/ 903م وذلك بالاتفاق مع العشائر المحلية القريبة منها كنفزة وبني مسقن من أزداجة[3] فاستوطنوها[4].
فاستوطنوها[4].

كما سكن الأندلسيون مدنا أخرى بالمغرب الأوسط كمدينة جليداسن [5]، ومرسى الدجاج الذي عرف العديد من الأندلسيين[6]، وشهدت بونة أيضا توافد العديد من التجار الأندلسيين إليها[7]، وكذلك مدينة أرشقول حيث ذكر الحسن الوزان أن جماعة من الأندلسيين من جند المنصور المنصور بن أبي عامر، قد أعادوا بناءها بعد أن كانت قد خربت على يد ملوك القيروان[8].

كما يرجع الفضل أيضا إلى الأندلسيين في ازدهار مدينة المسيلة التي تقع داخل البلاد في أوائل القرن 04هـ / 09م وآرزيو التي احتفظت هي الأخرى بعمرانها على الساحل بفضل التجار الأندلسيين[9].

---

(1) -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 61 -الحموي، معجم البلدان، 56/2.

(2) -المصدر نفسه، 61.

(3) -نفزة وبني مسقن: هم برابرة طرابلس، وبطن من بطون أزداجة، ونفزة ينتسبون إلى تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر، لتفصيل أنظر: ابن خلدون، العبر، 146/4-147 -191/6.

(4) -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 70 -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 133 -الحموي، معجم البلدان، 443/5 -ابن عذارى، البيان المغرب، 136/1 -يحي بوعزيز، ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية، (مجلة الثقافة، العدد 52، سنة 1979)، 30.

(5) -البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 69 = ويشير إلى أن جليداسن مدينة لطيفة ومطلة على فحص الشلف.

(6) -المصدر نفسه، 65.

(7) -المصدر نفسه، 55.

(8) -وصف إفريقيا، 16/2.

(9) -ناصر الدين سعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر ومساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مقال ضمن كتاب دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، (ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003)، 18.

وقد شهد المغرب الأوسط أيضا خلال هاته الفترة هجرات أندلسية فردية، ارتبطت بظروف خاصة وشخصية، حيث وجد الكثير من الأندلسيين في هذه البلاد الملاذ والملجأ الآمن، من ذلك نزوح أسرة حمدون بن سملك من كورة إلبيرة إلى بجاية فاستقر بها ونسله[1] وكان منهم علي بن حمدون الذي صحب الداعي أبا عبد الله الشيعي واستوطن بكتامة وتزوج منها، وولي على المسيلة وذلك سنة 315هـ / 927م وبلاد الزاب بعد اختطاطها، وتولاها ابنه جعفر من بعده [2]، كما وفدت من الأندلس شخصيات أدبية وعلمية عديدة كإبن هانئ الأيبيري ت 352 هـ / 964 م[3] الذي لجأ بعد أن طرد من الأندلس بسبب مجاهرته بالعقيدة الشيعية في وسط سني، فلجأ إلى أمراء المسيلة، والتحق ببلاط جعفر ويحي ابني علي بن حمدون ليصبح الشاعر الرسمي للدولة الفاطمية [4] ومثل هذا نجده عند شخصية أخرى هو محمد بن إبراهيم بن بردة الشافعي البغدادي، وكان ينسب إلى الاعتزال فلّما وشي به إلى الحاكم، أمر بإخراجه من البلد، فتوجه إلى تاهرت عند ابنة له، وذلك سنة 373هـ / 988م [5].

وممّن استقبلهم المغرب الأوسط من الأندلسيين أيضا أسرة بنو ذكوان، الذين طردوا نتيجة معارضتهم للسلطة الحاكمة آنذاك زمن الخليفة الأمويّ هشام المؤيد « 366هـ-399هـ/ 976م-1009م»، حيث اتهموا بموالاتهم للبرابرة، فأمر هشام بإخراجهم عن الأندلس ونفيهم إلى العدوّة وذلك سنة 401هـ/1010م، حيث أجيز بهم البحر إلى وهران، وقد خلفوا دوابهم وثيابهم[6].

ومع ذلك تبقى هذه الهجرة المبكرة قليلة العدد مقارنة مع الهجرات التي ستفد فيما بعد والمرتبطة بظروف وأسباب خاصة شهدتها الأندلس جعلت من الهجرة ضرورة حتمية.

---

[1] -ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجّي، 33-34 -ابن عذارى، البيان المغرب، 242/2 - محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة، 49.

[2] -الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، 123.

[3] -ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج 421/4-422 - الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، عبد السلام علي، (ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980)، مج130/7 -محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون، 51 - 61.

[4] -للاطلاع أكثر على ولائه للفاطميين يمكن الرجوع إلى قصائده في: ابن هانئ (أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد)، ديوان محمد بن هانئ، تحقيق محمد اليعلاوي، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995)، 178.

[5] -ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، 116/2.

[6] -الضبي، بغية الملتمس، 174 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 215/1-216.

ب-المرحلة الثانية: نهاية ق 04هـ إلى نهاية ق 06هـ/11م-12م:

تميّزت هذه المرحلة بازدياد الهجرات المتتابعة الأندلسية إلى المغرب الأوسط، وذلك لارتباطات كانت بين السكان الذين نزحوا في فترات زمنية سابقة واستقروا بهذه البلاد وبين المهاجرين الذين لحقوا بهم، حيث توزعوا في العديد من مدن المغرب الأوسط، إلا أن أعدادا كبيرة منهم استقرت في حواضره الكبرى، وتزامن ذلك خاصة مع ظهور الدولة الحمادية الصنهاجية التي أخذت تزدهر بعد تأسيس القلعة سنة 398هـ / 1008م، من قبل حماد بن بلكين « 405 هـ-419هـ/972م-1028م»[1]، حيث استهوت القلعة العديد من مهاجرة الأندلس، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى مميزات المدينة في تلك الفترة، إذ بناءا على نتائج بعض الحفريات اتضح أنها كانت تضم الكثير من المؤسسات والمرافق الاجتماعية التي كانت قائمة وقت ذاك من أهمها: الجامع الأعظم الذي يتوضع بوسط المدينة إلى جانب عدد من المباني الخاصة كقصور الأمراء والحكام زيادة على الأحياء الشعبية والأسواق الموجودة بجوار الجامع [2] بالإضافة إلى أن موقع القلعة ساعدها على أن تكون مركزا اقتصاديا مع ما تتوفر عليه من الفواكه والنعم الشيء الكثير وكله رخيص [3]، كما ازدهرت بها مختلف الصنائع[4]، لهذا كان التجار والمسافرون يتوافدون عليها من المشرق والمغرب كما كما رحل إليها طلاب العلم، وكذلك أرباب الصنائع [5]، وبطبيعة الحال لم يستثنى الأندلسيون من هذه الرحلات، وبخاصة منها رحلات العلماء وطلاب المعرفة[6]، ومع ذلك فإن المصادر المتوفرة والمتعلقة بالفترة لا تسمح بالتعرف بشكل محدد على عدد المهاجرة الأندلسيين إلى القلعة، ولا حتى على أماكن استقرارهم بها ولا يوجد أي تحديد أو ضبط دقيق لأسماء الأحياء والمناطق التي أقاموا

---

[1] -لتفصيل أكثر حول القلعة ومميزات موقعها أنظر: البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 82 -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 156 -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 32، 33، 101 -ابن خلدون، العبر، 171/6 – L.Golvin، مقال حول قلعة بني حماد، بدائرة المعارف الإسلامية، 720/2 -721.

[2] -Genéral L. De Beylié, Kalaa Des Beni-Hammade Une Capitale Berbère De L'afrique Du Nord Au XI Siècle, Paris, Ernest Leroux Editeure, 1909, 92 - L.Ghim, Recherches Archéologique A La Qaläa Des Beni Hammad, Paris, 1965, P. 125.

[3] -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 156 -اسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، 350-351.

[4] -كمال صادقي، الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد (398-547ه /1007-1152م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف الدكتور إسماعيل سامعي، (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007)، 40، 41، 121.

[5] -البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 82 -ابن خلدون، العبر، 227/6 —موريس لومبادر، الإسلام في مجده الأول، 108.

[6] -سوف يأتي الحديث عن الرحلات العلمية للأندلسيين نحو القلعة في الفصل الثالث من هذا البحث.

فيها، ممّا يجعلنا نرجح أن يكون مهاجرة الأندلس إلى القلعة قد استقروا بالأحياء التي كانت موجودة فيها آنذاك مع السكان الذين كانوا يسيرون نمط الحياة فيها والذين تم جلبهم هم الآخرين لتعمير المنطقة بعد بناء القلعة ممن استحضروا من مدينتي المسيلة وحمزة بعد ما خربتا، من قبائل جراوة [1] وبعض العناصر من القبائل المنتمين إلى زناتة حيث تم إسكانهم بالقلعة في حي متميّز عن باقي الأحياء[2] والذي من المحتمل أن يكون مهاجرة الأندلس إلى القلعة قد استقروا به أيضا، وإن لم يكن لدينا دليل واضح يثبت صحة ذلك، ولعل من هؤلاء المهاجرة من قد أقاموا أحياء خاصة بهم داخل القلعة ذاتها كغيرها من المدن التي حلّوا بها وصبغوها بطابعهم الأندلسي المتميّز [3]، فإن كان المهاجرة الأندلسيون الأوائل قد استطاعوا بناء وإقامة مدن كاملة ببلاد المغرب الأوسط وسكنوها كما رأينا في تنس ووهران، فكيف الحال بالنسبة للأحياء الصغيرة التي لا تمثل إلا جزءا من المدينة، خصوصا وأن من المعروف على الأندلسيين أنهم يحبون الإقامة مع بعضهم البعض، ويحافظون على الارتباطات العائلية والاستقلال عن الآخرين، وعدم الاختلاط بالغير حتى يحافظوا على طابعهم المعيشي [4]، وإن كان هذا الأمر يبقى فرضيا لعدم ورود ما يدعمه ويؤيده في المصادر أو في حفريات الأثريين.

و لم تكن الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط في هذه الفترة مقتصرة على القلعة بل تبعتها أخرى خاصة بعد ظهور الفتن بالأندلس، وما ترتب عنها من إضطراب أدى إلى تدمير العمران كالقضاء على مدينة الزهراء، والزاهرة [5] زيادة على سقوط الكثير من المدن بيد النصارى، وتعرض

---

(1) –جـــراوة: تنسب هاته القبيلة إلى جراو بن وارسيغ بن الديرية بن جانة بن يحي بن ضريس، وهو جالوت الأول، كانوا قبل الإسلام أهل كثرة وقوّة وفيهم رئاسة زناتة، وهي إحدى القبائل التي حطت رحالها عند باغاية قرب خنشلة، أنظر: مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 208 –مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، 46/1 –رضوان البارودي، جبل الأوراس، 16–17.

(2) –L.Golvin, Recherches archéologique, op. cit, p 125 – الهادي روجي إدريس الدولة الصنهاجية، 99/2.

(3) –إن مادفعنا للتفكير في ذلك هو أن الهجرات الأندلسية المتأخرة على عهد المورسكيين، ورد فيها ذكر القرى التي سكنها الأندلسيون ببلاد المغرب الأوسط وأعطوها أسماء خاصة وطبعوها بطابع حياتهم: كالشراقة –البليدة، ولعلّ مثل هذا العمل لا يمثل إلا امتدادا لما قام به المهاجرة الأندلسيون الأوائل الذين وفدوا قبلهم، لتفصيل عن ذلك أنظر: محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، 159–160 –أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (ط1، الاسكندرية: كلية الآداب، 1968)، 184 – سحر السيد عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية والموريسكية، 257–258.

(4) –المقري، نفح الطيب، 228/1.

(5) –الزهراء: هي مدينة قام ببنائها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 325هـــ–927م، تبعد عن قرطبة بمسافة تقدر بخمسة أميال جهة الغرب، ويقال أنها سمّيت باسم إحدى الجواري المقربات للناصر، وتشتمل على قصور وعمائر ومنتزهات، أما الزاهرة فقد بناها المنصور بن أبي عامر تخليدًا لاسمه ونفوذه، وتقع على أطراف قرطبة من الجهة الشرقية، شرع في بناءها سنة 368هـــ واستغرق عامين إلى سنة 370هـــ –السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس "دراسة تاريخية عمرانية أثرية في العصر الإسلامي"، (د ط، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1997)، 229، 257.

مسلميها يومئذ بإشبيلية وقرطبة وبلنسية وغيرها للإضطهاد والملاحقة [1] ممّا أدى بالكثيرين منهم إلى التروح والهجرة إلى المغرب الأوسط، واستقرت أفول منهم ببجاية، وقد جاء ذلك بعد تراجع مكانة القلعة بسبب قدوم بني هلال وما انجّر عنه من انتقال لأهالي المنطقة بأمر من يحي بن العزيز الذي قام بإخلائها سنة 543هـ/1149م، لتأخذ بجاية الصدارة في استقطاب وفود المهاجرة الأندلسيين [2]، حيث ذكر البكري أنها كانت في منتصف القرن 11م عامرة بأهل الأندلس[3]، وقول أحد الباحثين الغربيين أيضا «أما الأندلسيون فكانوا يملكون مؤسسة مرفئية بالقرب من موضع المدينة بجاية، فكثر عددهم وأخذ يتزايد» [4]، ويبدو أن ذلك قد حصل بعد أن تحولت إلى مدينة كبرى وعاصمة سياسية وحضارية على عهد بني حماد «405هـ-547هـ/1014م-1153م»[5]، فقد كان موقعها البحري الحصين، ومرفؤها الطبيعي قد لفت الأنظار إليها منذ أقدم العصور[6].

ويبدو أن اختيار الأندلسيين لبجاية خلال هاته الفترة راجع إلى ما كانت تتمتع به المدينة من ميزات، إذ أن ظروف الحياة الملائمة كانت متوفرة بها، فالسهول المحيطة بالمدينة تنتج بوفرة القمح والشعير والتين وغيرها من الفواكه [7]، زيادة على الثرة الخشبية التي كانت تستغل في صناعة السفن وبها أيضا المعادن على أنواعها [8]، وأسهم ذلك في توسيع نطاق المواصلات البرية والبحرية والنشاط التجاري والصناعي فيها[9]، مما جعلها على اتصال دائم بالتجار من المشرق والمغرب والصحراء

---

(1) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 73 -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مجلد 4، قسم 1/126، 163، - المقري، نفح الطيب، 6/491 - السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/32.

(2) -البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 82 -اسماعيل العربي، عواصم بني زيري ملوك «آشير -القلعة -بجاية -غرناطة - المهدية»، (ط1، بيروت: دار الرائد العربي، 1984)، 54.

(3) -البكري، المغرب في ذكر افريقية والمغرب، 82 -إليفي برونفنسال، مقال حول بجاية، دائرة المعارف الإسلامية، 3/350-351.

(4) -أندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح اصطنبولي، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984)، 107.

(5) -إليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمد عبد العزيز سالم، ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة لطفي عبد البديع، (د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1990)، 270 -إبراهيم حركات، دور بجاية في الحضارة، مجلة الأصالة، (عدد 19، السنة 04، 1974)، 17 -G.Yver، مقال حول بني حماد، بدائرة المعارف الإسلامية، 8/60-62

-Paul. Louis cambusat, l'évolution des cites du tell en Ifrikya, Op. Cit, T1, P 147- 148.

-Georges Marcais, Les Poteries et Faiences de Bougie, Braham –Editeur –Constantine, 1916, P 03.

(6) -إسماعيل العربي، عواصم بني زيري، 52-54 -مولاي بلحميس، دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين، (محاضرات الفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1974)، 2/561-562.

(7) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 130.

(8) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 161 -اسماعيل العربي، دولة بني حماد، 245.

(9) -اسماعيل العربي، العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، 350-351.

والأندلس[1]، زيادة على طابعها العمراني وما تتوفر عليه من مرافق كالقصور والجوامع والأحياء والقصبات وغيرها، وإن كانت بعض آثار المدينة قد دُرست تماما الآن إلا أن هذا لا ينفي وجودها[2]، وبذلك فقد كانت بجاية مهيئة لأن تفتح أبوابها أمام هجرات الأندلسيين خاصة خلال القرن 5هـ-11م، الذي يمثل فترة ازدهارها الحقيقي [3].

فكان ممن هاجر إليها وقصدها من الأندلسيين أبو محمد عبد الله بن المعتصم بن صمادح صاحب المريّة أحد ملوك الطوائف المخلوعين، أين حط رحاله بها مع أهله وماله، ونزل على الملك المنصور الحمادي ببجاية فأكرمه[4] وأقطعه مدينة دلس وضواحيها فأصبح ذا سيادة وحكم فيها وأمكنه أن ينسى ما ألم به من حزن لفراق بلاده وعزه هناك [5]، كما استقبلت أيضا ملكا آخر من ملوك الطوائف الأندلسيين وهو علي بن مجاهد العامري [6] الذي من المحتمل أن انتقاله إليها قد صحبه أو أعقبه نزوح عدد كبير من مهاجرة الأندلس الذين كانوا يخضعون لإمرته وسلطانه في حدود مملكته هناك ممّن لم يرضوا بخلعه، هذا وإن توالي المصائب والفتن على الأندلس بسبب سقوط العديد من المدن الهامة بيد النصارى، كسقوط سرقسطة سنة 512هـ/ 1118م، طرطوشة 543هـ/1148م وغيرهما[7] قد أكد لمسلمي الأندلس استحالة الاستقرار فيه بعدما عاينوا بأنفسهم ذلك السقوط ممّا دفع بالكثيرين إلى الرحيل ومغادرة مدنهم، حيث شد بعضهم الترحال نحو المناطق التي كانت لا تزال تحت السلطة الإسلامية[8]، في حين سلك البعض الآخر سبيل الهجرة إلى حواضر الشمال الإفريقي فاستقروا فيه، وكان للمغرب الأوسط وحواضره بما فيها بجاية حظٍ من هؤلاء

---

(1) -الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 161.

(2) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 130 -ابن خلدون، العبر، 297/1 -الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، 119/2.

-G.Marcais Manuel, d'art Musulmane L'architecture, Tunise –Algérie –Maroc –Espagne –Sicile, Editions Auguste Picard, Paris, 1954, Tome 1, P 140.

(3) -موسى لقبال، مميزات بجاية وأهمية دورها في سيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، (مجلة الأصالة، عدد 19، سنة 1974)، 115.

(4) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 167-168 -ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 105 -ابن الأبار، الحلة السيراء، 89/2-90 - اين سعيد، المغرب في حلى المغرب، 196/2.

(5) -المقري، نفح الطيب، 369/3.

(6) -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 220 -ابن خلدون العبر، 211/4.

(7) -للتوسع حول سقوط الحواضر الأندلسية بيد النصارى، راجع: المقري، نفح الطيب، 447/3 -490.

(8) -محمد المنوني، ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة، (د ط، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، الجامعة التونسية، 1979)، 85/2.

الوافدين، حيث أصبحت هذه المدينة بفضل عمل الأندلسيين الذين تقاطروا عليها مركزًا ثريًا[1]، و لم تتوقف الهجرات الأندلسية عند هذا الحدّ بل استمرت حتى على عهدي كل من المرابطين والموحدين ولعل السياسة التي لجأوا إلى استعمالها من أجل توحيد الأندلس كانت السبب في التحاق كثير من الأندلسيين ببلدان المغرب وبخاصة مدن المغرب الأوسط [2]؛ يضاف إلى ذلك جموع العلماء التي كانت تنتقل تباعًا إمّا طلبا للعلم أو عملاً على نشره حيث كان ينتهي المطاف بالكثيرين منهم إلى الاستقرار والاستيطان بها[3] ومن المؤكد أن عددًا كبيرًا منهم كان قد حمل معه أهله وعياله خاصة إذا إذا طال به المقام، وحتى الذين وفدوا فرادى ثم استقروا كانوا مدعاة لغيرهم للحاق بهم من ذوي أرحامهم أو ممّن كانت لهم رغبة في أخذ العلم عنهم، ومجالستهم بل والالتصاق بهم وملازمتهم أينما حلوا ليسهل نهل العلم عنهم والأمثلة في ذلك كثيرة لا حسر لها ويكفي إلقاء نظرة على كتب الطبقات وتراجم العلماء لنستقي من ذلك ما لا ينفذ[4] وإن كانت هاته المصادر قد أسهبت في ذكر ذكر أسماء الشخصيات التي هاجرت إلى بجاية فإنها قد شحت كغيرها عن إعطائنا صورة واضحة عن الأماكن التي نزلوها تحديدا بالمدينة، وهل أنهم احتكوا واختلطوا بسكان بجاية في أحيائهم ومنازلهم ودورهم أم أنهم فضلوا الانعزال والانفراد بأحياء خاصة بهم؟

إنّ الإجابة عن ذلك تدفع بنا إلى الرجوع وتتبع هيئة المدينة من الناحية البشرية، فالمصادر المتوفرة تشير إلى أنّه كان يسكن الجبال المشرفة عليها قوم من كتامة يعتنقون المذهب الشيعي [5] وحسب ابن خلدون فإن الناصر حين استولى على جبل بجاية سنة 460هـ/1067م، كانت تسكنه

---

(1) -ورد في أحد الروايات أن احتلال طليطلة أسفر عن هجرة جماعية لسكان هذه المدينة قدرها خمسون ألف نسمة، وفي ترجمة أحد العلماء وهو حسين بن محمد الأنصاري ت 536 هـ / 1167 م، ذكر أنه خرج من المريّة في جملة من خرج من أهلها عند استيلاء المسيحيين عليها سنة 450 هـ / 1058 م، لتفصيل أنظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، 119 –ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تصحيح وطبع السيد عزت العطار الحسني، (د ط، مصر: مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنى، 1956)، 286/1 –محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، 148.

(2) -محمد المكي الناصري، وحدة المغرب في ظل الإسلام، (مجلة الثقافة، السنة 3، عدد 15، الجزائر، 1973)، 04 – محمد الأمين بلغيث، الأندلسيون وآثارهم بفحص الجزائر ومتيجة، منشور ضمن كتاب دراسات وبحوث مغربية، 261–263.

(3) -سوف نتطرق بتفصيل أكثر لهجرة العلماء الأندلسيين إلى المغرب الأوسط بما فيها بجاية، ودورهم في تمتين العلاقات العلمية بين البلدين، في الفصل الثالث من هذا البحث.

(4) -الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970) =حيث أشار في عدة مواضع إلى أن بجاية كانت آهلة بالعلماء الأندلسيين، أنظر ص: 36، 39، 45، 55، 73، 80، 158، 193.

(5) -ابن حوقل، صورة الأرض، 93 –ابن خلدون، العبر، 195/6، 199 –إسماعيل العربي، صنهاجة وكتامة وغيرهما من قبائل البربر، (مجلة الأصالة، سنة 1973)، 141، 150.

قبيلة بربرية تحمل نفس الاسم[1]، كما ترتب عن بناء المدينة نزوح السكان إليها بصورة تماثل نزوح أهل إفريقية إلى المهدية[2]، ممّا ساهم بشكل كبير في تعميرها وازدهارها بشريًّا[3] خاصة وأننا قد أوضحنا سابقا ما كانت تتمتع به من مزايا طبيعية واقتصادية جاذبة للسكان ومساعدة على الاستقرار.

وإذا نظرنا إلى طبوغرافيا المدينة في جانبها المعماري لتوفيق علاقة الربط بين السكان من حيث العدد وتوزيعهم بالمدينة، فإن الروايات الواردة في ذلك بإمكانها أن تساعدنا على استنتاج العديد من الأمور من ذلك أسماء الأبواب التي تحيط بالمدينة كباب البحر الواقع في الناحية الجنوبية منها، والذي كان يسمح للسفن بالدخول إليها[4]، كمايوجد في الناحية الشرقية باب المرسى، وهناك رواية في هذا الصدد للغبريني مفادها أن قبر أبي عبد الله العربي الأندلسي (كان حيا حوالي سنة "591هـ/1165م")، كان يقع خارج هذا الباب [5] إضافة إلى العديد من الأبواب الأخرى كباب أميسون واللوز الذي دخل منه علي بن غانية[6] وأعوانه القادمين من جزيرة ميورقة بالأندلس والباب والباب الجديد، وباب البنود[7] وهذا ما يجعلنا نُخمّن أن يكون العديد من مهاجرة الأندلس إلى بجاية بجاية قد أقاموا منازلهم بالقرب من تلك الأبواب لاتصالها بالبحر، إمّا رغبة وأملاً في العودة إلى وطنهم أو لانتظار آخرين يفدون عليهم ليقيموا معهم هناك من بني وطنهم، ولعل ما يدعم هذا الرأي هو الدراسة التي قدمها الأستاذ إليفي بروفنسال عن أسماء المواقع الاسبانية المغربية، حيث أشار إلى أن

---

(1) -ابن خلدون، العبر، 173/6- 174 -الغبريني، عنوان الدراية، 05.

(2) -مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 129 -الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، 108/2 -اسماعيل العربي، عواصم بني زيري، 130.

(3) -وقد أشار أحد الباحثين إلى أن عدد البيوت في بجاية خلال العهد الحمادي قد بلغ عشرون ألفا (20.000)، كما أشار آخر إلى أن عمرانها توسع حتى أصبح بها 21 حيًا و 72 مسجدًا وكتاتيب، أنظر: الغبريني، عنوان الدراية، 07 -يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، (ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995)، 13/1.

(4) -الغبريني، عنوان الدراية، 165 -روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي، 378/1.

(5) -الغبريني، عنوان الدراية، 81 -كما تردد ذكر اسم هذا الباب في تراجم أخرى، أنظر: ص: 75، 82، 88.

(6) -علي بن غانية الميورقي، ينتسب بنو غانية إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكانوا يرتبطون مع بني تاشفين برابطة القرابة، ويرفع نسبهم إلى علي بن غانية المسوفي المعروف بابن الصحراوية، الذي أسند علي بن يوسف بن تاشفين إليه ولاية الجزر الشرقية بالأندلس، لتفصيل أكثر حول بنو غانية، راجع: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 168 -ابن القطان، نظم الجمان، 220 -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 344/4 -السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 61/2.

(7) -حول هذه الأبواب راجع: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 164 -الغبريني، عنوان الدراية، 69، 77، 122، 143، 182، 245، 254 -روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، 412/1-413 = أنظر نماذج وصور عن هذه الأبواب في الملاحق.

بعض أسماء الأعلام، كانت تتردد هي ذاتها في المدن القائمة بالعدوتين عدوة المغرب وعدوة الأندلس بخاصة أسماء بوابات الأحياء في هذه المدن، وقدّم أمثلة عديدة عن ذلك كباب البنود الذي يعرف بذلك في بجاية وتلمسان ومثله بغرناطة على العهدين المرابطي والموحدي[1].

وإلى جانب الأبواب توجد الأحياء والحارات، فقد كان بعضها يحمل أسماء الأبواب، وذلك لقربها منها كحومة باب البحر[2] وحومة باب أميسون وحومة اللولؤة، وحومة المذبح[3].

أما الحارات فنجد حارة المقدسي، التي كان يسكنها أحد الفقهاء المحدثين من مهاجرة الأندلس إلى بجاية وهو عبد الحق الأزدي الإشبيلي ت " 582هـ/1186م"، ويجلس فيها للتناقش والمذاكرة العلمية مع صاحبيه عبد الله القرشي وأبو علي المسيلي في حانوت له هناك [4] وحارة ملالة التي بنى فيها أبناء العزيز جامعا لابن تومرت حيث كان الطلاب يتوافدون عليه من كل حذب وصوب ومن الأندلس[5]، ووجود مثل هذه الأحياء والحارات بالمدينة يجعلنا نرجح أن يكون مهاجرة مهاجرة الأندلس قد قاسموا أهل بجاية السكن فيها، خاصة وأنّها كانت تتوفر على العديد من المرافق الاجتماعية[6]، والملفت للانتباه في تلك المرافق هو وجود المكان المعروف بالبطحاء، أو ما يسمى بالشريعة، وفيما يبدو فإنها كانت عبارة عن موضع أو مساحة تقام فيها الصلاة أيام الأعياد [7]، وما يجدر ذكره حول هذا المكان المسمى بالشريعة هو وجود مكان مماثل له بالأندلس ويحمل نفس التسميّة وذلك ببلنسية على عهد بني هود حوالي سنة 1086م، حيث إليفي بروفنسال إلى تفسير معنى الشريعة بناءا على النصوص العربية المتوفرة زيادة على تفسيرات بعض الباحثين الغربيين إلى أنها ساحة أو مكان يستخدم كمصلى يصلي فيه المسلمون في أعيادهم [8]، مما يعني أن المكان كان متواجد

---

(1) -إليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، 55.

(2) -الغبريني، عنوان الدراية 80، -روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، 413/1.

(3) -الغبريني، عنوان الدراية، 76، 101، 165، 176.

(4) -ابن الزبير (أبو جعفر أحمد)، صلة الصلة، "وهو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس"، تصحيح وتعليق إليفي بروفنسال، (د ط، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1938)، 05 -الغبريني، عنوان الدراية، 69 -محمد الشريف واشق، نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، (مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلامي ببجاية، 08-15 جويلية، 1985)، 28.

(5) -البيدق، أخبار المهدي ابن تومرت، 36-37 -أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عمار طالبي، (د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، 52-53.

(6) -الغبريني، عنوان الدراية، 68، 91، 106 -روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، 414/1.

(7) -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 31 -ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، (د ط، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967)، 239.

(8) -إليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، 85.

بالعدوتين الأندلس والمغرب الأوسط خاصة ببجاية ويحملان نفس الاسم ويؤديان الوظيفة ذاتها، وهو برأيي وجه يدفع للتقارب ويجلب الألفة عند الأندلسيين ليقيموا على مقربة منه لأنه يذكرهم ببلدهم.

ومن حواضر المغرب الأوسط التي استقطبت مهاجرة الأندلس أيضا خلال القرنين 05-06هـ/11-12م نجد تلمسان التي علا شأنها في العهد المرابطي، حيث استقبلت هاته الأخيرة عددا لا بأس به من هؤلاء المهاجرة ممن استهواهم موقعها المتميز، فاستقروا بها والذين توافدوا عليها من مدن عدّة كالمريّة وشاطبة وغيرها وأغلبهم كانوا من ذوي الشأن والعلم [1]، إذ أن المدينة كانت تتمتع بصفات طبيعية ومميّزات تاريخية وحضارية خاصة، حيث تقع في الشمال الغربي للمغرب الأوسط [2] كما يتوفر موقعها على مسطحات مائية سهلت ربطها بالساحل لاقتراب موانئها من موانئ الأندلس[3]، زيادة على اهتمام المرابطين بتشييد المباني والقصور والمساجد فيها والتي غلب عليها الطابع الأندلسي[4]، إذ كان الاهتمام بالجانب العمراني قد فسح المجال لتدفق المهندسين والفنانين الأندلسيين نحوها[5] حتى أنّها لا تزال تحتفظ ببعض الشواهد المعبرة عن الإبداع الأندلسي والذوق الرفيع الذي نقلوه إليها، وتلك المكانة التي حافظت عليها حتى على العهد الموحدي [6]، وبذلك فإن المدينة قد استفادت من حكم المرابطين والموحدين، إذ هيئوا الظروف لها لأن تكون موقعًا جاذبًا لاستقرار مهاجرة الأندلس، إلا أن استحواذ القلعة وبجاية وتلمسان على أعداد كبيرة من المهاجرة الأندلسيين خلال القرنين 05-06 هـ /11-12 م، لم يمنع وفودا أخرى من أن تيمم وجهها إلى مدن أخرى بالمغرب الأوسط، إذ شهدت كل من بونة، وجزائر بني مزغنّة وتنس ووهران وغيرها إقبالا معتبرا من الأندلسيين، وإن لم يكن بقدر ما استقبلته كل من القلعة وبجاية وتلمسان[7].

---

(1) -سوف نتطرق لنماذج عن الهجرات الأندلسية نحو تلمسان في الفصل الثالث من هذا البحث المتعلق بتتبع حركة العلماء وتأثيرهم في المجال العلمي.

(2) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 176 -محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية، 242.

(3) -الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 16/2 -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 88/1.

-G.Marcais, Tlemcen ville d'art et d'histoire, (2ème congres de la fondation des sociétés, savants de l'afrique du nord, tlemcen), publié par les soins de la société historique, Algerienne, 1936, tome 1, P 84.

(4) -سوف يأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن المنشآت العمرانية للمرابطين بالمغرب الأوسط والتأثيرات الأندلسية عليها في الفصل الرابع من هذا البحث.

(5) -محمد بن عمرو الطمار، الروابط الثقافية، 242 -تلمسان عبر العصور، 44.

(6) -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 131-132 - ابن خلدون، العبر، 159/7-160.

(7) -المقدسي، أحسن التقاسيم، 18-19 -البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، 54-55 -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 127، 132، 133.

وعلى العموم فإن مجمل ما يمكن قوله عن الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط في هاته الفترة موضوع الدراسة، هو أن عددها يبقى نسبي وقليل، لعدم وجود إحصائيات في المصادر تضبط بشكل عددي ومحدد نسبة الوفود المهاجرة، كما أنّه يغلب عليها طابع الهجرة الفردية أو العائلية، ولا يمكن الحكم عليها بأنّها هجرة جالية، وهو أمر لم يثبت حتى بعد هذه الفترة، إذ أن مثل هذا الضبط يبدو من المحال[1] إذا ما قورن الأمر بالفترات اللاحقة التي شهدت هجرة جماعية كبيرة وصلت إلى حد أن وصفها صاحب العبر بالجلاء[2]، ولعل ذلك ما جعل إحدى الباحثات تذهب إلى نفي أن تكون هناك هجرات أندلسية كبيرة وجماعية إلى أقطار البحر المتوسط، على الرغم من سقوط بعض الحواضر الأندلسية في يد الملوك المسيحية في عصري الطوائف والمرابطين، بل وحتى نهاية الشطر الأوّل من العصر الموحدي سنة 609هـ/1212م معلّلة ذلك بأن الكفّة الإسلامية لا تزال هي الأرجح فيما يتعلق بميزان القوى في الصراع الإسباني في شبه الجزيرة الأيبيرية، وأن الأمر الغالب هو الهجرة الداخلية أو التروح الأندلسي نحو المدن المجاورة الأندلسية، لاطمئنانهم إلى سيادة الإسلام فيها وأملا في العودة إلى مدنهم التي اضطروا قسرا إلى الهجرة عنها[3].

وإن كنا لا نؤيد هذا الرأي تمامًا إذ لا يصح تعميمه على حال كل الأندلس، فمن خلال ما سبق ذكره يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن أعدادا جماعية معتبرة قد قصدت حواضر المغرب بما فيه المغرب الأوسط خلال القرنين 05-06 هـ / 11-12 م، بحثا عن الاستقرار والعيش في ظروف أحسن ممّا هي عليه الحال بالأندلس ويكفي أن ما يرد في بعض المصادر ككتب التراجم التي تخبر عن الحالة الاجتماعية التي عاشها هؤلاء الأندلسيون بالمغرب، كدليل على كثافة تواجدهم، فهي تقف على وصف حال العديد من فئات المجتمع الأندلسي من غني وفقير مثقف وجاهل، وحاكم أو زاهد وإن كانت هجرتهم لا توازي في حجمها تلك الهجرات التي جاءت من بعد.

---

[1] -وذلك ما يظهر في قول المقري: "إعلم جعلني الله تعالى وإياك ممّن له للمذاهب الحق انتحال أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا مجال، ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب، الشديد المحال"، أنظر: نفح الطيب، 213/2.

[2] - لم يظهر استعمال مصطلح الجالية بمفهومه الحقيقي، إلا فيما بعد القرن 07 هـ /13 م، وظفه ابن خلدون ليفيد بأن عدد النازحين كان هاما ومرتفعا وظهر بشكل خاص بعد سقوط غرناطة سنة 1492 م، آخر معاقل المسلمين بالأندلس، للتفصيل عن تلك الهجرات راجع: -ابن خلدون، العبر، 385/6-386 -المقري، نفح الطيب، 525/4-526 -الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 34/2 -محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، (مجلة الأصالة، العدد 26، السنة الرابعة، 1975)، 49-51، -محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، 160، 173 -نصيرة عزرودي، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) حتى آخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف سحر السيد عبد العزيز سالم، (كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2007،) 126-130.

[3] -سحر السيد عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية والموريسكية، 251-250.

3-الانصهار والتمازج الاجتماعي بين أهل المغرب الأوسط والأندلسيين:

إن استقرار البربر جنبا إلى جنب مع الأندلسيين يطرح إشكالية ما إذا كان قد حصل تعايش بين الطرفين عن طريق التزاوج والمصاهرة، على الرغم من الاختلاف في الانتماء العرقي بينهما أم لا؟

أ-المصاهرة والزواج بين المغاربة والأندلسيين:

بناءًا على ما تشير إليه الأبحاث، فإنّ عملية الانصهار الاجتماعي بين الأندلسيين والمغاربة قد بدأت منذ وقت مبكرًا جدًا يعود إلى مرحلة الفتح، بحيث ترتب عن استقرار الوافدين من عرب وبربر تزاوج وانصهار مع السكان الأصليين الذين كانوا يعيشون في الأندلس قبل الفتح الإسلامي [1] ولقد تأثرت تلك العناصر البشرية المتنوعة في خصائصها العرقية والثقافية بالحضارة العربية الإسلامية حتى أصبح التاريخ ينعتهم باسم المستعربين "Les Mozarabes"[2]؛ هؤلاء الذين يشكلون أكثرية سكان الأندلس، فانصهروا طوعا في كيان الوافدين من عرب وأمازيغ، سيما وأن الكثير منهم جاءوا إلى الأندلس دون نساء، فاضطروا إلى الزواج من أهل البلد وامتزجت بذلك دماؤهم مع دماء أهل الأندلس[3]، وكانت خاتمة هذا اللقاء ميلاد نشأ جديد يعرف بالمولدين الذين أصبحوا يشكلون الفئة الغالبة في المجتمع الأندلسي.

وقد اكتسب هؤلاء الكثير من ملامح وعناصر الثقافة الإسبانية من أمهاتهم الإسبانيات فأصبح يدعوهم العرب باسم عجم الأندلس [4]، وكان أول من اتبع هذا الطريق في مصاهرة أهل البلاد هو والي الأندلس الأول عبد العزيز بن موسى بن نصير، ثم أعقبه القادة العرب والبربر إذ حذو

---

[1] -من تلك التركيبة السكانية نجد العناصر الإيبيرية "Les Ebères" التي هاجرت إلى الأندلس من شمال إفريقيا منذ زمن بعيد، بينما كان البعض الآخر ينتمي إلى العناصر السلتية "Les Celates" الوافدة من أوروبا إضافة إلى جماعات يهودية قديمة " Les Hébreux" والرومان "Les Romains" والقوط "Les Gothes"، وبعض العناصر الأوروبية الشمالية، التي تعرف باسم النورمان "Les Normandes" ثم الصقالبة "Les Slaves"، أنظر: المقري، نفح الطيب، 130/1 -لورد دورثي، اسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، (د ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1965)، 12 -عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (د ط، القاهرة: دار الفكر العربي، 1999)، 105 —موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، 116.

[2] -المستعربون: هم إسبان يعيشون بين المسلمين يتكلمون العربية، ويحتفظون بدينهم والحرية في إقامة شعائرهم، وقد عوملوا معاملة حسنة بحيث يعيشون بأحياء خاصة بهم، ولهم رئيس وقاض يفصل في منازعاتهم، منهم من برز ولعب دورًا في تاريخ الأندلس، أنظر: محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب خلال القرنين 16-17م، (ط3، الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، 1998)، 25 —موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، 115.

[3] -حسين مؤنس، فجر الأندلس، 396 -لطفي عبد البديع، الإسلام في إسبانيا، (د ط، المكتبة التاريخية، 1958)، 32

-Levi Provencal, l'Espagne Musulmane, Op, Cit, P 120.

[4] -المقري، نفح الطيب، 131/1 -إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، (د ط، بيروت: دار الثقافة، 1960)،11 —عبد الله حمادي، أندلسيات، (دط، قسنطينة: دار البعث، 2004)، 04.

حذوه وارتبطوا بعلاقات مصاهرة مع أهل البلاد [1]، واستمر هذا الوضع حتى على عهد الخلفاء الأمويين بالأندلس، إذ أن كثيرا منهم كان يجري في عروقه الدم الأيبيري من جهة الأمهات والجدات[2].

وإذا كان ذلك ما فعله الحكام، فما بالك بأصحاب البيوتات الأندلسية الأخرى من عرب وبربر والطبقة الوسطى منها، فإنّها في اعتقادي قد جرت على هذا النهج؛ وإن دل على شيء فإنما يدل على العلاقات الاجتماعية الحسنة التي سادت بين البربر وأهل البلاد، وقد استمر هذا التواصل والامتزاج الاجتماعي بينهما خلال القرون اللاحقة بما في ذلك القرنين 05-06هـ/11-12م، سواءا عند الخاصة أو العامة، وقد أكدّ هذا الأمر أحد الباحثين حين أشار إلى مسألة الزواج المختلط في الأندلس خلال القرن 05هـ/11م، وذكر أن المجموعات الإثنية المختلفة قد تعايشت فيما بينها مع محافظتها على شخصيتها، وفي عدد من الحالات كان يوجد تطابق ديني وثقافي وتربوي مع اختلاف في اللغة، وقدّم أمثلة عن ذلك منها أن أغلبية العامة في غرناطة كانت من أصل بربري[3] وما يدعم هذا الرأي أكثر هو تصفح كتب تراجم العلماء كنموذج لنعثر فيها على الكثير من الشخصيات التي تنسب إلى الأندلس علميًّا واجتماعيًّا، لكنها في أصولها من بربر المغرب الأوسط كأبو عبد الله الندرومي، وهو كومي ينسب إلى ندرومة وولد بقرطبة نحو سنة 580هـ/1184م ونشأ بها[4]، والحسن بن حجاج الهواري ت 598هـ/1201م المكنى بأبي علي، أصله من ناحية بجاية، وأهل بيته ينتمون في تجيب[5].

و لم يقف الأمر عند العامة بل تجاوزه حتى إلى الحكام إذ كانت لهم خلال هاته الفترة ميولات للزواج بالنساء الأندلسيات وإن كنّ من الإماء، باتخاذهن أمّ ولد وأنجبوا منهن، كما حدث مع

---

[1] -ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، 06 -ابن عبد الحليم، كتاب الأنساب، 46 -محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 87 -حسين مؤنس، فجر الأندلس، 251.

[2] -ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه، تحقيق محمد يوسف الشيخ محمد، وغريد يوسف الشيخ، (د ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2005)، 43.

[3] -محمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، 23 -وإلى مثل هذا الطرح ذهبت الباحثة سحر السيد عبد العزيز سالم في مقالها: الجوانب الإيجابية في الزواج المختلط في الأندلس، (ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، الرباط: كلية الآداب، 1995)، 75.

[4] -ابن أبي أصيبعة (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (ط 3، دار الثقافة، 1981)، 131/3-132.

[5] -ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 27/1 -ابن القاضي (أحمد ابن القاضي المكناسي)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، (د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973)، 180/1.

يوسف بن تاشفين الذي أنجب من فاض الحسن الجاريّة الروميّة الأندلسية الأمير المرابطي علي بن يوسف[1]، وقمر أم الخليفة الموحدي يوسف بن محمد الناصر[2]، وطيف أم ولد الأميرين الموحدين عبد الله وعبد العزيز أخوا الخليفة الرشيد[3]، خاصة وأن أميرين من الموحدين قد تزوجا من ابنتي ابن مردنيش[4] وهما أبو يعقوب وأبو يوسف يعقوب بن يوسف[5].

والظاهر أن اختيار البربر للزواج بالنساء الأندلسيات كان مرده للصفات اللاتي كُنّ يتحلين بها، ولعل أحسن من عبّر عن وصفهن ابن الخطيب حين قال في نساء غرناطة: "وحريمهم حريم جميل موصوف بالسحر وتنعم الجسوم واسترسال الشعور، ونقاء الثغور وطيب البشر وخفّة الحركات ونبل الكلام، وحسن المحاورة... "، وفي المقابل أيضا تزوج الأندلسيون من النساء المغربيات [6]، إذ من المؤكد أن الهجرة من الأندلس إلى المغرب الأوسط قد اكتسبت هي الأخرى بعدًا اجتماعيًا بما نتج عنها من تزاوج الأسر واختلاطها، وتكوين أسر امتزج فيها دم سلالات البربر والأندلسيين خاصة وأن الكثير منهم قد هاجروا إلى المغرب الأوسط من دون أن تكون لهم زوجات [7] وهناك نص من القرن 05هـ/11م يكشف عن حقيقة ذلك فقد شاع لدى الأندلسيين أن البربريات من أصلح النساء للتوليد واللّذة وأحسنهم للولد كما قد وردت بعض الإشارات التي تنبه إلى ممارسة الإماء بصفة عامّة لمهمة الرضاع، وهي مهمة خطيرة تساهم في اختلاط النسب والمصاهرة[8].

---

[1] -ابن عذارى، البيان المغرب، 101/4.

[2] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 177.

[3] -ابن عذارى، البيان المغرب، قسم الموحدين، 299.

[4] -ابن مردنيش: هو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد الجذامي، أصله من الثغر الأعلى ولد في قلعة بنشكله، من قلاع طرطوشة، ونستدل من اسم أسرته على أنّه إسباني الأصل مسيحي، وأن أبا جده اعتنق الإسلام، وليّ على شرق الأندلس وبلنسية ومرسية، واستمرت ولايته عليها إلى أن توفي سنة 568هـ/1172م، وكان قد دخل قبل وفاته تحت طاعة الموحدين، أنظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 146-147 -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 492/2 -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلامية، 259 -الإحاطة في أخبار غرناطة، 121/2 -المقري، نفح الطيب، 104/5.

[5] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 177.

[6] -ومثال ذلك راح جارية بربرية من سبي المغرب هي أم الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، أنظر: المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 29.

[7] -محمد التميمي الفاسي (أبو عبد الله بن عبد الكريم)، المستفاد في مناقب العبّاد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، (ط1، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، 2002)،180/1.

[8] -السقطي (أبو عبد الله)، آداب الحسبة،نشر جورج كولان وإليفي بروفنسال، (د ط، باريس: مكتبة ارنست لورو، 1931)، 49-50 -عبد الإله بن مليح، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، (د ط، الرباط: طبع مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، د ت)، 64.

لكن إذا نظرنا إلى واقع الحياة عند المغاربة والأندلسيين خاصة بمنظور الأعراف سنجد بأن الطابع الغالب في الزواج هو الذي يتم في إطار القرابة العائلية أو الانتماء القبلي، بحيث يتوجه أكثرية العامة والخاصة إلى الزواج من نساء قريبات لهنّ أو من نفس قبيلتهم، ويذهب أحد الباحثين إلى تعليل ذلك بالحفاظ على الميراث العائلي[1]، وهناك من النصوص ما يدعم هذا الرأي إذ تشير المصادر إلى أن الأمير عبد الله بن حماد الصنهاجي ابن صاحب القلعة قد تزوج بأمّ العلّو أخت المعزّ بن باديس [2] كما أشار الأمير عبد الله بن بلكين في مذكراته إلى أنّه كان عازمًا قبل نفيه إلى المغرب على تزويج بنتيه من ابني عمهما[3]، وتزوجت أم يوسف بن تاشفين من ابن عمّها، وكذلك أخت علي بن يوسف[4] وزوّج الخليفة أبو محمد عبد المؤمن ابنه أبي يعقوب يوسف بامرأة صنهاجية من أهل قلعة بني حماد اسمها "مريم" بعد أن أعتقها، وكانت قد سبيت هي وأمها فيمن سبوا من أهل القلعة [5] يضاف إلى هذا أن العديد من نوازل الفترة تضم قضايا طرحت في هذا المجال تؤكد حقيقة الوضع فهناك نازلة سئل فيها أحد فقهاء الأندلس ممن عاشوا خلال القرن 06 هـــ / 12 م، عن صداق امرأة مصمودية تزوجها مصمودي ببلاد الأندلس[6]، وأخرى عن زواج نساء من بربر المغرب برجال من بربر الأندلس[7] كل هذا يعكس ويؤكد شيوع فكرة الزواج داخل الإطار العائلي أو القبلي، وإن كان منتشرا أكثر لدى الطبقة الخاصة كالحكام[8]، وهو أمر عادي ووارد، لكنّا إذا حاولنا البحث والتقصي أكثر في الأسباب التي جعلت الزواج بين الأندلسيين والمغاربة يتم في إطار محتشم نوعا ما إن صح هذا التعبير فإن بعض الأدبيات المغربية والأندلسية تعطي صورة مقربة عن ذلك، بحيث تذهب إلى إظهار أنّ هناك نوعا من التباعد الاجتماعي بين البربر وأهل الأندلس، بل بينهم وبين أهل العدوة، وتنعت هذه العلاقة بنعوت الكراهية والنفرة والعداوة والبغضاء، وترجع وجودها إلى عصور

---

(1) -إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، "المجتمع —الذهنيات —الأولياء"، (ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993)، 25.

(2) -ابن عذارى، البيان المغرب، 1/272–273 -إسماعيل العربي، عواصم بني زيري، 146.

(3) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 139–140.

(4) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 1/413 —ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 136.

(5) -عبد الملك الأنصاري المراكشي (أبو عبد الله محمد بن محمد)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلّة، تحقيق إحسان عباس، (د ط بيروت: دار الثقافة، 1965)، سفر 8، القسم 06/1.

(6) -الونشريسي (أحمد بن يحي)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء، بإشراف الدكتور محمد حجي، (د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981)، 148/3.

(7) -الونشريسي، المعيار، 148/3 – Levi Provençal, Histoire de l'Espagne Musulmane, Paris, 1967, T III, P 186

(8) -إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، 25.

قديمة [1]، من ذلك ما نقله المقرّي عن بعض المؤرخين الأندلسيين قولهم: «لما كان البربر بالقرب منهم (يقصد من الأندلس)، وليس بينهم سوى تعدية البحر، ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة في الأوضاع ازدادوا منهم نفورًا، وأكثر تحذرّهم من نسب أو مجاورة، حتى ثبت ذلك في طبائعهم، وصار بعضه مركبا في غرائزهم، فلما علم البربر عداوة أهل الأندلس وبغضهم لهم أبغضوهم وحسدوهم، فلم تجد أندلسيًّا إلاّ مبغضًا بربريًا وبالعكس»[2].

بل حتى في أمثالهم ورد ذكر البربر والبربري، ويبدو أن استعمال الأندلسيين للكلمتين لم يخلو من معنى التحقير من ذلك قولهم: "البربري والفار لا تعلملهم باب دار"، "وأعطي للبربري شبر طلب ذراع أعطيه ذراع طلب مري فاش يتمتاع" [3] وهي تعبير عن ضيق الأندلسيين بالبربر ومطالبهم وأغلب الظن أنّها قد قيلت في أولئك الذين يفدون للأندلس برسم الغزو والجهاد [4]، و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتد حتى إلى الشعر[5].

ويبدو أن أهل المغرب كانوا يشعرون بذلك أيضا، فقد أشار الأمير عبد الله الزيري في كتابه مرارا إلى بغض أهل الأندلس للبربر [6]، وإذا تمعنا في هذا الوضع الذي تصوره تلك المصادر الأدبية والتاريخية، لوجدنا أن هناك من واقع المجتمع ما ينافيه والدليل ان العرب والبربر الفاتحين جمعتهم

---

[1] –من تلك الأدبيات نجد: رسالة الشقندي ورسالة أبي يحي بن المعلم الطنجي، ورسالة المفاخرة بين مالقة وسلا لابن الخطيب، ورسالة ابن أبي الخصال في توبيخ جند المرابطين، وكتاب مفاخر البربر، وقد سلك فيها الأندلسيون مسلكًا فيه كثير من التحامل ومجانبة الإنصاف، حملهم التعصب أن صوروا المغرب محروما من كل نعمة مادّية ومعنويّة، فقد كتب الشقندي مخاطبا ابن المعلم وهو يتحدث عن ابن دراج الأندلسي فيقول: «وهب أنّه يكون لكم مثله فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ»، وحتى حين تجادل معه في مجلس أحد الأمراء الموحدين قال الشقندي: «لولا الأندلس لم يذكر برّ العدوة ولا سارت عنه فضيلة، ولولا التوقر للمجلس لقلت ما تعلم، فقال الأمير الموحدي: أتريد أن تقول كون أهل برّنا عربًا وأهل بركم بربر، فقال: حاش لك، فقال الأمير: والله ما أردت غير هذا، فظهر في وجهه أنّه أراد ذلك»، لتفصيل أكثر أنظر: المقرّي، نفح الطيب، 3/540، 4/177، 205، 206 –إحسان عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 219.

[2] –المقرّي، نفح الطيب، 1/228 –ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/324.

[3] –محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، بحوث ونصوص، (د ط، مطبعة المناهل: منشورات وزارة الثقافة، 2006)، 1/ 245، 248 –وسوف نفصل الحديث عن الأمثال في الفصل الرابع من هذا البحث

[4] –المرجع نفسه، 248.

[5] –من ذلك ما نظم ضد المعزّ بن إسحاق البرزالي صاحب قرمونة، وباديس بن حبوس صاحب غرناطة والبربر التابعين لهم بأرض الأندلس، للمزيد من الإطلاع أنظر: ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله)، قلائد العقيان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، (د ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1990)، 88 –ابن صفوان (أبو بحر بن إدريس التجيبي المرسي)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر [أشعار الأندلسيين عصر الدولة الموحدية]، علّق عليه عبد القادر محناد، (د ط، بيروت: دار الرائد العربي للنشر، 1970)، 333 –ابن عذارى، البيان المغرب، 1/256 –المقري، نفح الطيب، 3/500.

[6] –عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 24.

علاقات اجتماعية طيبة بأهل الأندلس، وصلت إلى حد المصاهرة والزواج؛ مما يعني أن تلك المواصفات التي قدمتها المصادر لا يمكن تعميمها على كامل أفراد المجتمع الأندلسي مع الوافدين عليهم من المغاربة، وبرأيي فإن الوضع الحقيقي الذي أثرّ على مسألة المصاهرة وتراجع الزواج بين الطرفين وأدى إلى ظهور بعض التباعد والنفور هو ما حصل خلال القرن 05هـ/11م، وتحديدًا زمن الفتنة[1] حين اشتد الصراع بين الطرفين وجرّت تلك الفتنة ويلات عظيمة على البربر وأهل الأندلس على حد سواء، فخُربت فيها المنازل وأُزهقت الأرواح، وشُردت الأسر ورُملت النساء، وصار كل فرد أندلسي يتربص بآخر بربري، ويكّن له العداء الشديد، ولا يفوت الفرصة لإلحاق الأذى به لأنّه يرى في البربري سبب الخراب الذي لحق بالأندلس [2]؛ فأصبح سلوك العامة في الأندلس خلال هذه الفترة يبدوا كأنّه محرك ومنعش بالعصبية[3]، وقد صوّر ابن عذارى ذلك بقوله: «فالقرطبيّون إذا وجدوا بربريًا منفردًا أو في خلوة قتلوه غيلة [4]، والحذر ذاته ظهر من طرف البربر، حيث كانوا يخافون العامة في أسواق قرطبة حتى إذا صهل فرس على فرس قامت نفرة لتعصب العامة عليهم وبغضهم فيهم، وهم مع ذلك صابرون ينهون سفهاءهم وعبيدهم أن يمد أحد منهم يده إلى أندلسي»[5]، وحتى حين تمكن ابن عبد الجبار من دخول قرطبة خرج العامة إلى الزهراء مدينة البربر فنهبوا وقتلوا من وجدوه بها وكان نتيجة ذلك أن قُتل كل متشبه بالبربر وكل عدوي، ومن لم ير العدوة إسرافا وتحاملاً[6]، وفي الفتنة كان أكثر البربر يسكنون الرصافة فنُهبت دورهم ودور كثير لبني لبني زيري هناك[7]، و لم يسلم من هذه الفتنة حتى النساء وقد أشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله: «ودفع البربر المقيمين أثناء الفتنة بقرطبة الثمن، فقُتل منهم أعداد كثيرة، وكذلك النساء اللائي باعوهن في دار البنات» [8]، ممّا يعني أن فترة القرن 05هـ/11م، قد مثلت مرحلة توتر سياسي، واضطراب حقيقي في مسار العلاقات بين المغاربة والأندلسيين، وهو ما انعكست آثاره على الواقع

---

[1] -أنظر حول أحداث الفتنة البربرية، المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،40-52 -ابن عذارى، البيان المغرب،51/3-76

[2] -ابن حزم، طوق الحمامة، 132، 140.

[3] -أمحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، 16.

[4] -ابن عذارى، البيان المغرب، 92/3.

[5] -المصدر نفسه، 93/3.

[6] -المصدر نفسه، 97/3.

[7] -ابن عذارى، البيان المغرب، 75/3 -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب 32-51 -مؤلف مجهول، مفاخر البربر، 279، 280 -ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 112.

[8] -ابن عذارى، البيان المغرب، 81/3.

الاجتماعي فظهر على إثر ذلك العداء والنفور بين الجانبين، والواقع أننا إذا ما نظرنا إلى هذه المسألة بعين الإنصاف سنجد أن الشعور الإقليمي كان عند الأندلسيين أقوى منه لدى المغاربة، فهم كانوا يتجنون غالبا على أهل العدوة[1] ويتباهون عليهم بحضارتهم وعلمهم وأدبهم، وقد كشفوا عن عدم رغبتهم في المغاربة المقيمين بين ظهرانيهم حتى بعد توحيد البلدين في عهد المرابطين والموحدين، في حين أن المغرب كان أرحب صدرًا لاستقبال الأندلسيين سماحةً وحفاوة.

وفي هذا الصدد قدّم أحد الباحثين نموذجًا هو المجتمع الحمادي فقد كان على حد تعبيره: «مجتمعًا مفتوحًا يهضم في جسمه نماذج مختلفة الجنس والفكر، وأن الطبقات الاجتماعية في ظل النظام الذي تمتعت به الدولة قد أخذت تمتزج مع تنوع أجناسها من الغرب إلى الشرق ومن الشمال إلى الجنوب، وأن الحماديين قد نجحوا في فتح نوافذ الاتصال دون أن يفقدوا أنفسهم، وأرسوا سياسة التسامح والحرية أساسًا يقوم عليه البناء الاجتماعي، ولا شك أنّه بدون هذه السياسة ما كان يمكن أن تسير حياة مجتمع يضم بين جوانبه كل هذه العناصر بكل ما تضمه بين جوانبها من مطامح وتيارات»[2].

زيادة على ذلك فإن البربري في عمومه يمتاز من الناحية الخُلقية بحبه للحرية والديمقراطية ويأبى على الدوام الخضوع[3]، في حين يمتاز الأندلسي بصفات مغايرة من بينها التحفظ وعدم المخالطة لهذا أرجع أحد الباحثين تحفظ الأندلسيين وعدم مخالطتهم للبربر بزواج أو مصاهرة إلى عاداتهم وأعرافهم إذ أن من المعروف على الأندلسيين أنهم يحافظون على الارتباطات العائلية فيما بينهم والاستقلال عن الآخرين وعدم الاختلاط بالغير حتى يحافظوا على طابعهم المعيشي [4]، وذلك ما جعلهم يُحجمون عن الزواج خارج جماعتهم إذ أن المرأة الأندلسية نادرًا ما تتزوج من غير أندلسي إلاّ إذا اضطرتها الحاجة لذلك، وكانوا يرون أن الصلات بين النّاس تقوم على سوء الظنّ والحيطة والحذر[5]، ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلت المغاربة ينفرون من مصاهرتهم أيضا، يضاف

---

[1] -راجع الدراسة التي انجزها الأستاذ أمحمد بن عبود في كتابه جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ص 42-43، وأكّد فيها أن العنصر البربري كان أساسيا في الأندلس وغير المنفرد في الانحلال.

[2] -عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، 239.

[3] -إبراهيم أحمد العدوي، المجتمع المغربي، (ط1، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، 1970)، 15.

[4] -المقري، نفح الطيب، 228/1 -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (ط 3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998)، 237/1.

[5] -المقري، نفح الطيب، 223/1 -ناصر الدين سعيدوني، الجالية الأندلسية بالجزائر، (مقال بمجلة أوراق، مدريد، عدد 4، سنة 1981)، 121.

إليها أسباب أخرى تطرق إليها أحد الباحثين حين تناول طبائع الأندلسيين التي جعلت أهل المغرب ينفرون منهم قائلا: "يبدأ استقرار الأندلسي عاديًا لأنّه يكون في فترة دراسة للبيئة التي يعيش فيها وبالتالي الطرق التي تمكنه من البروز على الساحة الاجتماعية وعندما ينتهي من هذه الدراسة، يبدأ في العمل انطلاقا من محيطه الذي يعيش فيه، ولكنه يجد مواجهة عنيفة يضطر معها إلى البحث عن طريق توصله إلى القصر، ويصل بالفعل بفعل ملكته العلميّة والأدبيّة لكنه سرعان ما يجد الرغبة تعتريه من جديد للإستحوذ على كل شيء ممّا يثير غضب مواطنيه أولا وأهل البلد ثانيا" [1].

وبذلك نستنتج بأن الزواج والمصاهرة كان أمرا واقعا بين الأندلسيين وأهل المغرب عموما، إلا أنه كانت تتحكم فيه بعض الظروف، زيادة على اختلاف الطبائع، ومع ذلك لم تقف كحاجز عرقل مسألة الاتصال والتبادل الفكري والثقافي والحضاري، بل ساعدت المصاهرة على تقريب مظاهر الحياة الاجتماعية وصهرها بين أهل البلدين.

---

[1] -المقرّي، نفح الطيب، 152/3 -محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب، 292.

ب-الوضع الاجتمـــاعي للمغاربة والأندلسيين:

إن تعرفنا السابق على الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط، وما قابلها من انتقال أهل المغرب الأوسط واستقرارهم بالأندلس، يدفعنا إلى التساؤل والاستفسار كيف كانت الوضعية الاجتماعية التي ميّزت العناصر الأندلسيّة المستقرة ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 05-06هـــ/11-12م، والعكس بالنسبة لأهل المغرب الأوسط الذين استوطنوا الأندلس؟

إن معرفة ذلك تدفعنا إلى تتبع نمط الحياة لدى فئات مختلفة من المجتمع، ويبدوا هذا من الأمور الصعبة، خاصة وأن المصادر التاريخية لم تهتم كثيرا بالجانب الاجتماعي، و لم تولي عناية بالشرائح الفاعلة اجتماعيا[1]، ومع ذلك تشير مصادر أخرى ككتب الطبقات والتراجم والحسبة، إلى أن الوضع الاجتماعي تميز عموما بالطبقية، والتفاوت بين الأفراد سواء ببلاد المغرب أو الأندلس[2].

وكان التصنيف الاجتماعي يتم إما بناءا على ما يملكه الأفراد من ثروات داخل المجتمع أو ما ينتحلونه في معاشهم من صنائع وتجارة أو ما كانوا يتمتعون به من جاه وشرف[3].

واستنادًا إلى هاته الخصوصيات يمكن رصد الطبقات الاجتماعية على النحو التالي:

أولا: الخواص:

تتكون هذه الطبقة في الأصل من الأمراء والحكام وعشيرتهم وقادة الجند ورجال الدولة، وفقهاء السلطة والأعيان والكتّاب فضلاً عن بعض البيوتات الوجيهة المرتبطة بجهاز السلطة[4].

فبخصوص الأمراء فقد اهتم المؤرخون برصد أخبارهم وتتبع أحوالهم الاجتماعية، وما يلاحظ عليها هو تميّزها بالترف والتفنّن في المأكل والملبس، زيادة على الاهتمام بتشييد القصور

---

(1) -عن سكوت المصادر التاريخية في تناول دور الشرائح الفاعلة اجتماعيا، راجع ما كتبه الدكتور امحمد بن عبود في كتابه: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، فصل: العصبية والعلاقات الاجتماعية في الأندلس في عهد دول الطوائف، 14-22.

(2) -وظف عدد من الباحثين مصطلح "الطبقية" انطلاقا من النصوص الواردة في بعض الكتابات العربية الإسلامية في العصر الوسيط، فكان ممن استعملها ابن الحاج في نوازله، خاصة وأنّه قد عايش المجتمع المغربي والأندلسي ووقف عليه وعلى أحواله بحكم وظيفته كفقيه ومفتي للمرابطين، حيث كشف عن وجود تدرج طبقي حين قسّم الناس إلى ثلاث طبقات، الأغنياء، متوسطوا الحال، المقلّون -وكذلك القاضي عياض في فهرسته حيث حصرهم في طبقتين الخاصة والعامة، لتفصيل أكثر راجع: ابن الحاج (أبو عبد الله محمد التجيبي)، النوازل "كتاب الأحكام"، مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 55 ج، ص 90 -عياض بن موسى السبتي، فهرست شيوخ القاضي عياض المسمى: "الغنية"، تحقيق علي عمر، (ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2003)، 28.

(3) -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، أنظر: أسس التفاوت الطبقي وخصوصية الطبقة في المجتمع المرابطي، 120-130.

(4) -المرجع نفسه، 131.

والمنيّات من ذلك بنو زيري بغرناطة، فقد ذكر لسان الدين ابن الخطيب، يصف حالة باديس بن حبوس (428-465هـ/1036-1072م) بالعبارات التالية: «كان يبسًا طاغية جبارًا شجاعًا داهية حازمًا جلدًا شديد الأمر، سديد الرأي ... جماعة للمال، ضخمت به الدولة ونبهت الألقاب وأمنت لحمايته الرعايا، ضخم تحت جناح سيفه العمران واتسع بطاعته المرهبة النظر، وانفسخ الملك ... »[1] كما أن هناك إشارات في المصادر تبين أنه هو الذي مصّر غرناطة واختط قصبتها وشاد قصورها وبنى حصونها، وآثاره في مبانيها ومصانعها لا تزال باقية [2]، وكذلك الشأن مع باقي أفراد عائلته [3] ومثل هذا الوضع كان مع بني برزال بقرمونة[4].

وفي المقابل أيضا حظي بعض ملوك الطوائف المهجّرين إلى المغرب بحالة مشابهة كالواثق عز الدولة بن صمادح الذي نزل ببجاية، فأقطعه الملك الحمادي مدينة دلس وضواحيها، فأصبح ذا سيادة وحكم فيها[5].

ويمكن أن نقف على الجاه الذي تمتع به هؤلاء الحكام، خاصة في قصائد ومدائح الشعراء لهم الذين هبّوا إلى بلاطاتهم طلبا للعطايا، من ذلك ما قاله أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي ت 496هـ/1102م، في مدح بلكين بن حماد صاحب القلعة، وباديس بن حبوس صاحب غرناطة في عهد ملوك الطوائف[6].

كما مدح الشعراء الأندلسيون الحكام المرابطين والموحدين بالأندلس[7]، كأبي الحسن علي بن الفضل وهو من أعيان أريولة أنشد مأمون بني عبد المؤمن أول ما بويع في إشبيلية بالخلافة

---

[1] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 31-34 -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 450/1، -تاريخ إسبانية الإسلامية، 203 -ابن خلدون، العبر، 239/6.

[2] -إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، 129.

[3] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 154-159.

[4] -أنظر حول الجاه الذي تمتع به أمراء بنو برزال بقرمونة،ابن عذارى،البيان المغرب،311/3-312 -ابن خلدون، العبر، 73/4-74.

[5] -قد وصف الشاعر ابن اللبّانة الحالة التي كان عليها الواثق عز الدولة عندما قابله ببجاية، فقال: «كأن الله لم يخلقه إلا للملك والرياسة وإحياء الفضائل ونظرت إلى همته تنم من تحت خموله، كما ينم فرد السيف وكرمه من تحت صدئه»، أنظر: عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 167-168 -ابن الأبار، الحلّة السيراء، 89/2-90 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 201/2-202 - المقرّي، نفح الطيب، 368/3-369.

[6] -أنظر القصيدة عند ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 128/1-129.

[7] -الأعمى التطيلي (أبو جعفر بن عبد الله بن أبي هريرة)، ديوان الأعمى ومجموع موشحاته، تحقيق إحسان عباس، (د ط، بيروت: المكتبة الأندلسية للنشر والتوزيع، دار الثقافة، د ت)، 16، 100، 113 -ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح)، الديوان، تقديم كريم البستاني، (د ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1980)، 126، 130، 154، 214.

وصدرت عنه الكتب والكتائب إلى البلاد قصيدة مطلعها خدمتك السيوف والأقلام [(1)]، بل حتى أن تميزهم الاجتماعي ظهر في ميدان تنشئة وتعليم أبنائهم إذ جلبوا لهم المؤدبين لتدريسهم داخل القصور واختاروا لهم أحسنهم، فقد استأدب المنصور محمد بن أبي عامر لابنه عبد الرحمن، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الباغائي المقرئ ت 401هـ/1010م[(2)]، كما إستأدب أبو محمد عبد المؤمن بن علي أحد الخلفاء الموحدين لبنيه أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله من أهل المريّة 555هـ/1160م والذي سكن بجاية مدة[(3)].

وحتى أقرباء الحكام وعشيرتهم حازوا المناصب العليا وحظوا بالأموال [(4)]، ويلحق بالطبقة الخاصة أيضا قادة الجيش، إذ احتل هؤلاء مكانة سامية في الهرم الاجتماعي، ذلك لأن الحكام في مختلف مراحل حكمهم اهتموا بتنظيم الجيش لتحقيق مشاريعهم التوسعية، وظهر ذلك بشكل خاص في مرحلة التوحد السياسي بين المغرب والأندلس على العهدين المرابطي والموحدي [(5)]، ذلك أن الجيش على عهدهم صار يضم عناصر مغربية وأخرى أندلسية [(6)]، ويبدو أن الحكام أغدقوا عليهم العطايا ووسعوا لهم في الأرزاق، ونستشف ذلك من خلال ما أورده صاحب الحلل الموشية في معرض حديثه عن تاشفين بن علي، إذ ذكر أنه استكثر من الجند البربر بالأندلس، حيث قلّدهم الأسلحة وأوسع عليهم الأرزاق[(7)]، وهذا يوحي بأنه كانت تخصص لهم رواتب شهرية مقابل عملهم، زيادة على ما يمنح لهم من إقطاعات[(8)]، ما جعلهم يعيشون حياة رفاهية تميزهم عن عامة المجتمع.

يضاف إلى هذه الطبقة شريحة الكتّاب وبعض العلماء وأصحاب البيوتات الوجيهة، فبالنسبة للكتّاب فإن العديد من المصادر تؤكد على المكانة التي حظوا بها، خصوصا الكتّاب الذين تم

---

(1) –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2/286–287 –اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط 2، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1980)، 108 –ابن صفوان، زاد المسافر، 64، 109 –ابن الأبار، التكملة، 1/270 –ابن القطان، نظم الجمان، 210.

(2) –ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك)، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم، نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني، (ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994)، 1/87.

(3) –ابن الأبار، التكملة، 1/65 –المعجم في أصحاب الصدفي، 41 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 1/236–237.

(4) –إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، 136.

(5) –راجع بخصوص اهتمام الحكام بالجند عنصر: البربر في الأندلس عصر الطوائف المرابطين والموحدين، من هذا البحث.

(6) –المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 120، 190 –ابن عذارى، البيان المغرب، 4/94 –ابن أبي زرع، روض القرطاس، 139، 152 –الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 2/105.

(7) –مؤلف مجهول، 121.

(8) –عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب، 144–146.

استقدامهم من الأندلس إلى بلاد المغرب الأوسط [1]، لما كان يتمتع به هؤلاء من مهارات في هذا المجال إذ شملتهم رعاية الحكام وبلغوا مترلة عالية[2]، وقبل الاستطراد في ذكر أحوالهم الاجتماعية فمن فمن الضروري أن نعرض بعض الأسماء التي اشتهرت في ذلك من كتّاب الأندلس الذين كتبوا للأمراء والحكام ببلاد المغرب الأوسط نجد، أبو العباس أحمد بن أحمد البرشاني (ق 06هـ/12م) الذي كتب عن أحد ولاة المرابطين بتلمسان، كما كتب ليعقوب بن يوسف (580هـ/1184م)، ثم لابنه محمد الناصر، ويوسف المستنصر (595هـ-610هـ/1198م-1213م)، من بني عبد المؤمن[3]، وأبو بكر محمد بن أحمد من أعيان لقنت (كان حيا سنة 557هـ/1161م)، سكن تلمسان وكان مولعا بالكتابة فبرع فيها وكتب عن ولاتها[4]، وعبد الملك بن عياش القرطبي ت 568هـ/1172م، الذي نزل هو الآخر تلمسان مدة وكتب عن الأمير أبي حفص عبد المؤمن (524هـ/1129م)، كما كتب لأبي محمد عبد المؤمن، وأبي يعقوب بن عبد المؤمن وهو وال بإشبيلية وصفه ابن عبد الملك فقال: «كان أديبا كاتبا بليغا شاعرًا بارع الخط جميل الوراقة شب في صحبة الملوك بالكتابة عنهم، وارتسم في جملة خدامهم» [5] وغيرهم كثيرون[6]، بل وهناك من كتب قبل ذلك لوزراء بني زيري الصنهاجيين ببجاية كأحمد بن عبد الجليل ت 555هـ/1160م، من أهل المريّة الذي كان عالمًا بالعربية، واللغات والآداب، حتى أنّه وضع كتابًا لمحمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر سماه: «نظم القرطين وضم أشعار السقطين، كامل الثمالي ونوادر القالي»[7].

أما عن حالتهم الاجتماعية فيبدوا أن منصب الكتابة قد أتاح للعديد من الكتّاب أن يعيشوا حياة البذخ والترف، ويحصلوا على الجاه والثراء، كعبد الملك بن عياش (عاش خلال ق 06 هـ/12م)، ذكره صاحب الذيل والتكملة فقال: «نال دنيا عريضة وكانت له مترلة جليلة» [8]، كما كما كان أحمد بن محمد التجيبي (عاش خلال ق 06 هـ / 12 م)، نفاعا لأصحابه، وذوي معرفته

---

[1] -ج.ف.ب هوبكتر، النظم الإسلامية في المغرب، 46-47.

[2] -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 314/2 -ج.ف.ب هوبكتر، النظم الإسلامية، 50.

[3] -المصدر نفسه، 318/2.

[4] -المصدر نفسه، 274/2.

[5] -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 27/1.

[6] -أنظر تراجم كتّاب آخرين أندلسيين كتبوا لحكام المغرب الأوسط: ابن الأبار، التكملة، 119/1، -ابن سعيد، اختصار القدح المحلى، 145، -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 01، قسم 464/2.

[7] -ابن الأبار، التكملة، 65/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 236/1.

[8] -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 27/1.

بجاهه وماله، مغشي الجناب[1]، كتب للمستنصر أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، كما تولى قضاء تلمسان مدة، وسكن بعضهم منازل فخمة وملكوا الخدم[2]، ونظرا لمكانتهم الاجتماعية تلك فقد رغب الكثيرون في التقرب إليهم، وإقامة روابط وعلاقات اجتماعية معهم خاصة عن طريق المصاهرة[3]، بل وحافظ عدد منهم على مكانته تلك حتى بعد وفاته، إذ تشير المصادر إلى أن جنائز بعضهم كانت مشهورة وحضرها الأمراء وذوو الجاه والسلطة[4].

وإن كانت هاته هي الحالة الاجتماعية للكتاب الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط، فإن حال نظرائهم من كتّاب المغرب الأوسط بالأندلس لا تبدوا واضحة في المصادر، ومن المحتمل أن تكون أوضاعهم الاجتماعية أقل شأنًا خاصة وأن توظيف العنصر البربري في الوظائف السامية بالأندلس والمتعلقة بشؤون الدولة خلال هاته الفترة كان يعدّ من الأمور النادرة، ولا توجد منه إلا حالات قليلة[5]، من ذلك أبو عبد الله محمد بن حسان الشهير "بابن الميلي" ت 590هـ/1193م، الذي كان يعمل كاتبًا عند أحد أعيان الأندلس[6]، وكذلك مروان ابن عمار بن يحي البجائي ت 610هـ/1213م، كان من الأدباء النبهاء مشاركا في أبواب من العلم حسن الخط جيد الضبط، دخل بلنسية كاتبا لبعض الأمراء بها حيث أتيحت له الفرصة بتوليه الكتابة لأنّ يقيم علاقات صداقة مع غيره من أهل الأندلس، ويظهر ذلك فيما ذكره ابن الأبار نقلا عن أحد أصحابه الأندلسيين وهو يصف علاقته به[7]، وباستثناء هاتين الشخصيتين لم أعثر على نماذج أخرى بناءًا على المصادر التي

---

(1) -ابن الأبار، التكملة، 119/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 464/2.

(2) -الفتح بن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، (د ط، مصر: مطبعة السعادة، 1907)، 217، 247 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 464/2 -المقرّي، نفح الطيب، 232/3.

(3) -أنظر مثال ذلك مصاهرة أحد أعيان الأندلس، لعبد الملك بن عياش في الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 27/1.

(4) -ذكر عبد الملك في الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 28/1-30، أن وفاة الكاتب ابن عياش السابق الذكر كانت باشبيلية ليلة الأربعاء غرة جمادي الآخرة سنة 568هـ/1172م، وأنّه صلى عليه أمير المؤمنين أبي يعقوب بن عبد المؤمن، وأن جنازته كانت مشهورة.

(5) -عن إبعاد العنصر البربري من وظائف السلطة في الأندلس أنظر: ما ذكره ابن عبدون في رسالة القضاء، 247، من ذلك قوله على أعوان القضاة: «ويجب للقاضي ألا يكون معه من الأعوان في مثل اشبيلية إلاّ عشرة عددًا يكون منهم أربعة سودان برابر، والباقي أندلسية فهم أوثق وأخوف ... »، الرسالة منشورة:

- Un Document Sur Avie Virbaine Et Les Corps De Métiers A Séville Au Début Du XII^{e} Siècle «Le Traité D'ibn, Abdun » Par Elevi-Provençal, Extrait Au Journal Asiatique Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1934.

(6) -ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحي)، التشوّف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، (ط2، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1997)، 622.

(7) -ابن الأبار، التكملة، 698/2-699.

كانت في المتناول ممّا يعني أن البربر قد استعبدوا تمامًا عن خطة الكتابة بالأندلس وأن مكانتهم الاجتماعية كانت أقل شأنا من الكتّاب الأندلسيين بسبب ذلك.

ويلحق بهذه الطبقة أيضا شريحة العلماء من فقهاء ومحدثين، خاصة ممن ارتبطوا بجهاز السلطة فقد كانت لهم مكانة متميّزة[1]، إذ تشير النصوص إلى ما حظي به هؤلاء من جاه وثراء جعل الكثيرين منهم يتصدرون سلم الهرم الاجتماعي [2]، ويبدو أن هذا الوضع كان عامًا سواء بالنسبة لعلماء الأندلس ببلاد المغرب الأوسط أو العكس، ويمكن أن نستدل على ذلك بذكر روايات تبيّن سعة العيش والرفاهية التي لحقتهم كمحمد بن عبد الرحمن ت 434 ه / 1038 م، من أهل قرطبة ودخل الجزائر، كان في الفقه إماما ومن بيت رياسة وجلالة في الدنيا وتصرف مع السلاطين [3] وكذلك نال الفقيه الأندلسي عبد الله بن محمد الهمداني ت 557 ه / 1161 م، والذي سكن وهران بخدمة السلطان دنيا عريضة[4]، ومثلهما المحدث أحمد بن عبد الصمد القرطبي تـ 582هـ/ 1186م الذي سكن بجاية وكان مشهورًا بالحفظ للحديث وتعلق بالرئاسة، ونال حظوة وجاها[5].

كما تمتع علماء المغرب الأوسط بنفس تلك المكانة في الأندلس، فقد نال الفقيه حجاج بن يوسف الهواري البجائي ت 572 ه / 1176 م، الذي سكن تجيب دنيا عريضة، وأورث عقبه نباهة[6]، كما كان الفقيه المحدّث ميمون بن جبارة التلمساني ت 584 ه /1188 م، ممن سكنوا بلنسية وافر الجاه عظيم الحرمة[7]، وكذلك الشأن مع عبد الله بن أحمد البجائي ت 620 ه / 1223 م الذي ولّي القضاء ببلنسية مدة، كان وجيها نبيها صاحب ثروة [8]، والظاهر أن هذه الثروات التي

---

(1) -يظهر مثال ذلك من خلال المكانة المتميّزة التي حصلها الفقهاء على العهد المرابطي، إذ يكفي أن يوسف بن تاشفين كان لا يقضي في مسألة إلا بحضور أربع فقهاء، كما أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه، أنظر حول ذلك: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 125/7 – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 137.

(2) -راجع حول ذلك نوازل ابن سهل، المنشورة ضمن سلسلة:

- Les NAWAZIL D'Ibn Sahl. Section relative al'ihtisab, première partie introduction et texte arabe avec une présentation de M. Claude Cahen, Hespéris tamuda, université Mohammed V. Faculté des lettre et des sciences humaines, vol XIV, Editions techniques Nord-Africaines, rabat, 1973, p 26-28.

(3) -الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، (ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997)، 86.

(4) -ابن الأبار، التكملة، 917/2.

(5) -المصدر نفسه، 85/1 —عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 239/1.

(6) -ابن الآبار، التكملة، 279/1.

(7) -المصدر نفسه، 719/2.

(8) -المصدر نفسه، 932/2 —ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 106/1.

اكتسبوها إلى جانب الجاه، قد أعطتهم مركزا قلّ نظيره عند غيرهم، حتى أن منهم من كان يحظى بتقدير العامة، مثال ذلك موسى بن حماد الصنهاجي البجائي ت 535 ه / 1139 م، حيث تذكر إحدى الروايات أنه لما كان في طريقه من غرناطة نحو مراكش لإقامة صلاة الاستسقاء، رافقه الخاصة والعامة إلى أن وصلوا معه إلى مالقة والجزيرة الخضراء وودّوا ألا يفارقوه[1]، وكذلك المحدّث محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي ت 625 ه / 1128 م، قاضي تلمسان كان معظّما ببلاده وبالأندلس عند الخاصة والعامة[2].

كما وأن تتبع النصوص يسمح بمعرفة المكانة التي حصلوها، حيث نال بعضهم مناصب إدارية عليا، كحسين بن محمد بن سلمون المسيلي ت 431 ه / 1039 م، الذي ولاّه سلميان بن الحكم الشورى بقرطبة[3]، كما تولى محمد بن إبراهيم البجائي ت 612 ه / 1215 م قضاء مرسية[4].

وقد حظي بعض علماء الأندلس بمثل ذلك في المغرب الأوسط كحال أحمد بن عبد الرحمن القرطبي ت 592 ه / 1195 م، الذي وليّ قضاء بجاية على عهد يعقوب بن عبد المؤمن[5]، وأيضا أحمد أحمد بن عتيق البلنسي ت 601 ه / 1204 م، الذي سكن تلمسان نال عند المنصور من بني عبد المؤمن وابنه الناصر جاها، حيث استخلصه المنصور وبسط أمله، و لم تزل مكانته تترقى حتى بلغ الغاية، و لم يزل إحسانه متواليا عليه حتى أثرت حاله وتأثل اموالا جمة، وقدمه المنصور للشورى والفتوى في القضايا الشرعية، فكانت الفتوى في النوازل والأحكام تصدر عنه[6].

هذا وإنّ أكثرهم قد عاشوا حياة الترف، وسكنوا الدور الفخمة وتأنقوا في المأكل والملبس والتنزه، وملكوا الخدم[7].

ولتبقى مكانتهم متميّزة في المجتمع حتى بعد وفاقم، فقد خصصت لبعضهم أماكن خاصة لدفنهم، وحضرت مراسيم تشيّيع جنازقم شخصيات بارزة [8]، وبذلك يتضح أن العلماء وبخاصة

---

(1) -ابن الزبير، صلة الصلة، 525.

(2) -ابن الآبار، التكملة، 623/2 -الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي)، برنامج شيوخ، تحقيق إبراهيم شبوح، (د ط، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي لإحياء التراث القديم، 1962)، 170-171.

(3) -ابن بشكوال، الصلة، 145/1 -ابن الآبار، التكملة، 272/1.

(4) -ابن الآبار، التكملة، 684/2-685.

(5) -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 217/1- 223.

(6) -المصدر نفسه، سفر 1، قسم 280/1-281.

(7) -ابن الآبار، التكملة، 419/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 240/1 -سفر 1، قسم 464/2.

(8) -كالفقيه حسين بن محمد بن سلمون المسيلي تـ 431هـ/1039م بقرطبة، والذي دفن خصيصًا بمقبرة العباس، وصلى عليه القاضي أبو بكر ابن ذكوان، أنظر: ابن بشكوال، الصلة، 145/1.

منهم الفقهاء والمحدثين كانوا قد شكلوا فئة اجتماعية لها وزنها، وعاش أكثريتهم حياة الرخاء والترف.

ولا يمكن الحديث عن الطبقة الخاصة من دون التطرق إلى فئة العائلات الوجيهة التي تتمثل في عدد من البيوتات ممن توارث أفرادها مكانة عن أسلافهم، والذين كان لهم دور بارز في تاريخ المغرب والأندلس، وتزخر كتب الطبقات والتراجم والسير بذكر تلك البيوتات[1]، كما أشادت بالمكانة التي اكتسبتها بفضل أموالها من التجارة أو درجتها العلمية، أو بسبب الوظائف الساميّة التي تقلدها أفرادها في جهاز الدولة، وقد تجتمع معظم هذه المواصفات في بعض البيوتات [2]، ومع ذلك فإن الذي يهم منها هو البيوتات الأندلسية التي استقرت ببلاد المغرب الأوسط ونظيرتها بالأندلس خلال القرنين 05-06هـ/11-12م، ومع أنّها قليلة في هاته الفترة ولا تكاد تذكر إلا أنّه لابد من الوقوف عندها خاصة وأنّه قد اشتهر منها بيت أندلسي بالمغرب الأوسط منذ أيام العبيديين وهو بيت بني حمدون بالمسيلة، فقد كان لهذا الأخير ولأبيه وأخيه جعفر رئاسة معروفة ونباهة، بل أن علي بن حمدون هو الذي بني المسيلة من بلاد الزاب الأكبر وسكنها ابنه جعفر فعظم شأنه، واستمر نفوذ هاته الأسرة على عهد بني حماد الصنهاجيين، حيث خدموا البلاط الحاكم ببجاية، واشتهر منهم محمد بن علي بن حمدون وزير بني الناصر [3]، وباستثناء هاته الأسرة التي حظيت بمكانة رفيعة لدى السلطة بالمغرب الأوسط، وتمتع أفرادها بنفوذ سياسي، لا نجد ذكر أسماء أسر أخرى ولا حتى القرن 06هـ/12م، ولعلّ مردّ ذلك راجع كما سبق وأشرنا إلى أن الطابع الغالب على الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط في هاته الفترة هو الهجرات الفردية، ولعل هناك أسرًا قد انتقلت لكن المصادر أهملتها إمّا لأنّها من ضمن العامة فلم يكن لها دور بارز يذكر، أو أن أفرادها لم يبلغوا درجةً من العلم أو الولاية أو الثروة.

---

[1] -من البيوتات الوجيهة التي اشتهرت وذاع صيتها بالمغرب والأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة نجد: بيت بني الأزدي -بني الملجوم -بني الأوروبي بفاس -بيت بني التجيبي بمرسيّة وبني خزر بغرناطة -بني حمدين بقرطبة وبني الفرج ببلسنية، لتفصيل أكثر عنها أنظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 464- 466 -ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، (ط2، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982)، 134- 135 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 162/1 -ابن الأحمر، بيوتات فاس الكبرا، 9، 10، 37، 42.

[2] -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 229/1.

[3] -لتفصيل أكثر حول هذا البيت راجع: الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر، 123 -ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، 33-34 -ابن عذارى، البيان المغرب، 242/2 -ابن الآبار، الحلّة السّيراء، 305/1-306 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 01، قسم 236/1 -محمد اليعلاوي، بلاط بني حمدون بالمسيلة، مجلة الأصالة، 49.

وأمّا عن البيوتات النبيهة من المغرب الأوسط والتي ذاع صيتها بالأندلس فنجد بيت بني الطبني في قرطبة، وبيت بني برزال في قرمونة، وبني زيري الصنهاجيون بغرناطة خلال القرن 05هـ/11م، وبيت بني سمجون التلمساني، وبني حجاج الهواري البجائي، وبيت بني إبراهيم الداني في القرن 06هـ/12م، ولقد اشتهرت هاته البيوتات بعلمها وثروتها ورياستها، فبيت بني الطبني على حسب ما جاء في وصف المصادر لهم: «بيت أدب وشعر وجلالة ورياسة»[1].

أول من دخل منهم الأندلس كان أبو مضر أحمد بن محمد بن حسين التميمي الطبني ت 394هـ/1003م، الذي قدم قرطبة سنة 331هـ/942م، قال عنه ابن بسام: «أول من بني بيت شرفهم، ورفع بالأندلس صوته بنباهة سلفهم كان شاعرًا عالمًا بأخبار العرب وأنسابهم»[2]، وله أولاد نجباء مبرزون في الأدب والفضل[3] منهم: زيادة الله ت 415هـ/1024م، الذي كان من أهل العلم بالآداب واللّغات[4] وله هو الآخر أبناء بزغ نجمهم في سماء الأدب والشعر منهم: عبد الرحمن بن زيادة الله ت 401هـ/1010م[5]، وعبد العزيز بن زيادة ت 436هـ/1044م[6]، وابنه أبو الحسن بن عبد العزيز الذي قيل بأنّه من أشعر بني الطبني[7]، وأبو مروان عبد الملك بن زيادة الله ت 457هـ/1064م، قال عنه ابن بسام: أحد حماة سرح الكلام، وحملت ألوية الأقلام من أهل الحديث والأدب إمام في اللغة وشاعر[8]، و لم يختلف عنهم أبناء عمومتهم في ذلك[9].

أما بيت يوسف بن حجاج بن يوسف الهواري ت 572هـ/1176م، والذي ينحدر في أصوله من المغرب الأوسط وتحديدا من بجاية فقد اختص أفراده بالفقه والحديث والأدب، وقال ابن

---

(1) -لقد صنف ابن سعيد بيت بني الطبني في مؤلفه: "المغرب في حلى المغرب" ضمن كتاب: الياقوت في حلى ذوي البيوت، 206/1-207 -وذكر ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة، 119/1-120: أن نسبهم من بني سعد بن زيد مناه بن تميم الطبني، وطبنة من بلاد الزاب، وقال: «هم أهل البيت الشهير بقرطبة» -الضبي، بغية الملتمس، 58.

(2) -ابن بشكوال، الصلة، 562/2 -ابن بسام، الذخيرة، قسم 01، مجلد 52/2.

(3) -الحميدي (أبو عبد الله محمد)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، (د ط، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989)، 47 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 207/1.

(4) -ابن بشكوال، الصلة، 190/1.

(5) -المصدر نفسه، 297/2-298.

(6) -المصدر نفسه، 352/1.

(7) -ابن بسام، الذخيرة، قسم 1، مجلد 64/2.

(8) -ابن بشكوال، الصلة، 345/1 -ابن بسام، الذخيرة، قسم1، مجلد 52/2 -الضبي، بغية الملتمس، 330 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 92/1-93.

(9) -الحميدي، جذوة المقتبس، 149 -ابن بشكوال، الصلة، 90/1 -الضبي، بغية الملتمس، 193.

الآبار عن يوسف أنّه: «كان من أهل العلم والأدب فصيحًا مفوهًا مدركًا، نال دنيا عريضة، وأورث عقبه نباهة»[1]، ونظرًا للمكانة العلميّة التي تمتعت بها هاته الأسر، فقد حظيت بالتوقير والاحترام من جانب السلطة وذلك انطلاقا من الوظائف التي تقلدوها [2] في حين تمكنت بيوتات أخرى من اعتلاء وتقلد زمام السلطة بالأندلس كبيت بني زيري الذين استقلوا بحكم غرناطة وأسسوا مملكة امتدت من 403هـ إلى 483هـ/1012-1090م، وتعاقب على حكمها أبناء الأسرة[3]، كما سبق وأشرنا لذلك لذلك عند حديثنا عن البربر في الأندلس عصر الطوائف والمرابطين والموحدين من هذا الفصل.

والأمر ذاته كان مع بيت بني برزال الذين استفردوا بحكم وإدارة إقليم قرمونة، أين أسسوا إمارة بربرية هناك في الفترة ما بين 404هـ-459هـ/1013م-1067م[4]، ويبدو أن هاته البيوتات قد احتلت مكانة اجتماعية متميّزة بالأندلس وأن أصحابها عاشوا حياة الدعة والترف وسكنوا الدور الفخمة[5] مما يجعلنا نخمّن بأنها كانت شبيهة بدور الأرستقراطية الأندلسية التي يُسخّر العبيد للخدمة داخلها، حيث يصف المقري بأنها كانت تشكل معالم عمرانية تتميز بشساعة مساحتها واحتوائها على حجرات كبيرة مع التفنن في تزيينها [6] كما خصصت للأعيان منهم مقابر خاصة [7] ورثاهم الشعراء[8].

---

[1] -ابن الآبار، التكملة، 279/1 -تحفة القادم، تعليق إحسان عباس، (د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986)، 126.

[2] -يوسف بن حجاج الهواري الذي وليّ الخطبة وقضاء الجماعة باشبيلية، ثم تولاها من بعده ابنه أبا علي الحسن بن يوسف ت 580هـ/1184م، كما عيّن إبراهيم الداني الطبيب البجائي كأمين لبيمارستان الحضرة وكذلك ولداه من بعده، لتفصيل أكثر أنظر: ابن الفرضي، تاريخ العلماء والرواة، 119/2-120 -ابن بشكوال، الصلة، 562/2 -ابن بسام، الذخيرة، قسم 1، مجلد 53/2 - الضبي، بغية الملتمس، 58 -ابن الآبار، التكملة، 279/1 -ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، 128/3.

[3] -أنظر حول تاريخ دخول هذا البيت الأندلس، واستقراره وتكوينه لمملكة مستقلة وتعاقب أفراده على حكمها، عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 18-34 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 106/2-108 -ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا، 229- 230 -ابن خلدون، العبر، 200/4 -المقري، نفح الطيب، 435/1 -مريم قاسم الطويل، مملكة غرناطة في عهد بني زيري، 75-104.

[4] -عن بني برزال أنظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، 182-192 -ابن عذارى، البيان، 267/3-311 -ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، 236-237 -حمدي عبد المنعم، دراسات في التاريخ الأندلسي دولة برزال في قرمونة، 19-88.

[5] -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 92/1، 206-207 -للمزيد عن باقي الأسر أنظر: الضبي، بغية الملتمس، 193.

[6] -كما يضيف: تحيط بها حدائق تتخللها ممّرات تتفاوت من منزل لآخر، وبها نافورات وبرك، وتنتشر فيها الأزهار والأشجار على اختلاف أنواعها، أنظر: نفح الطيب، 214/3، 220 -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، (د ط، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1985)، 40-41.

[7] -ابن الفرضي، تاريخ العلماء، 120/2 -الضبي، بغية الملتمس، 58 -الآبار، التكملة، 279/1.

[8] -ابن الآبار، تحفة القادم، 125= أنظر عن ذلك رثاء الشاعر ابن نصير في الخطيب أبي علي الحسن حجاج الهواري السابق الذكر.

زيادة على أن تلك المكانة الاجتماعية فسحت المجال أمام أفراد تلك الأسر لإقامة روابط وعلاقات صداقة وديّة جمعت بينهم وبين نظرائهم من أرباب البيوتات وأعيان الأندلس، وكانت في ذات الوقت سببًا في نقمة البعض عليهم بغضا وحسدًا فيما حصلوه [1]، وبهذا يتضح أن بعض الأسر التي تعود أصولها إلى بلاد المغرب الأوسط قد استطاعت أن تُحصّل مكانة اجتماعية متميّزة بالأندلس ونفوذًا يعادل ويوازي نظيراتها من الأسر الأندلسية خلال القرنين 05-06هـ/11-12م.

كما يضاف إلى الطبقة الخاصة أيضا أطباء وشعراء السلطة الذين خدموا، وتعلقوا بها، رغم أن المصادر تسكت عن ذكر وضعيتهم الاجتماعية، إلاّ أنها أشارت إلى أسماء الذين ارتبطوا منهم ببلاط الحكام كأبي جعفر الذهبي ت 601هـ/1204م بتلمسان، والذي كان فاضلاً عالمًا بصناعة الطب جيّد المعرفة لها حسن التأني في أعمالها خدم المنصور بالطب وكذلك خدم بعده للناصر ولده[2]، والشاعر أبي الحسن علي بن الفضل ت 627هـ/1229م، من أعيان أريولة، كان يجيد الشعر الشعر والغناء، ومدح بني عبد المؤمن باشبيلية، وقد أشار ابن سعيد إلى جاهه وثرائه حيث قال: «وحسبك أنّه له لم يكد يخلو من وجه جميل وكأس وخليل، ومحاضرات أشهى من بلوغ الآمال وأحلى»[3].

---

[1] -فقد كان محمد بن يحي الطبني يصاحب أبا عامر ابن شهيد والوزير أبي محمد علي بن أحمد بن حزم ونظم لهما أشعارًا يعبر فيها عن صدق مشاعره، ورغبته في لقائهما من ذلك ما أنشده لابن شهيد قوله:

لا يبعد الله من غاب عن بصري ولم يغب عن صميم القلب والفكر

أشتاقه كإشتياق العين نومتَهــا بعد الهجود وجدب الأرض للمطر

وعاتبوني على بذل الفؤاد لــه ومــا دروا أنني أعطيتــه عمــري

لتفصيل في ذلك راجع، ابن بشكوال، الصلة، 97/1 -الضبي، بغية الملتمس، 193 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 92/1 - المقري، نفح الطيب، 610/3-611.

-وأما عن نقمة بعضهم فنجد أبيات الهجاء التي نظمها الشريف الأعمى المخزومي حينما بلغه أن الفقيه الطبني ينعي عليه شرب الخمر فقال:

طبنيكم هذا الفقيه محقّــق باق على عهد الصديق مقيم

شهدت عليه باللواط جماعة والله يعلــم أنّــه مظلــوم

ســاء الفقيه بأنني متخلّع ويســرني أن الفقيــه قظيم

أنظر: ابن صفوان، زاد المسافر، 118.

[2] -ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 132/3.

[3] -المغرب في حلى المغرب، 286/2، 287.

وبذلك نستنتج أن شرائح اجتماعية وفئات عدة استفادت من أوضاع ميزها الترف وحياة الرفاهية لاقترابها من السلطة الحاكمة سواء ببلاد المغرب الأوسط أو بلاد الأندلس، وقد شكلت أقلية مقارنة مع الطبقة التالية وهي طبقة العامة التي تمثل الأغلبية، وتضم شرائح ظروفها تختلف عن ظروف طبقة الخواص.

ثـــانيا: طبقـــة العـــوام:

لقد شملت هذه الطبقة السواد الأعظم من الرعيّة حيث ضمت عدة شرائح من مزارعين ورعاة، وأصحاب المهن والحرف، وأهل العلم والزهاد، والعبيد[1]، ويبدوا أن المصادر قد أهملت إبراز دور العوام في بناء المجتمع ببلاد المغرب والأندلس [2] خاصة وأنّ ما ميز هذه الطبقة هو مستوى عيشها المتدني والفقر وسوء أوضاعها، كما أن دخل أفرادها كان محدودا[3].

فبالنسبة للزراعة والرعي فقد كانت من أبرز أنشطة البربر في الأندلس، إذ أن أكثرهم كانوا يشتغلون بتربية المواشي من أنعام وأبقار، زيادة على الزراعة، كزراعة الحنطة والشعير والقطن لاشتهارهم بذلك في أوطانهم، كقبائل بني برزال التي كانت تنتجع قبل انتقالهم للأندلس نواحي مسيلة ومقرة بالمغرب الأوسط، حيث كانت هاته الحرف مصدر عيشهم[4]، أمّا عن نشاط النسوّة فيستدل من خلال ما ورد في كتب الحسبة أنّهن كنّ يقمن بغزل النسيج وصنع الكتّان، وبعضهن كن يجتمعن في موضع لبيع ما يغزلنه، وقد منعهن المحتسبون من الجلوس لبيعه في الحوانيت إتقاء الفتنة إضافة إلى اهتمامهن بخبز الطعام وإرساله للفرن ثم بيعه[5].

أما عن أصحاب الحرف البسيطة، فتشير مصادر الحقبة إلى وجود الحدادين والخياطين والنجارين، والصباغين، وصانعي السكاكين وأغمدة السيوف، وغيرهم من المهتمين بذلك، حيث كانت هاته الحرف توفر للعديدين المعاش الضروري للحياة، فقد مارسها عدد من عامة المغرب

(1) -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، 170.

(2) -لقد طرح العديد من الباحثين إشكالية إهمال المصادر لدور العامة في المجتمع أنظر على سبيل المثال: امحمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، 19-23 -إبراهيم القادري بوتشيش، الإسلام السرّي في المغرب العربي، (ط1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995)، 203-226.

(3) -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة، 170.

(4) -ابن حوقل، صورة الأرض، 85 -ابن عذارى، البيان المغرب، 82/3 -ابن الأحمر، بيوتات فاس، 24-25 -عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، 85.

(5) -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي، (ط 1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، د ت)، 69.

الأوسط بالأندلس، كما مارسها أيضا عدد من عامة الأندلس بالمغرب الأوسط [1]، ومما يجدر ذكره هو أن الكثير من العلماء والفقهاء ممّن لم يتولوا الخطط والمناصب، واهتموا بالتدريس ونشر العلم بين الناس مجانا، و لم يأخذوا درهما مقابل ذلك ظلّ دخلهم قليلا جعلهم في زمرة العامة، و لم يتوانى بعضهم عن ممارسة مثل تلك الصنائع للتكسب، وتكشف كتب الطبقات والتراجم عنهم حيث تربط بين أسماء الأشخاص والحرف التي زاولوها، ومن نماذج ذلك أحمد بن الفتح الميلي (ق 05هـ—11م) والذي سكن الثغر بقرطبة وكان يعرف بالخيّاط، مع أنّه كان فقيها عالمًا بالمسائل حسن التكلم في الفقه[2]، وكذلك الحال مع عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني ت 411هـــ/1020م الذي استقر ببجانة عُرف هناك بابن الخرّاز، فقد كان معاشه من ثياب يبتاعها ببجانة ويقصرها، ثم يحملها إلى قرطبة فتباع له، ويبتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة، وكان في أثناء ذلك يجلب معه كتبه فتقرأ عليه خلال تنقله[3]، ومثل هذا الوضع الاجتماعي عاشه بعض علماء الأندلس ببلاد المغرب الأوسط، فمحمد بن أحمد بن طاهر الإشبيلي 583هـــ/1187م الذي سكن بجاية، كان محترفا بالتجارة والخياطة، مع أنّه كان رئيس النحويين بالمغرب في زمانه بلا مدافعة[4]، وأبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي ت ق 06 ه / 12 م، الذي كان يدرّس القرآن للصبية بتلمسان احتسابا ودون أجرة، كان يعتاش من احتطاب العزف، يصنع منها حصرا للصلاة ثم يبيعها ويشتري ما يقتات منه[5]، وكذلك الحال مع عبد الله بن إبراهيم البلنسي ت 611هـــ/1214م الذي سكن بجاية مدة، كانت له ببلده دكان بالقيسارية يقعد فيه للتجارة[6].

ويستشف من النصوص أن وضعية هؤلاء لم تكن على أحسن حال، إذ عجز بعضهم حتى عن كراء الحوانيت لمزاولة حرفهم كما رأينا مع عبد الله الوهراني[7]، بل أن وضعية بعض المدرسين كانت تزداد سوءًا خاصة إبّان الفتن ممّا يضطرهم إلى التنقل من مدينة إلى أخرى فرارًا من ذلك وهو

---

[1] -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 190-191 —كمال صادقي، الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط، 43، 60، 70، 110 – عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط "دراسة سياسية عمرانية ثقافية"، (د ط، دار البعث، 2002)، 48.

[2] -ابن بشكوال، الصلة، 287/1.

[3] -المصدر نفسه، 305/1-306.

[4] -ابن الآبار، التكملة، 532/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 649/2 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 271/1 – القفطي، (أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف)، إنباه الرّواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط 1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1986)، 194/4-195.

[5] -ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 294 —ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 483/2.

[6] -ابن الآبار، التكملة، 882/2.

[7] -ابن بشكوال، الصلة، 305/1-306.

ما أدى إلى عدم استقرار وضعيتهم الاجتماعية [1]، ويلحق بهم أيضا أصحاب المهن الحرّة الذين لم يرتبطوا بالبلاط ومارسوا مهنتهم بعيدًا عن السلطة، وقد انتشروا في العديد من مدن المغرب الأوسط والمدن الأندلسية، كالأطباء إذ احتفظت المصادر بأسماء بعضهم كعلي بن موسى بن محمد البلنسي ت 610هـ/1213م، الذي سكن تلمسان مدّة، كان محترفا بالطب ماهرا فيه [2]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البجائي المعروف بابن النبّاش (ت ق 06هـ/12م)، كان مقيما بجهة مرسيّة وهو معتني بصناعة الطب مواضب لعلاج المرضى، ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي، كما له أيضا مشاركة في سائر العلوم الحكميّة[3]، ورغم أن المصادر تلوذ بالصمت عن ذكر وضعيتهم الاجتماعية، فمن المرجح أنهم عاشوا حياة متوسطة، ويضاف إليهم أيضا العلماء الذين تغيرت أحوالهم بسبب مشاكل حصلت لهم مع السلطة، من ذلك ما وقع للقاضي أبي العباس أحمد بن عبد الله بن ذكوان الأندلسي ت 413هـ/1022م، الذي عزل عن منصب القضاء وإمامة الصلاة إبان الفتنة البربرية بالأندلس ونفي إلى وهران مع أهله، بعد أن عنّف بهم وسلبوا دوابهم وثيابهم [4]، ومع أننا لا نعرف الكثير عن بني ذكوان ولا حتى عن المدّة التي قضوها ببلاد المغرب الأوسط ولا صورة الحالة الاجتماعية التي كانوا يحيونها، لكن يبدوا أنهم صاروا ضمن فئات هاته الطبقة بعد أن تراجعت مكانتهم بالأندلس، وكذلك الشأن مع محمد بن الحسين بن أحمد الميورقي من ساكني غرناطة ت 537هـ/1142م، والذي انتقل هاربًا إلى بجاية بعد أن حمل عليه من طرف صاحب المغرب، وقد كان فقيها ظاهريًا يغلب عليه الزهد والصلاح، حيث اكتفى هذا الأخير بالجلوس لتدريس العلم بها [5]؛ ومن ذلك أيضا ما وقع مع الفقيه المحدّث أبو محمد عبد الحق الإشبيلي ت 582هـ/1186م الذي استوطن بجاية، وتوفي بعد محنة نالته من الولاة، حيث كان يتولى الخطبة وصلاة الجماعة بجامعها الأعظم، كما ولي القضاء بها، ليرفض توليها على عهد الموحدين، ويتفرغ للتدريس والتأليف، والتكسب برزق يده عن طريق انشغاله بعقد

---

[1] –أنظر نماذج عن هؤلاء عند: –ابن الآبار، التكملة 271/1، ترجمة الحسن بن علي بن محمد التلمساني ت 615 ه –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 09/1، ترجمة عبد الملك بن أحمد الصنهاجي ت 560 ه.

[2] –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 413/1.

[3] –ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 80/3.

[4] –الضبي، بغية الملتمس، 174 –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 215/1–216 –النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي)، المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (د ط، بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، د ت)، 84–86.

[5] –ابن الآبار، التكملة، 440/1، وهناك حالات مشابهة لعلماء من المغرب الأوسط تراجعت أحوالهم الاجتماعية بالأندلس كعبد الله بن محمد الأشبيري ت 561هـ/1160م، بعد أن كان يكتب عند عبد المؤمن بن علي، ولأمر حصل له مع القوم بالأندلس، خشي عاقبته، فانصرف منهزمًا ومعه أهله وكتبه وقصد الشام، ويظهر تراجع حاله ومكانته في أنّه بعد وفاته بيعت كتبه في وفاء دين عليه، أنظر عنه: ابن الآبار، التكملة، 685/2.

الوثائق[1]، وإن كانت هاته هي حال المدرسين فهناك حال من اختاروا حياة التقشف والتقلل في العيش عن رغبة وإرادة لهذا يعدون من الطبقة العامة على الرغم من أن الكثيرين منهم كانوا ينحدرون من أصول عريقة، وبيوتات ميسورة، وهم شريحة الزهاد والصوفية، كعلي بن أحمد بن شعيب الأشوني ت 537هـ/1142م، نزيل جزائر بني مزغنا، الذي كان نحويًا لغويًا أديبًا حافظا تاريخيًا إلاّ أنّه كان من أهل الزهد[2]، وأبو مدين شعيب الاشبيلي ت 590هـ/1193م، والذي سكن تلمسان مدة، ثم استوطن بأخرة بجاية كان معرضا عن التكسب زاهدًا في الدنيا متقللا منها مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة مبرّزا في مقام التوكل[3]، ويوسف بن محمد بن عبد الله ت 604هـ/1207م، من أهل مالقة وذوي بيوتها الدينية، أقام ببجاية حوالي سنة 560هـ/1164م، كان موفور الحظ من علم اللغة والأدب مشاركًا في العربية والفقه والأصول إلاّ أنّه كان مائلاً إلى التصوف يلبس الخشن من الثياب[4]، ومثله أحمد بن أبي محمد بن هارون الشاطبي ت 609هـ/1212م، ممّن قدموا لبجاية كان على سنن السلف الصالح في الانقباض ونزارة الكلام ومتانة الدين ولباس الخشن ولزوم التقشف والتقلل من الدنيا والزهد فيها[5].

ومع ما كان يعيشه هؤلاء من حالة اجتماعية إلا أنهم كانوا الأقرب من عامة الناس يقدمون لهم المساعدات أوقات الحاجة، بحيث تشير كتب الطبقات والتراجم إلى أن العديد منهم اشتهر بالمثابرة على أفعال البرّ وبذل المعروف والتوسع بالصدقات على الضعفاء والمساكين [6]، فعلت بذلك مكانتهم داخل المجتمع على الرغم من حالة التقلل التي كانوا يعيشونها حتى أن العامة عظمتهم وحزنت لفقدهم، واتخذت من قبورهم مزارات للتبرك[7]، ويمكن الوقوف على مظاهر حالة التقلل

---

(1) –ابن الزبير، صلة الصلة، 5 –الغبريني، عنوان الدراية، 73–75 –الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، (د ط، تونس: المكتبة العتيقة، 1966)، 15.

(2) –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 05، قسم 389/1.

(3) –ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 316 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 127/4–128 –الغبريني، عنوان الدراية، 05–13.

(4) –ابن الزبير، صلة الصلة، 217– 218.

(5) –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 01، قسم 560/1.

(6) –من ذلك ما فعله أبو مدين شعيب الأندلسي ببجاية مع والد الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع، وما قام به أحمد بن أبي محمد هارون الشاطبي ت 609 ه، نزيل بجاية الذي اشتهر بأفعال البرّ كالآذان والإقامة والتوسع بالصدقة على المساكين، ويوسف بن محمد بن عبد الله البلوي ت 604 ه، الذي بنى المساجد وحفر الآبار للنّاس، أنظر: عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 560/2 –ابن الزبير، صلة الصلة، 217–218 –الغبريني، عنوان الدراية، 58.

(7) –الغبريني، عنوان الدراية، 60 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 130/04 –ابن الزبير، صلة الصلة، 05.

التي عاشوها من خلال منازلهم، إذ تشير المصادر إلى أنّها اشتملت على حجرات صغيرة، كانت الإضاءة فيها تتم بواسطة السراج، زيادة على أن المواد الأساسية في غذائهم هي الحنطة والشعير [1] وبهذا تكون طبقة العامة هي التي تشمل السواد العظم من المجتمع، ممن كان مستواهم المعيشي متدني حيث يظهر الفرق شاسعا بينها وبين مستوى عيش الطبقة الخاصة.

وبعد عرضنا لمظاهر ذلك التفاوت الطبقي، والذي ميّز كل من المجتمعين بالمغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة، ووقوفنا على أهم الشرائح الاجتماعية المكونة له، يمكن أن نبدي بعض الملاحظات المتعلقة بتلك الوضعيات الاجتماعية.

-أن الطبقة الخاصة بالأندلس تمكن عدد من البربر أن يحتلوا مكانة اجتماعية راقية ضمن الفئات المكونة لها خصوصًا حين نجحوا في تأسيس كيانات سياسية كما هو حال بني زيري وبني برزال، وأن عدد من البيوتات النبيهة التي اشتهرت خاصة بالعلم كانت هي الغالبة مقارنة مع العدد القليل من الأندلسيين الذين أتيح لهم ذلك بالمغرب الأوسط خلال الفترة موضوع الدراسة.

-استحواذ فئات معينة على مراكز اجتماعية بالمغرب الأوسط من الأندلسيين بسبب تقربهم من السلطة بحكم وظائفهم كالكتابة، وإبعاد العنصر البربري عنها ببلاده وبالأندلس.

-أن الطبقة العامة تمثل الأكثرية لأنها تحوي على عدد من مهاجرة البلدين، وتضم فئات وشرائح اجتماعية، تميّزت حياتهم بالبساطة والابتعاد عن الترف رغم إهمال المصادر لهم.

وكخلاصة لما سبق ذكره في هذا الفصل، يمكن أن نصل إلى الاستنتاجات التالية:

1-إن الهجرة بين الطرفين كانت من الأمور الأساسية التي فتحت المجال أمام الجانبين المغاربي والأندلسي، لتكوين صلات اجتماعية وتبادل حضاري.

2-إن الطرف المغاربي كان سباقا بهذا التواصل، الذي بدأ مع مرحلة الفتوحات ثم تعزز بالتوحد المغاربي الأندلسي على عهدي المرابطين والموحدين، حيث توزع المغاربة بما فيهم أهل المغرب الأوسط في كامل بلاد الأندلس واستقروا مع أهل البلد وشاركوهم مناطق إقامتهم.

3-لقد انتقل الأندلسيون بدورهم إلى بلاد المغرب، وكان المغرب الأوسط وجهة الكثيرين منهم، إلا أن هجرتهم له لم تكن كبيرة بقدر هجرة المغاربة نحو الأندلس، كما أن بعضهم شاركوا أهل البلد مناطق سكناهم، في حين اختار البعض الآخر الانعزال بأماكن خاصة بهم.

---

[1] -ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 161 -إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس عصر المرابطين، 32.

4-لقد أسهمت مسألة الزواج والمصاهرة في توثيق العلاقات الاجتماعية، وإن أظهر بعض الأندلسيون التحفظ من هذا الارتباط، إلا أن المغاربة لم يمنعهم هذا الموقف من الدخول في علاقات زواج ومصاهرة مع أهل الأندلس.

5-أفرزت الهجرة والاستقرار أوضاعا اجتماعية متفاوتة، إذ استحوذت فئات وشرائح معينة من الأندلسيين على مراكز اجتماعية بالمغرب الأوسط و لم تتح مثل هاته الفرصة إلا للقليل من المغاربة

الفصل الثاني

مظاهر التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين أهل المغرب الأوسط وأهل الأندلس خلال القرنين 05-06 هـ / 11-12 م

توطئة

1-اللباس ووسائل الزينة:

أ- لباس وزي النساء في المغرب الأوسط والأندلس

ب- لباس الرجال

ج- لباس وأفرشة المنازل

2-الأطعمة والأشربة:

أ-الأطعمة وأنواعها

ب-ملحقات الطعام

ج-الأشربة

3-الأعياد والاحتفالات:

أ-الأعياد الدينية

ب-الأعياد المسيحية وأعياد المواسم

ج-الاحتفالات بالمناسبات الاجتماعية

4- الاهتمام باللهو والترفيه:

أ- التنزه والصيد

ب- سباق الحمام والخيل

ج-الألعاب

توطئة:

إن التقاء لونين من الحياة الاجتماعية، لون أندلسي رفيع وآخر مغربي أقل رقيا وتفوقا، يقضي بمنطق الأشياء أن تتغلب الحياة الأكثر رقيًا، حيث تغلبت الحياة الأندلسية الرفيعة على الحياة الاجتماعية المغربية البسيطة فأثرت فيها، وقد بدأ هذا يظهر واضحًا في مختلف مناحي الحياة خاصة في عصري المرابطين والموحدين.

فقد انتقلت التأثيرات الأندلسية المختلفة إلى المغرب[1] ممّا يعني أن المغرب الأوسط شأنه شأن باقي مناطق المغرب، قد نال حظه هو الآخر من هذا التأثير، وأن مظاهره مست جوانب عدة على الصعيد الاجتماعي كالمأكل والملبس وطريقة الاحتفالات، ووسائل اللهو والترفيه وغيرها.

ولكن السؤال الذي يطرح هو ما إذا كان المغاربة وخاصة منهم أهل المغرب الأوسط قد نجحوا هم الآخرين بأن يؤثروا بحياتهم الاجتماعية وعاداتهم في الأندلسيين؟ وإذا ما كان هناك تأثير ففيما تجلت مظاهره؟

إن البحث في مثل هذه المسألة يتطلب منا ولوج الباب الخاص بتتبع المظاهر المختلفة للحياة الاجتماعية عند أهل الأندلس والمغرب الأوسط، والتعرف على جوانب عدة كالألبسة والأطعمة والاحتفالات المميّزة لكل مجتمع حتى يمكن الوقوف على مظاهر التأثير والتأثر، وإبراز بشكل خاص التأثير المغاربي لتفنيد فكرة التغلب المطلق التي درج عليها الباحثون، والوصول إلى حقيقة التعايش والتبادل بين الحضارتين[2]، ذلك أن الهجرات المتبادلة بين الطرفين وما صاحبها من استقرار وانصهار وقع بين المغاربة والأندلسيين، قد أسهم من دون شك في نقل التراث الفني الاجتماعي الذي شكل حلقة وصل ربطت كل جانب بالآخر، وساعد المنطقتين على التعرف والإطلاع على الثقافة الاجتماعية الشعبية المشتركة، ومدى تأثير كل جانب على الآخر فيها، وحصول مثل ذلك يستدعي التطرق إلى مظاهر عدة منها:

1-اللبـــاس ووســـائل الزينـــة:

---

[1] -محمد رزوق، الجالية الأندلسية بالمغرب، 292 -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 332 -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، (ط2، دار الكتاب، دار المعارف، 1963)، 79.

[2] -أنظر محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، (ط1، المغرب: دار توبقال للنشر، 1987)، 18 = حيث تطرق هذا الباحث إلى وحدة التواصل الثقافي والحضاري بين المغرب والأندلس قائلا: «إن الوحدة لم تعد وحدة مجال أو تراب فقط، بل إنها قد تعدت هذا المستوى، فأصبحت وحدة حقل ثقافي...».

من المعروف أن اللباس أو الزّي يعد تشكيلا ثقافيا لأنّه يجسد رؤية الجماعة والفرد لمجموعة من القيم والمعايير الاجتماعية، وهو يعكس ما يتخذه الجسد البشري كي يصبح حاملاً لمجموعة من الدلالات والعلامات، ومن ثم فإن وظيفة اللباس تبرز الاختلافات والامتيازات الاجتماعية والمهنية[1].

وإذا ما حاولنا أخذ صورة مقربة عن مدى التأثير المتبادل بين القطرين المغربي والأندلسي في هذا المجال، فإنّ ذلك يتطلب منا الرجوع إلى الأبحاث التي تتحدث عن اللباس الأندلسي ومقارنته مع لباس أهالي المغرب الأوسط باستعراض خصائص ومميزات كل نوع؛ حتى يتضح ما إذا كان هناك تشابه في الأزياء أو تأثير طرف في الآخر.

وحسبما تشير إليه المصادر، فإن اللباس بالمغرب والأندلس كان يرتبط بالخصائص الطبيعية وتغيرات المناخ، ففي فصل الشتاء كان أكثر الناس يلبسون الأكسيّة الصوفية، أما في الصيف فكانوا يرتدون أنواع الملابس المختلفة من حريرية وقطنية وكتانية، وإن كانت الملابس الكتانية الأكثر استخداما من طرف العامة لرخصها [2] وتعتبر هذه الوضعية خاصية مشتركة لأنّ الإنسان يتكيف عادة مع ظروف المناخ التي تنعكس على نمط حياته وطريقة لبسه.

أما إذا استعرضنا أنواع الألبسة عند الأندلسيين وخصائصها، فإن ما يلاحظ عليهم أنهم كانوا أصحاب ذوق خاص مميّز ورفيع في اللباس تميّزوا به عن المغاربة، فأهل المرية على سبيل المثال كانوا يلبسون الملابس الموشاة والديباج [3]، كما كان أهل غرناطة يعتنون بأزيائهم وملابسهم ويتأنقون فيها، ويفضلون الأنواع المحكمة الصنعة التي كانوا يجلبونها من المريّة[4]، وكذلك الشأن مع أهل مالقة الذين استخدموا في أزيائهم الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب [5]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ظهر الاهتمام عند بعض الخاصة منهم والدراية بأوصاف الثياب، وأنواع النسيج كابن قزمان "ت 06هـ/12م"، ونكشف عن ذلك من خلال أزجاله التي حوت ألفاظا اصطلاحية لأسماء وأنواع

---

(1) -إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس عصر المرابطين، 75.

(2) -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 69 -المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 295 -المقري، نفح الطيب، 187/1 -محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515ه- 686ه/1121م-1287م)، (د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996)، 237.

(3) -ابن غالب، قطعة عن كور الأندلس ومدنها، 284 -ياقوت الحموي، معجم البلدان، 119/5.

(4) -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 148/2 -المقري، نفح الطيب، 143/1.

(5) -ابن سعيد، كتاب الجغرافية، 140 -المقري، نفح الطيب، 219/3.

الثياب قلّ أن نجدها في كتاب آخر، وذلك بفضل جولاته المتكررة في الأندلس التي سمحت له بالاطلاع على أصنافها[1].

أمّا بالنسبة للمغاربة فالمرابطون منهم استخدموا في أزيائهم الملابس الصوفية بألوان عدّة، وإن كان اللّون الأكثر استخداما هو الأسود[2]، كما اتخذوا اللثام يضعونه على وجوههم حتى صار علامة مميّزة لهم[3]، وكذلك الموحدون استعملوا الملابس الصوفية أيضا، وكانوا يفضلون اللون الأبيض في لباسهم[4] لكن دخولهم الأندلس وانفتاحهم على حضارتها وترفها، جعلهم ذلك يقبلون على ارتداء الملابس الحريرية المطرزة، واتخاذ الرقاق خاصة وأن الحرير كان متوافر على عهدهم بأنواع وذلك ما دفع الخليفة المنصور الموحدي " 580هـ-595هـ/1184م-1198م" إلى إصدار أمر ببيع ما في خزائن الدولة من الحرائر، وطالب الرعيّة بتخفيف ارتدائها[5].

هذا وإننا إذا نظرنا إلى الألبسة وحاولنا تصنيفها حسب الجنس أو النوع لوجدنا صعوبة سواء بالمغرب الأوسط أو الأندلس، ذلك لأن ارتداء الملابس الصوفية والقطنية والحريرية كان أمرًا شائعًا عند الرجال والنساء على حد سواء[6]؛ ومع ذلك لا نعدم وجود إشارات في كتب الحسبة والنوازل

---

(1) -من ذلك ما قاله: بأَلْفْ مِثْقَالْ تِلْبَسْ لُوجَانِي رَخِيـــصْ.
يَلْبَسْ الخُلْدِي الرُّمَانِي وَتَحْتْ القَمِيصْ.
فُـــوقْ دِيـــبَاجَـــا رَقِيقْ بِإمْلاَحَةْ رَوْنَقْ.

لتفصيل أنظر: ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى)، ديوان الزجل، نص ولغة وعروض، ف.كورينطي، (مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، 1980)، 118، 180، 186 -عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، (منشورات معهد الدراسات العربية العالمية، جامعة الدول العربية، 1957)، 72-73 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 160/1.

(2) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 147 -أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (ط 2، الإسكندرية: كلية الآداب، 1968)، 103 -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير، (د ط، بيروت: دار النهضة العربية، 1981)، 117/2.

(3) -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 218 -ابن تومرت، أعز ما يطلب، 263

- Charle Ander Julian, Histoire De L'Afrique De Nord, Paris, 1952, P 77.

(4) -ابن القطان، نظم الجمان، 172 -الونشريسي، المعيار المعرب، 258/1 -27/11.

(5) -ابن عذارى، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، 103-104 -عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 294 -حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، (ط1، مصر: نشر مكتبة الخانجي، 1970)، 422.

(6) -يدل على ذلك بالمغرب الأوسط رواية عن المهدي بن تومرت حين دخل بجاية سنة 514 ه / 1120 م، حيث لقي بها الصبيان في زي النساء يرتدون شواشي الخزّ، أما في الأندلس فراجع نازلة أوردها الونشريسي عن ابن رشد، لتفصيل أنظر: ابن القطان، نظم الجمان، 93 -الونشريسي، المعيار المعرب، 122/3 -ابن سلمون (أبو محمد عبد الله)، كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، نشر بهامش كتاب تبصرة الحكام، (ط1، مصر: المطبعة العامرة الشرفية، 1301)، 32.

تفصل بينها، إما بتحديد نوعها حينا أو بالتعريف بأسمائها حينا آخر، مما ساعد ذلك على تمييزها وتصنيفها كالتالي:

أ-لباس وزيّ النساء في المغرب الأوسط والأندلس:

بالنسبة لزيّ النساء في المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا، فإنّه يكاد يكون مشابهًا لزي النسوّة في الأندلس، حيث تقدم كتب النوازل إشارات إلى أسماء الثياب وأنواعها وما كانت تتخذ منه، والتي اشتهر لبسها خاصة خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م، فنجد منها ثياب القطيفة والملحفة القطنية التي تلبس غالبا أثناء الشتاء للوقاية من البرد، كما ترتدي ثيابا عريضة الأكمام على سراويل طويلة تبعا للمكان الذي تعيش فيه [1] وتغطي رأسها[2]، وكذلك كنّ يلبسن في أقدامهن الجوارب والأخفاف، وقد شاعت لدى نساء المغرب لبس النعال أو الخفاف الصرارة التي تحدث صوتا أثناء المشيّ ممّا يجذب انتباه الرجال إليهنّ، وهذا ما دفع بالمحتسبين والفقهاء للقول بأنّه يجب نهي الخرّاز عن عمل الخفاف الصرارة، ومنع النساء من لبسهن خاصة عند المشيّ في الأسواق ومجامع النّاس[3]، ومع ذلك يشير أحد الباحثين إلى أن زيّ النساء في الأندلس كان مميّزا عنه في المغرب، فقد وصف أزياءهن بقوله: «كان طابعها الأناقة والنفاسة والإسراف»[4].

وإذا أردنا الوقوف على التأثير فإنّه لا يبدوا واضحًا خلال هاته الفترة، فقلة المصادر التي تعالج هذا الجانب لا تسمح بالتعرف على أزياء معيّنة بأسمائها كانت خاصة بلباس الأندلسيات حملنها معهن إلى بلاد المغرب الأوسط فانتشرت وشاع لبسها هناك، أو العكس بالنسبة لأزياء نساء المغرب الأوسط، إلاّ أنه بعد ذلك بزمن ظهرت صور التأثير واضحة للعيان في مدن القطر الجزائري، حيث لا

---

(1) -الملحفة: هي ملاءة مبطنة يطلق عليها أحيانا اسم: المبطن، وقد تكون صفراء أو حمراء أو مسودة، وغالبا ما تلبس على القميص، أو مع الإزار، والملحفة من ألبسة الرجال أيضا، أنظر: ابن عذارى، البيان المغرب، 56/2 -المقري، نفح الطيب، 234/1 - الونشريسي، المعيار المعرب، 479/2 - 100/3، 249 -مليكة حمدي، المرأة المغربية في عهد المرابطين " 448هـ-541هـ/ 1056م-1146م"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف د/صالح بن قربة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويلبس من أعلى الرأس ويسدل على الوجه.

(2) -الونشريسي، المعيار المعرب، 259/10، 347 -دندش عصمت، الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين 510هـ-546هـ/1116م-1151م، تاريخ سياسي وحضاري، (ط1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988)، 321-322 - مليكة حمدي، المرأة المغربية، 162.

(3) -يحيى بن عمر، أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، (د ط، الشركة التونسية للتوزيع، 1975)، 93-94 -الونشريسي، المعيار المعرب، 420/6 -مليكة حمدي، المرأة المغربية، 162.

(4) -مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، (ط6، بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، 85.

تزال بعض الألبسة تحتفظ بنفس التسميات[1]، إذ أن مدى التقدم والرقي الذي وصلت إليه المرأة الأندلسية انطلاقا ممّا بلغته من مكانة في مجالات شتى اجتماعية وثقافية وعلميّة، يوحي بأن تأثيرها في بلاد المغرب كان قويا، خاصة وأن الفرصة كانت متاحة لها على الدوام للتفوق والنبوغ، فإذا قلبنا في صفحات التاريخ لوجدنا الأمثلة عديدة عن ذلك[2].

ويبدو أن العناية بالمظهر أي الزيّ واللباس، كان يدخل في ضمن اهتماماتها وهو ما يحملنا على التخمين بأن تكون المرأة الأندلسية قد أثرت على المرأة ببلاد المغرب من نواحي اجتماعية عدّة بما فيها اللباس أو الزيّ كمظهر لهذه الحياة، ولعلّ المرأة المغربية أثرت هي الأخرى في الأندلسيات، إذ هناك رأي لإحدى الباحثات تطرح فيه فكرة أن الحرية التي نعمت بها المرأة الأندلسية كانت بتأثير من عادات البربر من احترام المرأة[3]، وقد ترتب عن ذلك أن حصلت المرأة بالمغرب على مركزها في الأسرة ومن ثمّ في المجتمع[4]، وهناك إشارة ذكرها كل من البيدق وابن القطان عن النساء في بجاية حين دخلها المهدي بن تومرت، توحي باهتمام نساء المغرب الوسط بالأزياء حيث وصفهن بأنهن كنّ يلبسن الأقران الزرارية ولباس الفتوحات ويتزيّن بالضفائر وطواقي الخزّ [5]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مبلغ المكانة الاجتماعية التي كانت تتمتع بها المرأة في مجتمع المغرب الأوسط على عهد الحماديين، وعلى أناقة وتميّز لباسها وزيّها.

لهذا فإن مجمل ما يمكن استخلاصه حول مسألة اللباس والأزياء عند النساء، هو مدى التقارب الكبير فيها بين الأندلس والمغرب الأوسط، والذي يوحي بحصول عملية التأثير والتأثر بينهما، ويعكس وجه الترابط بين القطرين، برغم قلّة المصادر التي تثبت لنا ذلك.

---

(1) -عن أسماء بعض تلك الأزياء راجع: Ouahiba Baghli, Chaussures traditionnelles, Alger, 1977, P 80

(2) -يقدم ابن حزم صورة عن ذلك لنماذج نساء أندلسيات من العامة والخاصة، ويسرد حكايات عنهن، راجع: طوق الحمامة، 37، 63، 71، 139 -وأنظر أيضا مقال: ماريا.ج.فيغيرا "المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس" ضمن كتاب "الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس"، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999)، 2/100-101.

(3) -سحر السيد عبد العزيز سالم، الجوانب الإيجابية في الزواج المختلط في الأندلس، 38-39.

(4) -L. Golvin: Le Maghreb central a l'époque des zirides arts ET métiers, graphiques, Paris, 1957, P 178.

(5) -البيدق، أخبار المهدي، 31 -ابن القطان، نظم الجمان، 93.

ب-لبـــاس الرجـــال:

بالنسبة لملابس الرجال، فقد أشارت كتب النوازل خاصة منها المعيار للونشريسي إلى بعض أزيائهم في المغرب خلال العصر الإسلامي، أما في الأندلس فقد كتبت إحدى الباحثات مقالا حول ملابس الرجال بالأندلس في العصر الإسلامي، وبإجراء مقارنة، أتضح لنا جليًا مدى التشابه بين الألبسة الرجالية الأندلسية وألبسة أهالي المغرب الأوسط، وهي عموما على صنفين، ألبسة خاصة بالرأس وأخرى بالبدن، تتكون من العمامة (*) والقلانس(*)، والقباء(*)(1)، والجبة (*)، والقميص (*) والملف(*)، والدراعة(*)، والإزار(*)، والسروال(*)، والمحشو(*) (2)، وإذا تحدثنا بشيء من التفصيل عنها فالبداية تكون مع ألبسة الرأس.

(*)-**العمامـــة:** عبارة عن شريط مستطيل من القماش ملفوف حول الرأس، وهي تيجان العرب، لبسها سادتهم ورؤساؤهم في الجاهلية والإسلام، وتعرف أيضا بالتاج والعصابة، وهي على أنواع من حيث المكانة الاجتماعية لحامليها، فهناك عمائم الخلفاء، وعمائم للعلماء، وأخرى لأهل الذمة، كما أنها تختلف من حيث نوع النسيج واللون.

(*)-**القلانس:** جمع قلنسوة، وهي من الأزياء الدخيلة وغالية الثمن لقيمتها، من أصل فارسي تستعمل للفضلاء، وكانت كغطاء للرأس تصنع من الوشي أو الخزّ، وتسمى الشواشي.

(*)-**القباء:** أو الأقبية، هي رداء ينتهي من أعلى بغطاء للرأس والعنق، وهو ما يعرف بالبرنس، كان البربر في المغرب والأندلس يقبلون على ارتدائها، والقباء لباس فارسي شاع استخدامه في العراق والحجاز، وكان يصنع من الخزّ والديباج.

(1) -لتفصيل أكثر أنظر: ابن منظور (جمال الدين)، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، (د ط، مصر: دار المعارف، 1983)، 278/7 -أحمد مطلوب، معجم الملابس في لسان العرب، (ط1، مكتبة لبنان، 1995)، 60 -سحر السيد عبد العزيز سالم، ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، (مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، 1995)، مجلد 163/27-164

-E. Fagnan, Additions aux Dictionnaires Arabes, Librairie du Liban, Beyrouth, P 146.

(*)-**الجبـــة:** هي عبارة عن ثوب فضفاض ومستطيل يصنع من القماش، وفي ألوان مختلفة وهي غالبا من الصوف، وكانت لباس الرجال المفضل يلبسها الخواص والعوام.

(*)-**القميـــص:** من المقطعات التي تحاك، ويصل القميص إلى منتصف الساقين، بينما يصل الكمام إلى أطراف أصابع اليدين إذا أرخى الذراعان، وأغلب القمصان بيضاء اللون، أو سوداء، وتتخذ من الكتان أو النسيج.

(*)-**الملـــف:** نسيج كان يرد من بلاد الروم إلى المغرب والأندلس، وكانت الجبة والملف المصنوعة من الجوخ من ثياب الأغنياء.

(*)-**الدراعـــة:** قميص يصنع من الكتان أو القطن ويلبس في الصيف، وقد انتشر استعمالها في الأندلس.

(*)-**الإزار:** لباس يغطي القسم الأول من البدن من الوسط حتى منتصف الساقين وقد يرخى أو يسبل.

(*)-**الســـروال:** من الألبسة المشتركة بين الرجال والنساء، وكلمة سروال تحريف عن كلمة شلوار الفارسية، وتعني ثوبا فضفاضا يغطي أسفل البدن حتى القدمين، وشاع استخدام السراويل في المشرق كما كان من الألبسة الشعبية المحببة خاصة عند الأندلسيين.

(*)-**المحشـــو:** عبارة عن عباءة مبطنة بالفراء يلبسها الأثرياء في الشتاء في حين كانت عباءات الفقراء مبطنة بالقطن.

(2) -لتفصيل أكثر أنظر: ابن حيّان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن حجّي، 126 -الونشريسي، المعيار المعرب، 258/1 -27/11-28 -سحر السيد عبد العزيز سالم، ألبسة الرجال في الأندلس، 174.

-R. Dozy, Dictionnaire détaille des noms des vêtements, chez les arabes, Amsterdam, 1943, P 174, 204, 314.

-العمائم والقلانس:

لقد ذاع لبس هذه الأخيرة وانتشر خاصة في بجاية على عهد ملوك بني حماد، فقد ذكر صاحب الاستبصار أن ملوكهم كانوا يتعممون بعمائم من الشرب مطرزة بالذهب يغلون في أثمانها تساوي العمامة خمسمائة وستمائة دينار أو أزيد، وكانوا يعممونها بأتقن صنعة فتأتي ملفوفة ومشدودة شدًا، حتى يخيّل للناظر أنها تيجان، وببلادهم صناع وحرفيون متخصصون في صنع تلك العمائم يتقاضون دينارين وأكثر عن كل عمامة، ولهم قوالب خشبية في دكاكينهم تستعمل لهذا الغرض وتسمى "الرؤوس"[(1)]، كما كان أمراء بني زيري يتعممون أيضا[(2)]، وكذلك فقهاء المالكية حيث كانوا يجعلون طرف العمامة "الدؤابة" يحيط بالعنق[(3)].

واستمر لبسها في بلاد المغرب حتى عندما أقام ابن تومرت في بجاية منع التعمم بعمائم الجاهلية[(4)]، ومما يوضح أيضا بأنها الغالب على لبس الرأس عند الرجال في المغرب، محتوى نازلة سئل فيها ابن رشد عن الرجل الضعيف الجسم متى أراد المسح على رأسه في الوضوء يزيد مرضه، هل يكون فرضه المسح على العمامة أو لا؟[(5)].

أمّا في الأندلس فتشير المصادر إلى أنّها لا تستعمل إلاّ نادرا ولا يلبسها إلاّ القضاة والفقهاء وكان بعضهم يفضل عليها القلنسوة من الخزّ أثناء الصلاة وأثناء الدخول إلى الخلفاء والملوك [(6)]، فقد ذكر المقرّي أن الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم لاسيما في شرق الأندلس، أما أهل الغرب الأندلسي فلا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارًا إليه إلاّ وهو بعمامة، وقد تسامحوا بشرقها في ذلك[(7)]، ويبدو أن أهل المغرب المقيمين بالأندلس خاصة رؤساؤهم، كانوا يؤثرون لبس العمائم وقد أثروا على الأندلسيين في ذلك، ويتضح من خلال رواية أوردها صاحب الحلة السيراء عن المعتصم ابن صمادح حين التقى بابن تاشفين في حصن أليط "Alede" ذكر أنّه كان يلبس العمامة والبرنس

---

(1) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 129.

(2) -ابن عذارى، البيان المغرب، 264/1 -ابن خلكان، وفيات الأعيّان، 240/2.

(3) -ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد)، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيّات، (ط 1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1929)، 139/1 =حيث استدل بعدد من أقوال العلماء من القرن 06 ه / 12 م منهم: الإمام الطرطوشي والقاضي أبو بكر بن العربي، وأبو الوليد بن رشد -المقرّي، نفح الطيب، 208/4.

(4) -البيدق، أخبار المهدي، 52.

(5) -الونشريسي، المعيار المعرب، 27/1-28.

(6) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 136/1 -المقرّي، نفح الطيب، 222/1.

(7) -المقرّي، نفح الطيّب، 107/1.

تقربا لابن تاشفين فلما شاهده المعتمد صاحب اشبيلية على تلك الحال نظر إليه نظرة ساخرة، وأدرك المعتصم أنّه يهزأ به[1]، ويدل هذا على استهجان الأندلسيين للبس العمائم، وبالتالي يعتبر لبسها من طرفهم تقليد للبربر المغاربة، حتى أنّه ممّا وصل إلينا من بعض ما تمثّل به الأندلسيون أثناء الحكم المرابطي قولهم: «طَالِعْ هَابِطْ، بَحَلْ عِمَامْ فِي رَاسْ مُرَابِطْ»، ومن الواضح أنّهم كانوا يقولونه على سبيل السخرية من العمائم وأصحاب العمائم من البربر المرابطين المقيمين هناك[2]، وبرغم ذلك يبدوا أن لبسها قد أنتشر بين جماعة الأندلس خلال القرن 06هـ/12م، وقد ورد في أزجال ابن قزمان ما يوحي بذلك[3].

وهذا يعني أن لبس العمامة يعد تقليدا أدخله البربر المغاربة معهم للأندلس، ثم ما لبث أن أصبح عادة انتقلت بعد ذلك إلى مختلف أوساط المجتمع الأندلسي حتى مع استنكار بعضهم لها، ولكن السؤال الذي يُطرح وتصعب الإجابة عليه هو متى أدخل المغاربة لبس العمائم للأندلس؟ إذ من غير الممكن إرجاع ذلك إلى العهد المرابطي فحسب، خاصة وأن هناك إشارة نجدها عند صاحب البيان المغرب، وهي رواية يرجع تاريخها إلى عهد الدولة العامرية مفادها أن عبد الرحمن بن أبي عامر طلب من رجال دولته طرح قلانسهم الطوال المرقّشة الملوّنة والانتقال عنها إلى العمائم وذلك حين اضطر الأندلسيون إلى الاستعانة بجيرانهم من البربر، وقد أحدث الأمر ضجّة وتأول الناس في ذلك أراجيب شتى صدقها ظهور أصحاب العمائم البرابرة بعد مدة قريبة[4].

وظهور مثل هذه الرواية يحملنا على ترجيح دخول لبس العمائم المغربية للأندلس منذ وقت مبكر ربما حتى صاحب انتقال أوّل وفدٍ بربري مغربي منهم وطأ أرض الأندلس، ممّا يعني أن لبس العمائم هو تأثير في الأصل مغاربي، انتقل إلى أزياء ولباس الأندلس، إلا أن شيوع استعمالها هناك زاد

---

[1] -ابن الآبار، الحلّة السيراء، 2/86-87.

[2] -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس، 251.

[3] -منها قوله:

وَأَنَا أَلْبَس مُنْذ كُنْت لَبَّاس
لاَذْ ثِيَابِي عَلَى بَطَايَن لاَسْ
وَغْفَايَر مِلَاحْ عَلَى أَجْنَاس.
وَعْمَايَم دِيْبَقْ تَسْوى مَالْ

-أنظر: ابن قزمان، ديوان الزجل، 560

[4] -ابن عذارى، البيان المغرب، 3/48.

مع قدوم المرابطين[1]، وإلى جانب العمائم أيضا شاع لبس القلانس، وانتشر استخدامها في بلاد الأندلس والمغرب الأوسط، فحين دخل المهدي إلى بجاية لقي بها الصبيّان في زيّ النساء يرتدون شواشي الخزّ[2]، وفي الأندلس كان يلبسها السادة كالمعتمد بن عباد[3]، كما لبسها من قبل مبارك ومظفر العامريان يظاهر كل منهما الوشي على الخزّ ويتقلس الموشى [4]، وأيضا استعملت الغفارة[5] إذ كان يلبسها بعض ولاة المرابطين بالأندلس[6]، كما كانت من ضمن الهدايا التي أنعم بها يوسف بن عبد المؤمن سنة 566هـ/1170م على الغازين من أشياخ الموحدين[7] وكان الأندلسيون يلبسونها أيضا[8].

-اللباس العسكري:

ومما يجدر ذكره عن ألبسة الرجال التي حصل فيها تشابه بين المغرب الأوسط والأندلس نجد الزي العسكري، ذلك أن التوحد السياسي الذي تم بين الأندلس وبلاد المغرب على عهدي كل من المرابطين والموحدين، قد نتج عنه توحيد الزيّ العسكري الخاص بالجند باعتباره الجناح الأساسي للمعارك والغزوات، خاصة وأن الجيش كان يضم عناصر متعددة من بربر مغاربة وعرب وأندلسيين[9]، تختلف انتماءاتهم وثقافتهم إلاّ أنّهم يتوحدون في خدمة المغرب والأندلس والحفاظ على أمنه واستقراره ووحدته، فنتج عن ذلك أن جمعهم زيّ واحد متميّز، ففي العهد المرابطي صوّره

---

(1) -ابن قزمان، ديوان الزجل، 87 -المقري، نفح الطيب، 112/6 -العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق أوزتاشي آذرنوش، تنقيح محمد مرزوقي، ومحمد العروسي، (د ط، الدار التونسية للنشر، 1972،)، 499/3.

(2) -ابن القطان، نظم الجمان، 93.

(3) -ابن الآبار، الحلّة السيراء، 141/1.

(4) -ابن عذارى، البيان المغرب، 162/3.

(5) -**الغفارة**: جمعها غفائر وهي في الأصل خرقة تضعها المرأة على رأسها حماية للخمار من دهن الرأس، وفي الأندلس كانت طاقية تطوق الرأس وتشبه القلنسوة، تتخذ كرداء خارجي شبيه بالمعطف يسدل على الكتفين، وفي إحدى القواميس الأجنبية جاء في تعريفها أنّها لفة أو خرقة تقي بها المرأة خمارها، وفي اصطلاح المغاربة شيء يجعل من الجوخ على شكل البرنس، وهي أقرب حالاً إلى الشاشية المعروفة في بلاد المغرب وهي تلبس دون عمامة، أنظر حول ذلك: المقرّي، نفح الطيب 108/1 -مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، 84.

- Dozy, supplément aux dictionnaires arabes, leiden, Paris, 1877, T II, P 218.

(6) -ابن الآبار، الحلة السيراء، 120/1 -المقري، نفح الطيب، 268/3 -ابن سلمون، العقد المنظم، 32 - الونشريسي، المعيار المعرب، 122/3.

(7) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، 29.

(8) -ابن قزمان، ديوان الزجل، 560 -الأصفهاني، خريدة القصر، 504/3.

(9) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 190، 200.

ابن غازي بقوله[1]: «كان يتزيا باللثام والغفارة القرمزية، خلافا بما كانوا عليه قبلاً، وهو نوع من الكساء والعمامة ذات الذؤابة»، أمّا في العهد الموحدي فقد أورد ابن صاحب الصلاة إشارة إلى نوع الثياب التي كانت توزع على الجند من قبل الخلافة، ففي سنة 558م/1162م وزع عبد المؤمن بن علي أثناء توجههم إلى غرناطة الثياب والكساء والعمائم والبرانس [2] [*]، وفي سنة 561هـ/1165م وزع كذلك الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كسوّة تامة لكل جندي، وهي مكوّنة من غفارة وعمامة وكساء[3]، وبذلك يتضح أن التواجد العسكري المغربي بالأندلس قد كانت له انعكاسات إيجابية أثرت على مظاهر الحياة، منها اللباس الذي وحدّ بين الجند المغاربة والأندلسيين على حد سواء في هذه الفترة.

-الأحذية:

وإضافة إلى ما سبق ذكره عن ألبسة الرأس والبدن، فقد كان الرجال ينتعلون في أقدامهم الأحذيّة، وكان لفظ الحذاء يتردد أكثر من مرّة في النصوص بمصطلح القرق جمع أقراق، وكذلك الخفّ[4]، وأشارت كتب النوازل أيضا إلى أنواع من الأحذية كالهراكس ، والأمنغات والبلغات [5] والقباقب المصنوعة من الخشب والتي كان ينتعلها أهل المغرب[6]، ويبدو أن هذا النوع من الأحذية كان منتشرا في الأندلس، ولعلّ المغاربة الذين أقاموا هناك كانوا يلبسونها، ونقلوا لبسها للأندلسيين، إذ جاء في محتوى المثل الشعبي الذي ورد في كتاب الأمير عبد الله بن بلكين على لسان جده وهو يخاطب وزيره إشارة لها في قوله: «من ثور حيّ لا يلبس هراكس» [7]، وذهب الأستاذ محمد بن شريفة في كتابه: «تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب» إلى توضيح أصل كلمة هراكس

---

[1] -ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، (د ط، الرباط: مطبعة الأمنية، 1952)، 06
—ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 136/1.

[2] -ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، 221.

[*] —**البرانس:** كساء يكون غطاء والرأس جزء منه متصل به، وكانت مدينة نول في القديم مركزا لاقتناء البرانس.
- Dorzy, supplément aux dictionnaires arabes, Op-Cit, P 79.

[3] -ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، 229.

[4] -**الخف:** هو حذاء نعله مصنوع من الفلين ومشدود بسيور، أنظر: ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 35 -ابن قزمان، ديوان الزجل، 246 -الغبريني، عنوان الدراية، 117 -برنشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، 292/2.

[5] -**الهراكس والأمنغات والبلغات:** في الاصطلاح المغربي هي الأحذية، فالسياق يوحي بأنها أنواع من الأحذية أو الأخفاف يلبس كل منها لغرض، أنظر: الونشريسي، المعيار المعرب، 12/1-13.

[6] -البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي)، فتاوى "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، (ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002)، 129/1.

[7] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 61.

بمعنى نعال، وأنها لفظة بربرية ما تزال مسموعة ومستعملة في المغرب [1]، ومع ذلك لا يمكن أن نجزم أمام كل هذه الاحتمالات بنسبة أصل أحد أنواع هذه الأحذية إلى أحد القطرين، وأنّه انتقل إلى الآخر مع انتقال أعداد المهاجرة، خاصة وأننا نعدم الدليل الذي يدعم ذلك، ومع هذا يمكن انطلاقا من هذه الإشارات التخمين بوقوع حالة من التأثير بين الجانبين في هذا النوع من الألبسة خاصة من التشابه في تردد مسمياتها زيادة على انتشار لبسها بين الرجال في كل من الأندلس والمغرب وذلك استنادا لما ورد في كتب النوازل وغيرها من كتب الأدب الشعبي كالأمثال.

هذا ولا يمكن الحديث عن مظاهر اللباس والتفنن فيه دون التطرق إلى أدوات أخرى تساهم في إظهار الأناقة سواء عند الرجل أو المرأة، وهي وسائل الزينة التي شاع استخدامها عند سكان البلدين، فقد استخدمت النسوة عموما الخلاخل والأساور والأقراط من الذهب والفضة والأحجار الكريمة لتزيين اليدين والرقبة، وكن يحلين بها حتى الصبيان [2]، كما استعملت الحناء لزينة الشعر واليدين والأرجل، واستخدم الكحل والسواك للتجميل والحفاظ على الصحة، زيادة على العطور والصابون للتنظيف، ويشترك في ذلك النساء مع الرجال بالمغرب الأوسط والأندلس[3].

ج-لبـــاس وأفـــرشة المنـــازل:

إن ما يلحق باللباس أيضا نجد أفرشة المنزل التي تعرف بالبسائط، إذ جرت العادة أن يكون توفيرها ضمن مسؤولية أحد الزوجين، وبناءا على العديد من النوازل التي عالجت ذلك سواء ببلاد المغرب الأوسط أو الأندلس خلال القرنين 5-6 ه / 11-12 م أمكننا استخلاص أسمائها نجد منها المحشو والفرو، والتي كانت تتخذ من لفائف الصوف أو الكتان أو الحرير، بحسب القدرة الشرائية للناس يصنع منها ما يتوطآنه ويفترشانه ويرقدان عليه [4]، يضاف إليها اللحاف والوسائد، والكساء أو الحايك، وغيرها[5].

---

(1) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 75/1 =ولعل ما يثبت ذلك المثل الشعبي المشهور عندهم والذي أجاب به جبلي حارس حمّام أغضبه فقال له باللسان البربري: «... كَتْصَبَّح عَلَى المَنَاكَس، وَكَتْحَصَنِي الهَرَاكَسْ».

(2) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 138/1-139 -البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 234/1 -الونشريسي، المعيار المعرب، 374/1، 426 -259/10، 347 -ابن سلمون، العقد المنظم، 31/1 -العماد الأصفهاني، خريدة القصر، 565/3، (قصيدة لأحد شعراء الأندلس من القرن 6 ه / 12 م، حول أدوات الزينة عند النساء).

(3) -ابن عبدون، رسالة في الحسبة، 240 -البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 101/2 -كمال أبو مصطفى، مالقة الإسلامية عصر دويلات الطوائف، (د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1993)، 214.

(4) -البرزلي، جامع مسائل الأحكام، 86/2 -الونشريسي، المعيار المعرب، 116/1، 122.

(5) -الونشريسي، المعيار المعرب، 227/9 -ابن قزمان، ديوان الزجل، 162.

وإذا ما قارنا ذلك بما هو كائن اليوم، خاصة في العديد من مدن وحواضر بلاد المغرب الأوسط، لوجدنا مثل هذا التقليد ما زال قائما ومتداولا في عادات أهل الجزائر، وأن مسميات تلك الأفرشة تترد هي ذاتها، مما يعني أن هناك تقارب وتداخل حاصل بين أهل القطرين، وإن كنا نرى أن البيت الأندلسي ظل مميزا لأن أهل بلاد المغرب كان طابعهم البداوة، ممّا يوحي بأن الأندلسيين كانوا مؤثرين على المغاربة عموما في هذا الجانب، لما تتميّز به بيوتهم من طابع الفخامة والأناقة، ممّا يجعل التأثير من جهتهم أقوى على طابع الحياة الاجتماعية في منازل المغاربة.

2-الأطعمـــة والأشربـــة:

يمثل الطعام أو الطبخ صورة من صور الحياة البيتية في العصور الوسطى، فمن مجموع وصفات الأطعمة في كل من بلاد المغرب والأندلس يمكن تشكيل صورة عن أصناف الطعام وأساليب الطبخ وطرائقه، والتعرف على أطباق الأطعمة المشتركة التي كانت تحضر في العدوتين معا أو بالأحرى تقاليد الأطعمة الأندلسية التي تسربت إلى بلاد المغرب عموما بما فيه الأوسط، مع دخول وفود المهاجرين إليها، وما يقابلها من انتقال لأصناف أطعمة المغرب الأوسط إلى الأندلس.

أ-الأطعمة وأنواعها:

إذا تصفحنا في المصادر المعاصرة للفترة موضوع البحث والتي بإمكانها أن تمدنا بصورة واضحة وتقريبية حول هذا الجانب، فإننا لا نكاد نعثر سوى على مصدر واحد ينسب إلى مؤلف مجهول يتناول فيه صاحبه ذاك مسألة الطبخ في المغرب والأندلس، أين تعرض لمختلف الوصفات وطريقة تحضيرها[1] زيادة على بعض الإشارات المتناثرة هنا وهناك في ثنايا النصوص والمصادر المختلفة وبخاصة منها كتب التراجم حيث يأتي ذكر الأطعمة فيها بشكل عابر في معرض الحديث عن حياة العالم وتاريخه[2]، أو في كتب الجغرافيا حين تستعرض تاريخ مدينة من مدن المغرب الأوسط أو

---

[1] -أنظر: الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تحقيق هويثي ميراندا، (د ط، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1961)، المجلدان 09-10.

[2] -ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 294 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 783/2.

الأندلس، أو في كتب الحسبة والنوازل عندما يسأل الفقيه أو المفتي في قضية ما لها علاقة بهذا المجال[1] إضافة إلى بعض الأبحاث والمقالات المنشورة من طرف باحثين عرب وآخرين مستشرقين[2].

وانطلاقا منها جميعا أمكننا في الأخير استخلاص صورة حول أوجه التشابه في أطعمة البلدين وما يقابلها من انتقال جوانب التأثير الحاصلة من كل طرف اتجاه الآخر.

إنّ أول ما يسترعي الانتباه في كتب الطبخ الخاصة بالفترة موضوع الدراسة، هو التنوع في وجبات الطعام وطريقة تحضيرها بناءًا على خصائص كل طعام، فهناك أطعمة تحضر باللحوم والخضر، وأطعمة بالدقيق والعجين وأطعمة أخرى بالسكر والعسل وهي الحلويات، يضاف إلى ذلك النكهات المتعددة التي تعرف بالتوابل، وكلها مرتبط بشكل مباشر بالمستوى المعيشي الاجتماعي والمادي فالطبقة الخاصة سواء بالمغرب الأوسط أو الأندلس تميّزت بالتفنن في المأكل والتأنق فيه كطهو نوع واحد من الطيور بطرق مختلفة[3]، أما الطبقة العامّة فتميّزت بالبساطة في المأكل، وعدم الإسراف في الطعام[4]، ومع ذلك وانطلاقا من تحضير أنواع الوجبات يتضح التقسيم التالي:

-أطعمـــة اللحـــوم والخضـــر:

تناول أهل المغرب والأندلس في مجملهم اللحوم بمختلف أشكالها من دجاج أو خرفان أو فراريج أو أسماك كالسردين والحوت، وكانت تشوى أو تحضر في شكل أطباق متعددة، ففي الأندلس اشتهر طبق يحضر باللحوم يسمى "البلاجة" وهو يصنع من اللحم الغنمي الفتي السمين والأكباد، يضاف إليه الزيت والكزبرة والخل والثوم، ويوضع في الطاجين وتطبخ، وهو متداول أيضا في العديد من بلدان المغرب[5].

---

[1] -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 133 –الطرطوشي (أبو بكر محمد بن محمد)، الحوادث والبدع، ضبط وتعليق علي بن حسن الحلبي، (ط2، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1996)، 153.

[2] -من نماذج تلك الكتابات نجد: مقال سهام الدبابي الميساوي، الخبز طعام في الأندلس في القرون الخامس والسادس والسابع الهجري "11-12-13م"، (تونس: مجلة دراسات أندلسية، عدد 07، جانفي 1992) -رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية دراسة في نفح الطيب للمقري، (د ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001) -هويثي ميراندا، المطبخ الإسباني المغربي خلال عصر الموحدين، (د ط، مدريد: مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1975).

[3] -من أمثلة التفنن والتأنق في الأكل عند الطبقة الخاصة، والتي وردت الإشارة إليها في كتب الطبخ، طهو الدجاج وتحضيره بطرق عدة بحسب ما يضاف له، فتحمر بالجوز أو الزعفران حينا أو تحمر باللوز المدقوق، أو بماء الكزبر الأخضر، أو بالصنوبر والفستق، كما كانوا يتناولون اللحوم على مختلف أشكالها حيث يشوون الخراف والعجول، ويضعون بداخلها الطيور المشوية، راجع: مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 127، 132، 151 -هويثي ميراندا، المطبخ الإسباني المغربي، 137، 143، 155.

[4] -السقطي، آداب الحسبة، 39 –مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 81-82.

[5] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 49.

أمّا في المغرب عموما بما فيه الأوسط، فكانت توجد طبخة تسترعي الاهتمام تدعى "التفايا" وهي ما تزال معروفة حتى الوقت الحاضر، ويشير صاحب كتاب الطبيخ إلى غير صيغة لتحضيرها حيث يمكن أن يستعمل الدجاج أو السمك، لكن لحم الضأن هو المألوف ويضيف أن من بين الفوائد الخاصة بهذا الصنف من الطعام أنه يقوم على تغذية متوازنة يناسب المعدة الضعيفة، ويكوّن الدم الجيد[1]، وبالنسبة لمسألة الطبخ باللحوم، فقد طرح أحد الباحثين المستشرقين في مقال نشره بعنوان "فنون الطبخ في الأندلس"، إشكالية مفادها أن ليس من الممكن أن نعرف إن كان الاهتمام بلحم البقر عادة في الطبخ أدخلها البربر المغاربة معهم إلى الأندلس، أم أن أهل الأندلس كانوا يستسيغونه قبل دخول البربر إليهم؟ وقد أثار هذه المسألة خاصة بعد أن لاحظ التأثير البربري بشكل واضح في إحدى وصفات الطبخ التي تصنع باللحم وتعرف باسم "الصنهاجي" [2]، حيث كان هذا الصنف من الطعام ينسب إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي دخلت الأندلس، وكان يتكون من طبيخ كثير التوابل فيه لحم بقر صافٍ ولحم ضأن ودجاج وحمام وحجل وصغار الطير، مع أنواع من كرات اللحم المغطاة باللّوز، ويشير نفس الباحث إلى أن وجود لحم البقر في هذه الوصفة يدعوا إلى الاهتمام لأنّه صار يشكل إحدى خصائص الطبخ في الأندلس، حيث توجد إشارات متفرقة لوصفات الطبخ بلحم البقر[3] مع أن ما كان غالبا هو استعمال لحم الضأن والحمل فهما أكثر ما يستهلك عند الأندلسيين من اللحوم، ويأتي بعدهما لحم الدجاج والطيور المتنوعة [4]؛ ومع ذلك لسنا ندري ما إذا كان هذا اللون من الطعام المسمى بالصنهاجي قد دخل إلى الأندلس مع المرابطين حين وصولهم إلى الحكم بها خاصة وأنّهم من سلالة قبيلة صنهاجة الجنوب، أم أنّه قد دخل قبل ذلك مع فرع صنهاجي آخر وهم بنو زيري الذين دخلوا الأندلس قبل المرابطين واستقروا بغرناطة [5]، لذا نرجح أن يكون بدأ تأثير المغاربة في عادات الطعام الأندلسية يعود إلى وقت مبكر جدًا وإلى ما قبل حكم المرابطين؛ وإلى

---

(1) -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، المصدر نفسه، 85، 118 -119.

(2) -المصدر نفسه، 163 -دايفيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس «من كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس»، (ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1988)، 1030/02.

(3) -حول الطبخات التي كانت تحضر في الأندلس بلحم البقر، أنظر: مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 26، 41 -دايفيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس، ص 1031، هامش رقم 34.

(4) - Huici Mirand, Ed, La Cocina Hispano - Maghreb En La época Almohade Segun Un Manuscrito Anonimo, Madrid, 1965, P 85.

(5) -سبق وتطرقنا لبنو زيري ودخولهم الأندلس في عنصر سابق من هذا البحث، راجع: موضوع هجرات البربر نحو الأندلس في الفصل الأول.

جانب هذا الطبق المعروف بالصنهاجي نجد وصفة أخرى تحضر باللحوم وتدعى "اللمتونية"[(1)]، والتي يتضح كذلك أنها من أصل بربري، وكانت تصنع من أي نوع من أنواع لحوم الطيور، وتقول التعليمات إن هذه الطبخة يجب أن تحضر على نفس الطريقة التي يحضر بها طبق "التفايا"، وممّا يذكر هو أن هذا الصنف كان معروفا في الأندلس كما هو معروف في العديد من مدن وحواضر بلاد المغرب[(2)]، ممّا يعني أن أكثر أطباق الطبخ المغربي التي أثرت في الطبخ الأندلسي هي التي يتعلق صنعها وتحضيرها باللحوم، وإلى جانب تلك الأطباق التي كانت تحضر باللحوم والتي فيما يبدوا أنّها موّجهة بشكل واضح للطبقة الخاصة من الملوك والحكام والوزراء، كانت هناك أطباق أخرى أيضا تحضر بالخضروات وغيرها كلون الباذنجان، الذي أكثر ما يؤكل منه في الأندلس عن طريق سلقه وطرح قشره الأعلى إضافة إلى الجزر والخردل وأنواع أخرى من الخضار[(3)]، ويبدو أنها مما يتناوله الناس أيضا بالمغرب الأوسط، إذا ما زالت لحد اليوم في كثير من حواضر القطر الجزائري كقسنطينة وتلمسان والجزائر تحضير العديد من الوصفات التي تدخل فيها تلك الخضروات[(4)].

-أطعمـــة الدقيـــق والعجيـــن:

وهي أنواع من الأطعمة الغالب عليها الدقيق كمادة أساسية وأولية حيث يخلط بماء وملح وزيت وتعجن بشحم مرطب بالزيت، وتشكل منها أرغفة من الخبز يحضر بأنواع شتى [(5)] والنوع الواحد منه يشكل أشكالاً وهو يبقى واحد لا يتغير، لكن تدخله مواد أخرى ويطبخ على نحو يجعله متعدد تعدد الأطعمة التي يدخل فيها والغالب عليه هو الخبز [(6)]، ومثل هاته الأنواع نجدها منتشرة في

---

(1) -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس، ص 1031، هامش 34.

(2) -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 187.

(3) -المصدر نفسه، 93، 166 -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 255/1 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 290/1.

(4) -رشيدة أمهاوش، ألذ أطباق البطاطس، (د ط، الدار البيضاء: منشورات الشعراوي، 2006)، 24، 36، 52.

(5) -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 73-75 -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 99-100.

(6) -سهام الدبابي، الخبز طعام في الأندلس، 73 = ذكرت أنّه كان يستهلك على وجهان: حبز أديم يؤكل مع الإدام، فهو يصاحب اللحوم أو الخضر، وخبز يتخذ لونا من ألوان الطعام يخلط إمّا باللحم، أو يطبخ في اللبن وغيره، كما أشار ابن قزمان في ديوانه إلى النوعين معا من ذلك قـــوله:

النــَاسْ في إِدَامْ وَخُبْزْ يَـــابِسْ
إن دُمْتْ شَوَى سَعَى نَقَـــايِسْ
النــّاسْ للسْمِيدْ وأَنَـــا للكَسْرَه
تــَرَانِي عَلِيهَـــا فَرْخْ نَسْـــرَه،   أنظر، ديوان الزجل، 518، 522.

في كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس، إلا أن أكثر ما اشتهر منها وانتشر هو طعام يعرف بـــ "الثريد"، إذ تشير الوصفات إلى أنه يطبخ بما يهشم من الخبز وتعد من أهم الأكلات التي عرفها مجتمع المغرب الأوسط، حيث كانت تصنع على أنواع منها ثريد من عمل أهل بجاية يسمونه "شاشية ابن الوضيع"[1]، وأكثر ما يحضرونه أيام الربيع، ويصنع من اللحم الغنمي السمين من أجنابه وصدره مخلوطا بملح وفلفل وبصل وكزبرة يابسة، كما يوضع فوقه بعد النضج الفول الأخضر المقشر، وفي أعلاه لقم من الزبد، والظاهر أن هذا الطعام المعروف بالثريد ما زال متداولا في عدة مدن بالقطر الجزائري إلى وقتنا الحاضر، خاصة في جهات الشرق كقسنطينة والوسط كالجزائر، ويطلق عليه بالعامية اسم "الثريدة"، وهي تتطابق في طريقة تحضيرها مع ما هو معروض في وصفة صاحب كتاب الطبيخ بالمغرب والأندلس، مما يجعلنا نخمن بأن يكون أصلها من المغرب الأوسط[2].

وممّا يلاحظ هو ولوع الأندلسيين أيضا بطعام الثريد الذي يصنع عندهم من الخبز، ويظهر ذلك واضحًا من خلال الوصفات العديدة لتحضيره والتي أوردها صاحب كتاب الطبيخ [3]، كما نجدها عند مؤلف آخر جاء بعده إذ ختمها بقوله: «وفيما ذكرت من أنواع الثريد كفاية... »[4] وهي إشارة صريحة إلى أنّه لم يذكر إلاّ بعضها، وعلى هذا فمن المحتمل أن يكون طعام الثريد من الأطعمة ذات الأصول المغربية، والتي دخلت للأندلس مع وفود المهاجرين، فتعرف أهل الأندلس عليها وولعوا بطبخها، وغير بعيد عن هذا النوع من الطعام، نجد أكلة أخرى شعبية كانت تحضر من الدقيق، وتعد من أهم مميّزات أطعمة المغاربة صنف يسمى الكسكسو أو "الكوسكوسو"[5]، حيث توضح كتب الطبخ أن هذا الصنف كان طعاما تقليديا شائعًا في الأندلس كذلك، وأمّا عن طريقة تحضيره فتشير إلى أنّه كان يتخذ من الدقيق ويرطب بالسمن ويفتل مستديراً ثم يغطى على فوار الماء

---

[1] -مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 183 = ويذكر أنّها سميت بشاشية ابن الوضيع لأنّ في أعلاه لقم من الزبد تسيل على جنباته، وشبيهة بشاشية وضعت، كأن ذلك الزبد الأبيض قطن شاشية.

[2] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 183.

[3] -المصدر نفسه، 113-114، 148.

[4] -ابن رزين التجيبي، فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، «صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين»، تحقيق محمد بن شقرون، إشراف إحسان عباس، (ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984)، 57.

[5] -الكسكسو: طعام يتخذه المغاربة من الدقيق يسمونه الكسكسو وبعضهم يسميه الكسكاس، وله وجه في العربية أن يكون مشتقا من الكسِّ وهو الدق الشديد، أنظر: الزبيدي (محمد مرتضى بن محمد الحسني)، تاج العروس من جواهر القاموس، اعتنى به ووضع حواشيه عبد المنعم خليل وسيد محمد محمود، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)، مجلد 08، ج 15-16 / 232.

ويعرف بأمراق اللحم وأجوده المأخوذ من خالص دقيق الحنطة المجفف بعد تحويره [1]، وطعام الكسكسو هذا حسب رأي أحد الباحثين هو مغربي الأصل، انتقل إلى الأندلس مع هجرات البربر[2]، ولسنا نعلم متى انتقل ولا كيف، إلا أن الإشارات التي أوردها صاحب كتاب الطبيخ تثبت أنه من الوجبات التي كانت تتناول في الأندلس على عهد الموحدين، إذ صار يطبخ عندهم على أنواع عدة منها نوع يسمى "الفتياني"، ويحضر بطبخ اللحم ببقله، فإذا نضج أخرج اللحم والبقل من القدر، وجعل في ناحية وصُفَي المرق ممّا فيه من عظام أو غيرها، ورد القدر على النار، فإذا غلى جُعل فيه الكسكسو المطبوخ المحكوك بالدسم، ويترك قليلاً على النار أو على الرصف حتى يتشرب، ويأخذ حقه من المرق حينئذٍ يصب في قصعة ويجعل عليه لحمه المطبوخ وبقله، ويذر عليه القرفة [3].

وممّا يجدر ذكره هو أن هاته الطريقة في طبخه وتحضيره لا تزال هي نفسها إلى وقتنا الحاضر في العديد من حواضر ومدن الجزائر، وعليه يمكن أن نستنتج أن تأثير المغاربة قد مس أيضا الأطعمة التي تصنع من العجين والدقيق وليس التي تحضر باللحوم فحسب، ولعلّ ما يدعم ذلك هو ما توصلت إليه إحدى الباحثات من خلال مقال نشرته وعالجت فيه موضوع الخبز كطعام في الأندلس في القرون الخامس والسادس والسابع الهجري، حين أرجعت كثرة احتفاء الأندلسيين بالخبز كطعام إلى توفر الحبوب في تلك الربوع من جهة وإلى تواصل عادات متوسطية قديمة، والتأثر بتقاليد عربيّة وبربرية من جهة ثانية[4]، وهذا يعني أن بعض الطرق التي يحضر فيها الخبز كطعام عند السكان المغاربة بما فيهم أهل المغرب الأوسط، قد نقلوها معهم إلى الأندلس وبالتالي أثروا في تقاليد الطبخ هناك؛ وممّا يضاف إلى هذين النوعين أيضا نجد أصنافا أخرى كانت تحضر بالدقيق وتعد من الأكلات

---

(1) -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 181 -المقري، نفح الطيب، 269/4، ويقدم التجيبي خمس وصفات، أربع منها تنويعات على الوصفة الرئيسية التي تتطابق في طريقة تحضيرها مع ما هو كائن اليوم في العديد من مدن القطر الجزائري، حيث تنص الوصفة على ما يلي: تطبخ أضلاع البقر قدر كبيرة فيها ماء وتوابل، وما يتيسّر من الخضار في ذلك الموسم، كالجزر والخس والباذنجان، ويحضر الكوسكوس أي السميد المرطب قبل ذلك بوضعه في إناء عميق، ثم يرش بالماء وقليل من الملح في أعلاه، ثم تحرّك الحبوب بين الأنامل لتلتصق ببعضها، ثم تفرك بين الراحتين حتى تصبح بحجم رؤوس النمل، ويؤخذ "الكسكاس" ذو الثقوب في قعره ويملئ ويوضع فوق قدر الطبخ الكبيرة، ودليل نضوجه قوّة الأبخرة المتصاعدة إلى أعلى الإناء، ويفرك الكوسكوس بعد ذلك بالزبدة الصافية والقرفة وسنبلة الطيب، ويوضع في صحنٍ كبير ويُصب عليه مرق اللحم والخضار المطبوخة حتى يتم امتصاصها، وبعد ذلك يُصف اللحم والخضار فوق الكوسكوس، ويزاد عليه من القرفة والفلفل والزنجبيل، أنظر: ابن رزين، فضالة الخوان في طيّبات الطعام، 87-88.

(2) -رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، 50.

(3) -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 181.

(4) -سهام الدبابي، الخبز طعام في الأندلس، 80.

المشتركة التي يبدو أن كلا من أهل المغرب الأوسط والأندلس كانوا يأكلونها، وفصلت كتب الطبخ المغربي والأندلسي في تحضيرها نذكر من أشهرها صنف يسمى "الفداوش"، والذي يصنع على ثلاثة أنواع منه المستطيل الشكل على هيئة القمح ومنه المستدير على قدر حب الكزبرة ويسمى عند أهل بجاية بالحميص[1]، وهو معروف إلى الآن في مناطق عديدة من القطر الجزائري باسم "التليتلي" والمحمصة والفتات[2]، إضافة إلى أنواع أخرى يمكن الرجوع إليها مفصلة في كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، وبرأيي فإن سكان المغرب الأوسط كانوا متفننين في صنع الأطباق التي تحضر باللحوم، أو تلك التي تصنع بالدقيق والخبز، وشواهد هذا التفوق ما زالت حاضرة للعيان إلى وقتنا الحالي، مما يجعلنا نخمن بأننا كنا مؤثرين على أهل الأندلس في طريقة طبخها وتحضيرها، وأنه كان لأهله السبق في إدخالها إلى الأندلس، وتعريف السكان بها هناك خصوصا وأن مثل هاته الأطباق تعد من أهم ما يحضر في الحفلات ومختلف المناسبات الاجتماعية وغيرها.

-الحلويـــات:

وإلى جانب الأطعمة المالحة، والتي سبق ذكرها هناك صنف آخر، وهو الأطعمة الحلوة[3] وقد كانت صناعة الحلوى منتشرة في المدن الأندلسية بشكل ملحوظ، وكانت تتخذ غالبا من التمر والعسل أو من السكر المدقوق أو من السكر الأبيض والعسل المصفى[4]، وشيوعها في الأندلس كبير إذا ما قورن بحواضر بلاد المغرب، ويبدو أنّها كانت آخر ما يتناول من وجبات الطعام[5]، وتفصل كتب الطبيخ في الحديث عن أنواعها وطرق تحضيرها، إلاّ أن من أشهرها النوع المسمى بـــ "المجبنات"، وهي نوع من القطايف يضاف إليها الجبن في عجينها ثم تقلى بالزيت الطيب[6]، ويحدثنا

---

[1] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 184 –ابن رزين، فضالة الخوان، 91.

[2] -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 255/1 =حيث أورد رواية تعود إلى القرن 7 ه /14 م يظهر فيها استمرارية إقبال أهل المغرب الأوسط على الاهتمام بتحضير هاته الوجبة، وأنها ظلت متداولة بينهم وعملوا حتى على نشرها وتعريف غيرهم بها.

[3] -الحلوة أو الحلوى أو الحلواء، هي كل ما عولج بحلو الطعام، ابن منظور، لسان العرب، 183/2.

[4] -المقري، نفح الطيب، 269/4.

[5] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 85.

[6] -ابن عبدون، رسالة في الحسبة، 190 –مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 200 = أما عن طريقة تحضيرها، فهي تتخذ من دقيق الدرمك أو السميد، يعجن بشيء من الخمير ويسقى بالماء أو اللبن، ثم يقطع من العجين قطعة ويدقق في جوفها مثلها من الجبن المفروك، ويعصر باليد ليخرج منها ماء الجبن، ثم تقلى في الزيت الطيّب، ثم يُذر عليها سكر كثير وقرفة مسحوقة ومن الأندلسيين من يأكلها بالعسل أو بشراب الورد، وقد وردت المجبنات كثيرا على ألسنة الشعراء الأندلسيين من ذلك قول أحدهم:

وَمُصْفَرَّةُ الخَدَّيْنِ مَطْوِيةَ الحَشَـا عَلَى الجُبْنِ وَالمُصْفَرِّ يُؤْذِنُ بِالخَوْفِ
لَهَا بَهجَةٌ كَالشَمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَلَكِنَّهَا فِي الجُبْنِ تَغْرُبُ فِي الجَوْفِ

أنظـــر المقري، نفخ الطيب، 180/1.

المقرّي عن مدينة شريش الأندلسية المشهورة بالمجبنات قائلا: «وممّا اختصت به إحسان الصنعة في المجبنات، وطيب جبنها يعين على ذلك حتى صار يقال في المثل الشعبي الأندلسي أن من دخل شريش، و لم يأكل بها المجبنات فهو محروم» [1]، وكان الأندلسيون يشترطون في أكلها أن تكون ساخنة كما جرت عادتهم أن تؤكل في الصباح [2]، وكانوا يتهادون بها[3]، ويذكر صاحب كتاب الطبيخ أنها كانت تصنع في طليطلة وإشبيلية وقرطبة، كما تصنع أيضا في جهات عديدة من بلاد المغرب[4]،وإشارته إلى انتشارها يوحي بأن هذا النوع من الحلويات الأندلسية، قد انتقل إلى بلدان المغرب في فترات زمنية للأسف مجهولة، كما أن ممّا لاشك فيه هو أن كثيرًا من أهالي المغرب الأوسط ممّن استقروا بمدينة شريش أو غيرها من مدن الأندلس الأخرى قد تعرفوا على هذا النوع من الحلوى وتذوقوه، بل ولعلّ منهم حتى من برع وتميّز في صنعه وإن كنا نعدم الدليل الذي يدعم ذلك.

ومن أشهر الحلويات الأندلسية أيضا التي انتشرت خلال الفترة موضوع الدراسة، حلوى تعرف باسم آذان القاضي، وتسميتها بذلك ارتبطت بطرفة وقعت في الأندلس أوردها المقرّي في كتابه نفح الطيب[5]، وتطرق صاحب كتاب الطبيخ إلى طريقة تحضيرها [6]، وتتوافق مع إحدى أصناف الحلوى التي تنتشر اليوم في مدن الجزائر [7] ولعل ذلك يوحي بأنها قد انتقلت إلى بلاد المغرب المغرب الأوسط منذ زمن بعيد وتعرف أهله على طريقة صنعها واستحسنوها، ويبدوا أن تحضير هاته

---

[1] -السقطي، آداب الحسبة، 31 -المقري، نفح الطيب، 172/1-173.

[2] -الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 234/1 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس، 158/1، 287.

[3] -ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، 156.

[4] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 200.

[5] -تقول الطرفة أن أحد القضاة حضر مجلس ابن ذي النون بطليطلة فقدم نوع من الحلوى يعرف بأذان القاضي، فتهافت جماعة من خواصه عليها يقصدون التزوير فيه، وجعلوا يكثرون من أكلها وكان فيما قُدّم من الفاكهة طبق فيه نوع يسمى عيون البقر، فقال له المأمون: يا قاضي أرى هؤلاء يأكلون أذنك فقال: أنا أيضا آكل عيونهم، وكشف عن الطبق وجعل يأكل منه، وعليه فقد أطلق على هذا النوع من الحلوى أذان القاضي لأنّه يشبه الأذن في طريقة صنعه، أمّا إضافته للقاضي فإتباع لنوع آخر من الحلوى يعرف عند المشرقيين بلقمة القاضي، المقري: نفح الطيب 188/4 -وقد وردت الرواية أيضا في مخطوطة لمؤلف مجهول وهي عبارة عن رسالة في نوادر العلماء المسلمين في الأندلس، بمكتبة الخزانة الوطنية بالحامة، الجزائر، تحت رقم 2232، ورقة 07.

[6] -آذان القاضي: حلوى معروفة عند الأندلسيين، تصنع عن طريق عجن دقيق الدرمك بماء وزيت دون خميرة يمد منها قريصات رقاق مثل قرص الأقرون، تطوى طيتين ويخلط الطيّ في الطيّ وتفتح حواشيها وتقلى، فإذا قليت صنع حشو من الفستق أو من اللوز والسكر، ويعجن بماء الورد ويحشى به الأذن، ثم يصب في صفحة ويسقى بشراب الجُلاب، أنظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 106-107.

[7] -حسيني عيدوني رمضاء، الحلويات الجزائرية القسنطينية، (د ط، الجزائر: شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، 141 "أنظر وصفة تحضير الحلوى المسماة: الصامصة".

الأنواع من الحلويات وغيرها كان مرتبطا بمختلف المناسبات الاجتماعية والاحتفالات والأعياد [1]، يدل على ذلك حلوى كانت تحضر في الأندلس تسمى "مدائن يناير" وتحضر في عيد النيروز[2].

ولا تشير المصادر إلى انتشار مثل هذا النوع من الحلوى في بلاد المغرب الأوسط في ذلك الوقت إلاّ أنّ الاحتفال بيناير موجود عندهم أيضا[3]، ولكن لا نعلم نوعية الأطعمة أو الحلوى التي كان المغاربة يحضرونها فيه بما في ذلك أهل المغرب الأوسط، لسكوت المصادر عن ذلك، ويبدوا أن المغاربة الذين كانوا يقيمون في الأندلس قد تعرفوا على حلوى المدائن انطلاقا من مشاركتهم لإخوانهم الأندلسيين الاحتفال بالمناسبة التي كانت تصنع فيها مثل هذه الحلوى وهي عيد يناير، ومع ذلك يلاحظ في بعض مدن الغرب الجزائري في وقتنا الحالي كتلمسان الاهتمام بصنع حلويات على شاكلة تلك المدائن خاصة عند الاحتفال بالمولد النبوي [4] مما يعني أن تأثيرها قد انتقل إلى المغرب الأوسط من الأندلس في زمن ما لا نعلمه، ولعلّ ذلك كان مع الهجرات الأولى للأندلسيين إلى بلاد المغرب بعد سقوط مدنهم في يد النصارى.

وإذا انتقلنا بالحديث عن الحلوى التي كان يصنعها المغاربة، فإنّ المشهور منها عنهم هو الإسفنج[5]، والذي ما يزال معروفا إلى غاية اليوم بنفس الاسم في العديد من حواضر الجزائر [6]، وقد وقد أورد صاحب كتاب الطبيخ كيفية تحضيره مما يوحي بأنه كان معروفا أيضا بالأندلس، ومتناولا عندهم، ولعله دخل عن طريق هجرات أهل المغرب إلى هناك [7]، ومن أصناف الحلويات الأخرى

---

[1] -ابن سعيد، اختصار القدح المعلى، 156 -لوسي بولسن، الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة "ق 05 -07هـ/ 11-13م"، (تونس: مجلة دراسات أندلسية، عدد 06، سنة 1991)، 188.

[2] -عبد الملك، الذيل والتكملة، 1/565-566 -الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 1/238-239، وممّا جاء في وصفها «أنّها عبارة عن مدائن مصغرة ذات أسوار من العجين المركبة على البيض المصبوغ بالحمرة أو الخضرة أو بغير ذلك من الألوان بحسب المتخير لها، ويطبخ في الفرن ويجمع إليه أصناف الفواكه، ثم يدفع ذلك كله إلى الأصاغر فيأتون عليها أكلاً وتفكها».

[3] -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 1/293 = سوف نتطرق لهذا النوع من الاحتفالات في عنصر لاحق من هذا الفصل.

[4] -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 1/276 -278.

[5] -الإسفنج: هو من الحلويات المشهورة بالمغرب، ولعله سمي كذلك لشبهه بإسفنج البحر، راجع كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 229.

[6] -حسيني عيدوني رمضاء، الحلويات الجزائرية القسنطينية، 82.

[7] -ومما يدل على أن الأندلسيين كانوا يتناولونه أبيات شعر لأحد شعراء الأندلس من أعيان القرن 05 ه / 11 م، وهو أبو حفص عمر بن شهيد يقول فيها:

أَحْذِي كَذَا بِرِكَابِ الضَيْفِ أُنْزِلُهُ أَلَذُّ عِنْدِي مِنَ الإِسْفَنْجِ بِالعَسَلِ.

التي شاع تناولها ببلاد المغرب الأوسط نجد: "القرصة" التي تحضر في العديد من مدن الجزائر إلى اليوم بالسميد وتعجن بالخمير وتطبخ في الفرن ثم يصب عليها العسل[1]، كما عرفوا أكل نوع آخر من الحلوى يسمى الزلابية وهي من أشهر الحلويات التي تتناول خاصة شهر رمضان ولا تزال في بلادنا إلى وقتنا الحاضر[2]، كما عرف أهل تلمسان صنع نوع من الحلوى يسمى "المشهدة" والتي كانت تحضر بخلط السميد والعسل وتقلى في مقلاة، وأشار صاحب كتاب الطبيخ إلى طريقة صنعها، ويبدوا أنها قد انتقلت أيضا إلى الأندلس[3]، يضاف إليها نوع يسمى "المركبة الكتامية" حيث تصنع في قسنطينة، وتسمى أيضا المورقة بالتمر، ويصنعها أهل إفريقية أيضا[4]، وفيما يبدوا فإن قبائل كتامة بالمغرب كانوا يتناولونها لأنّ اسمها قد نسب إليهم لاشتهار صنعها عندهم، وبما أن صاحب كتاب الطبيخ قد أشار إلى أنها كانت تعرف أيضا بهذا الاسم في الأندلس فهذا يعني أن قبائل كتامة قد أدخلوها معهم إلى الأندلس فتعرف أهله على طريقة صنعها، وبالتالي كانوا يتناولونها هناك بتأثير من تلك القبائل.

وبذلك نستنتج بأن الأطعمة على مختلف أنواعها قد شكلت وجهًا ومظهرًا لثقافة المجتمعين تعكس صورة من صور الحياة الشعبية في جانب خاص من جوانبها عند كل من الأندلسيين وأهل المغرب الأوسط بشكل خاص، وتظهر علاقة التأثير الوطيدة والعكسية التي جعلت كل طرف ينفتح على الآخر ويطلّع على أسلوبه المميّز في تحضيرها، وإن كنا نرجّح أن التأثير الأندلسي كان أقوى في هذا المجال، إذ الشواهد الكثيرة تشير إلى تفوق الأندلسيين وبروزهم، وأنّهم كانوا أصحاب صنعة وتفنن في ذلك من دون أن نلغي أيضا التأثير المغربي الذي سبق وأشرنا له في مواضع عدّة.

ب-ملحقات الطعام:

إذا كانت الأطعمة بمختلف أنواعها سواء منها المالحة أو الحلوة قد ظهر فيها بعض التمايز في طريقة تحضيرها وتسمياتها عند كل من الأندلسيين وأهل المغرب الأوسط، فإن الأمر الوحيد والمشترك

أنظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، قسم 04، ج 247/2.

[1] -مؤلف مجهول، الطبيخ في المغرب والأندلس، 230.

[2] -المصدر نفسه، 216 -عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، 39.

[3] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 202-203 -يحي ابن خلدون، بغية الرواد، 127/1.

[4] -المصدر نفسه، 204 =وعن طريقة صنعها ذكر «بأنّها تتخذ من العجين الذي يصنع منه رغيف رقيق، ثم ينضج في طاجين محمى، فإذا نضج قلب وجعل عليه من التمر المنقى المدعوك بالزيت، ويملس بالكفّ ثم يجعل عليه رغيف آخر ويقلب عليه ذلك، ثم رغيف وتعاود حتى يطلع منه ما أجنبه فإذا نضجت من كل جهة جعلت في قصعة وصبّ عليها زيت مسخن وعسل متروع الرغوة، ولعلها تشبه حاليا ما يسمى في بلادنا "البراج" والذي يحضره النسوة عادة عند دخول فصل الربيع.

الذي لا يكاد يظهر الاختلاف فيه بين الجانبين والذي تجمع كتب الطبخ والأبحاث المتعلقة بمجال الأطعمة حوله هو مسألة استخدام التوابل وأدوات الطبخ وطريقة تحضير مائدة الطعام، وتعد من ملحقات الطعام وتوابعه المتعلقة به والذي لا يتم كماله إلا بها.

فبالنسبة للتوابل تشير كتب الطبيخ في المغرب والأندلس إلى صنوف شتى من مستحضراتها التي تعرف بالمطيبات، على اعتبار أنّها مواد طبيعية أو مصنّعة تضاف إلى الأطعمة فتزيد من تميز ذوقها وطيب تناولها، ولعل من أشهر أنواع التوابل التي يتردد ذكرها مع وصفات الطعام نجد الفلفل والزنجبيل[1] والقرفة[2] والكرفس[3] والنعنع[4]، والزعفران[5]، وغيرها وكلها طبيعية إضافة إلى الأذهان المتخذة من النبات والبذور كالمصطكي[6]، ويضاف إليها مستحضرات أخرى تعد هي الأخرى من التوابل التي تضاف إلى الأطعمة، ولكنها تختلف عن الأولى من حيث أنّها كانت تحضر أي تصنع ثم تحفظ وتستعمل، ويشير صاحب كتاب الطبيخ إليها، فمثلا نجد الزيتون والليمون والباذنجان تحضر وتخزن في خواب كبيرة حتى تحين الحاجة إليها[7]، وهناك أيضا نوع يسمى "المريّ" وهو يستعمل بمقادير صغيرة، ويذكر في جميع أنواع الأطعمة، وكان يدخل في صنعه الزبيب والخروب وبعض التوابل الأخرى كالسمسم واليانسون وجوزة الطيب وورق الليمون، ومستحلب بذور الصنوبر، وتوظف عند الحاجة[8]، ويتضح من ذلك أن استخدام التوابل يعد تقليدا مميزا درج عليه كل من الأندلسيين والمغاربة لتطييب أطعمتهم، مما يجعل الأذواق فيها تتشابه، وهو وجه آخر

---

[1] -الزنجبيل: هو نوع من التوابل له رائحة نفاذة، يستخدم عادة في الخبز وإضفاء نكهة للمشروبات، أنظر: مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، (ط2، المملكة العربية السعودية: نشر مؤسسة أعمال الموسوعة، 1999)، ج 11 / 614.

[2] -المصدر نفسه، ج 165/18.

[3] -الكرفس: نبات له ساق طويلة، وعلى ورق الساق أغصان صغار طيّب الرائحة، شبيه بالكون له بزر يستعمل في الطعام، أنظر حول هاته التوابل وغيرها، مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 160، 184، 197 -مقال سهام الدبابي، تهذيب المائدة في الأندلس، (المجلة العربية للثقافة، عدد 27، سنة 1994)، 168-174 -الموسوعة العربية العالمية، 215/19.

[4] -النعنع: اسم يطلق على فصيلة كاملة من النباتات ذات السيقان المربعة، وتكون الجذور على امتداد سطح الأرض، وتنمو الأوراق ذات الرائحة الزكية، وتستخدم أوراق النعناع كنكهة على الطعام المطبوخ، راجع: الموسوعة العربية العالمية، ج 415/25.

[5] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 80.

[6] -المصطكي: هي صمغة معروفة، تجلب من الجزائر الرومانية، وشجرها من أصناف الصرو وقد يوجد بالمغرب، أنظر: السقطي، آداب الحسبة، 41- 43 -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 86- 87 -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 122.

[7] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 77 -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس، 1026.

[8] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 82 -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس، نفس الصفحة.

يعكس مظهر الاتصال الثقافي بين المجتمعين، خصوصا وأننا إذا ولينا نظرنا إلى ما هو حاضر اليوم لوجدنا أن الطعام في مدن الجزائر، أو في مدن الأندلس لا يستساغ من دونها.

هذا وإن تجهيز كل أنواع الأطعمة كان يتم داخل المطابخ والمنازل عند أهل الأندلس والمغرب الأوسط، بحسب ما تشير إليه كتب الحسبة والنوازل، حيث تعرض الونشريسي ضمن أحد النوازل إلى بعض أعمال وواجبات الزوجة داخل البيت، وأشار إلى أن بعض النسوّة كُنّ يبعثن بالخبز وهو بعد عجين إلى الفرن لإنضاجه[1].

ممّا يعني أن مسؤولية تحضير الطعام كانت تقع على عاتق المرأة أو الزوجة داخل البيت[2] ومع ومع ذلك لا نعدم بعض الإشارات في كتب الحسبة التي توحي بأن الرجل هو الآخر كان يقوم بنفس العملية أحيانًا، ويظهر هذا بشكل واضح عند الرجال بالأندلس خاصة ممّن كانوا يعملون في المطابخ العامة أو الشعبية[3].

وحتى يحضر الطعام بطريقة جيدة كانت تستخدم في المطبخ المغربي والأندلسي العديد من الأدوات والوسائل، وانطلاقا من وصفات الطعام المذكورة في كتب الطبخ أمكننا الكشف عن أسمائها إذ يتضح مدى التشابه في تلك الوسائل المستعملة، ممّا يعني أنّها كانت معروفة ومتداولة عند سكان البلدين في تلك الفترة، ولعلّ منها بعض الأجهزة التي دخلت وانتقلت إلى الآخر مع جماعة المهاجرين، وفي العموم نذكر منها ما يلي: القدور، حيث جرت العادة أن يطبخ الطعام في قدور ويبدوا أن هذه القدور كانت تتخذ على أحجام عديدة بحسب المواد التي تطبخ فيها إلاّ أن أكثر الأنواع شيوعًا هو قدر الفخار، أين كانت تحضر فيه العديد من الطبخات خاصة تلك التي تصنع باللحم والطيور[4]، إضافة إلى الطنجير وهو عبارة عن إناء يوضع فيه الطعام المطبوخ ليقدم على

---

(1) -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 189 -الونشريسي، المعيار المعرب، 10/230-231.
-Levi Provencal, Histoire De L'espagnes Musulman, Op-Cit, P 419.

(2) -نموذج عن ذلك عبد الحق الإشبيلي ت " 582 ه / 1186 م)، ببجاية الذي كانت له خادمة تقوم بشؤون البيت والمطبخ، أنظر: ابن الزبير، صلة الصلة، 05 —الغبريني، عنوان الدراية، 73-75.

(3) -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 75، 85، 92 -ابن قزمان، ديوان الزجل، 324 -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس،1024.

(4) -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 182- 183.

المائدة[1]، زيادة على أنواع وأحجام شتى من الملاعق "المغرفة"، منها ما يستخدم للكيل وتحريك الطعام، وبعضها ما يتخذ لتناوله[2].

ومن الوسائل أيضا الفرن والموقد أو ما يسمى بالتنور[3]، وهناك أدوات أخرى كانت تستعمل وتوظف في عمليات الطبخ أيضا وهي مجموع أواني تتعلق بأنواع محددة من وصفات التحضير أشار إليها أحد الباحثين المستشرقين المهتمين بفنون الطبخ بالأندلس فذكر منها: المعجنة والشوبق، والقضيب، والخيط والمهراس، والكسكاس، والسكين والساطور والممخضة، والقصبة، والقُفّة، والمروّحة، والغربال، وغيرها[4]، ومع أنها كانت خاصة الاستعمال بالأندلسيين إلا أننا نجدها متداولة ومعروفة عند أهل المغرب الأوسط، بل أن منها ما يزال يحتفظ بنفس التسمية ويستعمل لذات الوظيفة، مما يدل على أن تلك الوسائل المعتمدة تكاد تكون واحدة في كلا البلدين، وبرأيي فهي وجه آخر للانفتاح والتفاعل الاجتماعي الذي ميز العلاقات بين الطرفين.

هناك إشارة أوردها صاحب كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس توحي بأن الأطعمة كانت تقدم على الموائد أو الخوان وفق نظام خاص، سواء ذلك عند الأندلسيين أو المغاربة بما فيهم بطبيعة الحال سكان المغرب الأوسط، حيث يذكر بأن أوّل ما يبدأ بتقديمه هو أصناف الحساء، فالأطعمة المطبوخة باللحوم والطيور، ثم المأكولات المتبلة بالخلّ والمري، فأطباق الحلوى، وبين كل صنف من

---

(1) -الطنجير: يطلق عليها أيضا في العهد الموحدي بالأندلس اسم البرمة، وهي التسمية المنتشرة والمتداولة اليوم في العديد من مناطق الجزائر، للتفصيل أكثر أنظر: عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 308 "وثيقة السلم في الفخار" -دايفيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس، 1028.

(2) -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 84.

(3) -التنور: هو موقد يجهز لتوضع عليه القدور لطبخ الطعام، وبطريقة النسف على حطب النار كانت تصل الحرارة إلى قاع الإناء الذي تجمع فيه مكونات أصناف الأكل، وهو يقدم حرارة تناسب مختلف الأصناف، بحيث يمكن التحكم في حرارته التي عادة تناسب الخبز والشواء وغيرهما، وهو ذو شكل أسطواني يشبه خلية النحل أو إناء فخار كبير مقلوب، وربما كان قد تطور عن ذلك الشكل، لتفصيل أنظر: ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 75 -عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، 308 -دايفيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس، 1023.

(4) -وبالنسبة لشرح مصطلح بعض تلك الأدوات نجد المعجنة: واسمها يدل عليها وهي حاوية يوضع فيها العجين ليختمر قبل خبزه، أما الشوبق: فهو أسطوانة خشب لفرش العجين، وكانت عبارة عن لوح رخام تفرش عليه رقائق العجين، أما القضيب: فهو أداة لطرق اللّحم والخيط، كان يستعمل لتقطيع البيض المسلوق وإعداد البيض المحشي، والمهراس: مصنوع من الرخام الأبيض أو الخشب يُستخدم في دق الأعشاب وغير ذلك من الأطعمة كالجبن اليابس، والممخضة: هي أداة لمخض اللبن وتحريكه ليخرج الزبد، أما القفة: فهي حاوية تشبه السلة تستخدم في تصفية المصل ولحفظ الطعام، راجع: ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 75، 77 -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 37، 84، 86، 90، 202 -دايفيد ويتز، فنون الطبخ في الأندلس، 1028 -سهام الدبابي، تهذيب المائدة في الأندلس، 165.

هذه الأصناف تقدم أنواع الثرائد والعجائن ومختلف أطباق الكسكسو [1]، وبهذا فهي لا توضع جميعًا على المائدة دفعة واحدة وقد كان ذلك عادة الناس والحكام والأغنياء منذ الفتح وحتى القرن 16هـــ/12م، ومثل هذا التقليد ما زال متداولا وسائدا في طريقة تقديم الطعام في العديد من مدن القطر الجزائري، وخاصة في المناسبات الاجتماعية أين يكثر تحضير عدة وجبات متنوعة في وقت واحد، وبرأيي فإن هاته العادة قد استمر الأخذ بها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم؛ والظاهر أن ترتيبها بهذا الشكل يدخل في تقاليد تقديم الأطعمة، حيث تقدم الأصناف السهلة الهضم مع أخرى عسرة لأن تناولها في وقت واحد يحدث التخمة وبعض أمراض المعدة [2]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ثقافة خاصة كان يتمتع بها الأندلسيون والمغاربة في طريقة تقديمهم للطعام، ومع ذلك فإنّ اهتمام الأندلسيين بهذا الجانب قد فاق المغاربة، إذ لم يقتصر اهتمامهم بترتيب المائدة على الأطعمة فحسب بل تعدوها إلى التفنن حتى في وضع الفواكه، ويبدو من خلال إحدى الروايات التي أوردها صاحب كتاب نفح الطيب، أن هناك طريقة خاصة قد جروا على العمل بها منذ القرن 05 ه / 11 م، وهي مستوحاة من فكرة عرضها أحد ملوك الطوائف بالأندلس، وعلى أساسها صارت الفواكه تقدم فوق المائدة بترتيب خاص، حيث يوضع الجوز أولا ثم اللوز فالقسطل، فغيرها من أصناف الفاكهة[3].

وإذا كان هذا النظام قد جرى الأخذ به في الأندلس بداية من هذه الفترة، فلعلّ العديد من أهل المغرب الأوسط الذين استقروا هناك وعايشوا تلك المرحلة خاصة من كانوا منهم مقربين من قصور الحكام كالأدباء والشعراء، قد تعرفوا على هذا النمط المميز، بل ومن المحتمل أن يكون الكثير منهم قد درجوا على إتباعه في العادات المتعلقة بطعامهم داخل المنازل.

وعليه يتضح بأن الثقافة الشعبية في مجال تناول الأطعمة وتحضيرها وطرقها والوسائل المعتمدة فيها تكاد تكون واحدة في كل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس، وهي تؤكد مرة أخرى انفتاح كل بلد على الآخر، وجعل مظاهر التداخل بين الثقافتين تطغى على مظاهر التباين والاختلاف فيهما.

ج-الأشـــربة:

(1) -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 85 -لوسي بولسن، الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة، 566-567.

(2) -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس، 1028 —سهام الدبابي، تهذيب المائدة في الأندلس، 169.

(3) -المقري، نفح الطيب، 206/4 —عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ المأكل والمشرب، 30.

يمثل الشراب[1] مظهرًا من مظاهر الترف في المأكل عند كل من الأندلسيين وأهل المغرب الأوسط، وقد كانت الأشربة متنوعة، كما لها فوائد مختلفة، وإن كان القصد الواضح منها هو الانتعاش والارتواء[2]، ونظرا لأهميتها وحضورها الدائم في حياة الخاصة والعامة ولكثرة تناولها، فقد فصل كتاب الطبخ المغربي والأندلسي في طريقة تحضيرها وأبان بأن لها فوائد غذائية صحية وعلاجية أيضا[3]، فمن أهم الأشربة التي كان يقبل عليها النّاس بالأندلس وبلاد المغرب الأوسط نجد شراب العسل مضاف إليه القرفة والزنجبيل وجوزة الطيب، فإلى جانب أنه مغذي فهو أيضا ينتفع به للتداوي من أمراض الكبد، كما يقوي المعدة وسائر أمراض الاستسقا، ويحلل البلغم ويلين البطن[4]، وأيضا شراب الجلاب المصنوع من ماء الورد مضاف إليه السكر إذ يستخدم لعلاج عدة أمراض أيضا وكذلك نجد شراب النعنع، والبنفسج، وشراب الريحان [5]، والظاهر أنهم استخدموا أيضا أنواعا من الأشربة لفتح الشهية للذين لم تكن لهم رغبة في تناول الطعام كشراب الورد اليابس مثلا[6]، إضافة إلى مجموع أشربة أخرى مفيدة كشراب الجزر والتفاح والرمان والعناب وغيرها[7].

فإلى جانب تلك الأشربة كانت هناك أنواع أخرى خاصة بأهل المغرب اعتادوا تناولها في بلادهم، ومنها ما أدخلوه معهم للأندلس عند انتقالهم إليها، فانتشر شربها هناك، منها قبائل المصامدة التي اتخذت شرابا خاصًا بها اسمه الرُّب[8] وكان شرابه مجهولاً أول الأمر ثم انتبهوا إلى مفعوله وأنّه لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام، فأصدروا الأوامر بمنعه بعد أن كان يقدم في الاحتفالات الرسمية

---

[1] - الشراب: بفتح الشين جمع أشربة، وهو كل مائع رقيق يندفع إلى الجوف من غير مضغ، أنظر: محمد رواس وحامد صادق وآخرون، معجم لغة الفقهاء، (ط2، دار النفائس، 1998)، 259.

[2] -دايفيد ويتر، فنون الطبخ في الأندلس، 1027.

[3] -وممّا ذكر في ذلك أن الشراب كان يصنع من عدة مكونات أساسية كالنعناع وورق الليمون، والجزر وغيرهم، وتغلى تلك المكونات لاستخلاص قوتها، ثم تصفى ويضاف إليها السكر أو العسل مع المطيّبات، وتغلى من جديد حتى يتجانس الشراب المطلوب، أنظر: مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 235-236.

[4] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 238.

[5] -مؤلف مجهول، كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، 239، 240، 242، 243.

[6] -المصدر نفسه، 241-242.

[7] -ذكر صاحب كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس أسماء المشروبات التي كانت تتناول، حيث زاد عددها عن ثلاثين نوعًا، أنظر: ص 236-248 -المقري، نفح الطيب، 1/144.

[8] -الرّب: كان الرب عند المصامدة يسمى أنزير، وهو عبارة عن عصير العنب الحلّو المطبوخ، فيغلظ مزاجه، أنظر حول الرب: مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 211 -أحمد عزاوي، مجموعة رسائل موحدية، "رسالة رقم 06"، ج1/61-67 - محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، (ط1، الرباط: منشورات دار جذور للطبع، 2006)، 78-80 -عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، 241-242.

ويباع في كل مكان بالمغرب، فصودر من جميع أنحاء المملكة الموحدية سنة 580هـ/1184م[1] وأشار صاحب كتاب الطبيخ إلى أن الربويات كانت تحضر على أنواع منها رب السفرجل والرمان ورب التوت [2].

ومن أشهر الأشربة التي كان يتناولها أهل المغرب أيضا في احتفالاتهم الرسمية خاصة احتفال عندهم يسمى "الصنيع"[3]، وكانت منتشرة حتى في بجاية على عهد الحماديين منها أيضا شراب يسمى المصطار[4].

هذا ولا يمكن الحديث عن الشراب، دون الإشارة إلى الخمر، فمع وجود الدلائل الصريحة بتحريمها إلا أن ذلك لم يقف أمام وجود بعض الحالات من التجاوزات، سواء بالأندلس أو ببلاد المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، يدل على ذلك ما أورده الغبريني من أن الخمر كانت تباع في سوق البحر ببجاية[5]، كما أن البيدق ذكر بأن المهدي حين سار إلى ملالة ودخل المدينة، فلما وصل وصل باب البحر أهرق ما كان بها من خمر[6].

وفي الأندلس تشير الروايات إلى أن مجالس اللهو والطرب لم تكن تخلو من شرب الخمر، إذ تصف بأن فتيانا صغار كانوا يطوفون بأكواب الخمر على الحاضرين، واعتبر ذلك مدعاة لقول الشعر والتغزل[7]، ومع ذلك فقد استمر الحرص على مطاردة شاربيها والتضييق عليهم، إذا كان من الإجراءات التي افتتح يعقوب المنصور الموحدي حكمه بها (580ه-595ه/1184م-1198م) أن أمر بإراقة المسكرات بقطعها والتحذير بعقاب الموت على استعمالها[8].

---

(1) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المنّ بالإمامة، 171-172.

(2) -مؤلف مجهول، الطبيخ بالمغرب والأندلس، 255.

(3) -الصنيع: هي مجالس للّهو والطرب، يصاحبها النفخ بالبوق والضرب على العود، حيث يرافقها احتساء الشراب، وهو شبيه بذلك الاحتفال الذي يقيمه الأندلسيون في فصل الخريف زمن العصير، وسوف تفصل الحديث عنه عند تناولنا لعنصر الاحتفالات الاجتماعية، أنظر: عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، 99.

(4) -المصطار: هو عصير العنب قبل طبخه وتخمره، أنظر: الونشريسي، المعيار المعرب، 6/416-417 - 11/92.

(5) -الغبريني، عنوان الدراية، 76.

(6) -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 37.

(7) -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/267 -المقري، نفح الطيب، 2/385 -عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 156.

(8) -ابن عذارى، البيان المغرب (قسم الموحدي)، 172-173 -ابن القطان، نظم الجمان، 161

وهناك زجل لابن قزمان في ديوانه، ص 630، يشير إلى أن العامة بالأندلس كانوا يتخوفون من شربها، يقول فيه:

أُسْكُتْ أُسْكُتْ هَذَا الخَبَرْ يَمْضَغْ

إِنْ دَرَاهَا مُحَمَدْ بَنْ أَصْبَغْ

ومن خلال ما سبق يتضح بأن العديد من الأشربة التي كانت تتناول في تلك الفترة لا تزال موجودة إلى وقتنا الحالي، ومستعملة خاصة في العديد من مدن الجزائر، لما لها من فوائد صحية وعلاجية، وهي بذلك مظهر للتواصل الاجتماعي بين سكان المغرب الأوسط والأندلس.

3-الأعيــاد والاحتفــالات:

تمثل الأعياد والاحتفالات شكلا من أشكال الثقافة الشعبية للمجتمع، وهي تعكس واقعه بكل ما فيه من ماديات ومعنويات، ذلك لأن الثقافة بمعناها الواسع ما هي إلاّ مجموع ما يكتسبه الفرد من مجتمعه[1]، أو على حد تعبير تايلور: «ذلك الكل المركب الذي يشتمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عنصر فاعل في المجتمع»[2].

وإذا أردنا الحديث عن التأثيرات الأندلسية على العادات التي اختص بها أهل المغرب الأوسط في إحياء الأعياد والاحتفالات أو العكس، فإننا نجد صمتا من قبل المصادر عن ذكرها خاصة خلال الفترة موضوع الدراسة، لهذا وكمحاولة لتغطية هذا العجز اعتمدنا على الأبحاث التي خصت الأندلس بحديثها عن المجال الاجتماعي، والتي تناولت ظاهرة الأعياد والاحتفالات، حيث لم نجد اختلافات شاسعة بين القطرين إذا ما قارنا ذلك بواقع الأعياد والاحتفالات ومختلف المناسبات اليوم بالقطر الجزائري، فيبدوا أنها امتداد لما كانت عليه في ذلك الزمن، وهو ما تؤكده دراسات الفترة الحديثة التي تشير بتفصيل كبير إلى الدور الذي أداه الموريسكيون ببلدان المغرب في هذا المجال بعد سقوط غرناطة[3].

خَمْسْ مِئَتْ سُوطْ يَحْسُؤْ البَرَاجْ
وَيَــقــُولَكْ اشْــرُبْتْ قَطْ مَدَامْ
قُــلْ أَشْــنــُهْ يَا فْقِيهْ ذَا الكَلاَمْ؟
بِاللهِ مَــا ذُقْتْ قَطْ شَرَابْ تُفَاحْ

(1) -راجع حول مفهوم الثقافة: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، (د ط، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1996)، 110.

(2) -أبو زيد أحمد، تايلور، (القاهرة: دار المعارف، 1957)، 68.

(3) -من أهل الباحثين الذين تناولوا دور الموركسيين وتأثيراتهم الحضارية ببلاد الجزائر نجد: ناصر الدين سعيدوني في بحثيه: "الجالية الأندلسية بالجزائر مساهمتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي"، ومقال: "الأندلسيون الموركسيون بمقاطعة الجزائر دار السلطان أثناء القرنين (10-11 ه / 16-17 م)"، من كتاب دراسات أندلسية، (مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر)، 34-39، 43-68، وأيضا الباحث الجزائري عبد المجيد قدور في رسالته الموسومة بعنوان: "هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط (الجزائر)، ونتائجها الحضارية خلال القرنين (10-11ه/16-17م)"، تحت إشراف محمد أمين محمود بدوي، جامعة الأمير

فالظاهر يشير إلى أنها كانت كثيرة ومتنوعة منها الأعياد الدينية كعيدي الفطر والأضحى وموسم عاشوراء؛ ومنها الأعياد المسيحية كعيد ميلاد المسيح وعيد العنصرة وغيرها، وقد كان للناس سواء ببلاد المغرب الأوسط أو الأندلس طقوسهم في الاحتفال بهذه المناسبات وذلك ما يتضح من خلال ما يلي:

أ-الأعيـــاد الدينيـــة:

-الاحتفـــال بشهر رمضـــان وعيـــد الفطـــر:

يعد شهر رمضان من أهم مناسبات الاحتفال عند المسلمين بشكل عام، وقد كان أهل المغرب الأوسط والأندلس يحضرون لاستقباله، ويحتفلون فيه بإقامة الحلقات الدينية والصلاة في المساجد، كما كان أفراد الأسرة يصومونه [1] ويحضرون له أطعمته الخاصة [2]، وبالنسبة لطريقة احتفال الأندلسيين به فقد كانت مميّزة، حيث يصوّر لنا أحد الباحثين المستشرقين مشهد الشوارع في الأندلس بعد الإفطار خلال شهر رمضان على أنّها كانت تعج بالحيوية، وتظل المتاجر مفتوحة لوقت متأخر من الليل والباعة الجائلون والحلوانية[3]، وأهم احتفال في شهر رمضان يكون ليلة القدر وتحديدا ليلة السابع والعشرين حيث توقد الشموع في المساجد، وتكون مكتظة بالحضور لإقامة الحلقات الدينية والصلاة، ويذكر الطرطوشي بأن أهل الأندلس يحتفلون بهذه الليلة فيبتاعون الحلوى ويقدمونها[4].

عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ الإسلامي -وأنظر أيضا أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات المورسكية الأندلسية حول مهن المورسيكيين وحياتهم الدينية، جمع وتحقيق عبد الجميل التميمي، (منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية المورسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990).

[1] -عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، 241 -سامية مصطفى مسعد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة عصري المرابطين والموحدين 484-620ه/1092-1223م، (ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2003)، 269.

[2] -من تحضيرات الأندلسيين لاستقبال شهر رمضان ما ورد في أزجال ابن قزمان، منها قوله، أنظر ديوان الزجل، 137:

جُوذْ بَاهْ قَمْحَ الضِيفْ ∴ أَيْنَكُمْ اخْــوَانِي
رَمْضَـــانْ ذَا مُقْبِـــلْ ∴ الخُبْزْ قَدْ جَـــانِي
آهْ قُـــلْ شَعْبَـــــانْ ∴ فَـــالطْرِيقْ خَلِيتْ
رَمَضَـــانْ فَالدَنْيَـــا ∴ ارْتَفَعْ فُوقْ انْزَلْ

[3] - Elevi provençal, histoire de l'Espagne Musulman, Op-Cit, P 436.

[4] -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 150 -عصمت دندش، الأندلس نهاية المرابطين، 235.

وأما بدء عيد الفطر فهناك رواية أوردها ابن حيّان في طريقة تحديد الأندلسيين له خلال القرن الخامس هجري، حيث ذكر أن الأمر كان من اختصاص قضاة الكور، وأهل الشورى الذين كان عليهم التدقيق في رؤية هلال شوّال معلنين بدء عيد الفطر [1]، وكان بدؤه يتفاوت في كور الأندلس والعدوة حسب إحدى الروايات التي تعود إلى القرن "04 ه / 10 م"[2]، وحين يتم إعلانه يخرج الناس ليهنئون بعضهم بمقدمه وحتى الشعراء كانوا ينشدون الشعر فيما بينهم كما ينشدونه بين يدي حكامهم مهنئين بهذا العيد[3]، ويتميز العيد بصلاة جماعية في المصلى الواقع خارج مدينة قرطبة على عهد ملوك الطوائف ومن بعدهم المرابطين، يؤمه القاضي صاحب الصلاة وكل الرجال يجتمعون للصلاة وكذلك النساء[4]، وبعد انتهاءها يخرج الناس للاحتفال بمظاهر العيد مختلطين على حد سواء ممّا جعل المحتسبين يشددون على ذلك، حيث يرى ابن عبدون أنّه لا يجب أن يمشي الرجال والنساء في أيام العيد على طريق واحد لأنّه من البدع خروج الرجال جميعا أو أشتاتا مع النساء في أيام العيد[5]، وكذلك الطرطوشي يرى أنّه من البدع خروجهن للمصلى حيث يقمن فيه الخيم للتفريج لا للصلاة[6]؛ والمظهر ذاته نراه في طريقة الاحتفال بعيد الفطر ببلاد المغرب الأوسط ونستشف ذلك من من خلال الإشارات الوارد ذكرها في بعض المصادر التاريخية، منها رواية ابن القطان عن اجتماع

---

(1) -المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، 98.

(2) -راجع رواية تعود أحداثها إلى سنة 360هـ/970م، أوردها ابن حيان حول اختلاف رؤية هلال شوال لتحديد عيد الفطر، مفادها أن الناس أفطروا خلال تلك السنة بأكثر كور الأندلس، وفي العدوة يوم الخميس، فيما أفطر أهل قرطبة ومن جاورها يوم الجمعة، أنظر: المقتبس في أخبار أهل الأندلس، 28.

(3) -أشار ابن حيان إلى بعض العادات المتبعة في عيد الفطر على عهد الخلافة الأمويّة، وهي جلوس الخليفة الحكم المستنصر بعد صلاة عيد الفطر سنة 363هـ/973م لاستقبال المهنئين، ومعه ولي عهده، وأحيانا كان يقام في دار الروضة، حيث يجتمع له الوزراء والكتاب، ورجالات الدولة، كما يأتي الشعراء والخطباء مهنئين بالعيد، أنظر: المقتبس في أخبار أهل الأندلس، تحقيق عبد الرحمن حجي، 228-229، وممّا نظمه الشعراء مهنئين بعضهم ما كتبه أبو جعفر أحمد بن عبد الله الأندلسي ت 525هـ/ 1129 م، يهنئ أحد أصحابه بالعيد بموشح قال فيه:

تَشُوفْ العِيدْ مِنْ جَدْوَى يَدِيكْ إِلَى
عِيدْ عَلَى النَّاسْ وَالأَيَّامْ مُشْتَمِلْ
فَإِهْنَأْ بِعِيدْ لَهَا الأَفْرَادُ فِيهِ إِذَا
لَمْ يَهْنَؤُا غَيْرَ عُقْرِ الضَّابِ وَالإِبِلِ

أنظر: الأعمى التطيلي، ديوان أشعاره ومجموع موشحاته، موشح رقم 47، موشح ص 33 رقم 10.

(4) -ابن عذارى البيان المغرب، 107/3.

(5) -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 237 -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 38.

(6) -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 151.

النساء والصبيان في عيد الفطر ببجاية وخروجهم مكتحلين متزينين إلى ساحة تقع خارج المدينة تقام فيها سوق أسبوعية[1]؛ وهو ما أكده صاحب كتاب "أخبار المهدي" بقوله: "فلما كان عيد الفطر اختلط الرجال بالنساء في الشريعة"[2].

-الاحتفـــال بعيد الأضحى وليلة عـــاشوراء:

لقد جرت عادة المسلمين بالمشرق والمغرب أن يأتي هذا العيد في العاشر ذي الحجة سنويًا، إذ كان فرصة للاحتفال والتأنق في المطاعم والمشارب واتخاذ الزينة على تفاوت المستويات المعيشية [3] وذلك ما كان عليه حال الناس ببلاد المغرب الأوسط والأندلس، حيث كانت الأسر تحرص على تقديم الأضحية خروفا على الأقل، كما قد جرت التقاليد والأعراف على شراء الأضحية قبل النحر بيوم أو يومين[4].

وإذا حاولنا أخذ صورة عن طريقة تحضير الأندلسيين للإحتفال به، فإنّ أزجال ابن قزمان تنقل وصفاً حيًا لمظاهر ذلك كله خاصة وأنّها تعكس واقع القرن 06هـــ/12م، حيث يشير إلى أن العيد كان يسبب للأسر الفقيرة الكثير من الضيق المالي، مما يعجز بعض الآباء عن شراء الأضحية ما يدفعهم إلى الاستدانة لشرائها مع ملابس العيد الجديدة للزوجة والأولاد [5]، في حين كان أصحاب البيوتات الثريّة ممن يملكون الاقطاعات، يحصلون من مزارعهم في هذه المناسبة على الدجاج والبيض

---

[1] -ابن القطان، نظم الجمان، 93.

[2] -البيدق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، 31، وهناك إشارة جاءت في رحلة خالد بن عيسى البلوي ت بعد 755ه/1354م يصف لنا أجواء الاحتفال بعيد الفطر خلال القرن 08هـــ/14م بالمغرب الأوسط، عام 740هـــ/1339م، إذ حضر الاحتفالات وقدم وصفا لها وهي مشابهة لتلك التي ذكرناها آنفا، أنظر: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، (اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات العربية)، 2/115-120.

[3] -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 110 -ابن القطان، نظم الجمان، 41.

[4] -ابن قزمان، ديوان الزجل، 522 –إسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، (ط 1، قسنطينة: منشورات مكتبة إقرأ، 2007)، 125.

[5] -ومما نظمه ابن قزمان في تكلفه شراء كبش العيد قوله:

كَبْشْ بِاسْمِ الضَّحِيَة يَشْتَرِيه كُلْ مَرْمَـــادْ
مِنْهُ ظَـــاهِرْ لِلّـــه وَالقَصْدْ فَرَّحْ الأَوْلَادْ
وَاشْ يَقَاسِي الإِنْسَانْ مِنْ حَرَارَة فِالأَعْيَادْ
بِالخُرُوج لِلمُصَلَى تَنْطَفَـــي ذِي الحَـــرارْ

أنظر: ديوان الزجل، 324-548، وقد جاء في أمثالهم ما يشعر بشيء من هذا كقولهم: «سليخة ودم، وزيّل الهمّ »، «يا ترى يا كبشي، أي ترعى، وأي تمشي»، محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس، 1/292.

والخضروات إضافة إلى كبش سمين[1]، وتشير كتب الحسبة إلى أن النحر استخدم عند بعض الناس كوسيلة للتفاخر والتنافس وإقامة الدنيا لا كعادة للسنة وطلب الأجر[2]، وذكر ابن قزمان أنّه قبل العيد بأيام يسوق الباعة الخرفان من كل مكان إلى ميادين تسوّر بأخشاب، أين يقصدها الناس يوميًا مزدحمين مقبلين على تلك الخرفان يسومونها ليدفعوا ثمن ما اعتزموا شراءه، ويعتمدون على الحمالين ليرفع الواحد منهم الخروف على عنقه ويمضي به إلى بيت المشتري، أما من فاتهم الشراء لفقرهم فينتظرون يوم النحر حيث تقام الحُفر في الحارات لتشوّط فيها رؤوس الخراف، وحينها يقبلون على شرائها[3]، وعليه فإن فرحة الناس به وطرق استقبالهم له هي مظهر يعكس حال الكثير من المدن الأندلسية في تلك الفترة، وإن مثل هاته الصورة لا تزال قائمة حتى اليوم في كثير من بلدان المغرب الإسلامي بما فيها المغرب الأوسط (الجزائر)، وإن كانت المصادر المتوفرة لا تتيح الفرصة للتعرف على مظاهر الاحتفال به خلال الفترات السابقة المتعلقة بزمن البحث أي القرنين " 05-06هـ/11-12م" والإشارات الواردة حول تلك المظاهر تعود إلى فترات متأخرة، ومع ذلك يمكن الجزم بأنها لم تكن لتختلف كثيرًا عن هاته، وقد جاء ذكرها في رحلة عبد الباسط الملطي حين زار تلمسان سنة 868هـ/1463م وحضر بها صلاة عيد الأضحى، حيث وصف كيفية احتفال الزيانيين وأهل المغرب الأوسط به، وخاصة سكان حاضرة تلمسان بدءًا بالصلاة فنحر الكبش والطواف به في شوارع المدينة حتى يتيقن الناس من أضحية سلطانهم[4]، وإن في تلك الرواية ما يوحي إلى أن هذه الترتيبات هي التي كانت تتبع من قبل الناس ببلاد المغرب الأوسط كمظاهر وتقاليد في الاحتفال بعيد الأضحى حتى قبل هذا التاريخ[5].

وإلى جانب احتفال الناس بالمغرب الأوسط والأندلس بشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى، فإن ليلة عاشوراء التي توافق العاشر من محرم كانت أيضا عند البعض تمثل عيدًا حيث

---

(1) -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 142.

(2) -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 142.

(3) -ابن قزمان، ديوان الزجل، 548، 550، -عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، 79-80 -وقد تناولت كتب النوازل بعض المسائل التي تقع في الأضحية من ذلك ما كان يحدث بأن يشتري الشخص أضحية ثم يجدها بعد ذلك عجفا، فيردها للبائع بحجة أن هذا عيب فيها، لتفصيل حول تلك المسائل راجع ابن سهل (أبو الأصبغ عيسى)، فصل في الأحكام الكبرى حول الاحتساب، نشر التوهامي الأزموري وحليمة فرحات، (مجلة هسبريس، تمودا، 1973)، مجلد 14/177.

(4) -عبد الباسط (خليل بن شاهين المالطي)، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق روبار برونشفيك، نشرت في: Deux récit de voyage inédits en Afrique du nord au XV^{ème} siècle, paris, 1936, P 48-49.

(5) -ويظهر ذلك من خلال قوله: وهي عادة ملوك هذه البلاد، عبد الباسط خليل، المصدر نفسه، 49.

ورد أن عددًا من الصالحين كانوا يُعدّون الطعام ويدعون الناس لتناوله احتفالا بهذه الليلة [1]، كما ذكر أحد الفقهاء معلقًا على أنّه لم يكن في عاشوراء لمن مضى طعام معلوم لا بد من فعله، إذ كان بعض العلماء يتركون النفقة فيه قصدًا لينبهوا على أن النفقة فيه ليست بواجبة، و لم يكن السلف يتعرضون في هذه المواسم ولا يعرفون تعظيمًا فيها إلا بكثرة العبادة والصدقة والخير لا بالمأكول[2].

ومع ذلك يبدوا أن عادة الاحتفال بعاشوراء قد استمرت عند أهل المغرب الأوسط (الجزائر) إلى وقتنا الحاضر، ويمكن الوقوف عليها من خلال مظاهر احتفال الناس بها من تحضير الأطعمة المختلفة، وشراء الفواكه والمكسرات، وإيقاد الشموع وغيرها ما يدل على امتداد ذلك التأثير إلى غاية اليوم.

وبذلك فإن شهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى، وكذلك عاشوراء هي من أهم مواسم الاحتفالات الدينية عند أهل المغرب الأوسط والأندلس خلال هاته الفترة، مع ذلك يحتمل أن تكون هناك أعياد أخرى، إلا أنه لم يرد في المصادر الإشارة إليها، كالاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف[3]، أما يوم الجمعة فكان عيدا أسبوعيا، إذ جرت العادة عند عامة المسلمين أن خصصوه للتطهر وارتداء الثياب النظيفة لإقامة الصلاة، إضافة للصدقات، زيادة على أنّه يوم راحة تتوقف فيه

---

[1] -التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، 282 -وفي الأندلس نجد شبه تلميح إلى مثل هذا عند ابن قزمان يذكر فيه الفواكه التي كانت تحضر للاحتفال بعاشوراء، راجع: ديوان الزجل، ص 594.

[2] -الونشريسي، المعيار المعرب، 489/2 -محتوى نازله سئل فيها ابن الحاج (ت 529هـــ/1134م) حول بدعة اتخاذ طعام معلوم في بعض المواسم.

[3] -مع أن الاحتفال بالمولد النبوي من العادات المشهورة والمنتشرة في بلادنا الجزائر، إلاّ أننا لم نتطرق له، لعدم معرفة النّاس به خلال الفترة موضوع البحث، كما أن الاحتفالات به ظهرت لأول مرة بمصر الفاطمية أثناء عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي 341-365ه/953-975م، ثم أخذ صداها يتنقل بين الدول المغاربية كالمغرب الأقصى والأدنى على يد أسرة آل العزفي السبتي، لكن وصول عادة الاحتفال به إلى المغرب الأوسط كانت متأخرًا وترجع بالتحديد إلى سنة 760هـــ-1358م واختص بها السلطان أبو حمو موسى الثاني « 723-791ه/1323-1338م»، وكان ويتم عن طريق إقامة الصلوات وتلاوة الآيات البيّنات من الذكر الحكيم، وإنشاد الموشحات الدينية، إضافة إلى تحضير أصناف متعددة من أطباق الأطعمة الشهيّة، ولقد تطرق أحد الباحثين لسبب تأخر الاحتفال بالمولد بالمغرب الأوسط إلى هذا التاريخ، وأرجعه إلى موقف المذهب المالكي، أما في الأندلس فيبدوا أن أهلها لم يعرفوا الاحتفال به إلاّ في عهد بني الأحمر بغرناطة، لتفصيل أكثر أنظر: ابن مرزوق (محمد بن مرزق التلمساني)، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بييغيرا، تقديم محمود بوعياد، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981)، 152-154 -المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، (د ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939)، 243/3 -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 276/1-278 -أحمد مختار العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، (مدريد: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1970)، مج 140/15.

مختلف الأعمال، وتغلق المتاجر استعدادًا لأداء صلاة الجمعة، أما الزوال فيخصص لاستقبال أو زيارة الأقارب[1].

ب-الأعيـــاد المسيحيـــة وأعياد المواسم:

-الاحتفـــال بعيد ميلاد السيد المسيح:

هو من الأعياد التي كان المغاربة عموما والأندلسيون يشاركون فيها إخوانهم المسيحيين، كما شاركوهم أيضا الاحتفال بذكرى صلب المسيح، وخميس أبريل الذي يسمونه خميس العهد[2]، يحتفل به النصارى قبل عيد الفصح بثلاثة أيام؛ فكانوا يملئون إناءًا من الماء يرتلون عليه آياتهم ثم يغسلون أرجلهم للتبرك كما فعل المسيح بتلاميذه في مثل هذا اليوم ليعلمهم التواضع بعد أن أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا[3].

-الاحتفـــال بعيد "ينــــاير":

لم يختلف الأندلسيون عن أهل المغرب الأوسط في الاحتفال بعيد يناير، وهو مهرجان ضخم، كان من عادات الناس فيه شراء فواكه معيّنة وصنع تماثيل مختلفة من الحلوى وإلى هذا تشير أمثالهم[4]، وقد وردت نصوص عديدة في صنع تلك الحلوى، إذ وصفها الشعراء والكتّاب وكانوا يسمونها "مدائن يناير"، لأنّ معظمها كان يُصنع على هيئة مدائن مصفرة ذات أسوار [5]، وقد خصص ابن قزمان أحد أزجاله لوصف رسوم عيد يناير وتقاليده [6]، كما يصنع الباعة في هذا اليوم الصور والدوامات ويبيعونها للصبيان[7]، ولقد توارث المغاربة عادة الاحتفال برأس السنة البربرية "يناير" يوم الثاني عشر من جانفي في كل عام، وهي من العادات التي لا يزال المجتمع الجزائري يحافظ

---

(1) -ابن عبدون، رسالة في الحسبة، 228 -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 135/1 - إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، (المجتمع -الذهنيات-الأولياء)، 86-87.

(2) -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 151.

(3) -المصدر نفسه، نفس الصفحة.

(4) -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 4 قسم 47/1 -سحر عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس، 262-263 -من أمثالهم الشعبية التي قالوها عن فواكه يناير: «من ماع تُرْنج الينّر يرفعها»، أنظر: محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس، 293/1.

(5) -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 294/1 -اختصار القدح المحلى، 101-102 -المقري، نفح الطيب، 204/5-206.

(6) -ابن قزمان، ديوان الزجل، ص 464.

(7) -وقد سئل ابن رشد فقيه الأندلس عن جواز بيعها فأجاب: "بأنّه لا يحل عمل شيء من هذه الصور ولا بيعها ولا التجارة فيها، والواجب منعهم منه"، أنظر: فتاوى ابن رشد، سفر 2، ج840/2 -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 58 -الونشريسي، المعيار المعرب، 415/6.

عليها إلى غاية اليوم خاصة في منطقة القبائل، حيث يحضرون فيه أطعمة خاصة بالمناسبة، كما يمارسون طقوسهم من نحر أضحيات وإقامة الولائم[1].

-الاحتفـــال بعيد العصيـــر:

زيادة على هاته الأعياد السابق ذكرها احتفل الأندلسيون أيضا بعيد آخر سمي "عيد العصير" وهو مناسبة جماعية تقام في موسم جني محصول العنب وعصره، حيث يغادر الأهالي دورهم وينتقلون إلى حقول الكرم أين يقيمون عدّة أيام لجمع المحصول [2]، ففي الأندلس يصف لنا ابن الخطيب حال أهل غرناطة وهم يقومون بذلك في قوله: «وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما يشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص بأولادهم، معولين في ذلك على شهامتهم وأسلحتهم»[3]، وقد صور ابن قزمان نزهات لأيام العصير في الأندلس خلال القرن 06ه/12م، وذكر وذكر بأنّها أيام يخرج فيها الأندلسيون إلى الحقول والأدوية، حيث يبيتون عدّة ليال هناك، وقد كان يشارك في هذه الأعياد حيث يخرج مصاحبا لجمع من الرجال والنساء، ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون ويعبثون، ويستحمون في النهر وقد ارتدى كل واحد منهم أجمل ما عنده[4].

وعلى العموم، فإنّ هاته الأعياد كان المستعربون أكثر ارتباطا من المسلمين بها، في حين نهى الفقهاء عن الاحتفال بها معهم واعتبروها بدع[5]، وعلّلوا انتشارها بين المسلمين في الأندلس بمجاورة بمجاورة النصارى ومخالطتهم في المغرب بالإتباع لهم والقدوة، حيث أشار أحد الفقهاء إلى أنه ما عبر من ذاك البرّ (الأندلس) إلى هذا البرّ (المغرب) بدعة أشنع منها [6]، وهذا دليل يوحي بأنّ أهل المغرب بما فيه المغرب الأوسط قد تأثروا بهاته الأعياد، واحتفلوا بها تقليدًا للنصارى بحكم تعايشهم معهم، كما أن استمرار احتفال العديد من بلدان المغرب العربي بها إلى حد اليوم يؤكد ذلك.

ج-الاحتفالات بالمناسبات الاجتماعية:

-حفـــلات الـــزواج:

(1) -منغور صوفيا، عادات وتقاليد الحضارات التي مرت على مدينة قسنطينة، (جريدة الخبر، جانفي، عدد 04، 2004)، 19.

(2) -إسماعيل سامعي، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، 127.

(3) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 138/1 -إحسان عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 48.

(4) -ابن قزمان، ديوان الزجل، 322 -عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، 99.

(5) -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 151.

(6) -نصيرة عزرودي، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط، 53 هامش رقم 02.

هي من أهم المناسبات الاجتماعية التي يحتفل بها الناس بالمغرب الأوسط والأندلس، حيث جرت العادة عندهم قبل ارتباط الزوجين أن يسبق ذلك عملية الاختيار، ثم الخطبة حيث تتوجه بعض النسوّة من منزل الرجل خاطبين لأهل بيت المرأة في ابنتهم وبعد أن يتم القبول والتراضي بين الطرفين يعقد النكاح على المهر أو الصداق بحسب ما جرى عليه، العرف في كل منطقة والذي كان يدفع نقدا في الغالب، إضافة إلى الهدايا المتفق عليها بينهما[1]؛ وأثناء تلك الفترة تجهز العروس شورتها ومثل هذا ما زال سائدا ومتبعا في بلادنا إلى غاية اليوم[2]، ثم يُحدد موعد الزفاف لتُقام زفة العرس في الشوارع، حيث يُقبل المدعوون على منزل العروسين للتهنئة [3]، وبعدها تزف العروس إلى بيت زوجها في موكب كبير وموسيقى ويتبع الموكب بغال تحمل الأدوات التي كان يشتمل عليها الجهاز[4]، كما يتقدم زفة العرس المغنيات وضاربات الدفوف والراقصات[5]، فيذبح الأهل ذبيحة أو أو أكثر حسب القدرة المادية لكل شخص وذلك ما يعرف بالوليمة [6]، ويشير الونشريسي إلى أن الكثير من أهل المغرب اعتادوا التهادي في الأعراس إما بالدراهم والدنانير أو بالأطعمة كالجزور والزيت والقمح واللحم والفاكهة[7]، والأمر ذاته كان بالأندلس، حيث وصف أحد الأدباء من القرن 05هـ/11م موكبا من مواكب الأعراس عند الأندلسيين فقال: «إنني رأيت زفافا يمر بشارع من شوارع قرطبة، وكان النقاري والزامر يسير في الوسط راكبا هودجه واضعا على رأسه قلنسوة

---

(1) -عن مسائل الخطبة والمهر بالمغرب والأندلس، راجع: القاضي عياض وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، (ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)، 34، 89 -ابن الحاج، النوازل، 52، 54، 57 -الونشريسي، المعيار المعرب، 96/3، 253، 278 -البرزلي، فتاوى، 211/1 - إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية، من خلال نصوص ووثائق جديدة منشور ضمن كتاب "المغرب سلسلة أبحاث وندوات حضارة الأندلس في الزمان والمكان"، (أعمال الندوة الدولية 16-18 أفريل 1992، المغرب: جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية)، 157.

Hady Roger Idris, le mariage en occident musulman (d'après un choix de fatwas médiévales extraites du MI, – YAR D'al - wansarisi, studia Islamica, R. Brunschvi, collecit, XXXII, voluminis memoriae Encyclopaedia islamica in lucem produit G.P maisonneuve - larose, paris, P 161-16.

(2) -المقري، نفح الطيب، 207/4 -الونشريسي، المعيار المعرب، 249/3.

(3) -المقري، نفح الطيب، 257/5.

(4) -ابن عذارى، البيان المغرب، 272/1-273 = حيث أورد رواية عن ذلك تتعلق بجهاز أم العلّو ابنة نصير الدولة باديس، حين تزوّجت بابن عمها عبد الله بن حماد الصنهاجي سنة 415هـ/1084م، حيث وصف موكب الجهاز قائلا: «فبهر عيون الخلق حال ما ينوه به، وأبهتهم عظم ما شهدوه، وحمل المهر في عشرة أحمال على أبغل، وجملته مائة ألف دينار عينا...».

(5) -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 20 -الونشريسي، المعيار المعرب، 282/2.

(6) -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 50.

(7) -الونشريسي، المعيار المعرب، 251/3، 278 -145/11.

من القماش، مرتديا ثوبا من الخزّ العبيدي وكان حصانه مزيّنًا بزينة رائعة يمسكه خادم شاب»[1]، ممّا يعني أنّه أثناء حفلة الزواج كان يستخدم ضرب البوق أو الطنبور أو العود، هذا إلى جانب استحضار المغنين والمغنيات والراقصات، وتتناسب تلك الحفلات مع مدى ثراء أهل العروس وغناهم، وفي مثل هاته الاحتفالات كان الرجال والنساء يختلطون للتفرج[2]، وإن كان الفقهاء لا يسمحون بذلك وينهون عنه، كما تحضر فيها مختلف الأطعمة والمشروبات[3].

-حفـــلات الختـــان:

كما احتفل الناس في المغرب والأندلس بالزواج وفرحوا له، كذلك فعلوا مع الختان، ويورد صاحب النفح رواية مفادها أن مثل هاته العادة كانت شائعة عند الأندلسيين منذ النصف الثاني من القرن 04هـــ/10م، وبالتحديد عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي ختن أولاده، وختن معهم من أولاد رجال دولته، وأكرمهم بخمسمائة ألف دينار، حيث ذكر المقري بأن هذه المكرُمة صارت مخلّدة منه مقلّدة[4]، ممّا يعني أنّها عادة استمرت عند الأندلسيين وترسخت منذ ذلك الوقت[5].

وممّا يدل على أنها كانت منتشرة وممارسة ببلدان المغرب رواية أوردها المراكشي عن الخليفة الموحدي أبو يوسف المنصور " 580-595 ه/1184-1198م" حيث ذكر أنّه كان كلما دخلت السنة يأمر أن يُكتب له الأيتام المنقطعون، فيجمعون إلى موضع قريب من قصره فيُختنون، ويأمر لكل صبيّ منهم بمثقال وثوب ورغيف ورمّانة، وربما زاد على المثقال درهمين جديدين، قال: (هذا كله شهدته لا أنقله عن أحدٍ من النّاس) [6]، وبهذا يتضح أن الختان كان سنة الذكور واجبة، ويقوم بعملية التختين أطباء[7]، كما أن تلك المناسبات التي كانت تقام فيها الولائم، كان يدعى إليها رجال الحكومة وأصحاب البيوتات الشهيرة، يهنئون الحكام فيها واستقطبت أيضا اهتمام الشعراء الذين اهتموا بوصف موائد الأطعمة المختلفة الأصناف ومجالس الأنس والطرب في تلك المناسبة[8]، وبذلك

---

[1] -الضبيّ، بغية الملتمس، 190- الحميدي، جذوة المقتبس، 134.

[2] -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 244 -الونشريسي، المعيار المعرب، 417/6 -العماد الأصفهاني، خريدة القصر، وجريدة العصر، ج3، (قسم شعراء المغرب والأندلس)، 373-374.

[3] -الطرطوشي، الحوادث والبدع، 152 -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 242.

[4] -المقري، نفح الطيب، 128/2.

[5] -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 239.

[6] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 204.

[7] -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 239.

[8] -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 4، قسم 109/1 -ابن قزمان، ديوان الزجل، 162.

نستنتج بأن الناس اهتموا بتلك الاحتفالات سواء من أهل المغرب الأوسط أو الأندلس، وأنها كانت تتم بنفس الطريقة لدى العائلات الثرية أو العامة، وأثرها ما زال مستمرا منذ ذلك الزمن إلى وقتنا الحالي، مما يدل على عمق التأثير الحاصل بين المجتمعين.

4-الاهتمام باللّهــو والتــرفيــه:

يبدوا أن أهل المغرب الأوسط وسكان الأندلس كانت عندهم الرغبة في قضاء أوقات فراغهم في اللهو والميل إلى الترفيه[1]، والاستمتاع ببعض أمور التسلية بناءا على ما تنبؤنا به المصادر.

كما يمكننا الجزم بأن مهاجرة المغرب الأوسط إلى الأندلس قد عايشوها واستمتعوا بها مع أهل البلد، خاصة وأنها كانت منتشرة بينهم، ولعلها انتقلت مع الذين عادوا إلى بلادهم، وبالتالي تعرف عليها أهل بلدهم من خلال ممارستهم لها، وهي عديدة ومتنوعة منها:

أ-التنـــزه والصيـــد:

إن العوامل الطبيعية ساعدت على وجود المتنزهات حيث كان يقصدها العامة والخاصة في أغلب الأوقات، ويشير ابن قزمان في أمثاله إلى انتشارها بالأندلس [2]، فضلا عن أنهارها وجناتها التي التي استغلها السكان، من ذلك ما رواه ابن الخطيب عن غرناطة قائلا: «فلأهلها بهذه الجنّات كلف...»[3]؛ وكذلك الشأن بمنتزهات المغرب الأوسط [4]، أمّا الصيد فقد رافق تلك الخرجات في في أغلب الأحيان، وكان من أهم وسائل اللّهو والمتعة المستحبة خاصة عند الخلفاء والحكام، والعديد من فئات المجتمع[5].

ب-سبـــاق الحمـــام وسباق الخيل "فن الفروسية":

زيادة على أن هناك وسائل لهو أخرى كانت محط اهتمام لدى بعض الحكام والملوك منها سباق الحمام، فقد ظهر بشكل خاص عند بعض ملوك الطوائف وكان يطلق عليه اسم "   فن

---

(1) -الترفيه: أو الترويح هو نشاط غير متصل بالعمل يقوم به الفرد من أجل الإحساس بالارتياح والشعور بالسعادة، راجع محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، 377.

(2) -ابن قزمان، ديوان الزجل، 900.

(3) -ابن الخطيب، الإحاطة أخبار غرناطة، 123/1 -إحسان عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 48.

(4) -سبق وتحدثنا عن طبيعة المغرب الأوسط في الفصل التمهيدي، ويمكن الوقوف على جمال مناظره من وصف كتب الجغرافيا والرحلات، راجع: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، 150 -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 176.

(5) -ابن عذارى، البيان المغرب، 123/3 -العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، 363/3، 539 -المقري، نفح الطيب، 185/1.

المطيرات"، لأنّه يتعلق حصريا بالطيور [1]، وقد زاد انتشارها في القرن 05هـ/11م يدل على ذلك الإشارة الواردة عنه في العديد من النصوص [2]،ومع ذلك لا يمكن الجزم بأن أهل المغرب الأوسط خاصة العامة منهم كانوا يعرفونه لذلك تبقى مسألة اتخاذه كوسيلة عامة للّهو غير واردة ويمكن فقط حصره بالطبقة الخاصة.

أما سباق الخيل فإن الاهتمام به قد نشط خاصة بعد ازدياد هجرة الفرسان البرابرة نهاية القرن 04هـ/10م من المغرب إلى الأندلس، حيث أدخلوا معهم طريقتهم في تربية الخيول والغنم ذات الصوف الرفيع والغزير[3]، حتى أن الغنم البربري لا يزال يحمل بالإسبانية اسم مورينو (Merino) وهو اسم مشتق فيما يرجع إلى قبيلة بني مرين؛ وقد ساعد نقل البربر لخيولهم إلى الأندلس في تهجين الخيول الإسبانية وتحسين سلالتها[4]، حيث كانت تتخذ للسباقات، يدل على ذلك ما نظمه الشعراء من أبيات في وصف حلبة سباق الخيل [5]، وقد كان الحكام بشكل خاص مولعين بهذا الفن حيث تشير إحدى الروايات إلى أن فرس المعتمد بن عباد فاز بالمركز الأول في إحدى سباقات الخيل من بين ندمائه[6]، كما أن هناك رواية توحي بأن باديس الزيري كان قد خصص مكان خارج مدينة غرناطة غرناطة يقال له "المصارة" بالرملة، حيث تتم هناك سباقات الخيل[7].

ج-الألعاب:

وإلى جانب وسائل اللهو والترفيه تلك، تشير بعض المصادر والأبحاث إلى وجود ألعاب كانت تمارس بين الشباب، منها ما اشتهر بالأندلس على وجه الخصوص، ونجد في ذلك:

-لعبـــة العصا:

---

(1) -إليفي بروفنسال، الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة طاهر أحمد مكي، (ط2، القاهرة: دار المعارف، د ت)، 121.

(2) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 102-103 -ابن الآبار، الحلة السيراء، 100/2.

(3) -موريس لومبار، الإسلام في مجده الأوّل، 123، 250.

(4) -المرجع نفسه، 120، 123، 253.

(5) -العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، 429/3، 446.

(6) -المقري، نفح الطيب، 142/5 -الأصفهاني، خريدة القصر، 429/3.

(7) -المصارة "Musara": هي كلمة عربية غير معروفة في المشرق الإسلامي، وقد ترجمها أحد الباحثين بأنّها تدل على مكان مخصص لتمرينات الفروسية ومكان لراحة الجمهور وتسليته، وكانت تقع خارج بعض المدن المسلمة في الغرب، واعتاد الناس العدو فيها على ظهور الخيل وكذلك النزهة سيرًا على الأقدام، لتفصيل أكثر راجع: ليوبولد تورِّس بالباس، المدن الاسبانية الإسلامية،342.

وتعرف أيضا بلعبة اللمطة والمقرع، إذ تكون العصا فيها هي وسيلة اللّعب بين المتنافسين وبالرغم من نهي الفقهاء الناس عن ممارستها لأن لعبها ينذر بالنفاق والهرج [1]، إلا أن الناس ولعوا بها[2]، وإن كانت هاته اللّعبة معروفة بالأندلس فهي كذلك ببلاد المغرب الأوسط وهناك رواية أوردها الغبريني تجعلنا نخمن بأن تكون هاته اللعبة قد انتقلت من الأندلس إلى المغرب الأوسط مع هجرات الأندلسيين، من خلال ترجمة الفقيه أبي عبد الله العربي، حيث ذكر أنّه احتزم ببجاية في سنة 591هـ/1165م، وركب قصبة وأمسك باليد الأخرى قصبة على هيئة محاربة العدوّ وكان ذلك هو اليوم الذي هزم فيه المسلمون النصارى بمعركة الأرك[3]؛ والظاهر أن لعبة العصا هاته ما زالت منتشرة منتشرة ومتداولة في بعض مدن الجزائر إلى وقتنا الحالي، ويمارسها خاصة الصبيان مع بعضهم البعض.

-لعبـــة الشـــطرنـــج:

يعود تاريخ دخول هاته اللّعبة إلى الأندلس حوالي القرن 03هـ/09م عن طريق المغني زرياب وبعض المهاجرين من العراق، ومن المحتمل أن يوافق ذلك دخولها إلى بلاد المغرب الأوسط خصوصا وأن زرياب نزل بإفريقية على عهد الزيريين قبل ارتحاله للأندلس لما كانت أجزاء من المغرب الأوسط تابعة لهم[4]، وانتشرت منذ ذلك الوقت وأغرم بها الأندلسيون، وقد أورد ابن حيّان نصا يستشهد فيه فيه عن ذلك، كما ذكر صاحب الذخيرة رواية توحي بأن هاته اللّعبة كانت موضع اهتمام خاص لدى بعض الحكام بالأندلس خلال القرن 04هـ/10م[5]، وممّا يؤكد اهتمام الناس بها ووُجْدِهم بممارستها هو أن اللاعبان فيها كانا يستغرقان النهار كله أمام رقعة الشطرنج، غير أنه ورد في أمثالهم ما يربط تلك اللعبة وصاحبها بالنحس لأن الشغف بها قد يؤدي إلى تضييع الوقت [6]، ومما يجدر ذكره عن هذه اللعبة هو أن أهم اسم لمع وتفوق فيها من الأندلس كان الوزير الشاعر أبو بكر بن

---

[1] -ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، 243.

[2] -ابن عبد الرؤوف، آداب الحسبة، 113، 124.

[3] -الغبريني، عنوان الدراية، 81.

[4] -المقري، نفح الطيب، 130/3.

[5] -ابن حيّان، المقتبس من أخبار بلد الأندلس، 180-182 -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 4، قسم1/60.

[6] -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب الأندلس، 316/1.

عمار[1] حيث استغل هذا الأخير مهارته وذكاءه في هذه اللعبة لمنع منافسه ألفونسو السادس ملك قشتالة من التوغل في أراضي المسلمين واضطره أن يتراجع إلى بلده بعد أن انتصر عليه[2].

ويضاف إلى هاته الألعاب أخرى ورد ذكرها متفرقة في بعض المصادر والمراجع وكانت تستهوي الناس لكنها لم تلق الاهتمام والشهرة بقدر انتشار لعبة العصا والشطرنج نذكر منها: لعبة النرد[3]، ولعبة الزريزر[4]، ولعبة خيال الظلّ[5]، ولكن للأسف ليس لدينا تفصيل واضح عن طريقة لعبها، وهل هي في الأصل ظهرت بالأندلس أو المغرب، أم انتقلت من أحدهما إلى الآخر؟

وبهذا يتضح أن حياة أهل المغرب الأوسط والأندلسيين كانت متنوعة في المجال الترفيهي، وأن التسلية كانت تأخذ حيّزا مهمّا من وقتهم يرفهون بها عن نفوسهم، لينسوا بعض مشاغلهم، ولعل منها ما كان مجالا لتأثر أحدهما بالآخر.

ومن خلال كلّ ما سبق ذكره يمكن أن نستنتج ما يلي:

-بالنسبة للألبسة والأزياء يتضح بأنّ الأندلسيين كانوا أصحاب صنعة وتميّز، ممّا يوحي بأنهم قد أثروا في أزياء أهل المغرب عموما بما ذلك في المغرب الأوسط.

-لقد مثّل الطعام مظهرا عاما عكس واقع المجتمع ومستوى حياة الناس بالمغرب الأوسط والأندلس، كما اتضح بأن العديد من الأطعمة التي كانت تحضر باللحوم والخضروات قد تسربت من بلاد المغرب وصارت مشهورة بالأندلس، في حين ظهر التفوق الأندلس واضحا من خلال تأثيرهم

---

[1] -الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، 93، 110.

[2] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 85-86 -وممّن اشتهر وبرع أيضا في الشطرنج أبو بكر الزهري الاشبيلي الطبيب (ق 06هـ/12م)، الذي قال متحدثا عن نفسه: «وكنت كثير اللّعب بالشطرنج ولم يوجد من يلعب مثلي به في اشبيلية إلاّ القليل، فكانوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي، فكان إذا بلغني ذلك أغتاظ منه ويصعب علي فقلت في نفسي لابد أن أشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لأنعت به ويزول عني وصف الشطرنجي...»، أنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 80/2.

[3] -لعبة النرد: هي من ألعاب الحظ والقمار، وهي محرمة في الشرع الإسلامي، ونهى ابن عبدون عنها كما كرّه كثير من الفقهاء الجلوس إلى من يلعب بها أو ينظر إليها، أنظر: ابن عبدون، رسالة في الحسبة، 53.

[4] -لعبة الزريزر: هي لعبة ورد ذكرها في رسائل بعض الكتاب، وهي تصغير لكلمة زرزور، وتعني الطائر المعروف بسرعة القفز وخفّة الحركة، وقد شبه به من يقوم بهذه الألعاب، أنظر: ابن بسام الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 1، ج157/2 -العماد الأصفهاني، خريدة القصر، 401/3.

[5] -ورد في بعض الأمثال أنها شخصية تنسب لرجل يعرف باسم "العجابي" لأنّه يأتي بالعجايب، كأن يجعل في الإناء الواحد كثرة وهميّة، أنظر حول ذلك: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 1 ، ج154/2، 187 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس، 314/1، 153 -إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، (المجتمع-الذهنيات-الأولياء)، 97.

على المغاربة في صنع الحلويات وطريقة تقديم الأطعمة وتنويعها، وكذلك تنوعت الأشربة وسمح ذلك لكلّ طرف من التعرف على أنواع ما عند الآخر من الأشربة.

-إنّ طرق الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدينية والاجتماعية تكاد تكون متشابهة في كلا البلدين، والدليل أن الكثير من مظاهر تلك الاحتفالات لا تزال متجذرة في مجتمعنا بنفس الطريقة منذ ذلك الزمن، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على ارتباط الحاضر بالماضي وتأصل العادات والتقاليد في الأندلس والمغرب الأوسط.

الفصل الثالث

العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م

1-العوامل التي ساعدت على تنشيط العلاقات العلمية بين البلدين

5 -عناية الحكام بالعلم والعلماء

6 -المؤسسات التعليمية

7 -الرحلة العلمية وهجرة العلماء

8 -الإجازة العلمية

2-مظاهر التأثيرات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين

ث -التأثير العلمي للعلماء الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 05-06 ه/11-12م

ج -التأثير العلمي لعلماء المغرب الأوسط ببلاد الأندلس خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م

1-العوامل التي ساعدت على تنشيط العلاقات العلمية بين البلدين:

أ-عناية الحكام بالعلم والعلماء:

لقد توثقت العلاقات العلمية خلال القرنين 05-06هـ/11-12م، بين المغرب الأوسط والأندلس بفضل الرعاية التي كان يوليها الحكام في البلدين بالعلم والعلوم، وإظهار رغبتهم في الارتقاء بالحركة العلمية من خلال تشجيعهم وعنايتهم للعلوم والآداب؛ ويظهر ذلك على سبيل المثال فيما قاله الأمير الزيري عبد الله بن بلكين "469-483ه / 1090م" أحد الملوك المغاربة بالأندلس عصر الطوائف يحث على التعلم: «اعلم أن العقل محتاج إلى التعلم، ولا يتحكم تعلم إلا بتجربة، وأنّه لا عذر للإنسان في أن يجهل علمًا يليق به»[1].

لأجل ذلك عمل الحكام خاصة بالمغرب الأوسط على استقبال العلماء من مختلف الحواضر إذ فتح المنصور الحمادي "481-498ه/1098-1105م" مدينته بجاية لمعز الدولة الواثق بن صمادح (ت نهاية القرن 5هـ/11م)، أحد ملوك الطوائف المخلوعين بالأندلس وأسند إليه ولاية دلس، وكان هذا الأخير مهتما بالفنون والآداب والتواريخ[2]، كما استقبل بعض ملوك الطوائف بالأندلس منهم بنو عباد حكام اشبيلية وبنو جهور حكام قرطبة [3] في بلاطاتهم شعراء من المغرب الأوسط من بيت بني الطبني أهل البيت الشهير بالعلم والأدب بالأندلس، كإبراهيم بن يحي وأخيه محمد بن يحي، حيث كان يسمح لهما بمجالسة الملوك وإلقاء الشعر في حضرتهم[4]، بل أن قرطبة وحدها قد شهدت عناية كبيرة بالعلم والعلماء منذ عهد عبد الرحمن الناصر ثم نجله الحكم وكذلك العامريين، إذ أغدقوا الجرايات والامتيازات على المدرسين مما شجع الطلاب والأساتذة المغاربيين للتوافد على العاصمة [5] وقد تدعم الاهتمام أكثر عندما توحدت بلاد المغرب مع الأندلس سياسيًا على عهد كل من المرابطين والموحدين، إذ شجع المرابطون الحركة الفكرية في جميع مناطق دولتهم، و لم يحاولوا وقف هذا التيار بل عملوا على أن يوجهوه لمعاونتهم وخدمة قضيتهم ودعوتهم، فكان يوسف بن تاشفين " 410-500ه/1019-1106م" يحث أبناء دولته على النهل من العلم والمعرفة فكان بلاطه إلى جانب الفقهاء

---

[1] -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 10.

[2] -المصدر نفسه، 167-168 -ابن الأبار، الحلة السيراء، 2/89-90.

[3] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 55.

[4] -الحميدي، جذوة المقتبس، 92 -الضبي، بغية الملتمس، 126، 193 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/92.

[5] -إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 09 ه / 15 م، (ط1، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة للنشر، 2002)، 1/95.

لا يقل عن بلاطات ملوك الطوائف في حشد أئمة البلاغة والترسل[1]، بل أنّه لشدة اهتمامه بالعلم «كان محبًا للفقهاء والصلحاء مكرمًا لهم أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال حياته»[2].

كما أظهر الموحدون أيضا عناية بالعلوم، وبرز ذلك بشكل خاص على عهد أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن "558-580 ه/1162-1174م"، حيث كان هذا الأخير مولعًا بالعلم مقبلا عليه مبديًا الاحترام لأهله، صرف عنايته أيام كونه باشبيلية للقاء رجال من أهل علم اللغة والنحو والقرآن فأخذ عنهم جميع ذلك، وبرع في كثير منه[3]؛ و لم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى تحصيل وجمع الكتب، إذ عكف على تجميع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب، ودأب يبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله ممّن ملك المغرب [4]، فقد قرب إليه العلماء والفقهاء وكان يستدعيهم من ذلك ما حصل مع أحمد بن عبد الرحمن بن سعيد القرطبي ت "592 ه/1195م"، إذ استدعاه وقرّبه وأمر بتقديمه قاضيا على بجاية[5]؛ ونفس الوضع استمر على عهد عهد ابنه أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن "580-595هـ/1174-1198م"، خاصة مع إظهار عنايته بعلم الحديث إذ انتشر في أيامه للصالحين وأهل علم الحديث صيت وقامت لهم سوق وعظمت مكانتهم منه، وذُكر بأنّه لم يزل يستدعيهم ويكتب لهم، ويصل من يقبل صلته منهم بالصلات الجزيلة[6].

بل وزيادة على ذلك أمر جماعة ممّن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة، الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود والنّسائي والبزاز، ومسند بن أبي شيبة، وسنن الدّارقطني والبيهقي في الصلاة، فلما جمع له فيه مصنف أخذ يمليه بنفسه على النّاس ويأخذهم بحفظه حتى أنّه جعل لمن حفظه الجعل السُنّي من الكساء والأموال، فانتشر في جميع المغرب وحفظه النّاس من العوام والخاصة[7].

---

(1) -عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 410/1.
(2) -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 137.
(3) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 168.
(4) -المصدر نفسه، 169.
(5) -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 218/1-220.
(6) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 197.
(7) -المصدر نفسه، 198.

وكان يستدعي العلماء الأكفاء في الحديث إلى مجلسه ممن اشتهروا وذاع صيتهم سواء من الأندلسيين أو المغاربة، من ذلك ما حصل مع أحمد بن سلمة بن أحمد بن يوسف الأنصاري ت"598هـ-1201م"، وهو لورقي نشأ ببلنسية ثم نزل تلمسان حيث كان محدثا حافظا كامل العناية بالحديث من أهل المعرفة به، استدعاه إلى حضرته مراكش ليسمع بها عليه الحديث فقدمها وأسمع بها مدة عاد إلى تلمسان[1].

ومن مظاهر إقباله على العلم والعلماء أنّه لم يقف على تكريمهم في حياتهم فحسب، بل تعداه إلى ما بعد وفاتهم، إذ كان يشهد جنائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرك بهم [2]، ذلك لأن وجود العلماء في الدولة كان يعين الحكام على مناقشة قضايا المجتمع وإيجاد حلول لمشاكل العامة فقد استعان الأمراء من آل عبد المؤمن مثلا بأحمد بن أبي محمد هارون بن أحمد الأندلسي ت " 609 ه/ 1112م" الذي درّس ببجاية، وكانوا يخاطبونه ويعتمدون رأيه وإشارته في مصالح بلده لثقة أهلها بدينه وركونهم إلى نصيحته[3].

وعليه فإن تقريب الحكام للعلماء وتشجيعهم هو خدمة للعلم وتنشيط وتفعيل للحركة الثقافية من جهة؛ كما وأنه فتح باب التواصل والتبادل العلمي بين علماء المغرب الأوسط والأندلس إذ استفاد كل منهما بما كان يحمله الآخر من علم وفكر وحضارة وأتاح الفرصة للمشاركة الجادة في تطوير الحياة العلمية والثقافية، والنهوض بحركة التعليم والتأليف في البلدين.

ب-المؤسســـات التعليميـــة:

لم يكن لحواضر المغرب الأوسط كبجاية وتلمسان والجزائر، وكذلك حواضر الأندلس كقرطبة واشبيلية وبلنسية وغيرها، أن تحصل على صفة المراكز العلمية العالمية، وأن تستهوي العلماء وطلبة العلم، لو لم تكن فيها الوسائل والأماكن التي تعد بمثابة الوسائط المساعدة على نشر العلوم والثقافة، فكان من أهمها:

-المســـاجد:

لقد كانت ولا تزال المساجد والجوامع في العالم الإسلامي تؤدي رسالة العبادة ونشر العلم والمعرفة، وكذلك الحال بمساجد الغرب الإسلامي بصفة عامة، إذ أنشأت لخدمة هذا الغرض؛ ولأنّ

---

[1] -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 1/125-126.
[2] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 216-217.
[3] -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 2/560-561.

مكانتها عظيمة في الرسالة التي تؤديها[1]، فقد ركزّ الحكام على تشييدها حرصًا منهم على ذلك الدور الذي تساهم به في نشر الثقافة وتنشيط الحركة العلمية والفكرية، وبناءا على ما ورد في العديد من المصادر والمراجع التاريخية، فإنّ مدن المغرب الأوسط كانت تزخر بالمساجد، إذ كانت بجاية وحدها على سبيل المثال تضم أكثر من اثنان وسبعون مسجدا في مقدمتها الجامع الأعظم[2]، والجامع الكبير بمدينة الجزائر الذي يرجع الفضل في إنشائه إلى يوسف بن تاشفين سنة 460 ه/1068م[3] وكذلك المسجد الجامع بتلمسان 463هـ-1070م[4].

وقد اضطلعت تلك المساجد بدورها العلمي والفكري، وفتحت أبوابها للمعلمين وطلبة العلم، خاصة من الأندلسيين الذين قصدوا حواضر المغرب الأوسط، فقد كان الشيخ أبو مدين شعيب الأندلسي ت "594هـ-1197م"، يعقد مجلسه العلمي بمسجد أبي زكرياء الزواوي ببجاية [5] كما وكان للفقيه المحدث عبد الحق الأزدي الاشبيلي ت " 582هـ/1186م"، مجلس ببجاية إذا صلى الصبح في الجامع جلس يقرأ فيه حتى الضحى[6].

كما وأننا إذا حوّلنا وجهتنا للأندلس لوجدنا بأن المساجد قد انتشرت بها انتشارًا كبيرًا، وقام الخلفاء والأمراء ببنائها ليس على مستوى المدن فحسب بل حتى القرى، إضافة إلى قيام الأغنياء والعلماء والفقهاء ببناء مساجد خاصة، ويذكر أحد الباحثين في هذا الصدد أن إلقاء نظرة على قائمة أسماء الأماكن والبلدان الواردة بكتاب الصلة على سبيل المثال يجد أنّه أشار إلى المسجد الجامع بقرطبة (73مرة)، وجامع الزهراء (11 مرة)، وتضمّن الكتاب أسماء (75 مسجدًا خاصًا) أقامها الأفراد أو أنشأتها العائلات[7]، حتى أن هناك من أهل المغرب الأوسط من دَرَسَ بمساجد الأندلس كمحمد بن

---

(1) -إسماعيل سامعي، حركة التعليم في المغرب الإسلامي إبان القرنين 03-04ه/09-10م، (مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد الأوّل، أفريل 2002)، 99.

(2) -ناصر الدين سعيدوني، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية، من كتاب دراسات أندلسية، (ط1، بيروت، 2003)، 103 -إيفر، مقال حول بجاية في دائرة المعارف الإسلامية، 351/3.

(3) -عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 271/2 -الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، (مجلة الأصالة، عدد 8، سنة 1972)، 114-115 -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، 158.

(4) -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1988)، 68.

(5) -الغبريني، عنوان الدراية، 59.

(6) -المصدر نفسه، 69.

(7) -محمد عبد الحميد عيسى، تاريخ التعليم في الأندلس، إشراف لويس مواريث فرنانديث، تقديم عبد الغني عبود، (ط 1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982)، 266-269.

علي بن يخلف المكنى بأبي عبد الله من أهل الجزائر ت " 606هـــ-1209م"، الذي دخل الأندلس وأخذ عن أحد علمائها بمسجد اشبيلية[1].

-الكتـــاتيب:

الكُتّاب أو المكتب كلمة تطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصغار، وكان عادة ما يقام بالقرب من المسجد وربما في داخله[2]؛ وهو يعد من أقدم المؤسسات العلمية وأولاها التي ساهمت في نشر التعليم، إذ أنشئت منذ عصور الإسلام الأولى[3].

ولأن الكتاتيب شُيّدت من أجل تنشئة الصغار وتعليمهم، وتحفيظهم القرآن الكريم فقد كان يقوم بهذه العملية معلم الكتّاب الذي يبدأ مع الصغار بتحديقهم كتابة الأحرف وقراءها حتى يألفوا ذلك، ثم يشرع في تحفيظهم سور القرآن القصار، ويتدرج معهم في ذلك شيئا فشيئا حتى يصل إلى السور الطوال، ثم مرحلة الختم معتمدا على طريقة التلقين والاستظهار والكتابة في اللوح[4].

وبالنسبة لوقت الدراسة في الكتّاب، فكانت تتم على مرحلتين إذ يتجه الصغار مبكرًا للكتّاب، ويبقون فيه إلى غاية منتصف النهار ثم يُسرحون فترة وجيزة ليعودوا ثانية إلى ما بعد العصر، وهكذا دواليك يوميا باستثناء يوم الجمعة الذي كان يمثل عطلة لارتباطه بالصلاة، يضاف إليه أيام الأعياد[5].

وكان معلموا الكتّاب يحظون بالاحترام والتقدير، لأنّ أغلبهم كان يعلم القرآن مجانًا والأجر الوحيد هو الجزاء من الله تعالى، وقد سار على هذا عدد من معلمي المسلمين المغاربة والأندلسيين [6] حتى أننا نجد من أهل الأندلس من تولى تأديب الصبيان بالمغرب الأوسط كأبي إسحاق إبراهيم بن يسول الاشبيلي ت "نصف1 من القرن 06 ه/12م"، الذي كان يقرؤهم القرآن بتلمسان مجانًا[7].

ومع ذلك فإننا لا نعرف الكثير عن الكتاتيب بالمغرب الأوسط من حيث أماكنها أو عددها ولا القائمين عليها باستثناء الإشارة التي أوردها صاحب كتاب الجزائر، حيث ذكر بأنّه لم يكن في

---

(1) -ابن الأبار، التكملة للصلة، 683/2.

(2) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 220-221.

(3) -إسماعيل سامعي، التعليم في المغرب الإسلامي، 98.

(4) -محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تقديم محمود عبد المولى، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت)، 61، 184.

(5) -الونشريسي، المعيار المعرب، 152/8 -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 256.

(6) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 259.

(7) -ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، 288.

عصر بني حماد ولا في عصر الموحدين مدينة أو حارة خالية من المدرسين أو لا تجد بها الكتاتيب والمؤدبين[1].

أمّا في الأندلس، فقد أحصى أحد الباحثين الكتاتيب ببعض مناطقها فبيّن أنّها قد بلغت حوالي سبعة وعشرين مكتبا[2].

-الحلقـــات الخـــاصة:

هي عبارة عن جلسات كان يعقدها العلماء فيما بينهم أو مع طلبتهم الراغبين في الاستفادة منهم خارج المؤسسات العلمية، حيث تناقش فيها مختلف العلوم الدينية والعقلية[3].

وكانت تلك الحلقات تقام إمّا في السوق أو الحارة، أو بمترل أحد العلماء، إذ أسهمت هي الأخرى إسهاما كبيرًا في إنعاش الحركة العلمية وتبادل المعارف، فقد كان لعلماء المغرب الأوسط مجالس مثل هاته بالأندلس، كعبد الملك بن زيادة الله الطبني ت " 456هـــ/1063م"، الذي كان له مجلس علم في قرطبة حيث ذكر صاحب الصلّة أن هذا الأخير لما رجع من المشرق أملى فاجتمع إليه في مجلس الإملاء خلق عظيم[4]، وكذلك استطاع عدد من علماء الأندلس عقد مثل تلك المجالس بحواضر المغرب الأوسط، إذ ذكر الغبريني بأنّه كان للفقيه أبي علي حسن بن علي المسيلي مجلس يجلسه بالحانوت الذي هو بطرف حارة المقدسي ببجاية رفقة أبي محمد عبد الحق الاشبيلي ت "582هـــ/1186م" [5]، والفقيه أبي عبد الله محمد بن علي القرشي يناقشون فيه المسائل العلمية والفقهية حتى أنّه سمي بمدينة العلم لاجتماع هؤلاء الثلاثة فيه[6].

إلا أن البعض لم يكن لهم الوقت لاتخاذ مكان محدد للتعليم خاصة ممّن زاولوا عمل التجارة إلى جانب نشر العلم، فكانوا ينتقلون بين المدن حاملين معهم كتبهم يُفيدون منها الآخرين أثناء رحلتهم، وذلك ما فسح المجال لوجود كثرة من الآخذين عنهم، كما كان حال عبد الرحمن بن خالد

---

(1) -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، 81.

(2) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 207.

(3) -المرجع نفسه، 265.

(4) -ابن بشكوال، الصلة، 1/343-344 -ابن خاقان، مطمح الأنفس، 57 -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 1، ج2/52-53 -الضبي، بغية الملتمس، 230 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/93.

(5) -الغبريني، عنوان الدراية، 73-74.

(6) -المصدر نفسه، 69.

الوهراني ت "411هـ/1020م"، الذي كان ينتقل بين قرطبة والمريّة وبجانة حاملاً معه كتبه تُقرأ عليه أثناء ذلك، مع الثياب التي كان يبتاعها لعيشه[1].

-الزوايـا والمـدارس:

تعد الزوايا من مراكز التعليم، وهي في الأصل بناية ذات طابع ديني وثقافي يقيم فيها عادة الصوفي للاعتكاف والعبادة، ويلتف حوله طلبة ينهلون المعارف منه [2]، ولقد ساهمت الزوايا في تعميم التعليم لدى الشرائح الدنيا من المجتمع[3]، إلاّ أن ظهورها بالمغرب الأوسط كان متأخرًا لارتباطها بنشاط الفكر الصوفي الذي يعود إلى نهايات القرن 06هـ/12م، بحيث نجد إشارة عند الغبريني حين ذكر بأنّه كان لأبي زكرياء يحي الزواوي ت " 611هـ/1215م" زاوية[4]، والظاهر أنّها كانت للعبادة فقط، وليست لمزاولة التعليم.

وفي الأندلس لا نعرف شيئا عن الزوايا، وما إذا كانت قد اتخذت كمراكز لنشر العلوم والمعارف، وكذلك الشأن بالنسبة للمدارس، إذ لم يظهر لها وجود بالمغرب الأوسط إلاّ بتلمسان في عهد عبد الملك الزياني أبو حمو الأوّل " 707-718ه/1308-1318م"[5]؛ في حين أن هناك إشارات توحى بأن سياسة إنشاء المدارس قد بدأت منذ العهد الموحدي، حيث كانت أولى المحاولات لترسيم التعليم وجعله إطارًا لتوجيه الاختيارات الثقافية والعلميّة [6]، خاصة من طرف يعقوب المنصور فكان من الإجراءات التي تبناها إقامة المدارس وتخصيص ميزانيات من الخزينة العمومية لتغطية تكاليفها ومتطلباتها التربوية والتنظيمية ليس على مستوى العاصمة مراكش وحدها، بل أيضا في كامل المغرب وإفريقية والأندلس[7]، ومع ذلك لا نعلم الكثير عن نشاطها خلال تلك الفترة سوى أن ما يرد من

---

[1] -الحميدي، جذوة المقتبس، 256 -ابن بشكوال، الصلة، 1/305-306 -الضبي، بغية الملتمس، 319.

[2] -عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 1/152.

[3] -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

[4] -الغبريني، عنوان الدراية، 137.

[5] -حول نشأت المدارس بالمغرب الأوسط وغيره، أنظر: عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، 1/141 -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1/34 -محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، 67-72.

[6] -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 150 -إبراهيم القادري بوتشيش، تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة، (ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1994)، 138.

[7] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 217 -محمد المنوني، حضارة الموحدين،(ط1،الدار البيضاء:دار توبقال للنشر، 1989)، 16-17.

عبارات في التراجم عن علماء تمّ استدعاؤهم للتدريس في بلاطاتهم[1] يجعلنا نخمن بأن جمعًا كبيرًا من العلماء كان قد درَّس بها زيادة على أنّه قد تخرج منها الكثير من طلبة العلم من أنحاء المغرب والأندلس، وعلى العموم فإن مجمل العلوم التي كانت تدرّس بتلك المؤسسات كانت موزّعة بين العلوم الدينية مثل القرآن الكريم وعلومه، والحديث والفقه وأصوله، وعلوم اللّغة كالنحو والصرف والأدب وعلوم البلاغة، والعلوم الطبيعية والتجريبية كعلم الفلك والحساب والطب والصيدلة، والعلوم العقلية كالفلسفة والتصوف[2].

ج-الرحلـــة العلميـــة وهجرة العلماء:

تعد الرحلة من أهم سمات التعليم في العصور الوسطى، وتتلخص في قيام الطلاب بالانتقال من مكان لآخر بحثا عن مزيد من العلوم، ولقاء أفضل المعلمين المنتشرين بكافة بلاد العالم الإسلامي[3]، وتظهر فيها الرغبة من خلال تنمية القدرات العلمية وكسب الصداقات بين العلماء وتبادل الأفكار والآراء والاطلاع على المؤلفات، لذلك فهي من أهم العوامل التي نشّطت الحركة الفكرية والعلمية بين المغرب الأوسط والأندلس، وقد أشارا بن خلدون في مقدمته إلى أهميتها واعتبرها مزيد كمال في التعلم[4]، كما لخص أحد الباحثين فوائدها فبيّن بأن من أولاها ضمان سلامة المنهج النقلي وذلك عندما يقع تصحيح المتون المرويّة، ووصل أسانيدها بأصحابها لتكون أساسا صالحًا للبحث والدرس وبناء الأحكام، وثانيها تصحيح منهج التفكير وبناؤه على أثبت القواعد لأنّ من الأقوال المأثورة: "إذا أردت أن تعرف مقدار شيخك فجالس غيره" [5]؛ كما أنّها تمكّن من اكتشاف الجوانب العلمية من خلال البحث ونشر العلم الذي حصّله العالم، زيادة على الاتصال بكبار العلماء والأخذ عنهم من ذوي الإسناد العالي المتصل[6].

---

(1) -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 1/125-126.

(2) -يحي بو عزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، (مجلة الثقافة، العدد 63، السنة 11، جوان، 1981)، 13 -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 315.

(3) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 403.

(4) -ابن خلدون، المقدمة، 437.

(5) -القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تعليق وتقديم محمد بن تاويت الطنجي،(د ط، الرباط: مطبعة الشمال الإفريقي المملكة المغربية، 1965)، ج1، أنظر: مقدمة الكتاب ص:ي

(6) -القلصادي (أبو الحسن علي الأندلسي)، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، (ط 2، تونس: نشر وزارة الشؤون الثقافية، 1978)، 59.

هذا وإن التعلق بالمشرق هو الذي قد أدى إلى كثرة الرحلات منها السفر لأداء مناسك الحج والعمرة، والذي كان يستغرق وقتا طويلاً ممّا جعل العلماء يستغلون تلك الرحلات للنهل من العلوم وكان هذا حال الكثير من الأندلسيين والمغاربة، إذ شدوا رحالهم نحو المشرق إلى مراكز الحج ومدن العلم الأولى[1]؛ وقد أتاح ذلك لهم فرصة التحصيل العلمي، كما فتح الباب أيضا أمامهم لنقل معارف المشرق إمّا لبلادهم بعد عودتهم إليها أو إلى البلدان التي سكنوها، زيادة على إدخالهم المؤلفات، من ذلك ما كان مع عبد الملك (أبو مروان بن زيادة الله الطبني) ت " 456هـ/ 1063م" الذي أستوطن قرطبة وكان من المهتمين بعلم الحديث والأدب والشعر واللغة، إذ قام برحلتان إلى مكة ومصر، حصّل خلالهما العلم عن جماعة، ولما عاد إلى قرطبة نشر معارفه بين أهلها[2]، وأيضا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ت "610هـ/1213م"، الذي كان مهتما بدراسة التاريخ وعلم القراءات والحديث، أخذ العلم عن أزيد من مائة وثلاثين من الأعلام المشارقة، وحين نزل تلمسان نشر بها علمه[3]، يقول مشيدًا عن إقبال أحد أعلام هذا البلد على علمه وهو جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي من تلمسان "كان حيّا سنة 578هـ/1182م": «جابر بن أحمد من أصحابي الآخذين عني بتلمسان عند قدومي من البلاد المشرقية كتب عني كثيرا»[4].

فبالنسبة لرحلة الأندلسيين فقد حكمت اتجاهها نحو المشرق مرورًا بالشمال الإفريقي وتونس ومصر وبلاد الشام، ثم الاتجاه إلى العراق وبلاد الحجاز، وكانت تتميز بطول المدة وكثرة الشيوخ الذين يمكن مقابلتهم خلالها؛ وللرحلة دوافع منها رحلات الأساتذة للشهرة والجاه، أو فرارًا من الاضطهاد، أو بحثا عن مكان ملائم لأفكارهم، وهناك رحلات الطلاب وهي التي ارتبطت بحركة رحلات المعلمين لشهرة المعلم[5].

وفي هذا الإطار انتقل عدد كبير من أعلام الأندلس إلى العدوة المغربية، وشهدت بلاد المغرب الأوسط توافد الكثيرين منهم سواء الذين كانوا في مرتبة الشيوخ ممّن تجشموا مشقة في سبيل نشر العلم والتدريس والإفادة، أو الذين انتقلوا إلى عواصمه وحطوا رحالهم بمختلف مدنه تدفعهم الرغبة في التحصيل على كبار شيوخ هذه الحواضر، وقد أبلى هؤلاء البلاء الحسن في سبيل التحصيل

---

(1) -المصدر نفسه، 65.

(2) -ابن بشكوال، الصلة، 1/343-344 -الضبي، بغية الملتمس، 230 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/93.

(3) -ابن الأبار، التكملة للصلة، 2/588-589.

(4) -المصدر نفسه، 1/249.

(5) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 411-413.

والتزود بمختلف المعارف، كما أن منهم من تمكن من تولي مناصب هامة في التعليم والإمامة والقضاء، ونافسوا فقهاء وعلماء أهل البلد في المناصب التي كانوا يتولونها، وذلك لجودة تكوينهم العلمي، وهو ما سيتضح عند تتبعنا لحركة تنقلهم تلك؛ وفي المقابل أيضا فتحت الأندلس أبوابها أمام العلماء وطلاب المعرفة ممّا دفع أهل المغرب الأوسط لأنّ يوجهوا رحالهم إلى مختلف مدنها تدفعهم الرغبة في التحصيل وتبادل المعارف والإطلاع على المؤلفات، كما أن منهم من عاد إلى بلده محمّلاً بالعلوم حيث عملوا على نشرها وسوف نتعرض بتفصيل أكثر في الحديث عنهم من خلال تحليل جداول[1]، بل وأتيحت الفرصة لبعضهم بفضل ما حصلوه من معارف وعلوم أن يتولوا عدة مناصب بالأندلس[2].

وإنّ ما فتح لنا المجال أكثر لإبراز قيمة الرحلة ودورها في تنشيط تلك العلاقات هو إقبال بعض العلماء من الرحالة ممن دعاه تقديره للعلم وأهله والرغبة في إثبات سنده العلمي إلى تصنيف كتاب يجمع شيوخه، ويترجم لهم ويذكر الكتب التي أخذها عنهم والطريقة التي أخذ بها، وقد كان يسمى ذلك عند الأندلسيين بالبرنامج، ثم صاروا يطلقون عليه المعجم، أما في القرون الأخيرة فقد أطلق عليه أهل المغرب اسم "الفهرست"، وهي تمثل سجلا يكشف على المنابع الثقافية التي ارتوى منها العالم والأصول التي اعتمد عليها، والتي كانت بغير شك مراجع له فيما ألّفه من كتب[3]، ولقد أثبت الكثير من الأندلسيين الرحالة في تلك المعاجم أسماء شيوخهم من العلماء الذين أخذوا عنهم بالمغرب الأوسط وغيره، وكذلك الحال مع أهل المغرب الأوسط ممّن درسوا على شيوخ الأندلس[4].

وإلى جانب رحلة العلماء التي كانت تكلل في الغالب بالرجوع بعد تحصيل العلم أو نشره نجد الهجرة التي أسهمت بدورها في تنشيط الحركة العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس خاصة وأنّه قد رافقها انتقال العديد من العلماء الذين اختاروا الاستيطان والاستقرار.

فبالنسبة للعلماء الأندلسيين فإن الظروف الصعبة التي عاشتها حواضر الأندلس منذ بدأ توغل النصارى على أراضي المسلمين هناك سنة "487 ه/1085م"، زيادة على الانقسام الذي حصل للمسلمين بعد قيام فتنة القرن " 05هـ/11م"، وبروز الإمارات المتحاربة، وحتى مع تدخل المرابطين

---

[1] -أنظر نماذج عن هؤلاء العلماء وتراجم لهم عند كل من: ابن الأبار، التكملة للصلة، 2/269-270، 690-691، 914-915 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 1/37 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1/183-184، 2/428.

[2] -ابن الأبار، التكملة للصلة، 1/271-2/698-699 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1/180.

[3] -القلصادي، الرحلة، 68-69.

[4] -راجع نماذج عنهم في:ابن الأبار، التكملة للصلة،1/85 - 2/588-589 -عبد الملك،الذيل والتكملة،سفر 5، قسم1/256-257.

والموحدين في جمع الشمل إلاّ أنهم لم ينجحوا بالكامل في رد اجتياح النصارى على بلادهم، بل وحتى الصراع بين المرابطين والموحدين كان له أثر امتد إلى العلماء، ما جعل العديد منهم يهجرون بلادهم ويستقرون في مختلف مدن المغرب الإسلامي [1]، ذلك لأن المغرب ازداد انفتاحا على الأندلسيين وأتاح لهم مجالات العمل كما شجع مثقفيهم في شتى الميادين، لهذا فإن عددًا من الأندلسيين توجه إلى مدنه؛ وكان الوافدون يأتون لأغراض شتى دارسين ومدرسين، أدباء وموظفين[2].

ولقد كانت حواضر المغرب الأوسط هي الأخرى قد فتحت ذراعيها لاستقبال الوافدين منهم أين وجدوا الظروف المناسبة لممارسة نشاطهم العلمي، وذلك منذ العهد الحمادي [3] وتصدرت كل من بجاية وتلمسان والجزائر ذلك لأنّها كانت مراكز كبرى وحواضر للإشعاع العلمي والثقافي ظلت تحافظ على مكانتها الحضارية طيلة العهد الإسلامي [4]، وقد أدى توافد الكثير من رجال العلم على المنطقة إلى تكوين أجيال من العلماء بين أهلها، كما ساهموا في إثراء العلوم والآداب بها [5]؛ وفي المقابل شهدت إفريقية منذ القرن "05هــ/11م" موجات كبيرة من هجرات العلماء، وذلك بسبب دخول عرب الصعيد الذين امتد أثرهم إلى بلاد المغرب الأوسط، زيادة على الحرب بين المرابطين والزناتيين بالمغرب، فكان على كثير من المثقفين أن يتوزعوا بين الهجرة الداخلية والخارجية، فاختار أكثرهم الرحيل إلى الأندلس[6]، وعن استقبال الأندلس للعلماء يقول الأمير الزيري في مذكراته «... «... ولم تزل الأندلس قديما وحديثا عامرة بالعلماء والفقهاء وأهل الدين، وإليهم كانت الأمور مصروفة...»[7]؛ إذ كانت قرطبة محط الرحال في عهد الخلافة، أما في عصر الطوائف ثم على العهدين المرابطي والموحدي، فكانت كل مدينة بالأندلس تتمتع بميزات إلا أن أكثرها شهرة آنذاك

---

(1) -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 4، ج126/1 —مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 22-25 -ابن الأبار، التكملة للصلة، 440/1 —ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 190/3—عبد الوهاب خليل الدباغ، أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة "399-422هــ/1009-1031م"، (مجلة آفاق الثقافة والتراث، العراق، العددان 25-26، السنة السابعة، 1999)، 103-108.

(2) -إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، 138/1.

(3) -أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، 79.

(4) -ناصر الدين سعيدوني، مدرسة بجاية الأندلسية، 101 —عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط، (مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 10، السنة 07، 1997)، 181-184.

(5) -المرجع نفسه، 184 —أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، 79.

(6) -إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، 79/1، 137.

(7) -كتاب التبيان، 17-18.

كانت اشبيلية—طليطلة—سرقسطة—مرسية—غرناطة-بلنسية[1]؛ وقد فعل الاحتكاك بالأندلسيين فعله في تقدم الحياة الفكرية ونهضتها، فكانت الاستفادة متبادلة بينهم وبين المحيط المغاربي[2].

د-الإجـــازة العلميـــة:

إنّ الإجازة هي عبارة عن الشهادة التي يسلمها أستاذ إلى طالب أو مُستَجيز، وهي تعد توثيقا لمعلومات صاحبها حسب الشخصية العلمية التي حررتها لصالحه[3].

ولقد بدأ ظهور الإجازة وانتشارها خصوصًا منذ القرن " 02هـــ/08م" وتعد إفريقية من أسبق الأقطار إلى هذا النظام الذي عرفه المشرق قبلها بقليل، وكان المجيز يقول: أجزت فلانا بحق روايتي عن فلان وكانت تمنح للطالب عند انتهاء دراسته لكتاب مع أستاذه، فإن الأستاذ يمنحها له تشهد فعلا بدراسته عليه، كما أنّها ضمان بعلم الطالب وقدرته على نقل هذا العلم[4].

وكانت الرغبة في الحصول على الإجازة من الأسباب التي قربت تبادل المعارف والعلوم بين كل من أهل المغرب الأوسط والأندلس، وأسهمت في تنشيط العلاقات العلمية ذلك لأن العديد من الأندلسيين تكونوا على علماء من المغرب الأوسط، وحصلوا على إجازات منهم تُخوّل لهم نقل تلك العلوم والمعارف التي حصلوها إلى غيرهم من أبناء بلدهم، إذ نجح أحد أعلام الأندلس أن يفتّك إجازة من الفقيه علي الترشكي من أهل بونة "كان حيّا سنة 539هـــ/1140م"، وذلك عندما اجتاز هذا الفقيه إلى مدينة المنكب فتناول منه عدة كتب[5]، وكذلك الشأن مع أبو الحسن الرعيني ت "666هـــ/1267م"، صاحب البرنامج والذي درس على محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي من أهل تلمسان ت "625هـــ/1227م"، قال: "أجاز لي جميع ما يحمله وما ألفه وماله من نظم ونثر" وكان عبد الحق هذا مشاركا في الفقه وعلم الكلام ومهتما بالحديث وروايته وجمع من المؤلفات

---

(1) -عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، (ط2، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976)، 107.

(2) -إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، 136/1.

(3) -إبراهيم حركات، مدخل إلى تاريخ العلوم، 43/1-44.

(4) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 414.

(5) -ابن الزبير، صلة الصلة، 146.

الكثير[1]، كما حصل ابن خير الاشبيلي صاحب الفهرست على إجازة عامة في جمادي الآخر سنة "539هـ/1140م" عن أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب المسيلي ت بعد "539هـ/1144م"[2].

ويبدوا من خلال هذا أن الإجازة التي كانت تمنح من طرف الشيوخ لطلاب العلم تكون إمّا شفويّة أو تحريرية كتابية من الشيخ إلى ما يجيزه للطالب بالتحديد [3]، أو بالمراسلة حيث يقوم راغبوا الحصول عليها بالكتابة إلى الشيوخ يسألونهم منحها إياهم [4]، من ذلك أن أحد الأعلام بالأندلس راسل مروان بن علي الأندلسي ت " 440 ه / 1048 م"، نزيل بونة من طليطلة، فناوله أبو مروان كتابه في شرح الموطأ وأجاز له[5].

ومع أننا لا نملك نماذج مسجلة ومكتوبة عن تلك الإجازات، إلا أننا نخمن بأنها كانت على شاكلة الإجازات التي منحت في ذلك الوقت، بحيث يذكر فيها اسم الشخص المُجيز واسم الشخص المُجاز، وتحديد الأمور التي أجازه فيها من علوم ومؤلفات ومرويات[6].

وقد نجح أهل المغرب الأوسط أيضا في الحصول على إجازات من علماء الأندلس تسمح لهم بنقل العلوم والمعارف التي تلقوها عنهم، ونشرها في بلدهم كجابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي من تلمسان "كان حيّا سنة 578هـ/1182م"، الذي أجازه جماعة من علماء الأندلس [7]، وموسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري "ت 589هـ/ 1193م"، الذي سمع عن جماعة من علماء الأندلس بقرطبة اشبيلية وأجازه أكثرهم، ولما عادا إلى الجزائر درَّس بها[8].

وبذلك يتضح بأن الإجازات العلمية قد فتحت المجال أمام نقل وتبادل العلوم والمعارف والمؤلفات، وأسهمت في تطوير الحركة العلمية وإعطائها طابعًا مشتركًا بين العلماء في البلدين.

---

(1) -ابن الأبار، التكملة للصلة، 623/2 -الرعيني، برنامج شيوخ، 169.

(2) -ابن خير (أبو بكر محمد بن عمر)، فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق فرنسشكه كوداره، وخليان رباره، (د ط، بيروت: منشورات المكتب التجاري، بغداد: مكتبة المثنى، القاهرة: مؤسسة الخانجي)،34.

(3) -يوسف علي بن إبراهيم العريني، الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، (ط 1، الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز، 1995)، 177.

(4) -محمد عبد الحميد عيسى، التعليم في الأندلس، 416.

(5) -ابن بشكوال، الصلة، 581/2-582 -الضبي، بغية الملتمس، 402-406.

(6) -يوسف علي بن إبراهيم، الحياة العلمية في الأندلس، 177.

(7) -ابن الأبار، التكملة للصلة، 249/1

(8) -المصدر نفسه، 690/2.

وإذا كنا قد اقتصرنا على استعراض تأثير هاته العوامل، فإنها ليست وحدها التي ساهمت في تفعيل حركة التبادل العلمي بين علماء المغرب الأوسط ونظرائهم من الأندلسيين، بل هناك عوامل أخرى لا يتسع المجال للتفصيل فيها أكثر منها نشاط حركة التأليف والوراقة، إضافة إلى الاهتمام بتجميع الكتب وإقامة المكتبات وغيرها، مما يتردد في تراجم العديد من العلماء، والتي يمكن أن تتوضح عند تطرقنا لمظاهر التأثيرات العلمية المتبادلة بين الجانبين انطلاقا من تتبع رحلات العلماء وعطاءاتهم في هذا الميدان.

2-مظاهر التأثيرات العلمية المتبادلة بين علماء البلدين:

لقد تطرق احد الباحثين إلى وحدة التواصل الثقافي والعلمي الذي حصل بين المغرب عموما والأندلس من خلال قوله: "إن الوحدة لم تعد وحدة مجال أو تراب فقط، بل إنها قد تعدت هذا المستوى فأصبحت وحدة حقل ثقافي، وسط رحلات علمية واتصالات صوفية شعبية وغير شعبية في جميع الاتجاهات، إجازات أو استجازات ومراسلات من كل جانب، وتبادل في مستوى الإفتاء والاستفتاء يدل على وحدة المعطيات والنوازل ووحدة أدوات التفكير والاجتهاد"[1].

وعليه فإن الوقوف على مظاهر هذا التبادل العلمي الحاصل بين علماء المغرب الأوسط وعلماء الأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة، يتطلب منا تتبع حركة تنقل العلماء في الاتجاهين للدراسة أو التدريس، زيادة على رصد العلوم والمعارف التي برز فيها علماء كل بلد ونقلوها للآخر انطلاقا من مكانتهم العلمية التي حصلوا عليها، أو مؤلفاتهم المدونة أو الوظائف التي تقلدوها.

ولقد حاولت تتبع ذلك من خلال توزيع المادة المتحصل عليها ضمن جداول، رتبت فيها العلماء الذين أمكنني رصدهم حسب تاريخ وفاتهم ليساعدني ذلك على إبراز التأثير العلمي لهم، خاصة وأن الدراسة الجدولية تعد من أحسن الأدوات في المنهج الاستقرائي، وتناولته كما يلي:

أ-التأثير العلمي للعلماء الأندلسيين ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين 05-06 ه / 11-12م:

(1) -محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة، 18.

بالنسبة للعلماء الأندلسيين الذين أثروا في الحياة العلمية ببلاد المغرب الأوسط يمكن تصنيفهم إلى مجموعتين:

-**المجموعة الأولى**: وتضم عددا من العلماء الذين استقروا بالمغرب الأوسط وقاموا بالتدريس.

-**المجموعة الثانية**: وتضم العلماء الذين نزلوا بالمغرب الأوسط للدراسة أو أثناء الرحلة للحج.

سوف نحاول من خلال دراسة حالة كل مجموعة استنتاج دورهم في نشر العلوم والمعارف بالمنطقة، بناءا على توزيع كل مجموعة ضمن جداول، ثم تقديم قراءة وتحليل لكل ذلك.

*__المجموعة الأولى__: وتتبعت فيها هؤلاء العلماء من خلال ثلاث جداول هي كالتالي:

-**جدول 01**: يحدد الانتماء الجغرافي للأساتذة الأندلسيين المستقرين بالمغرب الأوسط، ويبرز مكانتهم العلمية ومؤلفاتهم، برصد المواصفات التي وصفتهم بها مختلف المصادر، والتي كانت تخضع لضوابط شبه مقننة تختلف من عالم لآخر.

-**جدول 02**: يرصد رحلاتهم في طلب العلم والتي تثري رصيدهم الفكري، باعتبار أن الرحلة في طلب العلم ولقاء الشيوخ مزيد كمال في التعلم، وتضاعف عدد الشيوخ يجعل الأستاذ موضع استقطاب بالمغرب الأوسط وخارجه.

-**جدول 03**: يرصد دور الأساتذة الأندلسيين في مجال التدريس انطلاقا من الإشارات التي أوردتها بعض الروايات، ومحاولة مسح كمي لطلبتهم داخل المغرب الأوسط وخارجه.

*__المجموعة الثانية__: وتتبعت علماءها أيضا بنفس المنهج من خلال جدولين:

-جدول 01: يحدد الانتماء الجغرافي للأندلسيين الذين دخلوا المغرب الأوسط للدراسة، وتتبع أماكن دراستهم به.

-**جدول 02**: يبرز مكانتهم العلمية ومؤلفاتهم والدور الذي أدوه داخل المغرب الأوسط وخارجه، باعتبارهم كانوا طلبة علم في رتبة مشايخ، ومدى استفادة أهل المغرب الأوسط من معارفهم.

المجموعة الأولى: علماء الأندلس الذين استقروا بالمغرب الأوسط وقاموا بالتدريس:

جدول 01: الانتماء الجغرافي لهم، مكانتهم العلمية، مؤلفاتهم:

اسم العلم وكنيته	تاريخ وفاته	موطنه الأصلي بالأندلس	مكان نزوله بالمغرب الأوسط	مكانته العلمية أو العلوم التي برز فيها	مؤلفاته	المصدر
مروان بن علي الأسدي (أبو عبد الملك)	قبل 440ه -1048م	قرطبة	بونة	كان رجلا حافظا نافذا في الفقه والحديث صالحا عفيفا حسن اللسان	مختصر في تفسير الموطأ	ابن بشكوال، الصلة، 581/2-582 –الضبي، بغية الملتمس، 402-406
محمد بن حسين (أبو بكر)	بعد 537ه -1142 م	ميورقة	بجاية	كان فقيها ظاهريا عارفا في الحديث وأسماء الرجال، متقنا لما رواه، يغلب عليه الزهد		ابن الأبار، التكملة، 440/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، 63/6 -ابن الخطيب، الإحاطة، 190/3
علي بن محمد بن شعيب	537 ه - 1142 م	أشونة	جزائر بني مزغنة	كان نحويا، لغويا، أديبا حافظا تاريخيا	له أشعار وأمالي أدبية أودعها جملة من منشآته نثرا ونظم	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم 388/1-390
طاهر بن عبد الرحمان بن سعيد	540 ه - 1145 م	دانية	بجاية مدة	ذا حظ من علم النجامة، ألف فيه		ابن الأبار، التكملة، 341/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 156/4
عبد الله بن محمد بن يحي (أبو محمد)	540 ه - 1145 م	المرية	قلعة بني حماد(20 عام) وبجاية (20 عام)	محصل لكتاب رياضة المتعلمين لأبي نعيم، والغريب المصنف لأبي عبيد		ابن الأبار، التكملة، 826/2
محمد بن أحمد بن سفيان (أبو بكر)	كان حيا سنة 557ه -1161 م	مرسية	تلمسان	كان متقدما في عقد الشروط، مبرزا بذلك له في الشعر والكتابة بعض النفوذ، تولع بطريقة الكتابة فبرع فيها		ابن الأبار، التكملة، 492/2 –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 274/2

أحمد بن علي بن محمد (أبو العباس)	بعد 572ه -1176 م	دانية	بجاية سنة 543ه - 1148 م	محصل لعلم الحديث		ابن الأبار، التكملة، 78/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 323/1
أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (أبو جعفر)	582 ه - 1186 م	قرطبة	بجاية مدة	مشهور بحفظ الحديث، ذاكرا للتواريخ والقصص، متين الآداب، اهتم بإسماع الحديث والتكلم على معانيه	-له برنامج في ذكر شيوخه -كتاب قصد السبيل في معرفة آيات الرسول صلى الله عليه وسلم -كتاب رياض الإيمان -آفاق الشموس في الأقضية النبوية، اختصره باسم إشراق الشموس -نفس الصباح في غريب القرآن ناسخه ومنسوخه -حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق فيما بعد الفجر وقبل السنن	ابن الأبار، التكملة، 85/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم239/1-240
عبد الحق بن عبد الرحمن بن حسين	582 ه - 1186م	اشبيلية	بجاية سنة 541 ه - 1146 م	الفقيه الجليل، المحدث الحافظ، المتقن المجيد، العابد الزاهد، كان من أهل العلم والعمل، عاكفا على الاشتغال بالعلم، جادا في نشره وشاعرا مطبوعا، يزاحم فحول الشعراء، و لم يطلق عنانه في نظمه، واقتصر على باب الزهد	ألف ببجاية ما يلي: -كتاب الأحكام الكبرى والصغرى -الرقائق والعاقبة والتهجد والتلقين -الجمع بين الصحيحين -كتاب علم التذكير -كتاب الأحكام في الحديث أضعاف	ابن الزبير، صلة الصلة، 05-06 -الغبريني، عنوان الدراية، 73-74 -ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي)، كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (ط1، مصر: مطبعة السعادة، 1329)، 175

					الأحكام الكبرى -كتاب في اللغة سماه الحاوي، 18 مجلد -كتاب مجموع من شعره، في الزهد وأمور الآخرة	
إبراهيم بن يسول (أبو إسحاق)	أواخر القرن 6 ه -12م	اشبيلية	تلمسان ومات بها	محصل لعلم القراءات		التادلي، التشوف، 294 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 483/1
شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين)	590 ه - 1193 م	اشبيلية	بجاية وتلمسان	كان معرضا عن التكسب، زاهدا في الدنيا متقللا منها، مبسوطا بالعلم مقبوضا بالمراقبة، مبرزا في مقام التوكل، عامر القلب بمراقبة الله، كان شيخ الصوفية في وقته		عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 4، 128-129 -الغبريني، عنوان الدراية، 55-56 -الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، 15
أحمد بن سلمة بن أحمد (أبو العباس)	598 ه - 1201 م	بلنسية	تلمسان	محدث، وافر الحظ من العربية، من أهل العناية الكاملة بالحديث، والمعرفة بصناعته		ابن الأبار، التكملة، 91/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 125/1-126
محمد بن يوسف بن مفرج (أبو بكر)	600 ه - 1203 م	اشبيلية	تلمسان	كان مقرئا محدثا ظابطا، محصل لكتاب موطأ مالك، وصحيح البخاري		ابن الأبار، التكملة، 569/2
محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي (أبو عبد الله)	610 ه - 1213 م	تجيب	قدم تلمسان سنة 594ه -1197 م	كان ثقة راويا جليلا، اعتنى بالتاريخ وأخذ القراءات، حافظا للحديث محافظا على إسماعه، عدلا خيارا مقيدا لما روى مفيدا لما جمع، استوسع في الرواية	ألف بتلمسان ما يلي: -معجم شيوخه في مؤلف كبير جمع فيه أسماءهم على حروف المعجم، أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار. -معجم شيوخ شيخه	ابن الأبار، التكملة، 588/2-589 -المقري، نفح الطيب، 160/2-161

					الحافظ أبي طاهر السلفي -الأربعون حديثا في المواعظ -برنامجه الأكبر والأصغر -فضائل الشهور الثلاثة (رجب، شعبان، رمضان) -فضل العاشر من ذي الحجة -الأربعون في الفقر وفضله -ثالثة في حب الله -رابعة في فضل الصلاة على النبي -مناقب السبطين الحسن والحسين -الفوائد الكبرى في مجلد، والفوائد الصغرى -الترغيب في الجهاد، 50 باب في مجلد -المواعظ والرقائق، 40 مجلسا في سفران	

جدول 02: الرحلات العلمية للأساتذة الأندلسيين الذين درسّوا بالمغرب الأوسط:

اسم العلم وكنيته	ببلدهم بالأندلس	بالمشرق	بالمغرب	بالحج	المصدر
مروان بن علي الأسدي (أبو عبد الملك) 440ه -1048م			القيروان		ابن بشكوال، الصلة، 582-581/2 –الضبي، بغية الملتمس، 402-406
محمد بن حسين (أبو بكر) ت بعد 537 ه -1142 م	انتقل إلى غرناطة وروى بها عن أحد الشيوخ	سمع في لإسكندرية عن جماعة		رحل إلى مكة حاجا سنة 517 ه -1123 م، سمع بها عن جماعة	ابن الأبار، التكملة، 440/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، 63/6 -ابن الخطيب، الإحاطة، 190/3
علي بن محمد شعيب ت 537 ه -1142 م	درس ببلده				عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم 388/1-390
طاهر بن عبد الرحمان بن سعيد ت 540 ه -1145 م	درس ببلده				ابن الأبار، التكملة، 341/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 156/4
عبد الله بن محمد بن يحي (أبو محمد) ت 540 ه -1145 م	أخذ بدانية بجامعها سنة 492 ه - 1098 م -أخذ العربية عن أحد الشيوخ				ابن الأبار، التكملة، 826/2
محمد بن أحمد بن سفيان (أبو بكر) 557 ه -1161 م	روى عن جماعة من الشيوخ ببلده				ابن الأبار، التكملة، 492/2 –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 274/2
أحمد بن علي بن محمد (أبو العباس) ت بعد 572 ه -1176 م	روى عن علماء بلده				ابن الأبار، التكملة، 78/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 323/1

أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (أبو جعفر) ت 582 ه -1186 م	روى عن جماعة ببلده وبغرناطة		فاس		ابن الأبار، التكملة، 85/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم239/1-240
عبد الحق بن عبد الرحمن بن حسين ت 582 ه -1186م	درس بلبلة، ولزم أحد الشيوخ، قرأ عليه وتفقه به				ابن الزبير، صلة الصلة، 05-06 –الغبريني، عنوان الدراية، 73-74
إبراهيم بن يسول (أبو إسحاق) ت أواخر القرن 6 ه -12م	أخذ القراءات عن شيوخ بلده باشبيلية				التادلي، التشوف، 294 –ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 483/1
شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين) ت 590 ه -1193 م	بالأندلس		فاس		عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 4، 128-129 – الغبريني، عنوان الدراية، 55-56 –الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، 15
أحمد بن سلمة بن أحمد (أبو العباس) ت 598 ه -1201 م	روى عن جماعة من العلماء بالأندلس				ابن الأبار، التكملة، 91/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 125/1-126
محمد بن يوسف بن مفرج (أبو بكر) ت 600 ه -1203 م	درس بالأندلس				ابن الأبار، التكملة، 569/2
محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي (أبو عبد الله) ت 610 ه -1213 م	–أخذ بالأندلس عن جماعة، قرأ عليهم وسمع منهم –أخذ بمرسية القراءات عن أحد أقاربه	كتب العلم عن جماعة، أزيد من 130 علم من الأعلام المشرقيين	–قدم سبتة سنة 574ه وأخذ بها –قدم فاس سنة 586ه وأخذ بها	رحل للحج، أدى الفريضة، أخذ عن جماعة منهم شيخ اختص به وأكثر عنه	ابن الأبار، التكملة، 588/2-589 –المقري، نفح الطيب، 160/2-161

جدول 03: دور الأساتذة الأندلسيون في مجال التدريس:

اسم العلم وكنيته	دوره في التدريس	طلبته من المغرب الأوسط	طلبته من خارجه	المصدر
مروان بن علي الأسدي (أبو عبد الملك) ت قبل440 ه -1048م	درّس كتابه تفسير في الموطأ وهو كثير بأيدي الناس	ذكر أحد طلبته من الأندلس درس عليه بالمغرب الأوسط وأجازه مرتين	ذكر أحد طلبته بالأندلس	ابن بشكوال، الصلة، 581/2-582 –الضبي، بغية الملتمس، 402-406
محمد بن حسين (أبو بكر) ت بعد 537ه -1142م	حدّث ببجاية وسمع منه سنة 537ه-1142م		ذكر عدد من طلبته بالأندلس	ابن الأبار، التكملة، 440/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، 63/6 -ابن الخطيب، الإحاطة، 190/3 -المقري، نفح الطيب، 155/2
علي بن محمد بن شعيب ت 537 ه -1142 م	درّس أماليه الأدبية وجملة من منشآته نظما ونثرا	ذكر طالبا واحدا له من جزائر بني مزغنة		عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم 388/1-390
طاهر بن عبد الرحمان بن سعيد ت 540 ه -1145 م	تصدّر لتدريس العربية والآداب			ابن الأبار، التكملة، 341/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 156/4
عبد الله بن محمد بن يحي (أبو محمد) ت 540 ه -1145 م	أقرأ بقلعة بني حماد نحو عشرين عاما، وببجاية مثلها، وأخذ عنه الناس –أخذ عنه بجامع القلعة في رجب سنة 519 ه-1125 م	ذكر أحد طلبته من الأندلس درس عليه ببجاية		ابن الأبار، التكملة، 826/2
محمد بن أحمد بن سفيان (أبو بكر) 557 ه -1161 م		ذكر أحد طلبته من تلمسان وقد أجاز له سنة 557 ه -1161م		ابن الأبار، التكملة، 492/2 – ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 274/2

أحمد بن علي بن محمد (أبو العباس) ت بعد 572ه -1176 م	حدّث وأخذ عنه سنة 572 ه- 1176 م			ابن الأبار، التكملة، 78/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 323/1
أحمد بن عبد الصمد (أبو جعفر) ت 582 ه -1186 م	درّس ببجاية مدة	أخذ عنه أحد الطلبة الأندلسيين ببجاية	أخذ عنه جماعة من الطلبة بالأندلس	ابن الأبار، التكملة، 85/1 – ابن الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم239/1-240
عبد الحق بن عبد الرحمن بن حسين ت 582 ه -1186م	له تآليف جليلة، اشتهر أمرها وتداولها رواية وقراءة وشرحا وتبيينا، والذي كثر تداوله بين الناس من كتبه هو الأحكمان الكبرى والصغرى والعاقبة	ذكر مجموعة من طلبته من المغرب الأوسط، ومن الأندلس درسوا عليه بالمغرب الأوسط	مجموعة من طلبته بالأندلس	ابن الزبير، صلة الصلة، 5-6 – الغبريني، عنوان الدراية، 73-74
إبراهيم بن يسول (أبو إسحاق) ت أواخر القرن 6 ه-12م	أقرأ القرآن بتلمسان دون أجرة	ذكر أحد طلبته الأندلسيين الذين درسوا عليه بالمغرب الأوسط		التادلي، التشوف، 294 –ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 483/1
شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين) ت 590ه -1193م	خرّج أبو مدين ألف تلميذ ظهرت على يد كل واحد منهم كرامة -ونفع الله بصحبته خلقا كثيرا	ذكر أحدا من طلبته بتلمسان	له عدد من الطلبة من المغرب والأندلس	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 4، 128-129 – الغبريني، عنوان الدراية، 55-56 –الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، 15
أحمد بن سلمة بن أحمد (أبو العباس) ت 598 ه -1201 م	درّس العربية بتلمسان، حدّث وسمع منه الناس -درّس الحديث بمراكش وعاد إلى تلمسان سنة 585ه-1189م		ذكر مجموعة من طلبته بالأندلس	ابن الأبار، التكملة، 91/1 – عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 125/1-126

محمد بن يوسف بن مفرج (أبو بكر) ت 600 ه -1203 م		ذكر أحد طلبته من المغرب الأوسط، وآخر من الأندلس درس عليه بتلمسان وأجازه سنة 600 ه -1203 م		ابن الأبار، التكملة، 569/2
محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي (أبو عبد الله) ت 610 ه -1213 م	حدّث بتلمسان، رحل الناس إليه وسمعوا منه كثيرا	ذكر أحد طلبته الأندلسيين بالمغرب الأوسط		ابن الأبار، التكملة، 588/2-589 -المقري، نفح الطيب، 160/2-161

قراءة وتحليل في الجداول:

انطلاقا مما هو وارد في الجداول، يمكننا استخلاص بعض العناصر التي بإمكانها أن تساعدنا على معرفة التأثير الذي ترتب عن توافد هؤلاء العلماء الأندلسيون إلى حواضر المغرب الأوسط وذلك كالتالي:

من خلال التوزيع الجغرافي للمدرسين يظهر بأن العلماء الأندلسيون الذين قصدوا حواضر المغرب الأوسط للتدريس قد توزعوا جغرافيا على النحو التالي: 6 درّسوا ببجاية، 5 بتلمسان 1درّس بجزائر بني مزغنة، 1 ببونة، 1 تجول في التدريس بين القلعة وبجاية.

-بالنسبة لفترة دخول هؤلاء العلماء إلى المغرب الأوسط، فإن الروايات الواردة ضبطت التاريخ لدى 4 علماء في حين أهملت ذلك عند آخرين كعبد الحق الأزدي الإشبيلي ت 582ه-1186م حيث تشير إلى أنه دخل بجاية سنة 541ه، وعبد الله بن محمد بن حبيب المتوفى 540ه بأنه حدّث بجامع القلعة سنة 519ه -1125م، وأحمد بن علي بن محمد كان حيا سنة 572ه-1176م بأنه انتقل إلى بجاية سنة 543ه-1148م، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي ت 610ه -1213م بأنه قدم تلمسان سنة 594ه -1197م، أما باقي العلماء فنجهل تاريخ نزولهم بحواضر المغرب الأوسط، وإن كان تاريخ الوفاة يوحي بأن أغلبيتهم نزلوا بها منذ النصف الأول من القرن 6ه -12م، ذلك لأن تحديد تاريخ نزول العالم يساعد على إحصاء المدة التي قضاها ينشر علمه ومعارفه في المنطقة، فإذا أخذنا عبد الحق الإشبيلي على سبيل المثال نجد أنه قضى ببجاية حوالي 41 سنة (أي تقريب نصف قرن من الزمن كلها عطاء علمي وفكري لأهل المنطقة ومن قصده من خارجها)، وكذلك عبد الله

بن محمد الذي نشر علمه حوالي 40 سنة وزّعها بالتساوي بين القلعة وبجاية، وأحمد بن علي بن محمد "أبو العباس" حوالي 29 سنة ببجاية، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي 19 سنة بتلمسان.

-من خلال إلقاء نظرة على المكانة العلمية لهؤلاء الأساتذة، بناءا على ما تصفهم به مختلف الروايات الترجمية، زيادة على اهتماماتهم العلمية التي صنفوها يمكن إعادة ترتيبهم كالتالي:

*الصنف 1: يضم كبار الأساتذة البارزين والمشاركين في عدد من العلوم، والذين اشتهروا في ميدان التأليف والتدريس ونجد منهم 7 أعلام مرتبين حسب تاريخ وفاتهم وهم: عبد الحق بن عبد الرحمان الإشبيلي ت 582ه – 1186م جمع بين الفقه والحديث وعلوم العربية، زيادة على الزهد والتصوف يضاف إلى هذا تصنيفه لمجموعة من المؤلفات كانت متداولة في بجاية، ومحمد بن عبد الرحمان التجيبي ت 610ه -1213م جمع بين تخصصات منها القراءات، الحديث، علم التاريخ، إلى جانب وضعه عدد من المصنّفات بتلمسان، والأهم من ذلك هو وضع فهرسة لشيوخه الذين يزيد عددهم على 130 علما، مما يكشف عن سعة تحصيله العلمي ورصيده الذي تضاعف من خلال الرحلات التي قام بها، ويلحق بهما كل من أحمد بن عبد الصمد ت 582ه -1186م وعلي بن محمد بن شعيب ت 537ه -1142م، وأبو مروان بن علي البوني ت 440ه -1048م، وأبو مدين شعيب الأنصاري ت 590ه -1193م والذي ظهر تميّزه في التصوف والزهد، وعمل على نشره خاصة ببجاية، إذ أسس لمدرسة التصوف الأندلسي بالمنطقة، يضاف إليهم طاهر بن عبد الرحمن بن سعيد ت 540ه -1145م.

كما وأن مكانة هؤلاء الأساتذة قد برزت بناءا على أنه كان لهم طلبة من داخل المغرب الأوسط وخارجه وهم 6، مرتبين على حسب وفاتهم، ويمكن تقديم مسح كمي لعدد طلبتهم كالتالي:

*أبو مروان البوني ت 440ه -1048م، نزيل بونة (مجموعة من طلبة بونة وآخرون من الأندلس).

*علي بن محمد بن شعيب ت 537ه -1142م، نزيل الجزائر (روى عنه طالب واحد من الجزائر).

*عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي ت 582ه -1186م، نزيل بجاية (مجموعة من طلبة العلم ببجاية، ومجموعة من طلبة العلم بالأندلس).

*أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة ت 582ه -1186م، نزيل بجاية (روى عنه أحد الطلبة ببجاية).

*محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي ت 610ه -1213م، نزيل تلمسان (مجموعة من طلبة العلم بتلمسان، ومجموعة جاءوه من الأندلس).

*شعيب بن حسين الأنصاري "أبو مدين" ت 590ه -1193م، نزيل تلمسان (مجموعة طلبة من المغرب الأوسط وآخرون من الأندلس).

*__الصنف 2:__ يندرج تحته 8 أساتذة المتبقين، ويجمع الواحد فيهم بين علمين أو علم واحد فقط من العلوم النقلية كالحديث، الفقه، علوم العربية، علم القراءات...، لكن لا تشير إلى أن لهم مؤلفات في العلوم التي حصلوها ومع ذلك كان لبعضهم طلبة علم من داخل المغرب الأوسط وخارجه، تحدد المصادر أسماءهم كأبو إسحاق إبراهيم بن يسول الإشبيلي في علوم القرآن (طالب من الأندلس)، ومحمد بن أحمد بن سفيان كان حيا سنة 557ه -1161م، ومحمد بن يوسف بن مفرج ت 600ه -1203م (طالب من المغرب الأوسط وآخر من الأندلس).

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الأعلام الأندلسيين الذين دخلوا المغرب الأوسط ودرّسوا فيه قد أفادوا أهل المنطقة من خلال العلوم التي نشروها، والمؤلفات المتنوعة التي دوّنوها، ومع ذلك فإن جميعهم كان مائلا للعلوم النقلية، و لم نسجل أي اهتمام منهم بالعلوم العقلية من فلسفة ومنطق ورياضيات وغيره ولعل السبب في ذلك يرجع إلى تضييق السلطة في تلك الفترة عن الخوض في مثل هاته العلوم.

والجدول التالي يوضح أكثر العلوم التي برز وشارك وألّف فيها العلماء الأندلسيون الذين درّسوا بالمغرب الأوسط.

جدول 04: العلوم التي برز وشارك وألف فيها العلماء الأندلسيون الذين درّسوا بالمغرب الأوسط:

العلوم / الأساتذة	الفقه وأصوله	الحديث	التصوف الزهد	علوم القرآن أو القراءات	علوم العربية والأدب	اللغة	التاريخ	العلوم العقلية	المصدر
مروان بن علي الأسدي (أبو عبد المالك) 440 ه -1048م	+	+	+						ابن بشكوال، الصلة، 581/2-582 –الضبي، بغية الملتمس، 402-406
محمد بن حسين (أبو بكر) 537ه -1142م		+							ابن الأبار، التكملة، 440/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، 63/6 – ابن الخطيب، الإحاطة، 190/3 -المقري، نفح الطيب، 155/2
علي بن محمد بن شعيب 537 ه -1142 م					+	+	+		عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم 388/1-390
طاهر بن عبد الرحمان بن سعيد 540 ه -1145 م					+			+	ابن الأبار، التكملة، 341/1 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 156/4
عبد الله بن محمد بن يحي (أبو محمد) 540 ه -1145 م					+				ابن الأبار، التكملة، 826/2
محمد بن أحمد بن سفيان (أبو بكر) 557 ه -1161 م					+				ابن الأبار، التكملة، 492/2 –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 274/2

أحمد بن علي بن محمد (أبو العباس) 572ه -1176م		+							ابن الأبار، التكملة، 78/1 —عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم 323/1
أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة (أبو جعفر) 582 ه -1186 م		+			+		+		ابن الأبار، التكملة، 85/1 —عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم239/1-240
عبد الحق بن عبد الرحمن بن حسين 582 ه -1186م	+	+	+			+			ابن الزبير، صلة الصلة، 5-6 —الغبريني، عنوان الدراية، 73-74
إبراهيم بن يسول (أبو إسحاق) 6 ه -12م				+					التادلي، التشوف، 294 — ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 483/1
شعيب بن الحسين الأنصاري (أبو مدين) 590 ه بتلمسان - 1193م		+	+						عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 4، 128-129 — الغبريني، عنوان الدراية، 55-56 —الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، 15
أحمد بن سلمة بن أحمد (أبو العباس) 598 ه -1201 م		+			+				ابن الأبار، التكملة، 91/1 —عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم 125/1-126
محمد بن يوسف بن مفرج (أبو بكر) 600 ه -1203 م		+		+					ابن الأبار، التكملة، 569/2
محمد بن عبد الرحمان بن علي التجيبي (أبو عبد الله) 610 ه -1213 م		+	+	+		+			ابن الأبار، التكملة، 588/2-589 —المقري، نفح الطيب، 160/2-161

المجموعة الثانية: العلماء الأندلسيون الذين نزلوا المغرب الأوسط للدراسة أو أثناء الرحلة للحج:

جدول 01: انتماؤهم الجغرافي ومكان دراستهم بالمغرب الأوسط:

اسم العلم وكنيته (تاريخ وفاته)	موطنه الأصلي بالأندلس	مكان الدراسة بالمغرب الأوسط والشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم	المصدر
أحمد بن طاهر بن علي (أبو العباس) ت 532ه -1137م	بلنسية	رحل إلى قلعة بني حماد أولا فأخذ عن أحد أعلامها، وبمدينة بجاية عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي	الضبي، بغية الملتمس، 168 -ابن الأبار، التكملة، 44/1 -معجم الصدفي، 14 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر130/1- 131
أحمد بن محمد بن أحمد (أبو العباس) ت منتصف القرن 6 ه / 12 م	مارتلي	رحل للمشرق وحج فلقي ببجاية أبو محمد عبد الحق الإشبيلي فسمع عليه جملة من تصانيفه.	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر363/1- 364
الحسن بن محمد بن الحسين (أبو جعفر) ت 585ه -1189م	بلنسية	أجاز له عبد الحق الإشبيلي ببجاية عند صدوره سنة 577 ه -1181 م	إبن الأبار، التكملة، 261/1 -المقري، نفح الطيب، 509/2- 510
عبد الحق بن الحسن بن أحمد (أبو الحسن) ت 589ه -1193م	المنكب	قرأ بمدينة تلمسان من العدوة، وأخذ عن جماعة.	ابن الزبير، صلة الصلة، 09.
جعفر بن لب بن محمد (أبو الفضل) ت 590ه -1193م	شاطبة	قدم تلمسان للقاء محمد بن عبد الرحمن التجيبي	ابن الأبار، التكملة، 243/1 -المقري، نفح الطيب، 505/2
علي بن عتيق بن أحمد (أبو الحسن) ت598ه -1201م	قرطبة	أخذ عن أبي محمد عبد الحق الإشبيلي وأكثر عنه بالأندلس وبجاية وأجاز له.	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم256/1- 257 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 482/2
أحمد بن يحي الضبي (أبو جعفر) ت 599ه -1202م	مرسية	رحل حاجا فلقي ببجاية عبد الحق الإشبيلي.	ابن الأبار، التكملة، 93/1 - المقري، نفح الطيب، 381/2

يوسف بن محمد بن عبد الله (أبو الحجاج) ت 604ه – 1207م	مالقة	رحل للحج عام 560 ه -1164 م، وأخذ في طريقه ببجاية عن أبي محمد عبد الحق، عزم عليه في تأليف كتاب الأحكام وفاوضه في ذلك. -لما قفل من رحلته أقام معه وصحبه وأخذ عنه أحكامه، وكان من أقعد الناس به وبأخباره.	ابن الزبير، صلة الصلة، 217
مصعب بن محمد بن مسعود (أبو ذر) ت 604ه – 1207م	جيان	أخذ عن أحد الأعلام بمدينة تلمسان، وعن أبي محمد عبد الحق ببجاية.	ابن الأبار، التكملة، 701/2
علي بن محمد بن علي ت 605ه – 1208م	مالقة	رحل مشرقا فأخذ ببجاية عن أبي محمد عبد الحق، حوالي سنة 582ه -1186 م	ابن الأبار، التكملة 2/ ترجمة رقم 1874-عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم314/1- 315
أحمد بن أبي محمد هارون (أبو عمر) ت 609ه – 1212م	شاطبة	رحل للمشرق بنية الحج فلقي ببجاية أبي محمد عبد الحق الإشبيلي	ابن الأبار، التكملة، 101/1 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 1، قسم556/2
محمد بن حسين بن محمد (أبو عبد الله) ت 609ه – 1212م	مالقة	رحل حاجا فلقي في طريقه أبا محمد عبد الحق الإشبيلي ببجاية فسمع منه	ابن الأبار، التكملة، 585/2 -المقري، نفح الطيب، 357/3
عبد الله بن إبراهيم بن الحسن(أبو محمد) ت 611ه – 1214م	بلنسية	رحل حاجا فسمع في طريقه من أبي عبد الحق الإشبيلي نزيل بجاية	ابن الأبار، التكملة، 882/2
عتيق بن علي بن خلف (أبو بكر) ت 612ه -1215م	مالقة	رحل حاجا عام 561ه – 1165 م، فلقي أعلاما بالجزائر قرأ على أحدهم وأجاز له	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر 5، قسم 122-121/1
علي بن هشام بن حجاج(أبو الحسن) ت 616ه – 1219م	إشبيلية	روى ببجاية عن أبي محمد عبد الحق، بقي معه خمسة أشهر ورغّبه في المقام ليقرأ عليه ويأخذ عنه وأجاز له مطلقا	الرعيني،برنامج شيوخ، 27، -ابن الأبار، التكملة، 678/2 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم416/1- 419 -ابن الزبير، صلة الصلة، 127
محمد بن عيسى بن محمد (أبو عبد الله) ت620ه - 1223م	قرطبة	انتقل إلى تلمسان فسمع من أبي عبد الله التجيبي	ابن الأبار، التكملة، 610/2

عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم (أبو محمد) ت 620ه – 1223م	بلنسية	قدم على عبد الحق الإشبيلي قرأ عليه وسمع كثيرا وأجاز له جميع رواياته تواليفه	ابن الأبار، التكملة، 531/2
محمد بن يخلفتن بن محمد (أبو عبد الله) ت 621ه - 1224م	قرطبة	سمع من أبي عبد الله التجيبي بتلمسان ومن قاضي تلمسان عبد الرحمن بني أبي فنون	ابن الأبار، التكملة، 618/2
محمد بن أحمد بن محمد (أبو عبد الله) ت 621ه – 1224م	المرية	رحل للحج في شبيبته فلقي سنة 566ه – 1170 م ببجاية أبا محمد عبد الحق فسمع منه وأجاز له	ابن الأبار، التكملة، 613/2
أحمد بن عمر بن إبراهيم (أبو العباس) ت 626ه – 1228م	قرطبة	سمع بتلمسان من أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ومن قاضي تلمسان أبي محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله	ابن فرحون، الديباج، 86
علي بن أحمد بن عبد الله (أبو الحسن) ت 630ه – 1232م	بلنسية	أخذ عن أبي محمد عبد الحق لقيه ببجاية	ابن الزبير، صلة الصلة،134 –عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر160/1
إبراهيم بن محمد بن سلمة (أبو إسحاق) ت 631ه – 1233م	مربيط	لقي ببجاية أبا محمد عبد الحق و لم يأخذ منه شيئا	ابن الأبار، التكملة، 168/1
محمد بن جعفر بن أحمد (أبو عبد الرحمن) ت 632ه – 1234م	جزيرة شقر	رحل حاجا فلقي في طريقه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي نزيل بجاية سمع منه بعض تواليفه وأجاز له	ابن الأبار، التكملة، 634/2
محمد بن محمد بن وضاح (أبو بكر) ت 634ه – 1236م	جزيرة شقر	سمع ببجاية من أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي	ابن الأبار، التكملة، 635/2 -636

جدول 02: مكانتهم العلمية، مؤلفاتهم، دورهم:

اسم العلم وكنيته تاريخ وفاته	مكانته العلمية	مؤلفاته والعلوم التي برز فيها	دوره	المصدر
أحمد بن طاهر بن علي (أبو العباس) ت532ه -1137م	محدث ضابط حسن التقييد ذا أصول عتيقة عالم بالمسائل، ورع فاضل	-وضع على الموطأ تصنيف اسمه: الإيماء -مجموع في رجال مسلم	-تدريس الحديث بداية حوالي سنة 531ه-1136م -خطة الشورى -الإفتاء (20سنة)	الضبي، بغية الملتمس، 168 - ابن الأبار، التكملة، 44/1 -معجم الصدفي، 14 - عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر130/1- 131 -ابن فرحون، الديباج، 45.
أحمد بن محمد بن أحمد (أبو العباس) ت منتصف القرن 6 ه / 12 م	كان فاضلا من خيار عباد الله زاهدا كثير الذكر	محصل لعلوم القرآن	تدريس القرآن باشبيلية	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر363/1- 364
الحسن بن محمد بن الحسين (أبو جعفر) ت 585ه -1189م		محصل لعلم القراءات	درّس كتاب التيسير لأبي عمرو الداني سنة 533ه -1138 م	ابن الأبار، التكملة ،261/1 -المقري، نفح الطيب، 509/2- 510
عبد الحق بن الحسن بن أحمد (أبو الحسن) ت 589ه -1193م	من أهل الذكاء والمعرفة والنبل ومن أحسن الناس خلقا وأكرمهم عشرة			-ابن الزبير، صلة الصلة، 09.
جعفر بن لب بن محمد (أبو الفضل) ت 590ه -1193م	من أهل العناية بالرواية مع الصلاح والعدالة وحسن الضبط	محصل لعلم الحديث		ابن الأبار، التكملة، 243/1 -المقري، نفح الطيب، 505/2
علي بن عتيق بن أحمد (أبو الحسن) ت598ه -1201م	كان حاضر الذكر للآداب والتواريخ متقدما في صنعة التوثيق، عالم بالحديث والقراءات وعلم الطب ونظم الشعر.	له برنامج سماه: بغية الراغب ومنية الطالب 18 جزء كل جزء من 40 ورقة له تواليف في الطب والأصول.	درّس بفاس	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم256/1- 257 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 482/2

أحمد بن يحي الضبي (أبو جعفر) ت599ه -1202م	عالم في الحديث			ابن الأبار، التكملة، 93/1 - المقري، نفح الطيب، 381/2
يوسف بن محمد بن عبد الله (أبو الحجاج) ت604ه – 1207م	الفاضل الشهير الورع الزاهد موفور الحظ من علم اللغة والآداب ذاكرا للتواريخ متقدما فيها مائلا إلى التصوف	-كتاب ألف باء للألباء (جمع أدبا+تاريخ+مواعظ) -كتاب التكميل ضمنه ما جرى بينه وبين شيوخه	يؤم في صلاة الفريضة -يؤذن -يسمع الحديث ويقرئ به	-ابن الزبير، صلة الصلة، 217
مصعب بن محمد بن مسعود (أبو ذر) ت604ه – 1207م	كان رئيسا في صناعة العربية عالما بها قائما عليها درّسها حياته ورحل الناس إليه	-تأليف في شرح غريب السير لابن إسحاق -تأليف صغير في العروض	-أقام يقرئ العربية -يسمع الحديث -ولي الخطبة بجامع اشبيلية -ولي قضاء جيان	ابن الأبار، التكملة، 701/2
علي بن محمد بن علي ت605ه – 1208م	كان عارفا بالقراءات السبع والعشر وإماما في النحو حسن الخط		-تولى إمامة المسجد الأقصى -الخطبة فيه.	ابن الأبار، التكملة 2/ ترجمة رقم 1874-عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم314/1- 315
أحمد بن أبي محمد هارون (أبو عمر) ت609ه – 1212م	كان من أكابر المحدثين الجلّة الحفاظ المسندين للحديث والآداب بلا مدافعة قائلا يجيد الكلام نثرا ونظما	ضمّن ذكر العلماء الذين أخذ عنهم وجملة عامة من مروياته عنهم في برنامجه: 1/النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة 2/ ريحانة النفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس -وجمع بينهما على اقتضاب	-درّس ببلده -تولى أمور الشورى بشاطبة.	ابن الأبار، التكملة، 101/1 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر1، قسم556/2 -ابن فرحون، الديباج، 58
محمد بن حسين بن محمد (أبو عبد الله) ت609ه – 1212م	محصل لعلم الحديث		درّس ببلده -حدّث وأخذ عنه جلة	ابن الأبار، التكملة، 585/2 -المقري، نفح الطيب، 357/3

عبد الله بن إبراهيم بن الحسن(أبو محمد) ت611ه – 1214م	محصل لعدد من العلوم		-قفل إلى بلده يدرّس الحديث، يؤلف الكتب ويبيعها. -يبيع الكتب بدكان له.	ابن الأبار، التكملة، 882/2
عتيق بن علي بن خلف (أبو بكر) ت 612ه -1215م	كان شيخا صالحا ورعا زاهدا صحيح الاعتقاد معولا على مذهب مالك معظما له مواظبا على تلاوة القرآن، حاملا لكتاب الله وسنة رسوله، كثير النصح في إقرائه متثبتا لا يبتغي أجرا على إقرائه		قفل إلى الأندلس فتصدر بمالقة للإقراء .	عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم 121/1-122
علي بن هشام بن حجاج (أبو الحسن) ت616ه – 1219م	كان مقرئا فاضلا عدلا ثقة، إماما في تجويد القرآن مبرزا في حفظ الخلاف بين القراء	-عني بذكر شيوخه في برنامج -ولهذا الشيخ فوائد رواها عن السلفي ومنشورات	تصدر ببلده بعد قدومه من المشرق للإقراء	الرعيني،برنامج شيوخ، 27 - ابن الأبار، التكملة، 678/2 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم416/1- 419 -ابن الزبير، صلة الصلة، 127
محمد بن عيسى بن محمد (أبو عبد الله) ت620ه - 1223م	له حظ وافر في علم العربية والآداب والتصرف الحسن في قرض الشعر له أراجيز في غير ما فن، صاحب إستنباط وتدقيق واقفا على الاتفاق والاختلاف	-كتاب الأنجاد في الجهاد والمذهبة في الحلى والشيات، والدُّرة السِينيّة في المعالم السُنِيّة -كتاب الأحكام	ولي قضاء بلنسية، وحدّث وأخذ عنه	ابن الأبار، التكملة، 610/2
عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم (أبو محمد) ت620ه – 1223م			ولي قضاء سبتة وبلنسية، روى باشبيلية العلم وأخذ عنه	ابن الأبار، التكملة، 531/2
محمد بن يخلفتن بن محمد (أبو عبد الله) ت621ه - 1224م	كان فقيها أديبا متقدما في الكتابة والشعر، كان يحفظ صحيح البخاري أو معظمه، كان حميد السيرة، جميل الهيبة		ولي قضاء مرسية وقرطبة	ابن الأبار، التكملة، 618/2

محمد بن أحمد بن محمد (أبو عبد الله) ت621ه – 1224م	كان راوية مكثرا رحالة في طلب العلم عالي الإسناد سمع بالمهدية- القاهرة-الإسكندرية- دمشق، ذكر أن شيوخه الذين لقيهم وأجازوا له نيفا عن مائة		قفل إلى بلده -قدم للقضاء بدانية مدة. -ولي الخطبة بجامع قصبة المرية	ابن الأبار، التكملة، 613/2
أحمد بن عمر بن إبراهيم (أبو العباس) ت626ه – 1228م	فقيه مالكي من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين جامعا لمعرفة علومها كعلم الحديث والفقه والعربية كان يشار إليه بالبلاغة والعلم والتقدم في علم الحديث والفضل التام.	له كتاب صحيح مسلم حسن شرح فيه وأجاز سماه: المفهم -اختصر صحيحي البخاري ومسلم	أخذ عنه الناس من أهل المشرق والمغرب -كتب عنه أحد الحفّاظ وذكره في معجم شيخه وآخر حدث عنه وذكره في شيوخه.	ابن فرحون، الديباج، 86
علي بن أحمد بن عبد الله (أبو الحسن) ت630ه – 1232م	كان مقرئا مجودا للقرآن أدّب به دهرا ثم ترك ذلك، محدث حسن السمت منقبض راجح العقل. تلا بقراءة ورش عن أحد العلماء وبالسبع عن آخر وحصل على إجازة من العلماء		-خطب بمدينة بلنسية -أخذ عنه الناس -ولي الصلاة بجامع بلنسية، والخطبة به نحو 40سنة	ابن الزبير، صلة الصلة، 134 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر160/1
إبراهيم بن محمد بن سلمة (أبو إسحاق) ت631ه – 1233م			-أدّب بالقرآن طويلا ثم عاد إلى بلده مربيطر -يحدث بالإجازة العامة عن السلفي	ابن الأبار، التكملة، 168/1
محمد بن جعفر بن أحمد (أبو عبد الرحمن) ت632ه – 1234م	له حظ متزور من منظوم ومنثور لم يكن يبصر الحديث		انصرف إلى بلده سمع منه كتاب التهجد لعبد الحق	ابن الأبار، التكملة، 634/2
محمد بن محمد بن وضاح (أبو بكر) ت634ه – 1236م	كان رجلا صالحا متقنا لقصيدة الإقراء المعروفة بحرز الأماني ووجه التهاني		تصدّر ببلده للإقراء، الصلاة والخطبة بجامعها، حدّث وأخذ عنه الناس	ابن الأبار، التكملة، 635/2 -636

قراءة وتحليل في الجدولين (1) و (2):

-إن أول ما يجب توضيحه هو أن هؤلاء الأعلام الوافدين، لم يكونوا طلبة علم وإنما هم في مرتبة الشيوخ، تثبت ذلك مكانتهم العلمية، مؤلفاتهم والوظائف التي تولوها، وعددهم يقارب 24 علم بحسب ما أمكنني الاطلاع عليهم في المصادر.

-بالنسبة لوفودهم إلى بلاد المغرب الأوسط، فحسب ما تذكره كتب التراجم فإنه يدخل في إطار رحلتهم للمشرق أو الحج، بمعنى أنهم حطوا رحالهم بالمنطقة بشكل مؤقت للقاء بعض الشيوخ للأخذ عنهم والسماع منهم إما أثناء الذهاب أو بعد الرجوع من الحج حيث عاد أكثريتهم إلى بلده بعد الرحلة، ومع ذلك فإن إقامتهم الوقتية بالمغرب الأوسط توحي بأنه قد وقع إحتكاك بينهم وبين أهل المنطقة مما يعني أن إفادتهم العلمية قد انتقلت إلى هناك، وأتاحت الفرصة للعديدين في لقائهم والتعرف على ما حملوه معهم من علوم.

-إنطلاقا من المعلومات المقننة التي تقدمها مختلف الروايات الترجمية حول شخصية كل علم فإنها لا تساعد كثيرا في الوقوف على الأثر المباشر الذي حصّله هؤلاء الأندلسيون من وفودهم للمغرب الأوسط ولقائهم ببعض العلماء والمشايخ، وذلك ما يصعب علينا تتبع تأثيرهم بالمنطقة ثم ما نقلوه معهم للأندلس، لهذا فالحديث عنهم سوف يأخذ إتجاهين إثنين:

-**الأول:** محاولة الوقوف على الإفادة التي حصّلوها بلقائهم مع الشيوخ والعلماء بالمغرب الأوسط بالقدر الذي أشارت إليه الروايات.

-**الثاني:** إبراز وتحديد تخصصات هؤلاء العلماء وتوجهاتهم من خلال إبراز مكانتهم العلمية مؤلفاتهم، والوظائف التي تولّوها، كمحاولة لرصد ما يمكن أن يكونوا قد نقلوه معهم للمغرب الأوسط أو الدور الذي قاموا به بعد عودتهم للأندلس.

-في البداية هناك من تشير المصادر إلى فترة وفودهم أو بمعنى آخر تضبط الرحلة زمنيا ويظهر مع 9 أعلام، نوردهم مرتبين على حسب زمن الرحلة:

-محمد بن محمد بن وضاح ت 634ه — 1236م، رحل حاجا عام 550ه / 1155م - علي بن عتيق بن أحمد ت 598ه — 1201م، رحل للمشرق سنة 560ه / 1164م -يوسف بن محمد بن عبد الله ت 604ه — 1207م، رحل للحج عام 560ه / 1164م - عتيق بن علي بن خلف ت 612ه — 1215م، رحل للحج عام 561ه / 1165م -محمد بن أحمد بن محمد ت 621ه — 1224م، رحل للحج سنة 566ه / 1170م -علي بن هشام بن حجاج ت 616ه — 1219م، رحل

للمشرق سنة 568ه-1172م -الحسن بن محمد بن الحسن ت 585ه-1189م، عاد من الحج سنة 577ه/1181م -علي بن أحمد بن عبد الله ت 630 ه-1232 م، رحل للحج عام 578ه/1182م -جعفر بن لب بن محمد ت 590 ه-1193 م، دخل تلمسان سنة 586 ه/1190م.

-ويلاحظ من خلال هذه التواريخ أن الفترة الزمنية التي دخلوا فيها للمغرب الأوسط كانت متقاربة، وهذا يعني أن أغلبهم قد اشتركوا في الأخذ والسماع عن نفس الشيوخ بإعتبارهم معاصرين لبعضهم خصوصا وأن أكثريتهم ممن أخذوا عن عبد الحق الإشبيلي نزيل بجاية ت 582ه-1186م وحتى الذين لا تحدد المصادر ذلك فيمكن إستنتاجها من خلال مدة حياة الشيخ الذي درسوا عليه.

-ويبدو أن أغلبهم قد دخل المغرب الأوسط ما بين منتصف القرن 6 ه / 12 م، ومطلع القرن 7 ه-13 م، أي أنهم جميعا قد درسوا في نفس الفترة تقريبا.

-بالنسبة للشيوخ الذين إلتقوهم بالمغرب الأوسط وأخذوا عنهم، نجد حوالي 18 علما من الأندلسيين أخذوا عن عبد الحق الإشبيلي ببجاية، 5 أعلام آخرين دخلوا تلمسان منهم 4 أعلام للقاء عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي ت 610 ه-1213 م (والذين سبق وأشرنا إليهما ضمن العلماء الأندلسيون الذين قاموا بالتدريس بالمغرب الأوسط)، و 1 علم دخل الجزائر فأخذ بها عن عدّة علماء.

-بالنسبة للفائدة التي حصّلوها والعلوم التي درسوها فنلاحظ أن هناك 3 أصناف:

-**الصنف1**: ويضم الأعلام الذين تحدد الروايات إما المدة التي قضوها بالمغرب الأوسط مع الشيخ والإفادة عنه ويظهر ذلك خاصة مع 3 منهم من قصدوا عبد الحق الأزدي الإشبيلي ت 582ه-1186م نزيل بجاية وهم على التوالي:

-يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى ت 604ه - 1207م، أخذ في طريقه للحج ببجاية عن عبد الحق وعزم عليه في تأليف كتاب الأحكام وفاوضه في ذلك، ولما قفل في رحلته أقام معه وصحبه كثيرا وأخذ عنه أحكامه وكان من أقعد الناس به وبأخباره.

-علي بن هشام بن حجاج ت 616ه - 1219م، اختلف إليه نحو خمسة أشهر ورغّبه في المقام معه ليقرأ عليه ويؤخذ عنه وأجاز له مطلقا.

-عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم ت 620ه - 1223م، قرأ عليه وسمع كثيرا وأجاز له جميع رواياته وتواليفه.

-**الصنف2:** ويضم الأعلام الذين لا تضبط الروايات الترجمية ما أخذوه بالمغرب الأوسط عن الشيوخ إذ تشير إما لسماعهم بعض المؤلفات وأحيانا دون تحديد أسماءها، أو إجازة الشيوخ لهم دون تحديد نوع الإجازة ونجد من هؤلاء الأعلام:

-أحمد بن محمد بن أحمد ت القرن 6ه-12م -الحسن بن محمد بن الحسن ت 585ه-1189م، -علي بن عتيق بن أحمد ت 598ه-1201م -عتيق بن علي بن خلف ت 612ه-1215م -محمد بن أحمد بن محمد ت 621ه-1224م -محمد بن جعفر بن أحمد ت 632ه-1234م.

-**الصنف3:** ويندرج تحته باقي الأعلام ممن لا توضح المصادر ما أخذوه عن الشيوخ باستثناء إشارات تقول: (لقيه، سمع منه، روى عنه...)

-وأمام هذه المعطيات يمكننا أن نستنتج ما يلي:

-بالنسبة لأعلام الصنف الأول فيبدوا أن إفادتهم كانت أعم وأشمل، بمعنى أنهم حصّلوا عن الشيخين جميع معارفهما خصوصا وأنهما كانا يتمتعان بالموسوعية، أي أنهم درسوا عليهم كل العلوم التي برعوا فيها، زيادة عن المؤلفات التي دونوها من حديث وفقه وتصوف، وعلوم اللغة، مضاف إليها الإجازة التي تتيح لهم نقل جميع ما حصّلوه عنهما إلى غيرهم.

أما أعلام الصنف الثاني، فيمكن التخمين بأن الفائدة التي حصّلوها تأخذ إحتمالين إثنين:

1/إما أنهم درسوا على الشيوخ ما يتعلق باهتماماتهم العلمية، وسمعوا المؤلفات التابعة لذلك فقط.

2/ويتعلق بالذين حصلوا على الإجازة إما عامة أو خاصة ببعض العلوم والمصنّفات فحسب.

-وبالنسبة للصنف الثالث فيبدوا أن تحصيلهم كان محدودا.

-إن ثاني ما يجب توضيحه هو إذا ما تتبعنا التكوين العلمي لهؤلاء الأعلام إنطلاقا من التعرف على المكانة العلمية لهم والعلوم التي برعوا فيها، ومؤلفاتهم والوظائف التي تقلدوها، يمكن تقصي العلوم والمعارف التي حصّلوها ونقلوها معهم للمغرب الأوسط، أو التي يمكن أن يكونوا قد حصّلوها به ونقلوها معهم للأندلس.

-بناءا على قراءة ثانية في الجدولين (1) و (2):

يلاحظ أن العلماء الأندلسيون الذين دخلوا إلى بلاد المغرب الأوسط بصفة مؤقتة للدراسة ولقاء الشيوخ، أو الذين مروا به أثناء رحلتهم للمشرق أو الحج كانوا على عدة مستويات.

-**المستوى الأول**: يظهر مع 10 أعلام من خلال تميّزهم وتمكنهم في عدد من العلوم، زيادة على اتساع مداركهم بالرحلة، ووضعهم للمؤلفات، بل ومنهم من تولى وظائف عليا ببلده وخارجها وهم على التوالي:

1-أحمد بن طاهر بن علي ت 532ه-1137م، 2-أحمد بن محمد بن أحمد (ق 6ه-12م) 3-علي بن عتيق بن أحمد ت 598ه-1201م، 4-يوسف بن محمد بن عبد الله ت 604ه-1207م 5-مصعب بن محمد بن مسعود ت 604ه-1207م، 6-أحمد بن أبي محمد هارون ت 609ه-1212م، 7-عتيق بن علي بن خلف ت 612ه-1215م، 8-علي بن هشام بن حجاج ت 616ه-1219م، 9-محمد بن عيسى بن محمد ت 620ه-1223م، 10-أحمد بن عمر بن إبراهيم ت 626ه-1228م.

-يغلب على هؤلاء الاهتمام بالعلوم النقلية من فقه وحديث وتاريخ، وعلوم القرآن وآداب علم اللغة، التصوف، علم العربية، الشعر، ومنهم من حصّل في ذلك على إجازات عن علماء بلده ومن خارجها(من المشرق والمغرب).

-بالنسبة للوظائف التي تولّوها فأكثرهم إتجه نحو تدريس العلوم المتمكن فيها، إضافة إلى إمامة الصلاة أو تولي القضاء أو الشورى، وتنوعت مصنّفاتهم والمؤلفات التي دوّنوها حيث نجد 7 أعلام منهم لهم مصنّفات، 3 في الفقه والحديث لكل من أحمد بن طاهر بن علي ت 532ه-1137م ومحمد بن عيسى بن محمد ت 620ه-1223م، و أحمد بن عمر بن إبراهيم ت 626ه-1228م، 2 في التاريخ والأدب وهما يوسف بن محمد بن عبد الله ت 604ه-1207م، ومصعب بن محمد بن مسعود ت 604ه-1207م، و 5 مصنّفات في فهرست الشيوخ أو برامج العلماء لكل من (واحد لعلي بن عتيق بن أحمد ت 598ه-1201م، وآخر ليوسف بن محمد بن عبد الله ت 604ه-1207م، وإثنين لأحمد بن أبي محمد هارون ت 609ه-1212م وواحد لعلي بن هشام بن حجاج ت 616ه-1219م).

-أما المصنّفات في العلوم العقلية كالطب وغيره فلا تشير الرواية سوى لعلي بن عتيق بن أحمد ت 598ه-1201م الذي كان له تواليف في الطب من دون تحديد أسمائها.

-**المستوى الثاني**: ويظهر مع 14 علم المتبقين، حيث تشير الروايات إلى تمكن الواحد منهم في مجال أو اثنين من العلوم أو اقتصاره على مؤلف واحد، زيادة على توليه بعض الوظائف.

وبذلك نستنتج أن العلماء الأندلسيون الذين مرّوا بالمغرب الأوسط في إطار رحلتهم العلمية إلى المشرق، كانوا على قدر كبير من العلم والمعرفة، مما يعني بأنهم قد أفادوا أهل المنطقة بمعارفهم حتى وإن كانت إقامتهم وقتية، وبالتالي قد نقلوا إليها تلك التطورات التي شهدتها الأندلس في مختلف العلوم.

ب-التأثير العلمي لعلماء المغرب الأوسط بالأندلس خلال القرنين 5-6ه /11- 12م:

وفق المادة المتحصل عليها يمكن تتبع تأثيرهم إنطلاقا من تصنيفهم إلى مجموعتين أيضا:

-**المجموعة الأولى:** وتضم عددا من الأعلام الذين دخلوا الأندلس وقاموا بالتدريس فيها.

-**المجموعة الثانية:** وتضم عددا من الأعلام الذين دخلوا الأندلس للدراسة.

وسوف يتم دراستهم على نفس الطريقة السابقة وفق جداول وتحليلها.

جدول01: الإنتماء الجغرافي للأساتذة من المغرب الأوسط، مكان نزولهم بالأندلس مكانتهم العلمية ومؤلفاتهم:

إسم العلم وكنيته تاريخ وفاته	موطنه الأصلي بالمغرب الأوسط	الأماكن التي نزلها أو مرّ بها بالأندلس	مكانته العلمية	مؤلفاته	المصدر
عبد الرحمن بن زيادة الله (أبو الحسن) ت 407 هـ- 1016م	طبنة	سكن بقرطبة	"كان له فضل وأدب ونسك روى الحديث"		إبن بشكوال، الصلة، 297/1-298
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد (أبو القاسم) ت 411 ه -1020م	وهران	سكن بجانة	من أهل الحديث والرواية		إبن بشكوال، الصلة، 305/1-306 – الحميدي، جذوة المقتبس، 256-الضبي، بغية الملتمس، 319
زيادة الله بن علي بن حسين (أبو مضر) ت 415 ه -1024م	طبنة	سكن بقرطبة	كان من أهل العلم بالآداب واللغات والأشعار كثير الغرايب		القفطي، إنباه الرواة بأنباء النحاة، 18/2 -ابن بشكوال، الصلة، 190/1
حسين بن محمد بن سلمون (أبو علي) ت 431 ه -1039م	المسيلة	استقر بقرطبة	كان عفيفا متواضعا، حسن التفقه، أحد الفقهاء المشاورين		إبن بشكوال، الصلة، 145/1 -ابن الأبار، التكملة، 272/1
عبد الملك بن زيادة الله بن علي التميمي (أبو مروان) ت 456 ه -1063م	طبنة	إستوطن قرطبة	من بيت علم ونباهة وأدب وخير وصلاح، كانت له عناية تامة في تقييد العلم والحديث وبرع مع ذلك في علم الأدب والشعر، إمام في اللغة		إبن بشكوال، الصلة، 343/1- 344 -الضبي، بغية الملتمس، 230 -ابن بسام، الذخيرة، مج1، ج52/2- 53 -إبن خاقان، مطمح الأنفس، 58 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 93/1

عبد الله بن حمو (أبو محمد) ت 473 ه -1080م	المسيلة	استوطن المرية	كانت له معرفة في الأصول والفروع		إبن بشكوال، الصلة، 287/1
عبد الله بن سعيد (أبو محمد) ت قبل 510 ه- 1116م	تلمسان	أقام ببلنسية وتوفي بها	كان من جلّة الفقهاء الحفّاظ لمسائل الرأي القائمين عليها		ابن الأبار، التكملة للصلة، 914/2- 915
عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون (أبو محمد) ت 534 ه -1139م	تلمسان	دخل الأندلس وعاد إلى بلده وتوفي فيه	فقيه حافظ للفقه محقق فيه، كان يميل إلى الحديث ويحفظ كثيرا منه		ابن بشكوال، الصلة، 288/1
أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب (أبو العباس) ت 539 ه -1144م	مسيلة	سكن اشبيلية	كان من أهل التجويد والعناية بالحديث	كتاب في القراءات السبع إسمه "التقريب"	ابن الأبار، التكملة للصلة، 48/1
علي الترشكي (أبو الحسن) ت 6 ه/ 12 م	بونة	مرّ بمدينة المنكب	الفقيه الأديب		ابن الزبير، صلة الصلة، 146
ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي (أبو تميم) ت 584 ه -1188م	تلمسان وتوفي في طريقه إليها	دخل بلنسية مدة	كان من كبار العلماء، معدودا في الرؤساء، كريم الأخلاق وافر الجاه عظيم الحرمة، له أثار حميدة		إبن الأبار، التكملة للصلة، 719/2
محمد بن إبراهيم المعمري (أبو عبد الله) ت 612 ه -1215م	بجاية	دخل اشبيلية واستوطنها	كان علم وقته علما وكمالا وتفننا يتحقق بعلم الكلام وأصول الفقه حتى شهّر بالأصولي	اعتنى بإصلاح المتصفى لأبي حامد الغزالي وإزالة ما كان فيه من تصحيف وله عليه تقييد مفيد	ابن الأبار، التكملة للصلة، 684/2- 685
الحسن بن علي بن محمد (أبو علي) ت 615 ه -1218م	تلمسان	أقام وقتا بجزيرة ميورقة قبل 600 ه- 1203م			ابن الأبار، التكملة للصلة، 271/1

جدول 02: رحلات أساتذة المغرب الأوسط الذين درّسوا بالأندلس:

اسم العلم وكنيته	بالأندلس	بالمشرق	بالمغرب	بالحج	المصدر
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد (أبو القاسم) ت 411 ه -1020م	قرطبة بجانة	خرسان			إبن بشكوال ، الصلة،1/305-306 -الحميدي، جذوة المقتبس، 256 -الضبي، بغية الملتمس، 319
عبد الملك بن زيادة الله بن علي التميمي (أبو مروان) ت 456 ه -1063م			القيروان		ابن بشكوال، الصلة، 1/343- 344 -الضبي، بغية الملتمس، 230 -إبن بسام، الذخيرة، مج1، ج2/52- 53 -إبن خاقان، مطمع الأنفس، 58 -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 1/93
محمد بن إبراهيم المعمري (أبو عبد الله) ت 612 ه -1215م	مرسية قرطبة	المشرق	مراكش		إبن الأبار، التكملة للصلة، 2/684-685

جدول 03: دور أساتذة المغرب الأوسط في مجال التدريس بالأندلس:

إسم العلم وكنيته	دوره في التعليم	طلبته بالأندلس	طلبته خارجها	المصدر
عبد الرحمن بن زيادة الله (أبو الحسن) ت407 ه – 1016 م	روى الحديث وأخذ عنه جماعة			إبن بشكوال، الصلة، 297/1-298
عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد (أبو القاسم) ت 411 ه – 1020 م	يجلب كتبه في رحلته من قرطبة وبجانة فتقرأ عليه خلال ذلك	طالبان من الأندلس		إبن بشكوال، الصلة، 305/1-306 –الحميدي، جذوة المقتبس، 256 - الضبي، بغية الملتمس، 319
زيادة الله بن علي بن حسين (أبو مضر) ت 415 ه -1024 م	روى عنه إبنه			القفطي، إنباه الرواة بأنباء النحاة 18/2 -إبن بشكوال، الصلة، 190/1
حسين بن محمد بن سلمون (أبو علي) ت 431 ه – 1039 م	نوظر عليه في المسائل			إبن يشكوال، الصلة، 145/1 -ابن الأبار، التكملة، 272/1
عبد الملك بن زيادة الله بن علي التميمي (أبو مروان) ت 456 ه – 1063 م	"إجتمع إليه في المجلس خلق عظيم "	ذكر العديد من طلبته		ابن بشكوال، الصلة،343/1- 344 -الضبي، بغية الملتمس، 230 -إبن بسام، الذخيرة، مج1، ج52/2-53 -إبن خاقان، مطمع الأنفس، 58 –ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 93/1
عبد الله بن حمو (أبو محمد) ت 473 ه – 1080 م	قرئ عليه بالمرية			إبن بشكوال، الصلة، 287/1
عبد الله بن سعيد (أبو محمد) ت قبل 510 ه – 1116 م	كان يناظر عليه ويجتمع في ذلك إليه وبه تفقه جماعة	ذكر له طالبان		ابن الأبار، التكملة للصلة، 914/2-915

عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون (أبو محمد) ت 534 ه – 1139 م	أخذ عنه			ابن بشكوال، الصلة، 288/1
أحمد بن محمد بن سعيد بن حرب (أبو العباس) ت 539 ه – 1144 م	تصدر باشبيلية للإقراء	ذكر مجموعة من طلبته الذين قدموا للدراسة عليه من اشبيلية ومالقة وسمعوا مؤلفه وأجاز لبعضهم		ابن الأبار، التكملة للصلة، 48/1 -758/2 759 -ابن خير، الفهرست، 34 –الرعيني، برنامج شيوخ، 21
علي الترشكي (أبو الحسن) ت 6 ه/ 12 م		ذكر أحد طلبته بأنه احتاز عليهم بمدينة المنكب فتناولوا منه عدة كتب وأجازهم		ابن الزبير، صلة الصلة، 146
ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي (أبو تميم) ت 584 ه – 1188 م	إجتمع إليه ببلنسية وبتلمسان في علم الأصول وغير ذلك وبه انتفع أهل بلنسية وعنده طول ولايته ناظروا، وكان هو يصفهم بثقوب الأذهان وجودة القريحة			ابن الأبار، التكملة للصلة، 719/2
محمد بن إبراهيم المعمري (أبو عبد الله) ت 612 ه – 1215 م	حدّث الناس عنه حوالي سنة 593 ه -1196 م			ابن الأبار، التكملة للصلة، 684/2-685
الحسن بن علي بن محمد (أبو علي) ت 615 ه – 1218 م	أقرأ العربية بجزيرة ميورقة وأخذ عنه			ابن الأبار، التكملة للصلة، 271/1

جدول 04: علماء المغرب الأوسط الذين تولوا مناصب بالأندلس مع التدريس:

إسم العلم وكنيته تاريخ وفاته	الوظيفة	المصدر
حسين بن محمد بن سلمون (أبو علي) ت 431 ه – 1039 م	تولى الشورى بقرطبة على عهد سليمان بن الحكم وعلي إبن حمود	ابن يشكوال، الصلة، 145/1 -ابن الأبار، التكملة، 272/1
عبد الله بن سعيد (أبو محمد) ت قبل 510 ه – 1116 م	ولي قضاء بلنسية سنة 495 ه – 1101 م على عهد المرابطين	ابن الأبار، التكملة للصلة، 914/2-915
عبد الله بن خليفة بن أبي عرجون (أبو محمد) ت 534 ه – 1139 م	إستقضي بغير موضع بالأندلس	ابن بشكوال، الصلة، 288/1
ميمون بن جبارة بن خلفون الفرداوي (أبو تميم) ت 584 ه – 1188 م	ولي قضاء بلنسية من 568 ه إلى 581 ه / 1172 م – 1185 م	ابن الأبار، التكملة للصلة، 719/2
محمد بن إبراهيم المعمري (أبو عبد الله) ت 612 ه – 1215 م	ولي قضاء مرسية	ابن الأبار، التكملة للصلة، 719/2

قراءة وتحليل في الجداول:

من خلال قراءة في الجدول رقم 01 يلاحظ أن علماء المغرب الأوسط الذين وفدوا على الأندلس وقاموا بالتدريس فيها انطلاقا من انتمائهم الجغرافي أنهم جاءوا من حواضر المغرب الأوسط الكبرى التي كانت خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م مصدر إشعاع فكري وحضاري كتلمسان –بجاية –وهران –طبنة، وهم حوالي 13 عَلَم حسب ما أمكنني الإطلاع عليه منهم.

بالنسبة لأماكن نزولهم في الأندلس فيبدو أن قرطبة والمرية واشبيلية وبلنسية وضواحي تلك المدن قد استهوت أكثرهم باعتبارها أيضا قد مثلت مراكز الإشعاع الفكري والعلمي على عصر كل من الطوائف ثم المرابطين والموحدين، حيث استقر 09 أعلام واستوطنوا بالأندلس وهم على التوالي مرتبين حسب تاريخ وفاتهم: عبد الرحمن بن زيادة الله (أبو الحسن) ت 407ه/1016م من طبنة – زيادة الله بن علي (أبو مضر) ت 415ه/1024م من طبنة –حسين بن محمد (أبو علي) ت 431ه/1039م من مسيلة –عبد الملك بن زيادة الله (أبو مروان) ت 456ه/1063م من طبنة استوطنوا بقرطبة، وهناك 05 استقروا في كل من بجانة –المرية –بلنسية –اشبيلية، أما 04 المتبقين وهم: عبد الله بن خليفة (أبو محمد) ت 534ه/1139م من تلمسان –علي التارشكي (أبو الحسن) ت ق06ه/11م من بونة –ميمون بن جبارة بن خلفون (أبو تميم) ت 584ه/1188م من تلمسان –الحسن بن علي بن محمد (أبو علي) ت 615ه/1218م من تلمسان، كانت إقامتهم وقتية بالأندلس ولعلهم قد دخلوها لنشر علمهم أو للقاء علمائها و لم تكن لهم نية البقاء.

من خلال قراءة في المكانة العلمية لهؤلاء الأعلام نجد بأن أكثرهم قد تخصص في علم الحديث والرواية وعلوم القرآن والفقه والأصول زيادة على الاهتمام بالأدب والشعر، وبقراءة في الجدول رقم 02 نجد أنه كانت لبعضهم رحلات علمية إلى بلاد المشرق والمغرب، وجولات في بعض مدن الأندلس، وكما هو معلوم فإن الرحلة مزيد كمال في التعلم، بحيث تشير المصادر إلى 03 أعلام منهم وهم على التوالي مرتبين حسب تاريخ وفاتهم: عبد الرحمن بن عبد الله (أبو القاسم) ت 411ه/1020م من وهران "رحل إلى خراسان –قرطبة –بجانة" –عبد الملك بن زيادة الله (أبو مروان) ت 456ه/1063م من طبنة "رحل إلى القيروان" –محمد بن إبراهيم (أبو عبد الله) ت 612ه/1215م من بجاية "رحل إلى المشرق –مراكش –مرسية –قرطبة".

أما عن وضعهم لمصنفات في تلك العلوم التي برعوا فيها بحسب ما تشير إليه الروايات الترجمية التي تناولت حياتهم فنجد علمين فقط وردت الإشارة إلى كتبهم ومصنفاتهم هما: أحمد بن

محمد بن سعيد المسيلي (أبو العباس) ت 539ه/1144م والذي وضع مصنفا في علم القراءات سماه التقريب، ولعلّه قد وضح وقرّب فيه طرق قراءة القرآن وتلاوته وفق الروايات الموجودة في ذلك، والثاني هو محمد بن إبراهيم المعمري (أبو عبد الله) البجائي ت 612ه/1215م والذي كان مهتما بعلم أصول الفقه فوضع مصنفا على كتاب الشيخ أبي حامد الغزالي، اعتنى بإصلاحه وإزالة ما كان فيه من تصحيف، بالنسبة لدور هؤلاء الأعلام في مجال التدريس بالأندلس من خلال قراءة في الجدول رقم 03 نجد أن الأساتذة كانوا على مستويين:

-**المستوى الأول**: ويظهر مع 07 أساتذة من المغرب الأوسط بالأندلس، فحسب ما تشير إليه الرواية الترجمية فقد كانت لهم مجالس علمية بالأندلس يحضرها العديد من الطلبة من مختلف الأنحاء للدراسة والمدارسة أو المناظرة أو لقراءة مؤلفات الشيخ أو الحصول على إجازات علمية منه تمكنهم من نشر علومه ومعارفه، وبالتالي دخول علوم وأفكار أهل المغرب الأوسط إلى الأندلس.

وهؤلاء الأعلام هم: عبد الرحمن بن خالد (أبو القاسم) ت 411ه/1020م الوهراني - حسين بن محمد (أبو علي) ت 431ه/1039م المسيلي -عبد الملك بن زيادة الله (أبو مروان) ت 456ه/1063م الطبني -عبد الله بن سعيد (أبو محمد) ت 510ه/1116م تلمساني -أحمد بن محمد بن سعيد (أبو العباس) ت 539ه/1114م المسيلي -على التارشكي (أبو الحسن) ت 06ه/12م البوني -ميمون بن جبارة بن خلفون (أبو تميم) ت 584ه/1188م التلمساني.

-**المستوى الثاني**: ويضم 06 أعلام المتبقين كان عطاؤهم العلمي محدود وهم: عبد الرحمن بن زيادة الله (أبو الحسن) ت 407ه/1016م الطبني -زيادة الله بن علي بن حسين (أبو مضر) ت 415ه/1024م الطبني -عبد الله بن حمو (أبو محمد) ت 473ه/1080م المسيلي -عبد الله بن خليفة (أبو محمد) ت 534ه/1139م التلمساني -محمد بن إبراهيم (أبو عبد الله) ت 612ه/1215م البجائي -الحسن بن علي بن محمد (أبو علي) ت 615ه/1218م التلمساني، لم تشر المصادر إلى الآخذين عنهم واكتفت بالتلميح إلى أنهم قد رووا العلم أو حدثوا به أو أقرؤوه للآخرين.

من خلال قراءة في الجدول رقم 04 يتضح أن بعض علماء المغرب الأوسط استطاعوا بفضل مكانتهم العلمية والعلوم التي حصلوها من تولي وظائف في الأندلس غير التعليم تنوعت بين القضاء والشورى وهم 05 أعلام (أنظر الجدول).

المجموعة الثانية: علماء المغرب الأوسط بالأندلس للدراسة:

جدول 01: إنتماؤهم الجغرافي، أماكن دراستهم بالأندلس (بين العودة والاستقرار):

اسم العلم وكنيته تاريخ وفاته	موطنه الأصلي بالمغرب الأوسط	الأماكن التي درس بها في الأندلس	عاد إلى موطنه	إستقر بغير بلده	المصدر
عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين ت بعد 513 ه – 1119 م	تاهرت	-سمع بقرطبة عن جماعة وبمرسية و بشاطبة والمرية سنة 513 ه – 1119 م		سكن سبتة ودرّس بها	ابن الأبار، التكملة للصلة، 914/2-915 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 428/2
حسين بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (أبو علي) ت 553 ه – 1158 م	تلمسان	سمع بقرطبة وبمرسية عن جماعة من أهل الحديث والفقه		نزل فاس	ابن الأبار، التكملة للصلة، 269/1-270 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 183/1-184
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري (أبو محمد) ت 561 ه – 1165 م	تلمسان	-أخذ بالمرية سنة 540 ه – 1145 م		نزل الشام وأقام حتى مات درّس بها.	ابن القطّان، نظم الجمان، 210 -ابن الأبار، التكملة للصلة، 270/1، 917/2 -الحلة السيراء، 93/2 - القفطي، أنباء الرواة، 139/2-140 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 185-186 -ابن صفوان، زاد المسافر، 101
محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي المعروف بابن الرمامة (أبو عبد الله) ت 567 ه – 1171 م	قلعة بني حماد	درس بقرطبة وحمل العلم عن جماعة منهم أبا محمد بن عتاب		نزل فاس وأقام بها حدّث بها ودرّس	ابن الأبار، التكملة للصلة، 676/2-677

إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله الوهراني الحمزي (أبو إسحاق) ت 569 ه – 1173 م	حمزة (ناحية المسيلة)	ولد بالمرية ونشأ بها وأخذ العلم عن جماعة من علماء الأندلس منهم أبا إسحاق الخفاجي حمل عليه ديوان شعره		انتقل إلى سبتة سنة 564ه - 1168 م ثم سلا ثم فاس إلى أن توفي بها	-ابن الأبار، التكملة للصلة، 1/151-152 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 1/88-89
حجاج بن يوسف الهواري (أبو يوسف) ت 572 ه – 1176 م	بجاية	دخل الأندلس مرارا وروى عن بعض علمائها		انتقل إلى مراكش وتوفي بها	ابن الأبار، التكملة للصلة، 279/1
جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي (أبو الحسن) كان حيا سنة 578 ه – 1182 م	تلمسان	دخل الأندلس وسمع عن جماعة وأجاز له أكثرهم منهم أبي بكر بن خير سمع مشيخته على حروف المعجم فأفاد بها	عاد إلى تلمسان وتوفي بها		ابن الأبار، التكملة، 249/1
موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري (أبو عمران) ت 589 ه – 1193 م	من تدلس عمل ببجاية	رحل للأندلس وأقام بها في سماع العلم من سنة 535 ه إلى 540 ه / 1140 م – 1145 م فسمع بقرطبة وباشبيلية وبالمرية عن جماعة أجاز له أكثرهم .	عاد إلى بلده وحدّث وأخذ عنه وسمع منه وأمّ بها في صلاة الفريضة وتوفي بها .		ابن الأبار، التكملة للصلة، 690/2-691 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم37/1
مكي بن أيوب بن أحمد بن رشيق (أبو الحسن) ت نهاية القرن 6 ه /12 م	من بجاية	أخذ القراءات عن أحد أعلام الأندلس، و سمع الحديث عن آخر ولازمه طويلا		إستوطن اشبيلية	ابن الأبار، التكملة للصلة، 735/2-736
علي بن أبي القاسم عبد الرحمن (أبو الحسن) ت نهاية القرن 6 ه/ 12 م	تلمسان	دخل الأندلس وروى بها عن جماعة			ابن الزبير، صلة الصلة، 146
الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري (أبو علي) ت 598 ه – 1201 م	من بجاية	دخل تجيب		استقر بتجيب وتوفي بفاس	ابن الأبار، التكملة للصلة، 271/1 -ابن القاضي، جذوة الاقتباس، 180/1

محمد بن علي بن يخلف بن حسون (أبو عبد الله) ت 606 ه – 1209 م	بجاية	دخل الأندلس وأخذ عن جماعة باشبيلية وبمالقة وله عدة شيوخ روى عنهم وسمع منهم	عاد إلى بلده وتوفي به		ابن الأبار، التكملة للصلة، 683/2
مروان بن عمار بن يحيى (أبو الحكم) ت 610 ه – 1213 م	بجاية	دخل الأندلس فسمع عن جماعة			ابن الأبار، التكملة للصلة، 698/2
عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم (أبو محمد) ت 620 ه – 1223 م	بجاية	أخذ عن جماعة بالأندلس وأجازوه وسمع كتاب صحيح مسلم عن أحدهم ودرس عن آخر مختصره في القراءات		دخل تونس وتوفي بها	ابن الأبار، التكملة للصلة، 923/2
محمد بن إسماعيل المتيشي ت 625 ه – 1227 م	بجاية	نزل مرسية لقي جماعة من العلماء كابن بشكوال ، أبا بكر بن خير، أكثر عنهم			ابن الأبار، التكملة للصة، 623/2
محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي (أبو عبد الله) ت 625 ه – 1227 م	تلمسان	دخل الأندلس وسمع من علمائها	عاد إلى تلمسان وجلس متصديا لإفادة العلم بها وولي قضاءها وتوفي بها		ابن الأبار، التكملة للصلة، 623/2 -الرعيني، برنامج شيوخ، 169-170
محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي (أبو عبد الله) ت 628 ه – 1230 م	من قلعة بني حماد نزل ببجاية	دخل الأندلس فسمع بها			ابن الأبار، التكملة للصلة، 327/2-328 -المقتضب من تحفة القادم،187

جدول2: مكانتهم العلمية ومؤلفاتهم ودورهم في الأندلس:

إسم العلم وكنيته -تاريخ وفاته	مكانته العلمية	مؤلفاتـــــه	دوره في الأندلس	المصدر
عبد الله بن محمد بن عيسى بن حسين ت بعد 513 ه – 1119 م	كانت له عناية كاملة بالرواية ومعرفة بالحديث وكان حسن الحفظ			ابن الأبار، التكملة، 914/2-915 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 428/2
حسين بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي سهل (أبو علي) ت 553 ه – 1158 م		له تأليف في الرأي		ابن الأبار، التكملة للصلة، 269/1-270 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 183/1-184
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن علي الأشيري (أبو محمد) ت 561 ه – 1165 م	كان من أهل العلم بالقراءات واللغة والغريب، يغلب عليه الأدب، وكان ناظما ناشرا	-له مجموع في غريب الموطأ -مختصر في التاريخ سماه: "نظم اللآلئ في فتوح الأمر العالي" عن تاريخ الموحدين ودعوتهم -له شرح في قصيدة الحصري. -صنّف كتاب هذب فيه الإشتقاق الذي صنّفه المبرد		ابن القطّان، نظم الجمان، 210 -ابن الأبار، التكملة، 270/1، 917/2، الحلة السيراء، 93/2 - القفطي، أنباء الرواة، 139/2-140 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 185-186 -ابن صفوان، زاد المسافر، 101
محمد بن علي بن جعفر بن أحمد القيسي المعروف بابن الرمامة أبو عبد الله ت 567ه – 1171 م	كان فقيها ناظرا مائلا لمذهب الشافعي عاكفا على كتاب أبي حامد الغزالي المسمى "البسيط" محصلا لنكته	-كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب -كتاب التَقَصي عن فوائد التّقصِّي -كتاب التبيين في شرح التلقين		ابن الأبار، التكملة للصلة، 676/2-677

إبراهيم بن يوسف بن أدهم بن عبد الله الوهراني الحمزي (أبو إسحاق) ت 569 ه – 1173 م	كان رحّالا في طلب العلم حريصا على لقاء الشيوخ فقيها نظّارا ، أديبا حافظا، يبصر الحديث ورجاله صنف وألف مع براعة الخط وحسن الوراقة	لم يشر إلى أسماء مؤلفاته		-ابن الأبار، التكملة للصلة، 152-151/1 -ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، 224-225 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 1/88-89
حجاج بن يوسف الهواري (أبو يوسف) ت 572 ه – 1176 م	كان من أهل العلم والأدب فصيحا بليغا مدركا، نال دنيا عريضة وأورث عقبه نباهة			ابن الأبار، التكملة للصلة، 279/1
جابر بن أحمد بن إبراهيم القرشي (أبو الحسن) كان حيا سنة 578 ه – 1182 م	كان من أهل العناية بالرواية والمعرفة بأسماء الرجال زكيا جليلا نبيلا صاحب أدب ولغة محبا في الحديث وتحصيله وعناية بفنه وطرقه		درّس باشبيلية سنة 578 ه – 1182 م وسمع منه	ابن الأبار، التكملة، 249/1
موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشري (أبو عمران) ت 589 ه – 1193 م	عنى بالرواية أتم العناية إلا أنه كان عديم الضبط رديء الخط			-ابن الأبار، التكملة للصلة، 691-690/2 -عبد الملك، الذيل والتكملة، سفر5، قسم37/1
مكي بن أيوب بن أحمد بن رشيق (أبو الحسن) ت نهاية القرن 6 ه/12م	كان إماما في القراءات		درّس وأخذ عنه ابنه	-ابن الأبار، التكملة للصلة، 736-735/2

علي بن أبي القاسم عبد الرحمن (أبو الحسن) ت نهاية القرن 6ه/12 م	كان حافظا جميل القدر جوادا			-ابن الزبير، صلة الصلة، 146
الحسن بن حجاج بن يوسف الهواري (أبو علي) ت 598 ه – 1201 م	كان بليغا فصيحا محصلا للفقه		ولي الخطبة باشبيلية سنة 580 ه – 1184 م	-ابن الأبار، التكملة للصلة، 271/1 -ابن القاضي، جذوة الإقتباس، 180/1
محمد بن علي بن يخلف بن حسون (أبو عبد الله) ت 606 ه – 1209 م				ابن الأبار، التكملة للصلة، 683/2
مروان بن عمار بن يحيى (أبو الحكم) ت 610 ه – 1213 م	كان من الأدباء النبهاء مشاركا في أبواب من العلم حسن الخط، جيد الضبط متمكنا من كتاب سيبويه والكثير من كتب العربية والآداب واللغة		-ولي قضاء المرية مدة -عمل كاتبا لبعض الأمراء باشبيلية بدار الإمارة	ابن الأبار، التكملة للصلة، 698/2
عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم (أبو محمد) ت 620 ه – 1223 م	كان وجيها فقيها صاحب ثروة وجدة		حدّث وسمع منه ببلنسية -ولي قضاءها	ابن الأبار، التكملة للصلة، 923/2
محمد بن إسماعيل المتيشي ت 625 ه – 1227 م	كان مليح الخط والضبط مشاركا في علم الحديث والرجال فاضلا زاهدا، يقول الشعر، كتب علما كثيرا وأخذ عنه الناس		خطب بمرسية	ابن الأبار، التكملة للصلة، 623/2

محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومي (أبو عبد الله) ت 625 ه – 1227 م	كان حميد السيرة مشاركا في الفقه وعلم الكلام معتنيا بالحديث وروايته، ينظم الشعر كان متصديا لإفادة العلم ذا صيت ونباهة	جمع من الدواوين شيئا عظيما له كتاب: -في غريب الموطأ وكتاب المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار في عشرين سفرا في نحو ثلاثة آلاف ورقة -كتاب الفيصل الجازم في فضيلة العلم والعالم -فرقان الفرقان وميزان القرآن -برنامج سماه: الإقناع في ترتيب السماع ذكر فيه من لقي ومن قرأ وسمع ومن أخذ عنه من أهل الأندلس والعدوة والمشرق	حدّث بالأندلس ودرّس وأخذ عنه الرعيني وأجاز له جميع ما يحمله وما ألّفه من نظم ونثر	ابن الأبار، التكملة للصلة، 623/2 -الرعيني، برنامج شيوخ، 169-170
محمد بن علي بن حماد بن عيسى الصنهاجي (أبو عبد الله) ت 628 ه – 1230 م	كان شاعرا كاتبا وله ديوان	-كتاب الإعلام بفوائد الأحكام وشرح مقصورة ابن دريد	ولي قضاء الجزيرة الخضراء مدة -درّس وأخذ عنه	ابن الأبار، التكملة للصلة، 327/2-328 -المقتضب من تحفة القادم،187

قراءة وتحليل في الجداول:

انطلاقا من الجدول رقم 01 يتبين أن أعلام المغرب الأوسط الذين دخلوا الأندلس للدراسة قد وفدوا من حواضر عدّة ومراكز علمية كبرى بالمغرب الأوسط كقلعة بني حماد وبجاية وتلمسان كما أنهم قصدوا الحواضر والمراكز العلمية الكبرى بالأندلس خلال القرنين 05-06ه/11-12م كقرطبة والمرية ومرسية، والتي كانت مراكز للإشعاع العلمي، وتتوفر على كوكبة من العلماء والمشايخ ممن كان لهم تمكنٌّ وضلوع في العديد من العلوم، ومن خلال ما تحصلت عليه من روايات ترجمية فعدد هؤلاء الأعلام خلال الفترة موضوع الدراسة حوالي 17 علم.

اعتمادا على الجدول رقم 02 يتضح بان هؤلاء الأعلام كانوا على درجات ومستويات علمية متفاوتة وبالتالي لم يكونوا طلبة علم فحسب بل مشايخ، كان دخولهم للأندلس في إطار الرحلات العلمية التي هي مزيد كمال في التعلم، ويمكن أن نميز بين مستويين:

-المستوى الأول:

ويضمّ الأعلام الذي تشير الروايات الترجمية إلى تمكنهم في عدد من العلوم زيادة على ما صنفوه من مؤلفات ونجد منهم 05 أعلام مبرزين وهم كالتالي مرتبين حسب تاريخ وفاتهم: عبد الله بن محمد (أبو محمد) ت 561ه/1165م من تلمسان كان متمكنا في علم القراءات واللغة والأدب والشعر وله مصنفات في تلك العلوم (حوالي 04 كتب) -محمد بن علي بن جعفر (أبو عبد الله) ت 567ه/1171م من قلعة بني حماد، كان مهتما بالفقه والأصول وله في ذلك (03 مصنفات) - إبراهيم بن يوسف بن أدهم (أبو إسحاق) ت 569ه/1173م من المسيلة، كان من الفقهاء والأدباء ومهتما بالحديث، وضع مصنفات في ذلك لم تشر الروايات إلى أسمائها -محمد بن عبد الحق بن سليمان (أبو عبد الله) ت 625ه/1227م من تلمسان، كان له مشاركة في العديد من العلوم كالفقه والحديث وعلم الكلام والشعر، وله عدد كبير من المصنفات والدواوين في تلك العلوم-محمد بن علي بن حماد (أبو عبد الله) ت 628ه/1230م، من بجاية، كان مهتما بالأدب والشعر والكتابة ووضع مصنفين في ذلك.

-المستوى الثاني:

ويضم 12 علم المتبقين الذين تشير الروايات الترجمية إلى تمكنهم في بعض العلوم، و لم تذكر أنهم قد خلفوا كتبا أو مصنفات.

وبناءا على قراءة في الجدول الأخير يلاحظ أن علماء المغرب الأوسط منهم من اختار نشر علومه ومعارفه ببقائه في الأندلس مع الأندلسيين، ومنهم من فضّل الرجوع والعودة ليحمل معه ما تلقاه من علوم ومعارف وينشرها بين أهل المغرب الأوسط، في حين اختار البعض الآخر الإقامة ببلاد المغرب أو المشرق حيث كان لهم دور أيضا في نقل العلوم والمعارف إلى هناك.

ومنه نستنتج بأن علماء المغرب الأوسط سواء كانوا طلبة علم أو أساتذة قد أفادوا بلاد الأندلس بما حملوه معهم من زاد في العلوم إضافة إلى ما صنفوه من مؤلفات بقيت الاستفادة منها عامة بعدهم من الطلبة الأندلسيين ومن كلّ من له رغبة في التبحر في العلم.

بعد أن تعرضنا في هذا الفصل إلى مظاهر العلاقات العلمية بين علماء المغرب الأوسط والأندلس يمكننا استخلاص النتائج التالية:

-إنّ تطور العلاقات العلمية بين الجانبين قد ساعد على تفعيلها عدّة عوامل منها تشجيع الحكام للعلم والعلماء، ووفرة المؤسسات العلمية، وكثرة الرحلات العلمية بحثا عن الشيوخ، وطلبا للإجازة، وزيادة كمال في التعلّم.

-إنّ تواجد العلماء الأندلسيين كان كبيرا بالمغرب الأوسط خلال الفترة موضوع الدراسة سواء الذين استقروا به ومارسوا التدريس أو وظائف أخرى، أو الذين مرّوا عليه في إطار رحلاتهم للحج إذا ما قورن ذلك بتواجد علماء المغرب الأوسط بالأندلس.

-نلاحظ أنّ هناك تنوع في المدارك العلمية للعلماء الأندلسيين المستقرين والمارين بالمغرب الأوسط، وتعدد اختصاصاتهم، واهتمامات العالم الواحد منهم (وبالتالي يغلب عليهم طابع العالم الموسوعة)، كما أسهموا في إدخال التراث العلمي الأندلسي من خلال مصنفاتهم.

-إقامة هؤلاء العلماء بالمغرب الأوسط بصفة دائمة أو مؤقتة أتاح الفرصة للكثير من طلبة العلم من أهل المغرب الأوسط وغيرهم للإفادة منهم.

-بالنسبة لتواجد علماء المغرب الأوسط بالأندلس كان محدود نسبيا خلال هاته الفترة وأكثرية من دخل منهم للأندلس كان للدراسة ولتحصيل العلم، والإفادة من شيوخه، واختار الكثير منهم العودة لنشر تلك العلوم ببلده، أو ببلدان المغرب الأخرى.

-استطاع علماء من المغرب الأوسط نشر مصنفاتهم العلمية، وتراث بلدهم بالأندلس، مع أنّ المصادر الترجمية لم تهتم بذكر تفاصيل كبيرة عن تلك المصنفات، ما أدى إلى ضياع جزء من التراث المغربي.

الفصل الرابع

العلاقات الأدبية والفنية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م

1-العلاقات الأدبية

أ-اللغة البربرية الأمازيغية

1-تداولها وانتشارها بالمغرب الأوسط

2-انتقالها إلى الأندلس

ب-الأمثال كتراث شعبي مشترك بين المغرب الأوسط والأندلس

1-الأمثال ذات الأصل البربري ويتمثل بها في الأندلس

2-الأمثال التي يتمثل بها في المغرب والأندلس

2-العلاقات الفنية

أ-فن الموسيقى والغناء

1-نشأة الغناء والموسيقى وتطورهما بالأندلس والمغرب حتى القرن 06ه/12م

2-انتقال الغناء والموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وتأثيرها

ب-فن العمارة والبناء

1-مظاهر الفن المعماري ومميزاته بالمغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06ه/11-12م

2-التأثيرات المتبادلة في الفن المعماري بين المغرب الأوسط والأندلس

1-العلاقات الأدبية:

أ-اللغـــة البربرية الأمازيغيـــة:

من المتعارف عليه أن أهل المغرب منذ القدم كانوا يتكلمون اللغة الأمازيغية، وسميت بذلك نسبة لهم أي لشعب الأمازيغ وهم البربر[1]؛ وقد وصف ابن خلدون من يتحدث بها بقوله: "الرطانة الأعجمية"[2]، وهي من موروثاتهم الحضارية التي لا تزال متداولة إلى اليوم على الرغم من انتشار العربية بعد مجيء العرب الفاتحين[3]، غير أن الأمازيغية في وقتنا الحالي قد انحصر محيطها في منطقة وبلاد القبائل على وجه الخصوص، ومع أن مجال دراسة اللغة يقتضي التطرق إليها ضمن الباب المتعلق بالعلوم، إلاّ أن إدراجنا لها في باب العلاقات الأدبية كان من منطلق النظر إليها كوسيلة للتعبير والتواصل الحضاري خلال العصر الوسيط بين أفراد مجتمع الغرب الإسلامي، سواءا كانت فئات شعبية أو عالمة.

والبحث في هذا يتطلب منّا تتبع ظهورها وانتشارها بشكل خاص في المغرب الأوسط والنظر ما إذا كانت قد انتقلت للأندلس وتأثّر بها الأندلسيون؟

1-تداولها وانتشارها بالمغرب الأوسط:

لقد قدّم أحد الباحثين دراسة حول هذا الموضوع، حيث ذهب إلى القول بأن اللغة الأمازيغية كانت سائدة بشكل كبير في البوادي والجبال بالمغرب أين تقطن أكبر كثافة سكانية، واستمرت سائدة داخل المنازل حتى مع انتشار العربية بعد مجيء المسلمين الفاتحين[4]، كما ذكر بأن المرأة استطاعت أن تحافظ عليها أكثر من الرجل بحكم قلّة اتصالها بالعالم الخارجي[5].

وإذا ما رجعنا إلى استقراء بعض النصوص لوجدنا فيها ما يدل على انتشار اللغة الأمازيغية وتداولها بين سكان بلاد المغرب منها محتوى نازلة وردت عند الونشريسي عن بعض السكان من أهل المغرب كانوا يستعملون الأمازيغية في العبادات وخلال أداء الصلاة، حيث سئل فيها عمن لا يعرف

---

(1) -الحسن الوزان، وصف إفريقيا، 57/1 -عبد المجيد مزيان، النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي، (دراسة فلسفية واجتماعية)، (ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988)، 252.

(2) -ابن خلدون، العبر، 116/6-117.

(3) -محمد حسن، الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، (مجلة المستقبل العربي، العدد 72، السنة 8، فبراير، 1985)، 63-78.

(4) -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، 61.

(5) -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

العربية، هل يجوز له الدعاء في صلاته بالبربرية أم لا؟ فأجاب بأن قال له: نعم، الله أعلم بكل لغة [1] وكذلك الحال مع المتصوفة حيث استعملها المتصوف الشهير أبو يعزى أثناء دعواته إلى الله، بل واحتاج في حواره مع أحد الفقهاء إلى مترجم باللسان العربي حتى يستوعب خطابه[2]، كما وقد نقل الغبريني في مصنفه نصًا أمازيغيا أثنى به هذا الأخير على قطب متصوفة الأندلسيين بتلمسان أبي مدين شعيب[3]، ممّا يوحي بأن أهل تلمسان كانوا يفهمونها ويتداولون الحديث بها، لأجل ذلك خاطب متصوفهم بمعانيها، وممّا لا شك فيه أن اللغة البربرية ظلت مستعملة في المغرب وبكثرة حتى على العهد الموحدي، ويكشف عن سيادتها المراكشي حين وصف طريقة تعبير نساء تينمل بجبال الأطلس المغربية والتي سلكنها لتأييد المهدي بن تومرت وهنّ يطلقن الزغاريد قال بأنّهن: «كن يهتفن باللسان الأمازيغي للتعبير عن صدق دعوة زعيمهم»[4]، وليس بعيدًا عن هذا نجد استعمال الأمازيغية في المجتمع المغربي من خلال أسماء الشخصيات، فالمهدي بن تومرت حين سئل عن سبب تسمية والده له بذلك، وما يحمله هذا الاسم من معنى فأجاب بأن أمه فرحت بولادته وخاطبته بالأمازيغي قائلة "ياك ياك تومرت" معنى: صار فرحًا وسرورًا، فغلب عليه الاسم منذئذٍ[5].

كما وأن استخدام الأمازيغية في المجتمع المغرب عموما لم تقف عند حدّ التلفظ بها فحسب أو بتسمية الأشخاص، بل تجاوزت ذلك إلى وضع مؤلفات وكتب كما هو الشأن مع مؤلفات ابن تومرت التي كانت تقرأ باللغة الأمازيغية[6].

---

[1] -الونشريسي، المعيار المعرب، 186/1.

[2] -التميمي، المستفاد في مناقب العبّاد، 33/2-36 -التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، 218.

[3] -الغبريني، عنوان الدراية، 56، وانظر نص آخر أورده ابن الزيات في سياق حديثه عن المتصوف أبي ملجوط الهزميري، ذكر أنّه قام وتكلم على المصامدة بلسانهم، راجع: التشوف إلى رجال التصوف، 401، ونص آخر شبيه لذلك عند التميمي، أنظر: المستفاد في مناقب العبّاد، 49/2 ترجمة 08.

[4] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 416.

[5] -البيدق، المقتبس من كتاب الأنساب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، (د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971)، 27 -عبد المجيد النجّار، المهدي بن تومرت، (ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983)، 35، كما وأنه بالرجوع إلى كتاب التشوف نجد ورود العديد من الأسماء الأمازيغية للأشخاص الذين ترجم لهم، أنظر مثلا: تراجم رقم 23، 101، 180، 213، 247.

[6] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 485 -ومن تلك المؤلفات التي وضعها ابن تومرت للمصامدة كتاب التوحيد باللغة الأمازيغية، وكتابي القواعد والإمامة اللذان دونها بالعربية والبربرية، وفي هذا الصدد يقول صاحب الحلل الموشية: "وألف كتاب سماه بالقواعد وآخر سماه بالإمامة، هما موجودان بأيدي الناس إلى هذا العهد ودوّنهما بالعربي والبربري، وكان أفصح الناس في اللسان العربي والبربري، ينقل بهما إليهم المواعظ والأمثال ويقرب لهم المقاصد، فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم"، راجع: مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 109-110، -إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، ص 134، هامش 04.

وقد كانت متداولة بين جميع أتباعه في كامل المغرب[1] بما في ذلك المناطق التي مرّ بها بالمغرب الأوسط كملالة وبجاية، مما يعني أن أهل المغرب الأوسط كانوا يفهمونها ويتكلمون ويقرؤون الكتب لها، إضافة إلى أن بعض المؤلفات العربية لم تخلو من ورود مجموعة من المصطلحات البربرية التي شاع استعمالها في الحياة اليومية عند أهل المغرب.

ويمكن أن نقف على كتاب البيدق كشاهد على ذلك، مثل قوله: «أسراك»، وهي كلمة بربرية تعني مربط الخيل، و "أيمين تكمي" التي تعني باب المترل وغيرها [2]؛ كما وقد أورد نصّا كاملاً بالأمازيغية عند حديثه عن الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي "541-558ه/1146-1162م"[3].

وبهذا يتبين أنّ اللغة الأمازيغية قد ظلت في العصر الوسيط تمثل بالمغرب الإسلامي لغة التواصل بين أفراد المجتمع، رغم وجود اللغة العربية خاصة وأن التقبل والاستيعاب لها كانا سائدين في أوساط المغاربة.

وأمّا عن إشكالية انتقالها للأندلس ومدى تأثيرها في لغة الأندلسيين، فذلك يتطلب تعمقا في دراسة النصوص المتوفرة للإجابة على ذلك.

2-انتقالها إلى الأندلس:

إن ممّا لا شك فيه هو أن الاحتكاك الذي حصل بين البربر الأمازيغ والأندلسيين بفعل الهجرة والاستقرار، قد فسح المجال لدخول المفردات الأمازيغية إلى لغة الأندلسيين خاصة في فترات التوحد السياسي التي دعّمت ووثقت هذا الجانب[4]، مما يجعلنا نخمن بأن تكون اللّغة الأمازيغية قد دخلت الأندلس عندما انتقلت موجات المهاجرين البربر المغاربة نحوها أين أصبحت متداولة بين بعض الأوساط الشعبية بل وحتى الرسميّة، ومع أن النصوص المتوفرة لا تسمح لنا بتأكيد ذلك إلاّ أن هناك إيحاءات ومؤشرات نصيّة يمكن أن نستشف منها ما يدل على ذلك، ففي إحدى الروايات التي ذكرها ابن عذارى في مصنفه والتي تعود إلى عهد الحكم المستنصر "350-366ه/961-977م"، أشار فيها هذا الأخير إلى أن الحكم قد استعان بمترجم للتفاهم مع مبعوث كان قد أرسله إليه أحد أمراء برغواطة

---

[1] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 274، 485 -ابن أبي زرع، روض القرطاس، 181.

[2] -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 181-182.

[3] -المصدر نفسه، 25 = النّص يقول فيه: «مازكغ وارنغ تقسيم نغ يوشك والذي كرا تغيدون يسلكمن» ويشير معناه بالعربية إلى لوم الخليفة المذكور لقبيلة هرغة المغربية لأنّها صنعت طعامًا بعد وفاة زعيمها ابن تومرت و لم تشركه في نصيبها، أنظر: إبراهيم القادري بوتشيش، حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة، ص 62، هامش رقم 07.

[4] -موريس لومبارد، الإسلام في مجده الأول، 146.

سنة "352هـــ-963م"[1]، ممّا يعني أن المبعوث كان يتكلم اللّغة البربرية وصعُب على الحكم التعامل معه مباشرة، فاستعان بمترجم يشرح له محتوى ومضمون الرسالة التي وفد بها ذلك المبعوث؛ ومثلها رواية أخرى تتعلق برسالة بعثها أمير اشبيلية المعتمد بن عبّاد ليوسف بن تاشفين من أجل دعوته لإنقاذ الأندلس من تحرشات المسيحيين وكانت مكتوبة باللّغة العربية، فاضطر أحد أفراد حاشيته أن يترجمها له باللسان البربري[2]، ومن المحتمل أن يكون الحاكم المرابطي قد ردّ عليه بالمثل فكما أن المعتمد بصفته حاكما للأندلس بعث رسالته بلغة أهل الأندلس وهي العربية، فمن الممكن أن يقابله يوسف باعتباره حاكم المغرب بلغة بلده وهي اللّسان البربري، وإن كنا لا نملك الدليل على ذلك.

وإلى جانب النصين السابقين هناك وثيقة توحي بأنّ اللّغة الأمازيغية البربرية قد دخلت الأندلس وانتشرت، وكانت متداولة هناك من طرف المغاربة وهي مذكرات الأمير الزيري عبد الله بن بلكين الصنهاجي أمير غرناطة[3]، إذ هو مؤلف وصفه الأستاذ إليفي بروفنسال بالوثيقة السيكولوجية، وأشار إلى تأثر أسلوبه بالعامية الأندلسية لكن من دون أن يمثل لمظاهر هذا التأثر [4] ويشير الأستاذ محمد بن شريفة إلى أن الكتاب على الرغم من أنّه قد صيغ باللّغة العربية إلاّ أنّه يشتمل على طائفة من الأمثال الأندلسية والبربرية التي كان يتمثل بها أهل المغرب والأندلس، وبعضها موجود بنفس الصياغة في مجموعة الزجالي القرطبي[5]، إلاّ أن المهم في هذه الأمثال هو ورودها في الكتاب على ألسنة بعض أمراء بني زيري وقادة الجند منهم، مما يدل على أن هؤلاء كانوا يتكلمون بالبربرية في الأندلس وبالتالي فقد تمثلوها باللّسان البربري، ممّا يعني أن الأمير عبد الله هو من قام بنقلها إلى العربية ويمكن أن نلمح أثر الترجمة فيها من خلال تركيبها واحتفاظها ببعض الكلمات البربرية[6].

---

(1) -ابن عذارى، البيان المغرب، 223/1.

(2) -الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 36/2-37.

(3) -المذكرات تحولت إلى تأليف تاريخي بعنوان كتاب: "التبيان في الحادثة الكائنة عن دولة بني زيري بغرناطة" لمؤلفه الأمير عبد الله بن بلكين الصنهاجي الذي تولى إمارة غرناطة بعد جده باديس بن حبوس" 467-483ه/1074-1090م"وبقي فيها حتى خلع ونفي إلى مدينة أغمات بالمغرب وهناك ألف كتابه،نشره المستشرق الفرنسي إليفي بروفنسال بالقاهرة سنة 1955،وهناك دراسة أنجزها حوله الدكتور محمد بن عبود في كتابه: جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس هجري،ص 151-161،وهامش رقم 21،ص 93.

(4) -أنظر مقدمة كتاب التبيان، 08.

(5) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال في المغرب والأندلس، 74/1.

(6) -محتوى المثل يقول:«من ثور حي لا يلبس هراكس»،رواه الزجالي بالصيغة التالية:«جلدان حي ما تُعمل من هراكس»وقد أشرنا إلى معنى كلمة:"هراكس"عند تناولنا لموضوع اللباس في المغرب والأندلس،راجع محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال،74/1.

كما أورد مثلين آخرين صاغهما باللّغة العربية ورواهما على لسان جده، يقول عنهما الأستاذ محمد بن شريفة معلقا: "...وهذان المثلان ونحوهما من أمثال القياس والتشبيه من المرويّ بالمعنى ونحسب أن المذكورين تمثلا بهما بلغتهما وربما كانا مثلين بربريين"[1]، وعليه يتبين أن هؤلاء القادة كانوا يستخدمون أمثالا انحدرت إليهم من تراث أسلافهم وتجاربهم، ومن هنا رأيناهم يضربون الأمثال الشعبيّة في المواقف التي كانت تعترضهم معبرين عنها بلغتهم البربرية ولسانهم العجمي، ممّا يعني أنّهم كانوا يتداولونها كلغة خطاب مع غيرهم في الأندلس، وهذا ما يوحي بأن البربرية قد انتقلت معهم للأندلس وكانت مستعملة ليس فقط في الأوساط الرسميّة من خلال خطابات هؤلاء الأمراء وقادة الجند، بل في أوساط العامّة كذلك من خلال تداول تلك الأمثال كتراث شعبي بين الناس وإعادة روايتها بنفس الصياغة التي قيلت بها أي اللسان البربري.

كما أن هناك دليلا آخر يجعلنا نتثبت من أنّ اللغة الأمازيغية قد انتقلت للأندلس وذلك عندما نتصفح في الأزجال الأندلسية التي دخلتها المفردات البربرية، ويمكن أن نسوق في هذا الصدد ديوان ابن قزمان في الزجل كمثال حيّ على ذلك[2].

وإذا كان المغاربة عموما قد تمكنوا من إدخال لغتهم للأندلس من خلال تداولهم الحديث بها هناك، فإن ذلك يطرح إشكالية أخرى مفادها ما إن كانوا هم الآخرين قد تأثروا بلغة أهل الأندلس؟

والظاهر أن الاحتكاك بين سكان البلدين قد أتاح الفرصة للمغاربة خاصة بأن يتعرفوا على لغة الأندلسيين المسماة بـــ "اللاطينية"[3]، إذ كانت من الشيوع بين الأندلسيين أن صار يتعجب من الذي لا يجيد الكلام بها وشمل ذلك حتى العرب والبربر المقيمين هناك، إذ يبدوا أن الكثيرين منهم كانوا يجيدونها حتى أن ابن حزم قد تعجب في كتابه "جمهرة أنساب العرب" من أحد القبائل العربية التي كانت تقطن الأندلس خلال القرن 05هـــ/11م ولا تتكلم بها في قوله: «...وهم هنالك إلى اليوم على أنسابهم ولا يحسنون الكلام باللاطينية، لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم... »[4]، وكلام ابن حزم عنهم يمثل دليلاً على ندرة من كانوا يجهلون اللغة اللاطينية بالأندلس، ويعني بها اللاتينية الدارجة.

---

[1] -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 74/1.

[2] -راجع ديوان الزجل، 137، 162، 292، 464، 522.

[3] -للتفصيل عن مصطلح اللاطينية، أنظر: محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي، 236.

[4] -ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 433.

وبذلك نستنتج أنّ الاحتكاك الذي حصل بين الأندلسيين وأهل المغرب عموما بما في ذلك أهل المغرب الأوسط قد فتح المجال أمام الجانبين للتعرف على لغة الآخر، والتواصل معه بها مما سهّل عملية التأثير والتأثر الحضاري بينهما في مختلف المجالات.

ب-الأمثال كتراث شعبي مشترك بين المغرب الأوسط والأندلس:

تعد الأمثال الشعبية مصدرًا لا يُستهان به في دراسة المجتمع، وهي وثيقة تصوّر طبيعته وتعبر عن آراء الناس وتجاربهم، واتجاهاتهم فيه كما أنها تحوي مادة إخبارية هامة[1].

فإذا نظرنا في مصادر أمثال العامّة بالمغرب والأندلس من أين نبعت وكيف ظهرت؛ لوجدنا أنّها عملية دقيقة متشعبة تتطلب بحثا، وتقتضي أشكالا من المقارنة لأنّ مصادر هذه الأمثال متعددة ويستحيل نسبتها لقائليها، إذ أن منها ما هو نابع عن البيئة المحلية ومنها ما ورد عليها من بيئات أخرى، وعلى فرض أن هاته الأمثال قد انتقلت فلسنا ندري متى ولا كيف؟ وإن كان العلماء قد قاموا برصد المؤلفات المنتقِلة بين البلدين ووضحوا تاريخ دخولها، فإنّ مثل هذا بالنسبة للأمثال لم يكن إليه سبيل، ومع ذلك فإن الواقع يؤكد بأن الأمثال كانت عملة متداولة عند كل من المغاربة والأندلسيين يتم تداولها بالرواية الشفوية، ممّا يدفعنا للإستفسار ما إذا كان لأهل المغرب الأوسط أمثالهم الخاصة وكذلك أهل الأندلس؟ وهل وقع تأثير وتأثر بين الطرفين في هذا الجانب؟ ثم ما هي المواضيع التي عالجتها تلك الأمثال ومسّت المجتمعين معًا؟

1-الأمثال ذات الأصل البربري ويتمثل بها في الأندلس:

من خلال قراءة وتصفح في بعض المصادر يمكن أن نستدل على وجود مظاهر التأثير المشتركة التي تبيّن انتقال الأمثال كتراث شعبي متداول بين أهل الأندلس والمغاربة بشكل عام بما فيهم أهل المغرب الأوسط على وجه خاص، ومن المصادر التي تكشف عن ذلك نجد كتاب: «التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة» كعيّنة عن المؤلفات التي تحوي أمثالا أندلسية، استوحاها صاحبها من البيئة التي عاش فيها، وأخرى معرّبة نقلها معه من موطنه الأصلي المغرب وبلغته وتأثر في صياغاتها بأسلوب العامية الأندلسية[2] التي يبدوا أنّه قد اعتاد عليها كلهجة تداول بالأندلس نتيجة إقامته الطويلة فيها، ومن نماذج الأمثال التي يتضح أنّها في أصلها بربرية كانت قد تسربت للأندلس، وورد ذكرها في مؤلفه نجد المثل الذي أشرنا له سابقا في معرض الحديث عن الألبسة والقائل: «من

---

[1] -الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري)، مجمع الأمثال، (د ط، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، 1961)، ج 1 مقدمة الكتاب.

[2] -سبق وتحدثنا عن أهمية هذا المصنف ومدى قيمته في احتفاظه بالمصطلحات البربرية الأمازيغية.

ثور حي لا يلبس هراكس»، وقد بدر على لسان جده وهو يخاطب أحد وزرائه في الدولة الزيرية بالأندلس[1]، إذ أشار أحد الباحثين إلى أن هذا المثل يحتفظ في تركيبه ببعض الكلمات البربرية ككلمة هراكس التي ما تزال مسموعة في المغرب وتعني نعال، مما يدل على أن المثل قد تُمُثِّل به باللسان البربري، ثم ترجمه الأمير عبد الله وصاغه إلى العربية [2]، وقد رواه الزجالي فيما بعد بالصيغة التالية: «جلدان حي ما تعمل من هراكس» [3].

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن المثل في أصله كان متداولا بالمغرب بين البربر ثم انتقل إلى الأندلس فتغير في شكل صياغته إلاّ أنّه احتفظ بنفس معناه، وهو من تأثير المغاربة على الأندلسيين في هذا النوع من التراث الشعبي، ومن قبيله أيضا ما ذكره الأمير عبد الله على لسان أحد قادة الدولة الزيرية، إذ يقول عن قبيلته صنهاجة: «إن صنهاجة عندي مثل الأسنان في الفم، إن عدمت منهم واحدا لا تخلفه أبدًا» [4]، وما رواه على لسان جده المظفر قوله: «مثلي ومثل ابن صمادح، كمثل القُبعة التي كانت بإزائها عش إوّزة فأعجبها بيضها، فقالت: لأحضنن هذا البيض يكون خيرًا فلما رامت ذلك عجزت، وقصرت جناحها عن التحضين، فلما رجعت إلى متاعها وجدتها قد فسدت»[5]، وعلّق الأستاذ محمد بن شريفة على هذين المثلين قائلا: «فهذان المثلان ونحوهما من أمثال القياس والتشبيه من المرويّ بالمعنى، ونحسب أن المذكورين تمثلا بهما بلغتهما، وربما كانا مثلين بربريّن» [6]، وعليه فإن ذكر هذه الأمثال يُرينا جانبا آخر لحياة هؤلاء القادة المغاربة البربر بالأندلس وكيف أنهم كانوا يصدرون أحكامًا في المواقف التي تواجههم إعتمادًا على الاستشهاد بأمثال انحدرت من تراث أسلافهم وتجاربهم بلغتهم البربرية، وهو دليل على محافظتهم على

---

(1) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 61.

(2) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 75/1.

(3) -الزجالي (أبو يحي عبد الله بن أحمد)، أمثال العوام في الأندلس، دراسة محمد بن شريفة، (د ط، فاس: مطبعة محمد الخامس، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، 1975)، 29/2 = ويقول الأستاذ محمد بن شريفة معلقًا على أمثال الزجالي: «إن الطابع الأندلسي غالب عليها وبارز فيها من حيث الشكل والمضمون لأنّه اعتمد في تدوينها على السماع والتقاطها من أفواه الناس يؤكد ذلك قوله: (هذا أرشدك الله كتاب أُلتُقط من أفواه الشطار والعيارين، وجمع من مجالس المغنين والمضحكين وحصل في أثناء البرابط والمزاهير،... وهو كلمات لقفتها من أفواه العوام، وثقفتها من مشاجرات الرعاع والضغام...) »، راجع، تاريخ الأمثال والأزجال، 104-106.

(4) -عبد الله بن بلكين، كتاب التبيان، 62.

(5) -المصدر نفسه، 55-56.

(6) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 75/1.

أصالتهم برغم تأثير الحضارة الأندلسية فيهم ورقيّها، زيادة على ذلك أنّه لولا استخدامهم لتلك المصطلحات الشعبية لما أمكن نسبة أصول ثقافتهم الشعبية إليهم، ولما أمكن الوقوف على مظاهر التأثير التي تكشف أوجه التوافق والاختلاف بين الحضارتين، وإذا تتبعنا المؤلف فإن محتواه في هذا المجال غزير، والأمثال المذكورة فيه تختلف أصولها منها ما هو عربي وما هو بربري وآخر مولد، ومنها ما هو أندلسي صميم ولكن جميعها يعتبر ممّا تتمثل به العامّة في الأندلس في المواقف المختلفة [(1)]، ومن جملة ما أثبته منها من أمثال قولهم: «لا تترك حاضرًا لغائب»، «ما حك جلدك مثل ظفرك» «لا إحمار سقط والزّق انخرق»[(2)] وغيرها كثير، وإن كان الأمر الوحيد الذي يؤاخذ عليه في هذه الأمثال أنّه لم يعن بشرحها وأوردها مرسلة وبدون تفسير ولا إشارة إلى مضرب أو أمر يتعلق بها ممّا يصعب علينا التفريق في نسبتها أو تحديد سبب الاستشهاد بها[(3)].

ومن المصادر الأخرى التي تقف كدليل يوحي بانتقال الأمثال المغربية كتراث شعبي إلى الأندلس ما نجده عند الجغرافي البكري " 487هـ/1094م" في كتابه "المسالك والممالك"، حيث عمل هذا الأخير على تدوين الأمثال ذات الطابع الإقليمي على حد قول الأستاذ محمد بن شريفة، وبما أن الكتاب لم يصل كاملاً فإن الأمثال التي عُثر عليها عنده هي المبثوثة في كتابه "المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"[(4)].

وبالرغم من أن هذه الأمثال تتصل بأماكن في إفريقية والمغرب، فيبدوا أنه كان يتمثل بها في الأندلس أيضا بدليل رواية البكري لها وهو أندلسي زيادة على أن بعضها وارد في مجموعة الزجالي[(5)]؛ ومن مجموع ما ورد في تلك الأمثال ما تعلق بالمغرب الأوسط كقولهم: «بيطام بيت

---

(1) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 77/1.

(2) -أنظر حول هذه الأمثال وغيرها كتاب التبيان، 03، 24، 31، 99، 129، 195.

(3) -يذهب الأستاذ محمد بن شريفة إلى نفس الحكم على أمثال الزجالي الذي لم يهتم هو الآخر بشرحها وعلل سبب ذلك بأنّه لم يكن الوحيد في هذا الباب، فكثير ممن كتبوا في الأمثال أهملوا هذا الجانب، ويرجع ذلك إلى أنّهم كانوا يعتبرونها مفهومة عند أهل عصرهم ومعروفة لديهم، راجع تاريخ الأمثال والأزجال، 108/1.

(4) -المرجع نفسه، 72/1.

(5) -المرجع نفسه، نفس الصفحة.

الطعام»[1] و«إذا جئت أجرّ فعجرّ، فإنّه فيه أسدًا يفرى، وحجرًا يبرى وريحًا تذرى »[2]، وأيضا «طعنة بمزراق خير من شربة من بير أزراق»[3].

2-الأمثال المشتركة التي يتمثـــل بها في المغرب والأندلس:

إنّ الدراسة التي أنجزها الدكتور محمد بن شريفة عن تاريخ الأمثال والأزجال، هي أهم ما قدم في إطار البحث التاريخي المتعلق بالأمثال الشعبية، وقد أمكنه من خلالها الوصول إلى رصد عدد لا يستهان به من الأمثال المتداولة والتي عدّها من التراث المشترك أي بمعنى أنها كانت معروفة ومتداولة عند أهل المغرب والأندلس على حد سواء، والتي يمكن أن نجد منها ما هو مازال معروفا ومتداولا في بلادنا إلى غاية اليوم، من ذلك الأمثال المرتبطة بأحداث تاريخية لها صلة بالطرفين المغربي والأندلسي من ذلك قولهم: «رعي الجمال خير من رعي الخنازير»[4]، وذكر الأستاذ بن شريفة أن أصل هذا المثل كان جوابا للمعتمد بن عباد لّما حذره ملوك الطوائف من استقدام يوسف بن تاشفين والمرابطين للأندلس كما تمثلوا بوقعة الزلاقة المشهورة، وجاء في البيان المغرب ما يتعلق بذكرها في قول ابن عذارى: «وكان النّاس يضربون الأمثال بوقعة الزلاقة ويعظمونها ولا يذكرون غيرها»[5].

وهناك أيضا الأمثال المرتبطة بالأحداث الاجتماعية التي مرّ بها أفراد المجتمع في ظروف ما كقولهم: «إِذَا رَايْتَ بِالغُدو خَلِّ، دُوَابّك يَرْقدُ، وإذا رِيتْ بالعَشِيّ سِيِّر دُوَابك للمَشِي» [6]، وهذا المثل وغيره يقال من طرف العامة في المغرب وفي الأندلس على سبيل التنبؤ بالأحوال الجويّة وهو حصيلة خبرتهم بأحوال البيئة التي يعيشون فيها ويتأقلمون مع ظواهرها، ونجد مثله في بلدان المغرب عموما والمغرب الأوسط خاصة بصيغ متشابهة[7]؛ إضافة إلى أمثال أخرى عديدة كانت متداولة عند

---

(1) -البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 51 =وذكر أن بيطام هذا هو نهر بمدينة طبنة التاريخية في الجزائر.

(2) -المصدر نفسه، 54 =وأجرّ: موضع يقع على الطريق من القيروان إلى بونة كثير الحجارة، دائم الريح العاصفة.

(3) -الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 247/2 —البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، 60 =بئر أزراق: هي بئر وبيئة الماء بإزاء مدينة مرسى الخرز.

(4) -ورد هذا المثل وقصد به القول: لأن أكون أسيرًا عند بن تاشفين أرعى جماله خير من أن أكون أسيرًا لدى ملك قشتالة أرعى خنازيرهُ، أنظر: ابن بسام: الذخيرة، مج 2، ج228/1 -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 115/7.

(5) -ابن عذارى، البيان المغرب، (قسم الموحدين)، 196.

(6) -الزجالي، كتاب أمثال العوام في الأندلس، 18/2 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 162/1.

(7) -ابن محرز الوهراني (محمد بن محمد)، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تقديم عبد العزيز الأهواني، الجزائر: وزارة الثقافة، 2007، 126، 135، 209، 214، 220.

كل من الأندلسيين والمغاربة على حد سواء[1]، وأغلبها يصور مختلف المظاهر المتعلقة بالمجتمع دون وجود دليل واضح يثبت من أين منشأها الأصلي، هل تعود لأهل المغرب أو الأندلس؟

كما أن هناك أمثالا صاغها أهل الأندلس عن البربر، يمكن أن نفهم من خلالها وجود سوء تفاهم بينهما ولعلّ ذلك ارتبط بالظروف التي حصل فيها الصراع بين الجانبين أثناء الفتنة التي أطلق عليها أهل الأندلس "الفتنة البربرية"[2]، وهو ما جعلهم يعبّرون عن بغضهم بأشكال عدّة كان من بينها صياغة أمثال، وسياقتها كوسيلة للتعبير عمّا كان يجول في خواطرهم نحو سكان العدوة عمومًا بما فيهم أهل المغرب الأوسط، وقد أحصى الدكتور محمد بن شريفة في بحثه في مجال الأمثال عددا منها فيما ذُكر عن البربر والبربري وأشار إلى أن استعمال الأندلسيين للكلمتين لم يخلو من معنى التحقير، من ذلك قولهم: «البَرْبري والفَارْ لا تَعْلَمِلْهَم بَابْ الدَّار» [3]، ومنه: «أعْطِي للبَرْبَري شِبْر طِلْبْ ذَرَاع» ثم زادوا فيه فقالوا: «أعْطِي للبَرْبري شِبْر طِلْبْ أَذْرَاع وَأعْطِيه ذَرَاع طِلَبْ مْري فَاشْ يَتْمِتَاع»[4]، وهي في مجملها تعبير عن ضيق الأندلسيين بالبربر، ويرى نفس الباحث أن أغلب الظن عن هذه الأمثال أنّها قيلت في أولئك الذين يفدون للأندلس من أهل المغرب للغزو والجهاد [5]، كما أنّهم صاغوا بعض الأمثال بصيغ بربرية وهي ما تزال شائعة في المغرب كقولهم في نقد البربر وتهاونهم عن الحراسة «بِيْدَم أَتْمَقْ حُسَى التِّرّاسْ من أُخِذَ الحِصْن»، كما سخروا في بعض أمثالهم من الفحامين والبائتين الذين يعملون بالليل لحراسة الدروب وأشباههم فقالوا: «وَاشْبي بَنْ عَبُّو الفَّحَامْ الذي كَانَ يَنْجِّمْ الفَحْم بالوَرْد»[6]، وهي تدل على أنهم قد تأثروا باللهجة البربرية وصاغوا أمثالا بها، واعتبرها الأستاذ بن شريفة مما قيل في البربر، وعلّل ذلك بأن الأسماء التي استخدمت فيها بربرية، زيادة على أن

---

[1] -أنظر عن تلك الأمثال الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 370/2، 399/2 -402/2 — 464/2 -محمد بن شريفة، 121/1-122 =من ذلك قولهم على سبيل المثال: «خذ الدنيا من يد من شبع ثم جاع وما تاخذها من يد من جاع ثم أشبع»، وهي مازالت متداولة بمدن القطر الجزائري إلى اليوم، وأمثال أخرى مبثوثة في ديوان ابن قزمان، والتي وظفها في أزجاله واستخدم فيها المصطلحات العامية، أنظر مثل رقم 87، ص 190.

[2] -لقد سبق وتطرقنا إلى الحديث عن الفتنة وتأثيرها الاجتماعي بين البربر والأندلسيين، راجع العنصر الخاص بالانصهار والتمازج الاجتماعي من هذا البحث.

[3] -الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 45/2 -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 245/1، 248.

[4] -الزجال، أمثال العوام في الأندلس، 375/2 -سامية مصطفى مسعد، صور من المجتمع الأندلسي "رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية"، (ط1، مصر: نشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998)، 20.

[5] -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 248/1.

[6] -الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، 111/2 وقد فسر الأستاذ محمد بن شريفة معناه: لم يكد حسين الرجل يلبس خفافه ويأخذ عدته حتى كان الحصن قد أخذه العدو، أنظر: تاريخ الأمثال والأزجال، 252/1، مثل رقم 492 و 493.

خدمة الفحم وحراسة الدروب ممّا عُرف به البربر في الأندلس من جهة أخرى، وأشار نفس الباحث إلى أنه لم يرد في أمثال الأندلسيين مدح للبربر إلاّ مثل واحد فقط وهو قولهم: «ما حُرٌّ إلاّ زِنَاتِي ولا نْرَى إلاّ مِكْلاَتِي»، وقد سيق هذا المثل لّما اشتهر الزناتيون في الأندلس بالفروسية وكانت لهم فيها طريقة خاصة أخذها عنهم الأندلسيون[1].

2-العلاقـــات الفـــنـيـــة:

يعد الفن شكلا من أشكال التعبير الجمالي عن المدركات والعواطف، ونقل المعاني إلى الآخرين مع أن نوع التعبير وأسلوب النقل يختلفان من ثقافة إلى أخرى؛ حيث يعكس الفن التغيرات الجمالية من قيم جماعة متخصصة من الفنانين عن طريق أداء عمل معين تندمج فيه المهارة والخبرة [2] وتعدّ الموسيقى والغناء والعمارة والبناء شكلا من ذلك.

أ-فـــن الموسيقى والغنـــاء:

الموسيقى في صميمها هي لغة خاصة يؤلفها الملحن بشعوره وعقله، وينصت إليها السامع فتثير في نفسه أحاسيس تنفذ بجمالها إلى داخله الوجداني، وقد وصفها أحد المهتمين بهذا المجال فقال عنها: «هي الصناعة التي هي مراد السمع، ومرتع النفس، وربيع القلب، ومجال الهوى، ومسلات الكئيب، وأنس الوحيد، وزاد الراكب» [3]؛ وهي ترتيب وتعاقب الأصوات المختلفة في الدرجة المؤتلفة المتناسبة، بحيث تتركب منها ألحان تستسيغها الأذن انطلاقا من أنّها مبنيّة على موازين موسيقية مختلفة[4].

أما الغناء فهو تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع كل صوت منها عند قطعه فيكون نغمة ثم تولف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات[5].

---

(1) -محمد بن شريفة، تاريخ الأمثال والأزجال، 251/1.

(2) -محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، 27.

(3) -فوزي حسين، الموسيقى السمفونية، (د ط، القاهرة: دار المعارف، د ت)، 16-17.

(4) -سليم الحلو، الموسيقى الشرقية، (ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة، د ت)، 13-15.

(5) -ابن خلدون، المقدمة، فصل عن صناعة الغناء، 314-317 -شعبان عبد الغني، الموسيقى العربية وموقعها من الموسيقى العالمية، (الكويت: مجلة عالم الفكر، مجلد 06، عدد01، أفريل، ماي، 1975)، 25.

وبذلك فالموسيقى والغناء وجهان لعملة واحدة، إذ هما وسيلة للطرب والترويح عن النفس ويمكن بواسطتهما التعرف على الكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية، وأنماط السلوك والعادات والقيم السائدة في المجتمعات، وبالتالي نستجلي ملامح بناء المجتمع وتطوره الحضاري(1).

ومع ذلك فإن الباحث في مجال الموسيقى والغناء يجد من الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الفن ما لا عدّ له ولا حصر، أما الفترة الوسيطة فإن الدراسات فيها تكاد تكون مغيبة تماما، مما يطرح صعوبة أمام الباحث خاصة من يسعى للتعرف على نشأة هذا الفن وتطوره ببلاد المغرب الأوسط والأندلس(2)، حيث يجد نفسه أمام إشكالات عديدة تطرح في هذا الصدد منها: كيف نشأ هذا الفن وتطور ببلاد الأندلس والمغرب عموما والأوسط بشكل خاص؟ ما هي الحضارة التي تفوقت ونبغ أهلها فيه؟ وهل وقع اتصال وتبادل بين الأندلسيين والمغاربة في هذا الفن؟ وفيما تجلى أثره وإلى أي حدّ بلغ مستوى التأثير والتأثر بينهما في ذلك؟

كل هذا وغيره سنحاول الكشف عنه انطلاقا مما يأتي:

1-نشأة الموسيقى والغناء وتطورهما بالأندلس والمغرب حتى القرن 06 ه/ 12 م:

إذا بحثنا في التاريخ الفني بتمعن لوجدنا أن أهل الأندلس والمغرب قد أظهروا اهتمامًا بالغناء منذ القدم، حيث يُصوّر لنا أحد المهتمين بتتبع شؤون الموسيقى والغناء حالة بدايته خصوصا بالأندلس، وهو أحمد التيفاشي ت "651هـ-1253م"، في كتابه: «متعة الأسماع في علم السماع» فقال: «...كان غناء أهل الأندلس في القديم إمّا بطريقة النصارى وإمّا بطريقة العرب، و لم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه إلى أن تأثلت الدولة الأموية، وكانت مدة حكم الربضي فوفد عليه من المشرق ومن افريقية من يحسن غناء تلاحين المدينة فأخذ الناس عنهم»(3).

ونستشف من هذا أن الغناء الذي كان منتشرًا في الأندلس قديما هو على نوعين غناء النصارى وغناء العرب وألحانهم التي حملها معهم المسلمون الفاتحون للأندلس، ولعله أيضا نفس الغناء

(1) -عباس الجراري، أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس، (منشور ضمن كتاب التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية)، 141.

(2) -من تلك الدراسات أنظر: أحمد سفطي، دراسات في الموسيقى الأندلسية الجزائرية، (د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988) -عبد الحميد بلعلجية وجلول عزونة، الموسيقى الأندلسية والإضافة التونسية، (مجلة دراسات أندلسية، العدد 12، 1994).

(3) -الكتاب في الحقيقة هو جزء من كتابه: «فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب»، وهو مخطوط بالمكتبة العاشورية في تونس وقد نشر منه فصلتين خاصتين بالغناء في الأندلس محمد بن تاويت الطبخي، في بحث بعنوان: الموسيقى والغناء في الأندلس، (بيروت: مجلة الأبحاث، مجلد 21، عدد 02، ديسمبر 1968)، 114-115. أنخل جونزالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د ت)، 02.

الذي كان منتشرا بالمغرب، وأنّ هذا الفن أخذ يتطور في ظل حكم الأمويين وذلك بفضل اتصالهم الحضاري بالمشرق حين فتحوا الباب أمام انتقال معارف الموسيقى الشرقية نحو المغرب والأندلس عن طريق توريد الجواري والقيان لما اشتهروا به من جودة الغناء [1]، وبفضل هؤلاء الجواري انتشرت الأغاني والألحان العربية المشرقية ببلاد المغرب والأندلس[2]؛ ويشير صاحب النفح إلى بعض تلك الأسماء بقوله: «...ودخل الأندلس من المغنين علوان، ورزقون، أيام الحكم بن هشام، فنفقا عليه وكان محسنين...»[3].

أما التطور التاريخي الحقيقي لفن الموسيقى بالأندلس والمغرب هو الذي يبدأ مع وفود المغني زرياب "Ziryabe" الذي أحدث نهضة موسيقية[4]، علّق التيفاشي عليها قائلا: «وفد الإمام المقدم في هذا الشأن علي بن نافع الملقب بزرياب غلام إسحاق الموصلي على عبد الرحمن الأوسط، فجاء بما لم تعهده الأسماع، واتخذت طريقته مسلكا وسنن غيرها»[5]؛ وكان قبل دخوله الأندلس واستقراره بقرطبة قد نزل سبتة، ومنها عبر مضيق جبل طارق وصولا إلى الجزيرة الخضراء[6]؛ وهذا يجعلنا نخمن بأنه قد نشر شيئا من فنّه وموسيقاه في بلاد المغرب أثناء إقامته القصيرة بها، ممّا يعني أن أهل المغرب قد أتيحت لهم الفرصة قبل الأندلسيين في لقائه والتعرف على الأغاني والألحان العربية والمشرقية التي كان يحملها في جعبته، والاحتمال الأكبر هو أنّها قد انتشرت في الأوساط الشعبية المغاربية في تلك الفترة وتداولها الناس، وإن كانت المصادر المغربية والأندلسية التي أرخت لهذا الحدث قد أحجمت عن الحديث في ذلك.

---

[1] –أنخل جونزالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د ت)، 02 –أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، 154–167.

[2] –إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، 53.

[3] –المقري، نفح الطيب، 130/3.

[4] –زرياب: هو لقب أصبح يطلق على المغني أبو الحسن علي بن نافع، واختلفت الآراء حول هذا اللقب إذ منهم من ذهب إلى القول بأنّه شبه طائر أسود حسن التغريد اسمه الشحرور، في حين ذهب آخرون إلى أن لفظة زرياب فارسية تعني الذهب الخالص، للتفصيل أكثر أنظر: جونزالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، 52–53.

[5] –محمد بن تاويت، الموسيقى والغناء في الأندلس، 114.

[6] –حول دخول زرياب الأندلس ومخاطبة الحكم بن هشام له، وانتقاله من سبتة عبر مضيق جبل طارق إلى الجزيرة الخضراء، واستقبال عبد الرحمن له أنظر: المقري نفح الطيب، 124/3.

ومن مظاهر التجديد التي أحدثها زرياب هو ابتكاره لأسلوب في تعليم الغناء وتدريس الألحان[1]، خاصة وأنّه كان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة غنائية بألحانها وهو لم يتجاوز بعد الأربعة والثلاثين سنة من عمره[2]، كما ظهر تأثيره من خلال تكوينه لعدد من القيان ممّن برعوا في هذا الفنّ وعملوا على نشره، وتبعهم على خطى ذلك الكثير من الأندلسيين والمغاربة [3]، ويبدو أن تأثير موسيقاه كان أكبر بالأندلس، إذ انتشرت في قرطبة وطليلة واشبيلية وغيرها، أين أسست بها مدارس لتعليم الموسيقى وتكوين المغنين المنشدين[4]، يشرف عليها معلمون ويظهر ذلك فيما ذكره محمد بن الحسن المنجي المعروف بابن الكتاني ت " 421هـ-1030م" الذي كان مشتغلا بسوق القيان مشرفا على تعليمهن، بقوله متحدثا: «وفي ملكي الآن أربع روميات، كنّ بالأمس جاهلات، وهنّ الآن عالمات حكيمات، ومنطقيات... موسيقاويات...»[5].

هذا وإن ما أعطى دفعا أكبر لرواج الموسيقى وتطورها خاصة بالأندلس، هو شغف الأمراء هناك بالغناء على عصر ملوك الطوائف من خلال مجالس اللهو، التي كانت تقام في قصورهم وبلاطاتهم تصاحبها مجالس الأدب والشعر[6]، وقد تصدرت مدينة اشبيلية ذلك إذ كانت مركز هذه الصناعة حتى أطلق عليها اسم "عروس الأندلس"[7]؛ ويمكن أن نشهد على ذلك من خلال ما قاله ابن رشد في مناظرة له مع ابن زهر: وما أدري ما تقول غير أنّه إذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإذا مات مطرب بقرطبة فأريد بيع كتبه حملت إلى اشبيلية [8]

(1) -وضع طريقة جديدة، تمر بمراحل حيث يتم تعليم الإيقاع أولا، ثم دراسة اللحن ومراجعته مسموعًا بما رُصّع به من حليته، مع إظهار العواطف متفاعلة مع المعنى في أدائه اللحني، وزاد في أوتار العود وترًا خامسًا متوسطًا سماه: "النفس"، أنظر حول ذلك: المقري، نفح الطيب، 3/125-128 -الخولي سمحة، الإرتجال وتقاليده في الموسيقى العربية، (الكويت: مجلة عالم الفكر، مجلد 6، عدد 1، أبريل، 1975)، 126.

(2) -إليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقاق قرقوط، (د ط، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، د ت)، 49.

(3) -يظهر اهتمام الأندلسيين بالغناء ومشاركتهم في صنعه من خلال مجموع التآليف والمصنفات التي وضعت في هذا الشأن، والتي للأسف ضاع أكثرها و لم يصلنا منها شيء سوى صدى تردد أخبارها في بعض المصادر للتفصيل أنظر: الحميدي، جذوة المقتبس، 1/267 -مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، 87.

(4) -عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية مظهر من مظاهر التسامح في المجتمع الأندلسي، (ط1، الدار البيضاء: دورية الحضارة الإسلامية في الأندلس، 2003)، 244.

(5) -ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج3، ج1/320.

(6) -المقري، نفح الطيب، 3/671 -عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 156.

(7) -المقري، نفح الطيب، 1/208، -عبد الرحمن حجّي، تاريخ الموسيقى الأندلسية، (ط1، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1969)، 41-42.

(8) -المقري، نفح الطيب، 2/556.

كما أشار التيفاشي إلى دور المدينة في تكوين المغنيات بقوله: «وبها عجائز محسنات يُعلِّمن الغِناء لجواري مملوكات لهُنَّ ومستأجرات فيها مولدات، ويشترين من اشبيلية تباع الجارية منهن بألف دينار مغربية وأكثر من ذلك وأقل على غنائها لا وجهها، ولا تباع إلاّ ومعها دفتر فيه جميع محفوظاتها، ولا بد للجارية المغنية عندهم أن تكون تحسن الخط وتعرض محفوظاتها،... فيقرأ مشتريها ما في الدفتر ويعرض عليها منه ما أحب فتغنيه بالآلة التي يشترط في بيعها، وربما كانت محسنة في جميع الآلات وفي جميع أنواع الرقص والخيال، ومعها آلتها والجواري اللواتي يطبلن عليها ويزمرن تسمى مكملة وتباع بعدّة ألوف من الدنانير المغربية»[1]، وإن ما يثبت لنا بأن هذا التكوين قد أثمر بتخريج جلّة من المغنيين المشهورين بالأندلس، هو تلك الأسماء التي يتردد صداها في بعض كتب التراجم منها: أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز الإشبيلي "530هـ-1135م" الذي ذاع صيته باشبيلية، وذكر المقري أنّه من أمتن علومه الفلسفة والطب والتلحين[2]، وأبو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي ت " 550هـ-550هـ-1155م" الذي كان يعزف الموسيقى ويلعب العود ويجيد الغناء والإيقاع والزمر، وسائر الآلات وعمل أرغنا، وبالغ في إتقانه[3]، ومحمد بن أحمد بن الحداد ت "561 هـ-1165م"، الذي كان شاعرا وأديبا شهيرا مشارا إليه في التعاليم، منقطع القرين منها في الموسيقى مضطلع، وله في العروض تأليف مشهور مزج فيه بين الألحان الموسيقية والآراء الخليلية[4].

والجدير بالاهتمام في المسيرة التطورية لفن الغناء هو خروجه من أوساط الحكام وبلاطاتهم خلال القرن 05ه/11م إلى الأوساط الشعبية، حيث انتشر فيها انتشارا واسعًا وأقبل الجميع على تعلمه وآدائه[5]، ومنه نستنتج بأن عصر الطوائف بالأندلس قد مثّل العصر الذهبي لفن الموسيقى والغناء، حيث أتيحت له الفرصة مع تشجيع الحكام واهتمامهم به لأنّ يزدهر ويتطور، زيادة على مجالس الأدب والشعر التي استلهم منها الفنانون أغانيهم وموسيقاهم وألحانهم.

لكن الإشكال الذي يطرح هو كيف كانت رحلة الغناء والموسيقى وتطوره بالمغرب؟ إذ لا نعرف الكثير عن ذلك حتى القرن 05 ه / 11 م لعدم تطرق المصادر لها، وصمتها عن ذكر أسماء نبغت فيه بالمنطقة، أما ما يتعلق بالمغرب الأوسط فقد أشار أحد الباحثين إلى أن الأمراء الحماديين قد

---

[1] -محمد بن تاويت الطنجي، الأدب المغربي، (ط1، بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1960)، 103.

[2] -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 1/243-245 -المقري، نفح الطيب، 2/105.

[3] -ابن أبي أصيبعة، عيون الأبناء في طبقات الأطباء، 3/256.

[4] -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7/26.

[5] -عبد العزيز بن عبد الجليل، الموسيقى الأندلسية مظهر من مظاهر التسامح، 263.

ولعوا بالموسيقى والغناء وعنوا بالمغنين وأرباب الفن، فاستخدموهم بقصورهم وكانوا يجلسون إليهم فسارت الموسيقى والغناء في ظلالهم شوطا بعيدا[1]؛ وذلك ما يحملنا على الجزم بأن أهل المغرب الأوسط أيضا تعرفوا على الموسيقى والغناء وولعوا بها، إلا أن تطورها في تلك الفترة لم يواكب ما هو حاصل في الأندلس، خصوصًا مع انعدام أسماء المغنين الذين ضمهم البلاط الحمادي، أو ما خلفوه من أثر كمؤلفات في هذا الفن، مما يجعل منطق ترجيح التأثير الأندلسي عليهم في ذلك هو الوارد، ويبقى الحكم العام الذي يمكن أن نتتبع به تطور حال الموسيقى ما بعد القرن 05 ه / 11 م هو ما كان سائداً في الأندلس.

إن الفترة التي مرت بها الأندلس ما بعد عهد ملوك الطوائف جعلت فن الغناء يشهد نكسة وتراجعا عما كان عليه من قبل، خاصة بعد أن تمكن المرابطون من السيطرة عليها، وبما أن دولتهم كانت قائمة على الفقهاء فقد عارضوا الاشتغال بالموسيقى ومنعوا أن تباع كتب الغناء، كما أمروا القضاة بكسر آلات الموسيقى التي توجد مع المغنين في الطرقات [2]، إلاّ أن هذا الوضع لم يدم طويلاً إذ سرعان ما اندمج المرابطون في حضارة الأندلس وأبهرهم بريقها، وأثرت فيهم فتغيرت نظرتهم إلى الفن وبخاصة الموسيقى، وذلك من خلال الظهور المتميز على عهدهم لأبي بكر بن يحي الصائغ المعروف بابن باجة " 534هـ-1139م"، الذي كان فيلسوف الأندلس وإمامها في الألحان على حد تعبير صاحب المغرب[3]، وفي طليعة جلساء الأمير المرابطي أبو بكر بن تيفلويت الوالي على سرقسطة في تلك الفترة؛ حيث تشير إحدى الروايات إلى أن هذا الأخير قد حلف بالإيمان المغلظة ألاّ يمشي ابن باجة إلاّ على الذهب، وذلك بعد أن ألقى موشحة له على بعض القينات غنينها في مجلس الوالي المذكور[4]؛ ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن باجة قد أسهم في تطوير الموسيقى والغناء في تلك الفترة واستطاع أن يكوّن مدرسة موسيقية خاصة به في الأندلس اعتمد فيها على أساليب جديدة في صنع

---

(1) -عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، 273.

(2) -إحسان عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 250.

(3) -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 94/2.

(4) -أنظر عن تلك الرواية: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 407/1 -ابن خلدون المقدمة، 482

-وممّا يؤكد ويظهر اهتمام المرابطين بالموسيقى والغناء والطرب، رواية أوردها صاحب خريدة القصر وجريدة العصر، 442/3، مفادها أن الوزير المشرف على المال بغرناطة أبو محمد بن مالك الذي ولاه أمير المسلمين ابن تاشفين، حضر مجلس طرب فنظم بيتين قالهما في ذلك:

ولا تَلُمْنِي إذا طَرِبْتُ لِشَجْوٍ يَبْعَثُ الأُنْسَ وَالكَرِيمُ طَرُوبٌ
لَيْسَ شَقُّ الجُيُوبِ حَقًّا عَلَيْنَا إِنَّمَا الحَقُّ أن تَشَقَّ القُلُوبُ

اللحن الموسيقي، ونقل من خلالها خبرته للعديدين وبالتالي يكون قد أصّل لطريقة جديدة لم تكن معروفة بالأندلس من قبل، فمال إليها أهلها ورفضوا ما سواها[1].

لم يختلف حال هذا الفن كثيرا مع مجيء الموحدين فقد كانت نظرتهم للموسيقى من باب أنها منكر يجب تغييره، واعتبرت اهتمام المرابطين بها من الأخطاء التي تحسب عليهم وأنّها ممّا أسهم في انهيار دولتهم نتيجة انغماسهم في الملاذ واللّهو [2]، حتى أنّه عندما مرّ ابن تومرت في طريقه ببجاية رأى مطربين فهجم عليهم، وأخذ منهم بعض آلاتهم وكسرها بزعم أن ذلك يلهيهم عن دينهم [3] وإن ما يلاحظ على رواية البيدق أن فيها دليلا يثبت على أن فن الموسيقى والغناء كان متفشيا بالمغرب الأوسط في تلك الفترة، ولعله استمرار لما كان في عهد الحماديين مما يوحي بأن لأهل المغرب الأوسط ولوع وتعلق بهذا الفن؛ ومع هذا فإن ملاحقة الموحدين للمهتمين بالموسيقى وتضييق الخناق عليهم لم يسمح لنا باكتشاف المزيد عن وضعها بالمنطقة خاصة وأن من الإجراءات التي اتخذها يعقوب المنصور "595ه-1198م"، مع بداية عهده أن أمر بقطع الملهين والقبض على من شهر من المغنين، فثقف من وجد منهم بكل مكان، فغيّروا هيئاتهم، وتفرقوا على الأوطان، وبارت سوق القيان[4]، إلا أن هذا الموقف لم يدم طويلا فسرعان ما عادت تجارة القيان للظهور بالمغرب والأندلس من جديد، بعد أن انفتح الموحدون على ترف الحضارة بالأندلس، حيث أصبحوا أكثر اهتماما بالفنون والآداب، إذ صارت تعرض على عهدهم جوار بارعات في الألحان الأندلسية بعدما يتعلمنها باشبيلية[5].

وعلى ذكر الآلات الموسيقية التي أمر ابن تومرت بكسرها في بجاية، فإن فن الموسيقى والغناء قد لازمه على مر فترات الآلات التي كانت تصاحب الغناء، وحسب ما تنقله لنا المصادر فإن الآلات التي كانت تستخدم في الأندلس مصاحبة للعملية الموسيقية هي ذاتها التي كانت منتشرة

---

(1) -محمد بن تاويت، الموسيقى والغناء في الأندلس، 114.
(2) -البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، 16-22.
(3) -المصدر نفسه، 32.
(4) -ابن عذارى، البيان المغرب، 145/3 -أحمد عزاوي، مجموعة رسائل موحدية، رسالة رقم 100، ص 335-336.
(5) -محمد المنوني، تاريخ الموسيقى بالمغرب (مجلة البحث العلمي، مجلد 14-15، 1969)، 15 -العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، 218 —زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، (ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، 1995)، 293/3.

بالمغرب ووجدها ابن تومرت مستعملة عند المغنين في بجاية، وهي تتمثل في: الدف-الناي-البوق-الرباب-القانون-العود، وقد أثار استعمالها جدلاً كبيرًا لدى الفقهاء، كما أمر المحتسبون بمنعها[1].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن تلك الأدوار المشار إليها سابقا، قد مثلت أهم المحطات التاريخية التي مرّ بها فن الموسيقى والغناء أثناء رحلته بالأندلس والمغرب منذ بداياته وإلى غاية القرن 06هـ-12م، إذ تبين جليًا مدى التفوق والنبوغ الأندلسي على نظيره المغربي في ذلك، ممّا يعني أن التأثير الأندلسي على بلاد المغرب هو ما سيحدث، ولكن الإشكال المطروح هو كيف سينتقل هذا الفن من الأندلس إلى المغرب بما في ذلك المغرب الأوسط؟ وما الأثر المترتب عن انتقاله؟

2-انتقال الغناء والموسيقى الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وتأثيرها:

لقد تبين فيما سبق أن التطور الحقيقي لفن الموسيقى والغناء كان على يد أهل الأندلس الذين حققوا فيه تميزا وبراعة، لهذا فإن الأمر الطبيعي هو أن يتأثر المغاربة بالمستوى العالي الذي وصل إليه الأندلسيون في ذلك، وهذا الوضع تثبته العديد من الدراسات المتخصصة، حيث تشير إلى أن فن الموسيقى والغناء قد انتقل من الأندلس إلى بلاد المغرب[2]، مع سيل الهجرات الأندلسية الذي تواصل بلا انقطاع نحو المغرب عموما والأوسط بشكل خاص، وكان هؤلاء المهاجرين يأتون أفواجًا بعاداتهم وتقاليدهم وأصواتهم وأغانيهم وموسيقاهم[3]، إلاّ أن انتقال فئة من المتخصصين في هذا المجال كالوشاحين والزجالين والمغنين كان له دور في نقل مظاهر تلك التطورات الحاصلة في موسيقاهم بالأندلس إلى بلاد المغرب، وحتى نقف على ذلك لا بد من تتبع هجرة هؤلاء ودورهم وتأثيرهم.

---

(1) -راجع حول هاته الآلات وغيرها، الحميدي، جذوة المقتبس 223/1 -المقري، نفح الطيب، 213/3، -عباس الجراري، أهمية الموسيقى والغناء في حضارة الأندلس، 148-149.

(2) -محمد بن تاويت، الموسيقى والغناء في الأندلس، 234 -محمد المنوني، تاريخ الموسيقى بالمغرب، 78.

(3) -محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، 21.

-هجرة الوشاحين والــزجــالين:

لقد شهدت الأندلس خلال القرن 05ه/11م ثورة على الشعر الموزون، بظهور فن جديد خرج عن تلك الموازين يعرف بفن "التوشيح والزجل"، الذي عرف رواجا كبيرا وتطورا خصوصا عصري المرابطين والموحدين، حيث كانت تلك الموشحات والأزجال تُلحن وتُغنى[1]، ثم أخذ هذا الفن ينتشر ببلاد المغرب عن طريق هجرة وشاحي وزجالي الأندلس، وكان لحواضر المغرب الأوسط حظ منهم، إذ وفد عليه ابن اللبانة (أبو بكر محمد بن عيسى الداني) "ت 526ه/1131م" قال فيه الخطيب: «بهرت بدائعه وظهرت روائعه نجلا من التوشيح الرائق»، إذ يستشف من الأخبار التي أوردها المقرّي في النفح أن هذا الوشاح نزل مدينة بجاية والتقى فيها مع أحد الأمراء الأندلسيين الفارين من النفوذ المرابطي وهو الواثق عن الدولة بن المعتصم بن صمادح أثناء إقامته بها[2]، كما وفد أيضا أبو بكر ابن باجة (محمد بن يحي بن الصائغ) "ت 534ه/1139م"، الذي اشتهر في عصر المرابطين وذُكر عنه أنّه كان ينظم الموشحات ويلحنها [3]، وبذلك فإن استقرار مثل هذين العلمين ببلاد المغرب قد فسح المجال لوقوع احتكاك بينهم وبين المغاربة، بل من الممكن أنهم قد أسهموا في تكوين فئة برعت في هذا الفن بالمغرب، وإن كانت المصادر الأندلسية ومثيلتها المغربية قد بخلت علينا

---

[1] -فن التوشيح أو الموشحات، عرّفه أحد الباحثين فقال: «هو لون من ألوان النظم ظهر أوّل ما ظهر بالأندلس في عهد الدولة المروانية في القرن 03ه/09م، يختلف عن غيره من ألوان النظم بالتزامه قواعد معيّنة، من حيث التقفية وبخروجه أحيانا على الأعاريض الخليلية وبخلوّه أحيانا أخرى من الوزن الشعري، باستعمال اللّغة الدارجة والعجمية في بعض أجزائه، وباتصاله الوثيق بالغناء».
-كما تعرض ابن خلدون لتعريفه في مقدمته، وقد تطور هذا الفنّ منذ نشأته، وبرعت فيه العديد من الأسماء الأندلسية، تذكر المصادر من بينهم: أبو بكر محمد بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانة (ت 1131م) -أبو العباس أحمد العبسي المشهور بالأعمى التطيلي (ت 1126م)، وغيرهم كثيرون.
-وبالنسبة للزجل فهو أيضا ضرب من ضروب النظم إلاّ أنّه يختلف عن الموشح من حيث الإعراب إذ لما شاع التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه...نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا ما سموه الزجل فجاءوا فيه بالغرائب... وحسب المصادر الأندلسية التي أرخت للأدب فهي تشير إلى أن الزجل كان قليلا بالأندلس قبل ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى) (ت 1160م)، ثم أخذ ينتشر ويكثر، لتفصيل أكثر حول الموشحات والأزجال أنظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 334/2 -ابن الخطيب جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، (د ط، تونس: مطبعة المنار، 1967)، 59 -ابن خلدون، المقدمة، 481-488 -المقري، نفح الطيب، 214/4 -مصطفى عبد الكريم عوض، فن التوشيح، (ط2، بيروت: 1997)، 17 - عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، 55 -إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 221-222 -الطاهر أحمد مكي، الموشحات فن أصيل ومتطور، (مجلة الأصالة، العدد 11 سنة 1972)، 118.

[2] -ابن الخطيب، جيش التوشيح، 59 -المقري، نفح الطيب، 368/3.

[3] -ابن خلدون، المقدمة، 482 -المقري، نفح الطيب، 618/4.

بذكر أسمائهم، ومع ذلك هناك بعض الإشارات التي توحي بأن الموشحات صارت معروفة ومتداولة ويُتغنى بها في بلاد المغرب الأوسط، وأنّ من أهلها من صار عنده الكفاءة في نظم مثل ذلك منها ما أورده الأصفهاني في كتابه: «خريدة القصر وجريدة العصر» حيث أشار إلى علي بن الزيتوني "ت 562ه/1166م"، ووصفه بأنّه: «شاعر المغرب الأوسط وأديبه وألمعيه وأريبه، صاحب توشيح وتوسيع وتقصيد وتقطيع، وقد سار شعره غناءًا»[1]، وكذلك إبراهيم الهازي "ت ق 6ه/12م"، الذي كان صاحب توشيح مليح، وأيضا ابن أبي المليح الطبيب "ت ق 6ه/12م" من أهل بجاية كانت له «مقطعات جالبة للحب سالبة للبّ»[2]؛ أما أكثر من اشتهر من وشاحي المغرب الأوسط في هذا القرن فهو عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسيني "ت 585ه/1189م"، وقد ذكره الغبريني في كتابه عنوان الدارية فقال عنه: «...كان متقدما في علم العربية والأدب، وتواشيحه في نهاية الحسن وبها يضرب المثل»[3].

وعلى اعتبار أن أهل بلاد المغرب الأوسط قد تعرفوا على فن الموضحات من خلال دور كل من ابن اللبانة وابن باجة باعتبارهما صاحبي اختصاص في هذا الميدان، فإنهم قد استفادوا أيضا من أعلام آخرين أندلسيين هاجروا إليهم وكانوا على إطلاع واهتمام بهذا الفن، خاصة الذين وفدوا على المنطقة أواخر القرن 06ه/12م، أين مثلت تلك الفترة أوج تطور هذا الفن بالأندلس نجد منهم: أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي "ت 595ه/1198م" الذي استقر ببجاية وتوفي بتلمسان، مع أنه كان عالما ومتصوفا إلا أن له اهتمام بالموشحات والأزجال، إذا ما تزال بعض موشحاته وأزجاله يتغنى بها في الموسيقى الأندلسية الجزائرية[4]؛ وكذلك محي الدين بن عربي "ت ق 07ه/13م" الذي دخل بجاية، ولقي بها جماعة من الأفاضل[5]، وقد نتج عن ذلك الاحتكاك الحاصل بين الجانبين المغاربي والأندلسي في هذا الفن ما علّق عليه أحد الباحثين بقوله: "فأصبح برّ العدوة (يقصد بلاد المغرب)، يشارك الأندلس في فن التوشيح"[6].

(1) -الأصفهاني، خريدة القصر، 181/1.
(2) -المصدر نفسه، 182/1-183.
(3) -الغبريني، عنوان الدارية، 45.
(4) -الغبريني، عنوان الدارية، 22-28 -أحمد سفطي، دراسات في الموسيقى الجزائرية، 41.
(5) -الغبريني، عنوان الدارية، 157
(6) -إحسان عباس، الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، 250.

ويبدوا أن هذا الشعر الشعبي الذي عرف رواجًا بأرض المغرب بما في ذلك المغرب الأوسط خاصة منه الموشحات سواء التي نظمها الأندلسيون أو المغاربة قد كانت تنشد وتُغنى، يؤكد ذلك ما لاحظه ابن سعيد (عاش في القرن 07ه/13م)، حيث ذكر أن موشحات ابن أرفع رأسه كانت تغنى في بلاد المغرب[1]، كما ذكر الغبريني وهو معاصر لابن سعيد أن موشحات يحي بن عمارة كانت مضرب المثل في بجاية إذ قال: «وكثيرًا ما يقول الناس عندما يشطط الإنسان على الإنسان في الطلب فيجيبه أغني لك موشحا لعمارة»[2].

أما الزجل فعلى الرغم من أن فترة نشاطه وإنتاجه هي القرن 7ه/13م، إلاّ أن ذلك لم يمنع انتقال عدد من الزجالين الأندلسيين إلى بلاد المغرب أثناء فترته الأولى التي تبدأ مع نهايات القرن 6ه/12م، وما أدخلوه معهم من تأثير في هذا المجال [3]، إلا أن المصادر التي أرخت للفترة تكاد تخلو تقريبا من ذكر أسمائهم وأزجالهم، وقد ورد ذكر من اشتهر من هؤلاء الوشاحين متناثرا في بعض المؤلفات منهم: الششتري (أبو الحسن علي) "ت ق 07ه/13م"، حيث يستشف من ترجمته أنّه نزل بعدد من مدن المغرب، واستقر بها حينا من الزمن أثناء رحلته من المغرب إلى المشرق، وقد كان هذا الأخير متقدما في نظم الشعر، قال عنه الغبريني: «وتواشيحه ومقفياته ونظمه في غاية الحسن»[4] ويبدوا أنّه كان ينشد ما ينظمه من موشحات وأزجال، ويعترف بذلك في بعض مقطوعاته الزجلية التي أوردها في ديوانه[5].

وعليه فإنّ قدومه إلى المغرب واحتكاكه بأهله يوحي بأنّ بعضهم قد تأثروا به وحاولوا النظم على طريقته مما يجعلنا نخمن بأن ذلك كان سببا في ظهور طبقة من الزجالين المغاربة في تلك الفترة منهم من ظهر بالمغرب الأوسط، ولكنّ عزوف أغلب المؤرخين عن إيراد أسماء الزجالين من المنطقة في تلك الفترة فيمن ترجموا لهم من الشعراء بالمغرب حال دون ذلك، ولعلّ ما كان من نتائجه هو ضياع الجزء الأعظم من هذا التراث الشعبي الغنائي المغربي وأعلامه، وإن كانت أسماء كثيرة منهم قد لمعت في هذا المجال فيما بعد أي القرن 07ه/13م تؤكد حقيقة ذلك[6].

---

[1] -ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 2/17.

[2] -الغبريني، عنوان الدراية، 45.

[3] -عبد العزيز الأهواني، الزجل في الأندلس، 58.

[4] -الغبريني، عنوان الدراية، 241.

[5] -الششتري (أبو الحسن علي)، ديوان الزجل، تحقيق علي سامي النشار، (ط 1، الإسكندرية: دار المعارف، 1960)، زجل رقم 57، ص 213.

[6] -أنظر نماذج عن وشاحين من المغرب الأوسط برزوا في القرن 07ه/13م عند: ابن خلدون، المقدمة، 494.

-هجرة المغنيـــن والموسيقييـــن:

لقد توافد عدد من أعلام الموسيقى والغناء الأندلسي على بلاد المغرب، وتولد عن ذلك احتكاك مباشر للمغاربة بالموسيقى والغناء الأندلسي، فكان من أهم هؤلاء الأعلام أبو الصلت أميّة بن عبد العزيز الداني الاشبيلي "ت 530ه/1135م"، وأبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة "ت 534ه/1139م"[1]، فبالنسبة لأبي الصلت أميّة بن عبد العزيز فقد كان يُعد من أبرز المغنين بالأندلس عصر الطوائف، إذ جمع إلى تميّزه في الغناء ملكة في العلوم والأدب، فقد ذكره صاحب عيون الأنباء وعدّه من: «أكبر الفضلاء...حصّل من معرفة الأدب ما لم يدركه كثير من سائر الأدباء، وكان متقنا لعلم الموسيقى وعمله، فصيح اللسان جيد المعاني ولشعره رونق»[2].

كما تشير بعض المصادر التي ترجمت لحياته تفوقه في علم الألحان، وأنّ له تواليف في ذلك تشهد بفضله ومعرفته[3]، أما عن دوره في نقل موسيقى الأندلس إلى بلاد المغربفقد بدأت حين نزل على ملوكها الصنهاجيين وقصد أبا طاهر يحي بن تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان وحظي عنده وحسن حاله معه، وبقي بها إلى أن مات ودفن هناك[4]، وبذلك فهو يعدّ أوّل من أدخل الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية، حيث ذكره ابن سعيد فقال عنه: «هو من لحّن الأغاني الإفريقية وإليه تنسب إلا الآن»[5]، ويُفهم من كلامه هذا أن أهل إفريقية كانت لهم أغانيهم الخاصة، وقد امتزجت بالألحان الأندلسية التي أدخلها ابن الصلت معه، والتي كانت منتشرة في بلده الأندلس خلال القرن 05ه/11م، وهي التي ظلت معروفة وشائعة إلى غاية الفترة التي عاش فيها ابن سعيد "ق07ه/13م" كما أن من المرجح أيضا أنّها قد تسربت إلى المغرب الأوسط وأن أهله قد تعرفوا عليها، وذلك بحكم أن الدولة الزيرية في تلك الفترة قد امتدت رقعتها إلى شرق الجزائر، وبالتالي يكون أبو الصلت أول من بعث نهضة موسيقية غنائية بربوع هاته البلاد، ثم أكمل حلقة الوصل التي ربطت المغرب بالأندلس موسيقيا من جاءها بعده وهو محمد بن يحي المعروف بابن باجة، ذكره ابن أبي أصيبعة فقال عنه «كان متقنا لصناعة الموسيقى جيد اللّعب بالعود» [6]، كما مدحَه ابن سعيد فقال عنه: «فيلسوف

---

[1] -المقري، نفح الطيب، 185/3 —ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 94/2.

[2] -ابن أبي أصيبعة، 86/3 –وأنظر ترجمته أيضا عند: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 243/1 –الأصفهاني، خريدة القصر، 189/1.

[3] -المقري، نفح الطيب، 105/2-106.

[4] -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 246/1.

[5] -المقري، نفح الطيب، 106/2.

[6] -عيون الأنباء، 100/3.

الأندلس وإمامها في الألحان»[1]، ومن خلال هذا يتبين لنا أن ابن باجة برع في علم الموسيقى وتأليف الألحان، وبما أن هذا الأخير قد هاجر إلى بلاد المغرب على العهد المرابطي، وتحديدًا أثناء فترة حكم يوسف بن تاشفين، حيث صار بها وزيرًا بحسب ما حكاه المقري عنه [2]، خاصة وأنه أقام مدة عشرين سنة في المغرب، فهذا يعني أن ألحانه قد لقت رواجا في أوساط المغاربة، بل وبقيت معروفة عندهم حتى بعد وفاته بفترة طويلة من الزمن، وذلك ما نستنتجه فيما ذكره ابن سعيد حين قال عنه «صاحب التلاحين المعروفة»[3]، كيف لا وقد كان صاحب مدرسة تخرج منها العديد من نوابغ الأندلس في مجال الموسيقى والغناء والتي امتد أثر نشاطها إلى برّ العدوة المغربية بعد استقرار ابن باجة فيها[4]، بما في ذلك المغرب الأوسط بحكم أن دولة المرابطين قد امتدت سلطتها على العديد من مناطقه ومدنه، وإن كان لا يوجد في المصادر ما يدعم ذلك، إلاّ أن التأثير الأندلسي لم يتوقف عند هذا الحدّ في مجال الغناء إذ انتشرت الموسيقى الأندلسية وتغلغلت في بلاد المغرب الأوسط منذ العهد الموحدي وبخاصة بجاية، والفضل في ذلك يعود إلى عبد العزيز بن أبي أميّة الداني "ت 626ه/1228م" الذي كان من أبرز تلامذة أبيه أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في علم الألحان، إذ حط هذا الموسيقي رحاله بها واستقر هناك إلى أن توفي، ولا ريب في أن يكون أدى دورًا كبيرًا ومميّزًا في بعث الموسيقى الأندلسية بهذه الحاضرة في النصف الأوّل من القرن 07ه/13م[5]؛ ولسنا نعرف كيف كان شكل الموسيقى ولا ألحانها في تلك الفترة، ولا حتى كيف كان يؤدى الغناء انطلاقا من تلحين الأشعار ولكن التخمين يجعلنا نرجح أن تكون شبيهة بتلك التي يمارسها حاليًا فنانوا ومغنوا المالوف الأندلسي بالجزائر[6]، إذ من غير شك أنها ما هي إلاّ امتداد لنتائج الفنّ في تلك الفترة، إذ عرفت تلمسان وبجاية وقسنطينة تطورًا في الفنون الموسيقية على عهد ملوك بني زيان، حيث ظهر الطابع المعروف بالمالوف القائم على ترتيب النوبة، الذي جاء به الوافدون الأندلسيون، ثم أصبح إبداعًا جزائريًا بما

---

(1) -المغرب في حلى المغرب، 94/2.

(2) -المقري، نفح الطيب، 618/4.

(3) -ابن خلدون، المقدمة، 482.

(4) -محمد بن تاويت، الموسيقى والغناء في الأندلس، 114.

(5) -ابن خلكان، وفيات الأعيان، 246/1.

(6) -لقد تخيل إليفي بوفنسال تلك الطريقة بقوله: «ويمكننا أن نتصور الاجتماعات التي كانت تنشد فيها الأشعار، فهي فرقة موسيقية مؤلفة من عواد وزامر، وضارب الدف أو ضارب بالصانوج، تصحب المغني أو المغنية التي تبدأ بالمطلع، ثم تستمر في إنشاد الأبيات، فإذا بلغت الجزء الرابع من كل بيت رددونه معها...»، راجع: الإسلام في المغرب والأندلس، 281-282.

أضيف له[1]، ومن خلال كل ما سبق ذكره نستنتج بأن فن الموسيقى والغناء كان هو الآخر حلقة من حلقات الوصل التي جمعت بلاد المغرب الأوسط بالأندلس، وقربت بين ثقافة وفنّ أهل البلدين ذلك لأنّ الألحان الأندلسية امتزجت بأغاني المغاربة الخاصة بفضل دور الموسيقيين والمغنين الأندلسيين، هذا زيادة على انتقال فن الموشحات والزجل التي كانت الأصل فيما اعتمده أهل المغرب الأوسط إذ كانت هي ما يُلحن ويُغنى، وأعطت دفعا قويا لما أبدعوه بهذا المجال فيما بعد.

ب-فــن العمــارة والبناء:

تمثل العمارة مظهرا من مظاهر الفنون، إذ هي تجسد المنجزات البشرية عبر مختلف تاريخها وقد وصفها ابن خلدون بصناعة البناء وقال: «أن هذه الصناعة هي أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وبأنها معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل والقصور والمصانع...يُحتاج إليها عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة...كما اعتبر أن من صناعة البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين»[2].

---

[1] -المالوف: هو موسيقى أندلسية تعتمد على نظام النوبة، وهي مصطلح يدل على مجموع المكونات النصيّة واللحنيّة التي يتشكل منها العمل الموسيقى في نظام تركيبي معقد ومنضبط لكن في تكامل وتناسق وانسجام، وهو المعتمد الآن في موسيقى المالوف الجزائري بقسنطينة وتلمسان وغيرها، ويتألف كالتالي:

-أولا-التوشية: هي الحركة الأولى التي تأتي في بداية النوبة، وافتتاح الحفلة وتوحي للمستمع بحركة المشي وقدوم الضيوف المدعوين والترحيب بهم.

-ثانيا-المصدر: هي الحركة الثانية من النوبة، وتأخذ اسمها من الصدر أو الصدارة لأنها توحي بالإجلال والتوقير، ويذهب خلالها المدعوون واحد إثر الآخر لتحية الملك أو الأمير وتقبيل يده.

-ثالثا-البطايحي: من بطح الشيء أي بسطه، وفي هذه القطعة يتوسع المغني ويطلق العنان لخياله، ليصف الطبيعة والبساتين وجمال الحسان والغبطة التي يشعر بها المستمع.

-رابعا-الدرج: وهي القطعة الرابعة، بحيث يصعد المغني إلى مراتب الموسيقى التي تتسم بالخفة والمرح، وهنا ينسجم المغني مع الموسيقى من جهة، ومع المستمعين الذين يكونون ساعتها قد تخلصوا من هموم الدنيا واندمجوا كلية معه.

-خامسا-الاستخبار: وهو قطعة من النوبة يتحرر خلالها المغني من الوزن ويتصرف بصوته حسب ما عنده من مواهب، بينما تظل الموسيقى تعزف على النوبة ومحافظة على نغماتها.

-سادسا-الانصراف والخلاص: وهذا القسم الأخير من النوبة يشتمل على قطعتين موسيقيتين توحي منها بنهاية الحفلة أو النوبة الأندلسية، فالانصراف يدل على الذهاب، فيدرك المستمعون أن موعد الانصراف قد حان، أما الخلاص فهو القطعة الموسيقية النهائية، وهي تمتاز بالسرعة في العزف والحيوية في الحركة بين الراقصين والراقصات ويظهر في هذه القطعة النهائية خفّة الموسيقى، ولطافة الكلمات، وينصرف الجميع بعد إنهاء الخلاص، وتنتهي الحفلة.

-لتفصيل أكثر حول ذلك راجع: أحمد سفطي، دراسات في الموسيقى الجزائرية، 41-44 -عبد الحميد بلعلجية وجلول عزونة، الموسيقى الأندلسية، 33-34 -محمد عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 259- 260 -نصيرة عزرودي، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط، 170-174.

[2] -ابن خلدون، المقدمة، 302-303.

وقد ظهر الاهتمام بالعمارة والبناء في بلاد المغرب الأوسط والأندلس منذ القدم، وتطور هذا المجال مع الوقت نتيجة لعوامل عديدة ما يهمنا منها في موضوعنا هو مظاهر الطابع العمراني التي ميّزت القرنين 05-06ه/11-12م في كل من المغرب الأوسط والأندلس، والوقوف على التأثيرات المتبادلة في هذا المجال، ممّا يجعلنا نتساءل عن أمور كثيرة منها: كيف كانت أشكال العمارة بالمغرب الأوسط والأندلس في هذه الفترة؟ وهل لقي هذا الفنّ تشجيعا واهتماما من طرف حكام البلدين؟ وهل فتح هؤلاء الحكام المجال أمام تبادل الخبرات والمهارات في فن العمارة؟ وفيما تجلت مظاهر ذلك التأثير؟

إن توضيح كل هاته الحقائق وغيرها يتطلب منا تتبع حالة العمران والخصائص التي ميّزته والطابع الفنّي التشكيلي الذي اتسمت به مظاهر العمارة الأندلسية والمغربية.

1-مظاهر الفن المعماري ومميزاته بالمغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06ه/ 11-12م:

لقد شهد المغرب الأوسط خلال القرن 05ه/11م قيام حركة فنيّة نشيطة، أدّت إلى ازدهار عمراني لا نظير له خاصة على يد الحكام الحماديين الذين اشتهروا بالاعتناء بالفنّ المعماري منهم الأمير: "حماد بن بلكين" الذي أسس القلعة سنة 398هـ-1008م، واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فازدهرت العمارة واتّسعت في التمدن [1]، ثم الأمير المنصور بن علناس، الذي حضّر ملك بني حماد وصيّر بجاية دار مملكته، وجددّ قصورها وشيّد جامعها، وتأنق في المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور، وإجراء المياه في الرياض والبساتين[2].

وكان من أبدع ما خلفه الفنّ الحمادي من منشآت عمرانية الثلاث مساجد التي أقيمت على عهدهم وهي: المسجد الأعظم -مسجد الريحانة- مسجد النطاعين، والتي مع الأسف قد اندثرت معالمها و لم نكن لنستطيع التعرف عليها لولا تلك الدراسات الأثرية التي ظهرت مع بداية القرن

---

(1) -ابن خلدون، العبر، 227/6 -رشيد بوروبية، الدولة الحمادية، (د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977)، 208.
(2) -ابن خلدون، العبر، 323/6.

الحالي[1]، زيادة على القصور الشامخة التي بنيت كقصر المنار والملك والكوكب وقصر السلام وقصر أميمون[2].

وبالنسبة لأسلوب الفنّ المعماري المتبع في هاته المباني، فيذهب جورج مارسي إلى القول بأنّ الفن الصنهاجي كان متأثرًا بالفن الشرقي والعراقي والفارسي والمصري والفاطمي، لكن الصنهاجيين تفننوا في زخرفته واستطاعوا أن يباهوا بقصورهم أجمل قصور الدنيا، حتى أن النورمان أغرموا بالحضارة الحمادية، فوضعوا قصورهم على شكل قصور بجاية[3].

كما قدم أحد الباحثين دراسة عن المآذن المغربية والأندلسية، فذهب إلى القول بأن المهندسين المعماريين في الدولة الحمادية قد استوحوا أسلوب المآذن الفاطمية في الجزائر، وشيدوا مآذنهم على طرازها المعماري والزخرفي[4].

أما في الأندلس فأهم جانب ميّز العمارة في تلك الفترة هو المباني التي شيدها البربر المقيمون هناك من ذلك العمارة الزيرية خاصة بعدما سقطت غرناطة بأيدي البربر، وجعلها زاوي بن زيري سنة 409ه/1013م عاصمته[5]، اهتم خلفاؤه من بعده بتمصيرها وتشييد عمرانها، وتم ذلك على يد حبوس الصنهاجي، فكان من أبرز منشآته المعمارية بالمدينة تشييده "للقصر الملكي" الذي بني على المرتفع الشرقي لسهل غرناطة[6]؛ وإلى جانب ذلك تم تحصين سور المدنية[7] الذي لا تزال آثاره قائمة

---

(1) -رشيد بورويبة، الحياة الاقتصادية والفنون في بجاية الحمادية، (محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي بجاية، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1974)، 2/495-498.

(2) -مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 130 –ابن حمديس الصقلي (عبد الجبار)، ديوان الشعر، تصحيح وتقديم إحسان عباس، (د ط، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1960)، 545.

(3) -رشيد بورويبة، الحياة الاقتصادية والفنون في بجاية الحمادية، 2/497-498.

(4) -صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى "دراسة معمارية وفنيّة"، (د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986)، 44.

(5) -إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، 33 –سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة، 55 – مانويل مورينو جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبد البديع وعبد العزيز سالم، مراجعة جمالي محمد محرز، (د ط، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1968)، 306.

(6) -المقري، نفح الطيب، 1/196 – مانويل مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، 306.

(7) -اعتبر السور من المعايير الحضارية في تميّز المدن، كما عدّ الإسلام بناء الأسوار و الأبراج والقلاع والحصون من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض، للتفصيل عن ذلك راجع: محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، (د ط، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، د ت)، 121.

إلى الآن، وهو يمتد من باب البيرة إلى باب الحديد تتخلله أبراج[1]، ويذكر أحد الباحثين معلقا بأن آثار السور الزيري وأبراجه لا تزال تعتبر من أجمل التحصينات التي أقيمت في الأندلس خلال القرن 05ه/11م[2]، ويضاف إلى هذين المنجزين المعماريين آخر وهو تجديد بناء قصبة مدينة مالقة بعد أن استرجعها باديس بن حبوس الزيري من الحموديين سنة 449ه/1057م؛ إذ وسع هذا الأخير منشآتها حتى غدت من أعظم القصبات الأندلسية[3].

وبذلك يكون بنو زيري البربر الصنهاجيون قد تركوا بصمتهم المعمارية في الأندلس ولعلهم قد استوحوا في تلك البنايات التي شيّدوها شكل العمارة بالمغرب الأوسط، وإن كانت الأبحاث الأثرية الحديثة في تلك المنجزات لم تصل إلى كشف صور ونماذج لمحاكات ذلك الامتزاج في الفنّ بين الذوق الأندلسي والمغربي[4]، ومع ذلك تبقى هاته المنجزات بمثابة شواهد تكشف شواهد تكشف عن لمسة البربر في عمارة الأندلس.

إذا نظرنا بعد ذلك إلى الفترة المرابطية، وخاصة في النصف الأول من القرن 05ه/11م، نجد بأن الاهتمام المرابطي في المجال المعماري في بدايته قد تركز على ما يخدم المصالح العسكرية، إذ عمل المرابطون على تحصين المدن التي دخلت تحت سيطرتهم [5]، ففي المغرب الأوسط واستنادًا إلى حفريات قام بها أحد الأثريين، اكتشف هذا الأخير أثرًا لسور قديم بتلمسان يرجع إلى عهدهم [6] إذ شُيّد على عهد يوسف بن تاشفين"410ه/1087م"، وذلك عندما اختط المدينة غربي أغادير القديمة[7].
القديمة[7].

كما يمكن أن نستدل أيضا على اهتمام المرابطين بالتحصينات العسكرية من خلال منجزاتهم المعمارية في النصف الأول من القرن 06 ه/12 م بالأندلس كبناء أسوار على مدينة لبلة " LIEBLA" وأخرى من الطوب حول مدينة إشبيلية، إضافة إلى توسيع وتقوية أسوار مدينة غرناطة والمريّة [8] وقد

---

(1) -إسماعيل العربي، دولة بني زيري، 135.

(2) -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، (ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964)، 243-244.

(3) -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 136 -مانويل مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، 303.

(4) -إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، 137.

(5) -عن اهتمام المرابطين ببناء الأسوار، أنظر: ابن القطان، نظم الجمان، 191 -توريس بالباس، المدن الاسبانية الإسلامية، 272.

(6) -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 43.

(7) -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 678 -جورج مارسي، تلمسان مدن الفن الشهيرة، ترجمة سعيد دحماني، (د ط، الجزائر: دار النشر القلم، 2004)، 19-20.

(8) -ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، 115/1 -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 120.

بلغ اهتمامهم بهذا الجانب إلى حد فرض ضرائب على الناس من ذلك الضريبة المسماة "بالتعتيب" على عهد علي بن يوسف بن تاشفين[1].

وإلى جانب الأسوار حرص المرابطون أيضا على إقامة الحصون والقلاع، وانتشرت في أغلب المدن والثغور، للدفاع عن دولتهم من الثورات العدائية والحركات السياسية، حيث بُني على زمن علي بن يوسف حصونٌ وقلاع بالحجر في المناطق الوعرة لكي تصمد أثناء الحصار [2]، كانت من أشهرها في الأندلس قلعة "منتقوط"، التي تقع على بساتين مرسية وهي شبيهة في طريقة بنائها وتحصينها بقلعة تاسغيموت بالمغرب[3].

والجدير بالذكر أيضا أن العمارة المدنية قد أخذت حيزا في اهتمام المرابطين، وإن لم يُشيّدوا الكثير منها بالمغرب الأوسط على اعتبار أنه لم يخضع بكل مساحته لسيطرتهم إلا أنّ لهم مخلفات في ذلك، فحين نزلوا بالجانب الغربي من أقادير، ضربوا بسرادقاتهم وخيامهم بها، وسرعان ما استحالت هذه السرادقات والخيام إلى دور[4]، ويشير أحد الباحثين إلى أنّهم شيّدوا قصرًا نزل به أولوا الأمر منهم ثم الموحدون من بعدهم وبقيت آثار هذا القصر ممتدة حتى القرن 07ه/13م[5]، مع أن المصادر لا لا تشير إلى تاريخ بنائه، ولا إلى الحاكم المرابطي الذي أمر ببنائه، لهذا من المرجح أن يكون بناؤه مزامنا لفترة بناء المسجد الجامع أو قبله بقليل (أي حوالي سنة 463ه/1070م)، لأنّه عادة ما يكون الاستقرار أولا، ثم يصاحبه بعد ذلك التعمير[6].

أما في الأندلس فقد تحدث المؤرخون عن آثار المرابطين بها، خاصة وأنهم بدؤوا ينغمسون في التمتع بمباهج الحضارة الأندلسية، فعاشوا أقرب ما يكونون بملوك الطوائف، والتي تجلت بوضوح في

---

(1) -فرضت هذه الضريبة بعد غزوة ألفونسو لمدن الأندلس سنة 519ه/1125م، وأشار ابن عذارى في أحد الروايات إلى المكلفين بجمعها، راجع: البيان المغرب، 73/4-74.

(2) -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 680.

(3) -قلعة تاسغيموت: تقع على بعد 3 كلم جنوب شرقي مراكش، وتشرف على وادي أغمات إيلان، وكان الغرض من بنائها هو حماية عاصمة المرابطين، للتفصيل أنظر: محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي، (د ط، عمان: دار البيارق للنشر، 1998)، 249/4.

(4) -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 43 -جورج مارسي، تلمسان مدن الفن الشهيرة، 20.

(5) -عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، 48.

(6) -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 44 -جورج مارسي، تلمسان مدن الفن الشهيرة، 20.

بناء القصور والمنيات[1]، منها قصر منتقوط (Monteagudo) بمرسية وهو يشرف على بساتين، و لم يبقى منه حاليا سوى جدرانه المشيّدة بملاط شديد الصلابة [2]؛ إضافة إلى القصر الذي بناه أمير المسلمين علي بن يوسف في مدينة اشبيلية، حيث كان يترل فيه عند زيارته للمدينة[3].

وبحكم أن الدولة المرابطية كانت قائمة على أسس دينية كمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد أعطت أولوية كبرى للعمارة الدينية وبخاصة المساجد، ذلك لأن العادة جرت في تخطيط المدينة الإسلامية سواء في المشرق أو المغرب هو التركيز على موقع مسجدها الجامع من البؤرة العمرانية، والذي كان يتوسط المدينة ويؤلف قلبها النابض بالحياة اجتماعيا واقتصاديا وحوله يكثر العمران الاجتماعي كالحمامات والمنازل والأسواق التجارية[4].

ولأجل ذلك اهتم المرابطون ببناء المساجد بالمغرب اهتمامًا خاصًا، وبدأ ذلك منذ عهد يوسف بن تاشفين عندما دخل مدينة فاس سنة 462ه/1069م[5]، والأمر ذاته حصل مع بلاد المغرب الأوسط، ويمكن أن نقف على أمثلة ذلك في عدد المساجد التي شُيّدت منها:

-بناء الجامع الكبير بمدينة الجزائر:

يعد هذا الجامع الكبير من روائع الفن المعماري الإسلامي، وهو نموذج ينطق بتقدم الحضارة الإسلامية وانتشار المدنية بالمغرب الأوسط، ويرجع الفضل في تشييده إلى يوسف بن تاشفين سنة 460ه/1068م[6]، بالنسبة لوصف الجامع الداخلي فهو في مجمله مربع الشكل، مساحته تستغرق نحو ألفي متر مربع، طوله 48م وعرضه لا يزيد عن 40 مترًا، إذ يحتوي المسجد على أثاث أهمها المنبر وهو ضخم لا يعلم له نظير سوى بجامع القرويين بفاس، ويعاصره منبر جامع ندرومة، وقد ذهب أحد

---

(1) -حمدي عبد المنعم محمد حسين، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دولة علي بن يوسف، (د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986)، 344.

(2) -السيد عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 236 —الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، (ط 2، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1986) 191.

(3) -حمدي عبد المنعم محمد، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، 344.

(4) -عبد العزيز سالم، التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى، (المجلة: عدد 09، سبتمبر، 1957)، 54-55.

(5) -للتفصيل عن ذلك أنظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 141.

(6) -وقع خلاف حول مؤسس هذا الجامع وتاريخ تأسيسه، فقد ذكر عبد الرحمن الجيلالي بأن هذا المسجد هو من آثار المرابطين بنوه سنة 477ه/1082م، في حين يرى باحث آخر أن تاريخ صنعه يعود إلى العهد الحمادي وتحديدا سنة 409ه/1018م، في حين يعتقد الأستاذ مارسي أنّه أسس سنة 490ه/1096م، وهو التاريخ المسجل على المنبر، لتفصيل راجع: تاريخ الجزائر العام، 271/2 — الجامع الكبير بمدينة الجزائر تاريخيا ومعماريا، 114-115 -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، (د ط، بيروت: دار الثقافة، د ت)، 158 —عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 665.

الأثريين إلى القول بأنه بني سنة 491ه-1097م، وأنّه من مآثر يوسف بن تاشفين [1]، ومما شيده المرابطون أيضا بالمغرب الأوسط.

- بناء المسجد الجامع بتلمسان[2]:

لقد اهتم كثير من المؤرخين المسلمين، ودارسي تاريخ الفن وعلماء الآثار على وجه الخصوص بتاريخ المساجد ومرفولوجيتها، ودراسة أنماطها ونشأتها، ونالت أيضا مساجد تلمسان نصيبها من عناية بعض المهتمين بالآثار الإسلامية في بلادنا [3]، فكان من أهمها مسجد تلمسان الذي شيّد على عهد المرابطين، حيث تشير الدراسات إلى أن الوالي المرابطي بالمدينة أمر ببناء مسجد جامع بجانب القصر الذي شيّدوه بأقادير، وذلك سنة 463هـ/1070م، كما أن هناك تاريخا آخر كان مسجلا في كتابة نسخة تدور بقاعدة قبة المحراب تشير إلى الفراغ من بنائه حوالي سنة 475هـ/1082م[4]، وتبدو طريقة اختيار المرابطين لموقع المسجد مميّزة، حيث يتربع في قلب المدينة الجديدة "تاقرارت"، وفي القصر والحيّ التجاري قرب القيسارية والأسواق الأخرى، كما كان للمسجد مقصورة من الخشب، أتمت في رمضان سنة 533ه/ 1139م[5].

أمّا بالنسبة لشكله المعماري فهو بناء مستطيل، يتألف من بيت للصلاة وصحن مربع تتوسطه فوارتان، وتكتنفه من الجهة أربع بلاطات، تعتبر امتدادًا لبلاطات بيت الصلاة، وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم[6].

وبذلك نستنتج أن العمارة على العهد المرابطي قد تنوعت بالمغرب الأوسط والأندلس وبالتالي فقد خلفوا آثارهم في تلك المباني التي شيدوها.

---

[1] -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 666 -غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، (ط3، القاهرة: طبع دار إحياء الكتب العربية، 1956)، 259.

[2] -المسجد الجامع: هو البناء الديني الذي يجمع المسلمين لأداء صلاة الجمعة، وهو يختلف عن المسجد الذي تقام فيه الصلاة، ولا يصلى به الجمعة، ويسمى مسجد الخمسة لأداء الصلوات الخمس به، تمييزا له عن المسجد الجامع الذي يصلى به الصلوات الخمس ومنها صلاة الجمعة، ومن ثم فكل جامع مسجد وليس كل مسجد جامع، أنظر: سامي محمد نور، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، (د ط، الاسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، 2003)، 32-33.

[3] -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 68 -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45 -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 665.

[4] -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 665- جورج مارسي، تلمسان مدن الفن الشهيرة، 32.

[5] -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 44-45 -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية، 74.

[6] -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 74 -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45.

في العهد الموحدي لم يختلف الأمر عما سبقه في مجال الاهتمام بالعمارة، حيث ركزوا وأعطوا الأولوية للعمارة العسكرية شأنهم شأن المرابطين ويلاحظ أن الاهتمام الأكبر لهم قد توجه نحو مدن الأندلس.

فإذا نظرنا في التحصينات التي قاموا بها ببلاد المغرب الأوسط فنجد أنّها قليلة جدًا إن لم نقل نادرة، بحيث لا تشير المصادر التاريخية أو الدراسات الحديثة سوى للخطوة التي قام بها عبد المؤمن سنة 540ه/1145م، حين أمر بتجديد بناء سور تاكرارت بتلمسان [1] في حين لا نجد أي صدى آخر لهذه التحصينات في باقي مدن المغرب الأوسط كبجاية ووهران وسطيف مع أنّها جميعا كانت خاضعة لسلطتهم.

أما في مدن الأندلس فقد تنوعت أشكاله بحيث لم يقتصر فقط على تسوير المدن بل تعداه إلى تشييد الأبراج وترميم القلاع وبناء الحصون[2]، ولعلّ ذلك مرده عائد إلى أنها كانت في الغالب عرضة لهجمات النصارى، فكانت من المدن التي شهدت مثل هاته التدابير مدينة لبلة التي أحيطت بالأسوار إحاطة تامة، وما زالت تلك الأسوار على حالها منذ أن جددها الموحدون أواخر القرن 06هـ/12م[3]، وقريبا من لبلة توجد أسوار اشبيلية خارج المدينة، وبها ستة أبراج موحدية كانت موزعة على الأسوار كلها، وما زالت تعرف حتى اليوم بالأسوار الموحدية [4]، وقد مست تحصينات الأسوار الموحدية حتى مدينة بطليوس بحكم وقوعها في طرف المملكة الإسلامية وتعرضها لهجمات النصارى المستمرة، فأمر الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بإنشاء قصبة وأسوار جديدة للمدينة وذلك حوالي سنة 563ه/1170م، ولا تزال تلك السوار والأبراج تحيط بها حتى اليوم[5]، وإلى وإلى جانب الأسوار والبروج عمل الموحدون على ترميم القلاع كقلعة رباح [6] وكذلك قلعة جابر التي كانت من حصون اشبيلية الأمامية، واشتهرت بحصانتها وأهميتها الدفاعية منذ عهد الطوائف لهذا

---

[1] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 189 -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 773-774.

[2] -عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، (مجلة عالم الفكر، العدد1، أبريل-مايو، 1977)، مجلد 8، 134.

[3] -تورس بلباس، المدن الإسبانية الإسلامية، 101-102.

[4] -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 67-68.

[5] -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 104 -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 376.

[6] -قلعة رباح: هي إحدى القلاع التي أقامها الموحدون لتكون محطة للجيوش المتنقلة من قرطبة إلى طليطلة لمحاربة النصاري، و لم يبق منها إلا آثار لأسوارها، ويقال إن اسم القلعة إلى تابعي دخل الأندلس اسمه علي بن رباح اللخمي، لتفصيل راجع: تورس بلباس، المدن الاسبانية الإسلامية، 86.

وسعت وجددت أيام الموحدين وتحديدا عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف [1]، كما امتدت تحصيناتهم إلى مدن عدة أيضا بالأندلس[2].

ومن مظاهر العمران الأخرى التي أخذت حيزا كبيرا في مجال المباني التي شيدها الموحدون نجد العمائر المدنية، والتي تنوعت من قصور وفنادق ومنازل وحمامات، ولكن هذا الاهتمام بالتشييد قد اختلف أثره بين بلاد المغرب والأندلس، فإذا حاولنا تتبع منجزاتهم في هذا المجال بالمغرب الأوسط فلا نجد أي إشارة لا في المصادر أو في الأبحاث الحديثة تطرقا لذلك باستثناء ما أورده أحد الباحثين من أن الموحدين قد قاموا ببناء قصر الإمارة بقسنطينة بعد استيلاءهم عليها سنة 548ه/1154م على أنقاض المعبد الروماني، وكان القصر يتألف من سقوف خشبية وثريات نحاسية، وهو مبنيّ بالرخام والجبس تتخلله بيوت الأمراء وكبار رجال الدولة، كما تحيط به أحواض الماء والأشجار المثمرة[3].

أمّا في الأندلس فقد حظيت اشبيلية بالصدارة في تركيز الموحدين للعمران بها، والسبب هو اتخاذهم لها عاصمة بالأندلس بعد مراكش بالمغرب خاصة عهد يوسف بن عبد المؤمن إذ زين هذا الأخير اشبيلية بأروع البنايات والمؤسسات العمومية[4] فكان من أشهرها قصر اشبيلية "Alcazar de sevilla" حيث تختلف الرواية في أصل هذا القصر، ويرى البعض أنّه يقوم في بعض أجزائه على أنقاض قصر المعتمد بن عباد[5]، ويدل ذلك على احتواء الموحدين للفن المعماري الخاص بملوك الطوائف الأندلسيين رغم فارق الفترة الزمنية بينهما، كما أنّه صورة من صور تأثير المعمار الأندلسي في مباني المغاربة هناك، وبالنسبة لتاريخ إنشائه فالرواية تضع سنة 567ه/1172م وأن تشييده كان بأمر الخليفة أبو يعقوب يوسف وذلك بعد الظفر في معركة الأرك الشهيرة، وممّا يجدر ذكره هو أن رغم التغيرات المتوالية التي أفقدت القصر الكثير من معالمه الإسلامية فإنّه لا زال بشكله الحالي يعتبر نموذجًا مميّزا للفن الإسلامي بالأندلس[6].

---

(1) -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 69.

(2) -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 98-99.

(3) -عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، 48.

(4) -غوستاف لوبون، حضارة العرب، 277.

(5) -أحمد الطاهري، البناء والعمران الحضري باشبيلية العبادية، "إعادة تركيب المدينة من خلال المصادر العربية"، (ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006)، 20-21.

(6) -تورس بلباس، المدن الإسبانية الإسلامية، 443 -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 64 -عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، (د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1986)، 121.

وفي نفس الفترة تقريبا أمر أيضا بإنشاء قصر بمدينة حصن الفرج بعد التحصينات التي أجراها عليها وذلك حوالي سنة 589ه/1193م، كما حدّد مكانا خاصا لبناء بعض المساكن وأشرف على متابعة بنائها بنفسه[1].

هذا وقد كان للموحدين أيضا أعمال متميزة في مجال العمارة الدينية ببلاد المغرب الأوسط والأندلس، وخاصة في تشييد المساجد والمآذن والمنارات [2]، فبالنسبة للمساجد على العهد الموحدي فقد توفرت فيها معظم المواصفات المعمارية للمساجد الكبرى بالحواضر الإسلامية من محاريب أعمدة وعقود[3]، وبرز ذلك في مساجد بجاية بشكل خاص وما يمثل نموذج عن ذلك مسجد عبد الحق الأزدي الاشبيلي دفين بجاية من القرن 06ه/12م، إضافة إلى جامع ملالة الأثري الذي التقى فيه ابن تومرت مع عبد المؤمن بن علي و لم يبق منه سوى محرابه الذي يكتسي أهمية كبيرة في الدراسات الأثرية الإسلامية بالجزائر، والذي تبدوا عليه تأثيرات الفن الموحدي التي ميّزت القرن 06ه/12م[4].

أما في الأندلس فإن بصمة الموحدين لم تكن أقل شأنًا من تلك التي خلفوها ببلاد المغرب الأوسط، ويمكن أن نقف على شاهد حيّ عنها من خلال تأسيسهم للمسجد الأعظم باشبيلية ومنارته.

-بناء المسجد الأعظم باشبيلية:

بالنسبة للمسجد الأعظم فقد أمر بإنشائه الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي شهر رمضان سنة 567ه/1172م أثناء إقامته بمدينة اشبيلية، لأن مسجدها الجامع المسمى: "ابن عدبس"[5]، قد ضاق ضاق برواده نظرا لنمو المدينة وتكاثف سكانها وكثرة الموحدين الوافدين عليها [6]، وقد ترك عبد الملك بن صاحب الصلاة مؤرخ الموحدين وشاهد العيان وصفا مسهبًا لإنشاء هذا الجامع فكان ما قاله عنه «إن أمير المسلمين الخليفة أبا يعقوب قد حاز الذخر والأجر في بناء هذا المسجد الجامع الكبير توسعة للناس، فأسسه من الماء بالآجر والجيار والحصى والأحجار على أعظم البناء والاقتدار

[1] -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 193-194 -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 301-302.

[2] -محمد الشريف واشق، نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، 28.

[3] -عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، 45 -محمد المنوني، حضارة الموحدين، 163.

[4] -رشيد بوروبية، المساجد في الجزائر سلسلة الفن والثقافة، (د ط، مدريد، 1971)، 21/4.

[5] -جامع ابن عدبس: ينسب هذا المسجد إلى عمر بن عدبس القاضي باشبيلية من طرف الخليفة عبد الرحمن بن الحكم، شيد سنة 214هـ أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم لتفصيل أكثر أنظر: أحمد الطاهري، البناء والعمران الحضري باشبيلية العبادية، 27-31.

[6] -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 211.

وأسس أرجله المعقودة بطاقات بلا طابية تحت الأرض أطول ممّا فوقها، وجمع عليه الفعلة بكثرة الرجال والخدام وإحضار الآلات من الخشب المجلوب من سواحل العدوة مما لا يقدر عليه ملك من ملوك الأندلس قبله، فأعلى بنيته وصقل صفحته بالاحتقان لتشييده، وأنفذ أمره العالي ببنائه في شهر رمضان من سنة سبع وستين وخمسمائة المؤرخة، لم يرفع البناء عنه قط في فصل من فصول السنين مدة إقامته باشبيلية إلى أن أكمل بالتسقيف وجاء في أبهى المنظر الشريف، أعجزني بنيانه من تقدمه وتغنى في ميزابه وخبره ورحمه مقدمه قارب به جامع قرطبة في السعة، وليس في الأندلس جامع على نده وسعته وعدد بلاطاته، كما عني العرفاء الأندلسيون ببناء القبة التي على محرابه ونجارتها أعظم عناية، وقد أقاموا عن يسار المحراب ساباطا في الحائط يشقه الخليفة من القصر إلى الجامع لشهود صلاة الجمعة وتفنن الصناع في عمل المنبر وصياغته من أكرم الخشب ثم عملت له مقصورة من الخشب مزينة بالفضة، وقد كان الخليفة يتفقد بناءه بنفسه في أكثر الأيام ومعه شيوخ مملكته، ويشير للمشرفين عليه بالجد في البناء وإتقانه حتى كملت جهاته الأربع بالبناء وعقد الأقواس وكمال التثقيف، واستغرق بناؤه ثلاثة أعوام وأحد عشر شهرًا، ليفتتح الجامع المذكور للصلاة بصفة رسمية حوالي سنة 571ه/1176م على يد والي اشبيلية السيد أبي إسحاق إبراهيم بن الخليفة يعقوب، أين أقيمت به خطبة لأول مرة في يوم الجمعة 24 ذي الحجة سنة 577ه/1182م، وأزيلت من جامع ابن عدبس من ذلك اليوم[1].

-بناء صومعة منارة الجامع والتي تعرف حاليا باسم «لاخيرالدا – La Giralda»:

تشير رواية إلى أن الخليفة أبو يعقوب يوسف لما عاد إلى الأندلس أوائل سنة 580ه/1184م معتزما غزو الأراضي النصرانية في جيوشه التي عبرت معه، أمر عند وصوله إلى اشبيلية أحد عماله أن يشتغل أثناء غيبته في الغزو ببناء صومعة أي "منارة للجامع" [2]، ليخرج الخليفة بعد ذلك في جيوشه للغزو أين وقعت بينه وبين النصارى معركة عنيفة بشنترين هُزم فيها الموحدون وقُتِل أبو يعقوب في تلك السنة، فلما بويع ولده أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور بالخلافة في اشبيلية أمر بالاستمرار في إنفاذ أمر أبيه ببناء صومعة الجامع، وكان العمل في بنائها قد بدأ بالفعل قبل ذلك ببضعة أسابيع حيث

---

(1) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة 382-388 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 211.

(2) -ذكر أحد الباحثين أن المؤرخين المسلمين وكذلك الرحالة، استعملوا بنفس المعنى الكلمات التالية: المئذنة، الميذنة، الصومعة، وجميع هذه الكلمات وإن اختلفت ألفاظها فإنّها تتفق في دلالتها، والمقصود بها في جميع الأحوال البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن حلول أوقات الصلاة، أنظر: طه الولي، المساجد في الإسلام، (ط 1، بيروت: دار العلم للملايين، 1988)، 848 -محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، 230.

وضع العريف المكلف بذلك أساسها مع عدد من العاملين، ثم وقعت بعض التعطيلات في عملية البناء بسبب تغيير العامل على هذا المشروع حوالي سنة 584ه/1158م، ليتواصل بعد ذلك بناء الصومعة وما اختل من الجامع وقد قدّم صاحب الصلاة وصفًا لطريقة بنائها[1] ويبدوا أن اكتمال تشييدها قد ارتبط بحدث تاريخي جد هام أراد الموحدون تخليده ألا وهو انتصارهم في موقعة الأرك الشهيرة سنة 593ه/1195م التي أحرز فيها المنصور تفوقا على القشتاليين[2]، وقد صادف عودته إلى اشبيلية اكتمال بناء الصومعة حيث زينها بتفافيح ذهبية في حفل كبير نقل تفاصيله ابن صاحب الصلاة باعتباره شاهد عيان على ذلك[3].

وبالنسبة لشكلها المعماري والهندسي فهي تتألف من طابقين الأوّل وهو الجزء الأعظم منها وينتهي بإفريز أفقي تعلوه فتحات، أما الطابق الثاني فهو عبارة عن برج صغير وتعلوه قبيبة مقرمدة يتوجها عمود هو الذي ركبت عليه التفافيح الأربعة؛ كما كانت لها زخرفة خاصة[4].

و لم تقف أعمال الموحدين في مجال العمارة الدينية بالأندلس عليها، فقد شيدوا أيضا منارة بمدينة رندة على شاكلتها، وهي تقع حاليًا في نهاية المدينة، وهي على صفتها تلك تشبه طراز المآذن التي شيدها الموحدون في عصرهم[5].

وبذلك يتبين لنا بأن الموحدين لم يكونوا أقل اهتماما من المرابطين في مجال العناية بالعمارة على مختلف أشكالها سواء ببلاد المغرب الأوسط أو الأندلس، كما وأنّه على عهدهم تم تطوير العديد من أساليب البناء، وإن كان الكثير من مخلفاتهم المعمارية قد تعرضت للتلف مع مرور الزمن وعبثت بها أيادي السنين، ومحت الكثير من ميزاتها التجديدات والإضافات التي أدخلت عليها، إلاّ أن بقاياه آثارهم فيها لا تزال خالدة لحد اليوم في العديد من المدن وبخاصة الإسبانية منها[6].

---

(1) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، 391-393 -عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، 23.

(2) -صالح بن قربة، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، 60.

(3) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، 385 -ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، 229.

(4) -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 51.

-Lucien Golvin, Essai sur l'Architecture Religieuse, Musulmane, Editions klinchesicle, Paris, Archéologie Méditerranéenne, 1970, T1, P 56-58.

(5) -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 274-275.

(6) -يقدم الأستاذ عبد الله عنان في كتابه "الآثار الأندلسية الباقية"، 274 أمثلة عن ذلك منها ما وقع للمسجد الذي شيد فيه الموحدون منارة بمدينة رندة حيث قال: «بأن المسجد تحول فيما بعد إلى كنيسة واتخذت المئذنة كبرج للأجراس، ثم هدمت بعد ذلك الكنيسة وبقي البرج أو المئذنة القديمة والظاهر أنّها ترجع إلى عصر الموحدين، إذ هي تشبه طراز مآذن عصرهم، وجزءها الأعلى هو الذي غير وحوّل إلى برج للأجراس، وبقي جزؤها من الأسفل على بنائه الإسلامي».

2-التأثيرات المتبادلة في الفن المعماري بين المغرب الأوسط والأندلس:

أ-كيفية انتقال التأثيرات المعمارية بين المغرب الأوسط والأندلس:

إن بدأ التأثير بين الفنين المغربي والأندلسي قد أخذ يتبلور فيما يعرف بالفنّ الأندلسي المغربي أواخر القرن 05ه/11م، مع دولة المرابطين خاصة بعد بسط نفوذها على العدوتين المغربية والأندلسية لنتواصل بعدهم على عهد الدولة الموحدية، حيث أصبح لهما في العمارة طراز واحد هو الذي سمي بالإسباني المغربي: "Hispano-Manireque"[(1)].

وهذا يدفعنا للاستفسار والتساؤل كيف تشكل مثل هذا الفن؟ وفيما تجلت آثاره؟

من خلال عديد المباني التي سبق الحديث عنها، والتي تم تشييدها من قبل المرابطين والموحدين بالمغرب الأوسط والأندلس برز ذلك الامتزاج والتنوع الفني، وقد ساعد على تفعيله عدة عوامل منها حركة انتقال البنائين والصناع والحرفيين في الاتجاهين معًا بطلب من الحكام، حيث أشار أحد الباحثين إلى أن تلك العملية قد انتقلت على عهد يوسف بن تاشفين، إذ استقدم هذا الأخير عددًا من الصناع من قرطبة إلى مدينة فاس للزيادة في مساجدها وسقاياتها وحماماتها وخاناتها [(2)]، وأشار المراكشي معلقا على ذلك بقوله: «فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم» [(3)]؛ ونفس الأمر وقع مع الموحدين إذ روي أن أميري الموحدين يوسف ويعقوب المنصور أحضرا من الأندلس مهندسين لإنشاء جميع المباني التي أقاموها في مراكش ورباط فاس[(4)].

ويبدوا أن استجلاب الصناع إلى بلاد المغرب عموما كان قد ارتبط بوفرة الصناعات وحاجة الدولة إلى مثل تلك الكفاءات، كما أفاد في جلب الصناعة للمغرب من خارجه وخاصة من بلاد الأندلس وذلك للتعاون مع الصناع المغاربة، إذ أسهم كثيرا في نقل هؤلاء الصناع والعرفاء والبنائين لمؤثرات الصنعة الأندلسية إلى بلاد المغرب كافّة [(5)]، إذ تشير المصادر إلى العديد من أسماء التي برزت

---

(1) -بن كانون صافية، التأثيرات الفنية الأندلسية على المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962ه/1235-1554م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس في الآثار، إشراف صالح بن قربة، (معهد علم الآثار، تخصص آثار إسلامية، جامعة ابن بعطوش، الجزائر، 1999)، 15.

(2) -عبد العزيز بن عبد الله، الفن المعماري بالمغرب والأندلس الأخذ والعطاء، مقال منشور ضمن كتاب التراث الحضاري المشترك بين اسبانيا والمغرب، (د ط، الرباط: الهلال العربية للطباعة والنشر، المملكة المغربية، 1993)، 309.

(3) -المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، 163-164.

(4) -غوستاف لوبون، حضارة العرب، 539.

(5) -الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، 190-191 -محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب، 37.

في هذا المجال من ذلك ذكر أن المهندس الذي رسم تصميم دار الصناعة البحرية بسلا على عهد المرابطين كان من اشبيلية[1]، وأن العامل الذي تولى بناء قلعة تاسغيموت المرابطية هو رجل أندلسي[2].

ومع أن المصادر لا تذكر منجزات هؤلاء العمال ببلاد المغرب الأوسط، إلاّ أن الشواهد العمرانية التي أقيمت في المنطقة خلال الفترتين المرابطية والموحدية كالمسجد الجامع بالجزائر وتلمسان تجعلنا نخمن أن يكون لبعض هؤلاء الصناع لمستهم في عمارة المغرب الأوسط خصوصًا وأن الأبحاث قد وقفت على نماذج منها أين برز تفنن هؤلاء الصناع المستجلبين أو المهاجرين وإتقانهم لصنعتهم في تلك الأبنية، إذ كانت غاية في التفنن حسب ما يعلم من مشاهدة ما بقي قائما منها[3].

وإلى جانب هؤلاء الصناع الذين تم استدعاؤهم بطلب من الخلفاء هناك آخرين انتقلوا إلى بلدان المغرب بما في ذلك المغرب الأوسط برغبة منهم بسبب الظروف الأمنية المتردية التي شهدتها مدن الأندلس أمام هجمات النصارى خاصة خلال القرن 06ه/12م، حيث أشار المقري نقلا عن أحد مؤرخي تلك الفترة إلى هذا الوضع بقوله: "لما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها في هذه الفتنة الأخيرة...تفرقوا ببلاد المغرب من بر العدوة مع بلاد افريقية...[وذكر أصناف الناس الوافدين من أهل البادية والحواضر ومشاركتهم لأهل المغرب أعمالهم، فكان من العناصر التي تحدث عنها ووصف نشاطها أهل الصنائع التي تنضوي تحتها فئة البنائين والمهندسين والعرفاء وغيرهم]"[4].

ويبدوا لنا من خلال تلك المقتطفات التي أوردها نشاط هؤلاء الصناع ودورهم في إدخال التأثيرات الأندلسية التي كانت منتشرة في مدنهم ونقلوها معهم إلى بلدان المغرب بما فيه المغرب الأوسط، وكانت جديدة عليه إذ استفادت منها أقطاره استفادت كبيرة أذهلت الناس ودفعتهم إلى تقليدهم والتعلم والأخذ عنهم[5].

---

[1] -الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، 11/2.

[2] -مؤلف مجهول، الحلل الموشية، 78.

[3] -عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، 271/2 -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 158 -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 44-45 -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 08.

[4] -المقري، نفح الطيب، 147/4-148.

[5] -وكان ممّا كتبه معلق على ذلك قوله...«وأما أهل الصنائع فإنّهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم وأخملوا أعمالهم، وصيروهم أتباعا لهم ومتصرفين بين أيديهم ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب مدة وأفرغوا فيه أنواع الحذق والتجويد ما يميلون به النفوس إليهم ويصير الذكر لهم»، المصدر نفسه، 148/4.

و لم يقف الأمر عند ذلك بل تعداه إلى الاستفادة حتى من خبرات الصناع والمهندسين الأندلسيين المقيمين بالأندلس، وتجلى ذلك في عديد المباني التي شيدت هناك[1]، منها على سبيل المثال ما أشار إليه ابن صاحب الصلاة في معرض حديثه عن المسجد الأعظم الذي أقامه الخليفة أبو يعقوب يوسف الموحدي سنة 567ه/1174م باشبيلية، حيث ذكر اسم الناظر على بناء المسجد وعرفائه والمشرف على الأعمال، والحفاظ على البناء وكانوا من أهل اشبيلية، زيادة على العرفاء أيضا الذين تكفلوا ببناء القبة التي على محرابه وبنجارتها[2]، وأقاموا عن يسار المحراب ساباطا في الحائط يشقه الخليفة من القصر إلى الجامع لشهود صلاة الجمعة[3]، وكذلك الشأن بالنسبة للقصور التي بنوها هناك[4]، ولعل اعتماد الموحدين عليهم إن دلّ على شيء فإنما يدل على كفاءتهم وسعة خبرتهم بهذا الجانب من جهة، وحتى تأتي تلك المباني مشابهة ومطابقة للفن المعماري السائد في الأندلس من جهة ثانية، وبطبيعة الحال لن يوجد أحسن من هؤلاء بإمكانه أن يحقق ذلك التماثل.

وإذا رجحنا القول بتفوق الخبرة الأندلسية في هذا المجال انطلاقا من الاعتماد على كفاءة ومهارة صناعها وبنائيها، فإن ذلك لا يعني إبعاد الفن المغربي ودور أهله فيه كدليل على تلك المشاركة المتبادلة والامتزاج الفني، إذ أن العديد من البنائين والصناع من جميع أقطار المغرب عموما ومن المغرب الأوسط بشكل خاص كانت لهم بصمتهم أيضا في المعمار الأندلسي[5].

ويمكن أن نقف على شواهد حيّة عديدة منها بناء صومعة منارة الجامع الأعظم باشبيلية والذي سبق ذكره والتي تعرف في المراجع باسم "لاخيرالدا" وذلك حين عزم أبو يعقوب يوسف على تشييدها سنة 580ه/1184م ليتم ابنه أبو يوسف يعقوب العمل فيها من بعده[6]، ومع أنّه أوكل لعرفاء لعرفاء أندلسيين تلك المهمة إلاّ أنّه إستعان أيضا بعرفاء وبنائين من أهل حضرة مراكش ومدينة فاس وأهل العدوة[7]، وهو ما يوحي بأن خبرات أقطار بلدان المغرب وبنائيه وصناعه قد انتقلت إلى

(1) -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 201.
(2) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة بالإمامة، 167.
(3) -محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين، 230.
(4) -عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، 201، 302.
(5) -صالح بن قربة، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، 60.
(6) -ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، 391-393 -عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 274-275.
(7) -ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، 392-393.

الأندلس عن طريق استدعاء هؤلاء للمشاركة في بناء المئذنة التي حاكت في طريقة بناءها مآذن الحماديين بالمغرب الأوسط بحسب الدراسة التي قدمها أحد الباحثين المختصين[1].

ومن هنا تبرز حقيقة ذلك التأثير، ففي الوقت الذي ركز المهندس الأندلسي رغبته في تحقيق التوازن بين القوى في المعالم المعمارية فإن المهندس المغربي هدف إلى ضمان متانة الهيكل بالإضافة إلى تجسيد ما كان يشعر به من حاجة إلى مزيد من الزخرفة والتنسيق، وهذا هو الطابع العام الذي اتسم به مجموع الفن المعماري في تلك الفترة إذ جسد التكامل الحقيقي والتناسق الفني بين نشاط المهندس المغربي والأندلسي في هذا المجال[2].

وإلى جانب دور البنائين والصناع والمهندسين في نقل التأثيرات المعمارية هناك عامل آخر لا يقل أهمية وهو جلب مواد البناء الأساسية والكمالية التي تدخل أكثر في عمليات التنميق والتزيين [3] وإن كانت المواد الأساسية كالطين والآجر متوفرة ومتداولة في كل من بلاد المغرب والأندلس وبحسب ما تشير إليه الدراسات، فإن من أهم مواد البناء التي تم استجلابها إلى بلاد المغرب الأوسط من الأندلس نجد الجص المائل إلى الصفرة وهو مادة استخدمت لتسهيل النقش [4]، وهي تحلي الإطار الخارجي لمحراب المسجد الجامع بتلمسان الذي بناه المرابطون وسبق الإشارة له، ويبدو أن نفس المادة قد استخدمت بجامع قرطبة، ذلك لأن هندسة الجامع بتلمسان تماثل هندسة جامع قرطبة في شكل عقودها وفي زخرفة قبة المحراب[5].

زيادة على الرخام، وهو من المواد النادرة استخدمه الفنان المرابطي لصناعة الأعمدة والتيجان ذلك أن معظم التيجان التي أقامها المرابطون في عمائرهم قد تم استجلابها من الأندلس، و لم يتخذ المرابطون تيجانا من هذا النوع لأسباب منها عدم توفر الرخام بمنطقة المغرب عموما [6]، وبالتالي فإنّ استعمال المرابطين لمثل مواد البناء المستخدمة في الأندلس يمثل خطوة حقيقية لنقل عدد من المؤثرات

---

[1] -صالح بن قربة، المئذنة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى، 60.

[2] -عبد العزيز بن عبد الله، الفن المعماري بالمغرب والأندلس، 309.

[3] -حسن باشا، قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية، (د ط، القاهرة: دار النهضة العربية، 1988)، 244.

[4] -عن هذه المادة وغيرها من مواد البناء المستعملة في العمائر الإسلامية أنظر: إبراهيم سليمان الكردي وعبد التواب شرف الدين، المرجع في الحضارة الإسلامية، (د ط، الكويت: منشورات دار السلام، 1984)، 492-497.

[5] -سفروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي "منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين،دراسة تاريخية وأثرية"،رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية،إشراف صالح بن قربة،(معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1994)،66.

[6] -عبد العزيز بن سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 678 –محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 141.

العمرانية المعروفة في الأندلس بالفن الخلافي بقرطبة[1]، ويضاف إلى هذا استخدام الملاط الذي شيدت به أغلب الأسوار التي أقامها المرابطون ومن بعدهم الموحدون بالمغرب عموما والأوسط بشكل خاص والتي سبق الإشارة إليها، والملاط من المواد شديدة الصلابة حيث يذكر مورينو «أنّه مزيج من الجير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة»[2]، هذا وقد أخذ بناء الأسوار في عصر الموحدين يتجه نحو البناء بالطابية وهي طريقة عرفتها الأندلس منذ القرن 04ه/10م[3]، ويبدوا أنّها كانت معروفة أيضا بالمغرب الأوسط قبل الموحدين، ولكن استخدام الطابية القويّة التي تدخل فيها مكونات صلبة كالجيار وغيرها كان يعتبر من طرق البناء التي نقلت إلى المغرب من بلاد الأندلس على عهدهم[4].

يضاف إلى هذا أن الموحدين استعملوا بعض المواد البنائية التي تعود إلى عمائر قديمة في منشآتهم المعمارية بالأندلس[5].

وإذا كان المغرب بعمومه قد استفاد من تلك المواد المعمارية التي نقلت إليه من الأندلس بإيعاز من الحكام والتي عن طريقها انتقلت المؤثرات العمرانية إليه، فإنّه بدوره قد خدم المعمار الأندلسي بمواد بناء أخرى قد نقلت تلك اللمسة المعمارية ذات الطابع المغاربي منها مادة الخشب [6] ومع توفره بالأندلس إلاّ أن ابن صاحب الصلاة قد أشار إليه في معرض حديثه عن بناء منبر مسجد اشبيلية إلى أن خشبه جلب من سواحل العدوة حيث قال: "إن الأمير الخليفة أبو يعقوب قد حاز الذخر والأجر في بناء هذا المسجد...وجمع عليه الفعلة بكثرة الرجال والخدام وإحضار الآلات من الخشب المجلوب من سواحل العدوة ممّا لم يقدر عليه ملك من ملوك الأندلس قبله، ولقد وظفوه في عمل المنبر وصياغته"[7]، ممّا يعني أن العديد من مدن سواحل المغرب قد نقلت منها تلك المادة نحو الأندلس، ولعلّ من خشب بجاية ووهران وغيرها ما تم توظيفه في عمل ذلك المنبر.

---

(1) -سفروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط، 66.

(2) -إبراهيم سليمان الكردي، المرجع في الحضارة الإسلامية، 495.

(3) -باسيليوبابون مالدونادو، العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، ترجمة علي إبراهيم منوفي، (ط 1، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، مجلد 2/331-332.

(4) -عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، 774-775.

(5) -ذلك أنّ أبو يوسف يعقوب الموحدي حين أمر ببناء صومعة منارة مسجد اشبيلية الأعظم، أخذ صناعه وعرفاؤه من بناء حجر سور قصر ابن عباد القديم المسمى بـــ "الطجون العبادي"، أنظر: عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، 51 -محمد المنوني، حضارة الموحدين، 169 -أحمد الطاهري، البناء والعمران الحضري باشبيلية، 31.

(6) -باسيليوبابون مالدونادو، العمارة في الأندلس، 2/368.

(7) -تاريخ المن بالإمامة، 382-385.

ويضاف إلى البناء مسألة التنميق والتزيين بمادتي الفضة والذهب، حيث ذكر أحد الباحثين أن إدخال مثل هذه المواد في البناء يعد حادثة جديدة قد أبدعها الموحدون و لم يسبقهم إليها أحد، إذ لا تذكر المصادر استخدام مثل هاته المعادن في عملية البناء والتزيين من قبل[1]، ويمكن أن نلاحظ نموذج عن استخدامها من خلال التفافيح الذهبية التي وضعت في أعلى منارة مسجد اشبيلية الذي أقامه الموحدون، زيادة على توظيف معدن الفضة في تزيين المنبر[2].

زيادة على استعمال آلة الحديد في عمليات نقش الجص أثناء الزخرفة على جدران المحاريب لإضفاء شكل من الجمال عليها وكانت هذه الطريقة منتشرة بالمغرب عموما وتعرف باسم "نقش الحديد"[3]، ولعلّها قد انتقلت إلى بلاد الأندلس مع استيلاء المرابطين عليها لأنّ استعمالها ظهر أيضا في عمارتهم هناك.

وحتى تتوضح أكثر صورة هذا الطراز المعماري الذي سميّ بالإسباني المغاربي فإنّه لا بد من استعراض نماذج عنه انطلاقا ممّا شيّد من مباني برز فيها هذا التنوع والامتزاج والتأثير.

ب- نماذج عن التأثير في فنون العمارة الإسلامية بين المغرب الأوسط والأندلس:

لقد انعكست مظاهر التأثير والتأثر في مجال فنون العمارة الإسلامية بين المغرب الأوسط والأندلس من خلال نماذج عديدة للمنشآت العمرانية والمباني التي شيّدت، وقد مسّ هذا التأثير شكل البناء في مظهره الخارجي، كما مسّ أيضا الجانب الزخرفي.

-شكل وطريقة البناء:

إن من أولى النماذج التي يمكن أن تستوقفنا كشاهد حي على هذا النوع من التأثير، والذي تسرب إلى عمارة المغرب الأوسط من الأندلس نجد طريقة بناء المسجد الجامع بتلمسان الذي بني على عهد المرابطي سنة 463ه/1070م، وعلى وجه خاص محراب الجامع الذي يشبه محراب جامع قرطبة شبها كبيرًا بشكله الهندسي المجوف والمقوس ذي الثمانية أضلاع[4]، والذي يماثل إلى حد ما الفن المعماري للدولتين الزيرية والحمادية من خلال اتخاذهما للمحاريب ذات التخطيطات المجوّفة أو

---

[1] -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 85.

[2] -أنظر رواية ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة، 385.

[3] -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 85.

[4] -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45 -رشيد بورويبة، المساجد في الجزائر، 21/4 -سفروح أم الخير، تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط، 68.

المقوسة[1] زيادة على قبة المحراب وهي من النوع القائم على الضلوع المتقاطعة في شكل أحاديد نصف دائرية موضوعة بالتناوب على مثلثات وهي بنفس شكل قبة محراب جامع قرطبة [2]، وقبة مسجد باب المردوم بطليطلة[3]، إضافة إلى سقف المسجد وهو خشبي مصنوع في شكل سطح منشوري ومتسنم على نحو صنع سقف جامع قرطبة[4] والذي يشبه أيضا سقف المسجد الجامع بالجزائر والذي بني على عهد المرابطين سنة 460ه/1097م[5] ممّا يعني أن المهندس الذي أشرف على البناء في مسجد تلمسان هو ذاته الذي أشرف على غيره من المساجد التي شيّدت بالمغرب الأوسط خلال نفس الفترة، وقد حرص على تخطيطها تخطيطا مماثلا لما هو عليه جامع قرطبة بالأندلس ممّا يدفعنا إلى التخمين بأن هذا المهندس الذي وضع هيكل البناء في جامع تلمسان قد استقدم من الأندلس بدليل مراعاته لهذا التطابق الكبير، والذي لم يكن لأي مهندس عادي من بلاد المغرب أن يجسدها بتلك الصورة الحيّة ما لم يكن على علم وإطلاع بالبيئة التي أقيم فيها جامع قرطبة[6].

وأما النموذج الثاني الذي يدل أيضا على انتقال التأثيرات المتبادلة في هذا المجال نجد صومعة أو منارة مسجد اشبيلية المعروف بـــ "لاخيرالدا" التي سبق وأشرنا لها، إذ استنادا للدراسة التي قدمها أحد الباحثين الجزائريين حول المآذن المغربية والأندلسية توصل هذا الأخير إلى الحكم بأن مئذنة مساجد قلعة بني حماد قد أثرت في المآذن التي شيّدها الموحدون، وأن وجه هذا التأثير قد تجلى بشكل واضح في مئذنة جامع اشبيلية، وقدم وصفًا لطريقة بناء مئذنة مسجد النكاعين بالقلعة استنادا للحفريات التي توصل إليها الباحثون في آثار المنطقة[7]، مما يعني أن الفن المعماري بالمغرب الأوسط قد أثر في عمارة الأندلس انطلاقا من شكل البناء والمواد المستخدمة والمقاييس المعتمدة [8]، مع الأخذ

---

[1] -بورويبة، المساجد في الجزائر، 21/4.

[2] -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45 -عبد العزيز بن سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 60/2.

[3] -باب المردوم: أطلقت هذه التسمية عليه لوقوعه بجانب أسوار مدينة طليطلة، بني على عهد الخليفة الأموي هشام الثاني بن الحكم، أقامه أحد أعيان المدينة الذي اشتهروا بالعلم على يد موسى بن علي، وكان البناء سنة 390هـــ -999م، أنظر: مورينوا جوميث، الفن الإسلامي في إسبانيا، 236 -عبد العزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، 25.

[4] -عن وصف جامع قرطبة راجع: ابن غالب الأندلسي، قطعة من كتاب فرحة الأنفس، 295-298 -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 72، 79 -عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 59/2.

[5] -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 92 -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45 -عبد الرحمن الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر "معماريا وتاريخيا"، 127.

[6] -عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 60/2.

[7] -صالح بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية، 40-42.

[8] -المرجع نفسه، 43.

بعين الاعتبار الزيادات والتعديلات التي استخدمها الموحدون في عمارة المآذن[1]، ومن هنا يتضح بأن التأثير من حيث شكل البناء كان متبادلاً فكما نقل الأندلسيون بصمتهم إلى عمائر المغرب الأوسط وخاصة الدينية منها، كذلك وصلتهم طرق وأشكال البناء بالمغرب الأوسط والذي برزت جليّة على عهد الموحدين من خلال منارة اشبيلية.

هذا و لم تقف التأثيرات المتبادلة عند شكل البناء فحسب بل تعدتها أيضا إلى مظهر آخر وهو فن الزخرفة والتزيين.

-استخدام الفنون الزخرفيـــة:

لقد شاع استعمال الفنون الزخرفية في العمائر الإسلامية بعد أن تعرف المسلمون على فنون الحضارات السابقة وهذبوها وأخضعوها لفلسفة الدين الإسلامي ومقاييسه، فكان منها استخدام الزخارف لإضفاء لمسة من الجمال على تلك العمائر[2]؛ وتوصل الدارسون إلى معرفة أنماط الزخارف الزخارف المنتشرة في عمائر الدول السائدة في المغرب الإسلامي والأندلس، وذهب بعضهم إلى القول بأن الأندلس كان لها طابع خاص عن باقي المدن المغربية في ذلك، بل أن العديد من حواضر المغرب قد غرقت في منابع الزخارف الأندلسية[3]، وبدأ يظهر ذلك جليّا من انفتاح المرابطين على التأثيرات المعمارية القرطبية التي تطورت في عصر الطوائف إلى ما يعرف بالفنون الأندلسية وعلى رأسها الفنون الزخرفية التي تأثروا بها، لأنّهم لم يعتنوا في جميع منشآتهم الدينية والمدنية إلاّ بالعناصر الضرورية [4] فكان من أهمها الزخرفة النباتية والكتابية ومع أنها وجدت أيضا في عمائر المغرب الأوسط من قبل إلاّ أنها لُمست بطابع خاص عندما تدفقت عليها تلك العناصر الزخرفية الأندلسية التي كانت موجودة مثلا بجامع قرطبة[5] وغيرها من الفنون بمختلف أنحاء الأندلس ثم شهدت تطورًا على عهد الموحدين انطلاقا من الإضافات والزيادات التي صبغوها بها[6].

---

[1] -محمد الطيب عقاب، الأثر الفني في العمارة الموحدية ضمن كتاب لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 24.

[2] -عبد العزيز كامل، الفن الإسلامي بين الدين والإبداع ضمن كتاب الفنون الإسلامية المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة، (د ط، دمشق: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة، 1989)، 37.

[3] -حسن باشا، قاعة بحث في العمارة والفنون الإسلامية، 244.

[4] -محمد الطيب عقاب، لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 23.

[5] -محمد الطيب عقاب، لمحات من العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 89 -شرقي أرزقي، مكانة المقرنصات الحمادية في العمارة الإسلامية، مذكرة ماجستير، إشراف محمد الطيب عقاب، (معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1996)، 21.

[6] -حمدي عبد المنعم، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، 346 -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، 84.

فمن أشكال الزخرفة التي استخدمت نجد الزخرفة النباتية التي تعتمد على العناصر التوريقية وبرز استعمالها بشكل خاص في تزيين التيجان وكانت في شكل مستدير البدن، وأخرى ملتوية بصورة التعاكس مع وجود العصابة (الطوق) [1] وممّا يثبت استخدام هذا النوع من الفن الهندسي في تيجان عمارة المغرب الأوسط ما عثر عليه أحد الأثريين مجسدا في أحد تيجان قصر البحر ببجاية، مع أنّه كان مهشما من أعلاه إلاّ أن صفوف الأوراق المحورة بقيت بارزة فيه[2].

وهناك أمثلة عديدة تماثله في تلك التوريقات خصوصا السائدة في تيجان مسجد قرطبة والتي استوحى المرابطون منها تلك الزخرفة وأدخلوها على تيجان مسجد تلمسان [3] وزخارف المسجد الجامع بالجزائر[4].

وقد استطاع الموحدون إدخال تطويرات جديدة على هذا العنصر ليبتعدوا عن دائرة التقليد ويحرروها من معالمها التي تمتاز بها في الفن الحمادي وكذلك القرطبي ومن بعده المرابطي، فجعلوا الأوراق ملساء خالية من الوخز والتشقيق في حوافها[5]، وكذلك الشأن مع أشكال الزخرفة الأخرى الأخرى كالمعيّنات المتشابكة والمفصصة التي زيّنت بها بواطن العقود في بروج المآذن، كعقود وقبة محراب جامع قرطبة، وواجهة محراب جامع تلمسان وعقود قبة جامع الجزائر ومئذنة مسجد اشبيلية، وهي مشابهة لتلك التي كانت موجودة في محراب جامع قرطبة وتعد من أجمل العناصر الزخرفية مثالية[6] هذا زيادة على استخدام فن القواقع المروحية[7].

---

(1) -صالح بن قربة، العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر، (مجلة سيرتا، قسنطينة: يصدرها معهد العلوم الاجتماعية، العدد 3، السنة 2، ماي 1980)، 48.

(2) -رشيد بورويبة، بجاية سلسلة الفن والثقافة تنشرها وزارة الأخبار، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976)، 62-63.

(3) -محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، 45 -عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، 60/2.

(4) -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، 158 -عبد الرحمن الجيلالي: الجامع الكبير بمدينة الجزائر، 128 -صالح بن قربة، العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر، 54-55.

(5) -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 158.

(6) -عبد الرحمن الجيلالي، المسجد الجامع في الجزائر، مجلة الأصالة، 118 -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 186-187 -مظفر عزت الشيخ قادر، الفن في مسجد قرطبة، (مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ بجامعة الجزائر، العدد 2، سنة 1986)، 21-30.

(7) -ذكر أحد الباحثين أن هذا الفن الزخرفي كان موجودًا في تكسية مشكاوات واجهة مئذنة مسجد القلعة الحمادية وفي حنيات المحاريب في قبيبات المسجد الأموي بقرطبة، أنظر: محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 09.

وأما الزخرفة الكتابية التي تعد أداة خلق جمالية وظيفتها أن تحمل كلمة الله، وهي على نمطين من الخط الكوفي والنسخي[1]، وقد ظهرت في المسجد الكبير بتلمسان على نوعين مختلفين فالنطاق الذي يعلو عقد المحراب حفرت فيه آية: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، بينما الخط الكوفي استعمل في اللوحتين على جانب جدار المحراب، واحتفظت حروفه ألفاته ولاماته بالنمط الأول وتتنوع في الحرف، أما القسم السفلي فهو خال من الزخرفة وذلك على النحو المتبع بمحراب مسجد جامع قرطبة[3]، وكذلك الأمر مع منبر جامع الجزائر الذي يرجع تاريخ بنائه إلى أوائل القرن الخامس هجري فهو مزيّن بالخط الكوفي المتشابك على خشبي جانبي مدخله وأعلاه [4]، وأيضا في منبر جامع ندرومة[5]، زيادة على ما تتضمن تلك المحاريب من كتابة أثرية تمت زخرفتها على الجص بخط أندلسي يتميز بالجمال والانسجام[6].

من خلال ما سبق نستنتج بأنّ مظاهر العمارة بالمغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة كانت متنوعة، وإن كان الغالب عليها هو اهتمام الحكّام وتركيزهم على العمارة العسكرية والدينية، كما يُلاحظ أن هناك تطور وازدهار في الفنّ المعماري بالأندلس إذا ما قورن به في المغرب الأوسط خاصة على العهدين المرابطي والموحدّي، كما أنّ العديد من مظاهر العمارة الأندلسية قد تسربت إلى عمارة المغرب الأوسط وذلك منذ عهد المرابطين، وبرز التأثير المعماري للفنّ الأندلسي خاصة في عمارة المساجد انطلاقا من طريقة البناء وشكل الزخرفة وذلك بفضل انتقال الحرفيين والصناع والبنائين.

---

(1) -باسيليوبابون، العمارة في الأندلس، 105/2.

(2) -سورة الأعراف، الآية 54 (رواية ورش).

(3) -محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، 87.

(4) -عبد الرحمن الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر، 126-127 -عبد الحق معزوز، الخط الكوفي في الجزائر على الحجر والخشب والجص من القرن 02-08هـ/08-14م، دراسة أثرية فنية، (رسالة ماجستير، إشراف عبد العزيز لعرج، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر، 1996)، 07.

(5) -محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية، 86 -رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة إبراهيم شبوح، (د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979)، 53، 65.

(6) -وردة فاضل، تطور العناصر الزخرفية في عمارة المغرب الأوسط الدينية "من القرن 05 إلى غاية 08هـ دراسة أثرية فنية"، (رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قربة، جامعة الجزائر، 2002)، 119، 209.


الخاتمة

الخاتمة

بعد التعرض لهذا الموضوع بالدراسة والمناقشة والتحليل خلصت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

-إن الاتصال الحضاري بين المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة موضوع البحث قد أسهمت في تكوينه عوامل جغرافية باعتبار أن التقارب الطبيعي قد جعل أمر التنقل سهل بين البلدين زيادة على فترات التوحد السياسي، إضافة إلى الحاجة الاقتصادية التي جعلت كل طرف يستفيد من الآخر.

-لقد أسهمت الهجرة الفردية والجماعية بين الجانبين في فتح المجال للتواصل الحضاري والاجتماعي، حيث سهل الاستقرار والاستيطان عملية الاحتكاك بين الأفراد والجماعات من المغرب الأوسط ومن الأندلس، وشجع ذلك على الانصهار والتزاوج وإن كانت قد اعترضته بعض حالات التحفظ بسبب الأعراف والانتماءات العرقية والصراعات السياسية.

-كانت البيئة في المغرب الأوسط قد أوجدت مجالا للتعايش بحيث استطاع الأندلسيون التأقلم مع الوضع والاستقرار بالمنطقة وممارسة أنشطتهم المختلفة كما نجحوا في تحصيل مكانة متميزة داخل المجتمع، أما أهل المغرب عموما فيبدوا أن أغلبيتهم عاشوا حياة متوسطة بالأندلس ومارسوا أنشطة بسيطة بحكم تحفظ الأندلسيين وإبعادهم للعناصر الأخرى عن الوظائف الإدارية.

-إن تدعيم العلاقة وتوطيدها بين المغرب الأوسط والأندلس خلال الفترة موضوع الدراسة قد سيرته خاصة أمور الجهاد والدفاع عن أراضي الإسلام ضد النصارى على عهدي كل من المرابطين والموحدين وفتح ذلك الباب للتوحد السياسي الذي أدى دورا مميزا في تسهيل انتقال التأثيرات الحضارية بين الجانبين خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي.

-تمييز مظاهر عدة لتشابه الثقافة المجتمعية عند أهل البلدين كأسماء بعض الأزياء والألبسة وأخرى للأطعمة والأشربة مع بروز مظاهر للتأثير والتأثر بين الجانبين كانتقال أكلات شعبية مشهورة بالأندلس وتداولها بالمغرب الأوسط أو العكس.

-بالنسبة لمظاهر الاحتفال بالأعياد خاصة الدينية منها والمناسبات الاجتماعية فهي تكاد تكون نفسها ببلاد المغرب الأوسط والأندلس، وإن كان هناك تباين واختلاف في بعض طرق وعادات إحياء تلك المناسبات.

-لقد ظهر أيضا بأنه كان للمغاربة والأندلسيين أوقات للهو والترفيه عن النفس من خلال طرق ووسائل معينة، كالألعاب والتنزه والسباق وغيرها، كما تسربت بعض تلك الوسائل إلى الآخر

من خلال حركة الهجرة كألعاب الفروسية وإدخال أجود أنواع الخيل من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس وهو ما أسهم في تحقيق مبدأ الأخذ والعطاء لتنويع الثقافة المجتمعية والتقريب بين القطرين لتسهيل عملية التبادل.

-إن عناية الحكام بالمغرب الأوسط والأندلس خلال القرنين 05-06ه/11-12م بالعلماء وتشجيعهم واستقدامهم قد فتح المجال للتقارب واللقاء، وبالتالي الاطلاع على مختلف العلوم والمعارف والمصنفات، وتبادل الأفكار والخبرات، وقد تدعم ذلك بشكل كبير بعد التوحد السياسي الذي حصل بين المغرب الأوسط والأندلس على عهدي كل من المرابطين والموحدين.

-لقد أدت المؤسسات التعليمية دورا رياديا في تكوين وتخريج العلماء من حواضر الأندلس والمغرب الأوسط وكانت تلك المنارات سببا في تولية العديد من طلبة العلم وجوههم إلى الرحلة بحثا عن الاستزادة من العلم والرغبة في التكوين على يد أشهر المشايخ وتحصيل الإجابات العلمية منهم.

-لقد تدعمت الصلات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس عن طريق الرحلة في طلب العلم ولقاء الشيوخ إلى المشرق والحج، والأهم من ذلك أنها أسهمت في جمع كل من أهل المغرب الأوسط وأهل الأندلس في حلقات العلم للنهل منه، وبالتالي فسح المجال لتبادل الخبرات والمعارف العلمية وانتقال الكتب والمؤلفات والتحصيل على الإجازات باعتبار أن الأندلس كانت تحوي في الفترة موضوع الدراسة على مشيخة علمية يرتحل الطلبة من أجل لقائهم من المشرق والمغرب.

-بناء على ما تقدمه لنا كتب الطبقات والتراجم والسير وما تنقله من روايات عن حياة العلماء الأندلسيين الذي دخلوا المغرب الأوسط أو العكس من أهل المغرب الأوسط الذين انتقلوا إلى الأندلس، نجد بأن أعدادهم كبيرة كما أن اهتماماتهم العلمية واسعة (العلوم الدينية، العقلية، الأدبية) هذا زيادة على ما وضعوه من مصنفات وكتب وفهارس كل ذلك يعكس صورة الوحدة الثقافية ومستوى التفكير والاجتهاد والاتصالات والتبادل.

-بالنسبة لإشكالية اللهجة البربرية فيبدو أن المغاربة عموما بما فيهم أهل المغرب الأوسط الذين انتقلوا إلى الأندلس قد نجحوا إلى حد ما في إدخال ونقل لغتهم ولهجتهم البربرية الأمازيغية إلى الأندلس، انطلاقا من جعلها عملة متداولة هناك للاتصال بين بعضهم البعض ومع الآخرين وتوظيف مصطلحات منها في لغة الحوار والخطابات الرسمية هذا زيادة على تأثرهم بلغة الأندلسيين.

-تأثر الأندلسيين باللهجة المغربية والتي كانت قريبة من عاميتهم الأندلسية ويمكن أن نقف على شواهد حية عن ذلك من خلال المصطلحات التي توظف في الأمثال والأزجال.

-وجود المغاربة بالأندلس واستقرارهم هناك فسح المجال أمامهم أيضا للتعرف على للغة الأندلسية والتكلم بها وأنها صارت من الذيوع والانتشار إلى درجة يتعجب الأندلسيون ممن لا يحسن الكلام بها.

-لقد تثبت التواصل الأدبي أكثر من خلال الأمثال الشعبية كعملة متداولة عند كل من المغاربة والأندلسيين بالرواية الشفوية وهي تنقل من خلال صيغتها وما تحمله من مصطلحات التراث الشعبي المشترك، وارتباطه بالوسط الاجتماعي والبيئي.

-بما أن الموسيقى تعكس مظهر المجتمع الوجداني من خلال التعبير عن المدركات والعواطف ونقل المعاني للآخر بموسيقى يستسيغها السامع، فالظاهر بعد البحث أن الأندلسيين كانوا فيها أصحاب صنعة وإبداع لهذا كان التأثير من جانبهم أكثر بروزا على فن الموسيقى المغربي وبالتالي احتلت الموسيقى الأندلسية حيزا كبيرا في التواجد ببلاد المغرب الأوسط، وقد نقل وشاحي الأندلس وزجاليه وموسيقييه تلك التطورات التي شهدتها بلادهم في مجال الفن الغنائي إلى أرض المغرب الأوسط، حيث مثلت الأرضية التي استند لها تاريخ الغناء الأندلسي أو المالوف في الجزائر فيما بعد.

-لقد تعدى التواصل الفني مجال الملموس والمحسوس إلى مجال الأصم الناطق من خلال فن العمارة والبناء وما صاحبهما من الزخرفة والتنميق، حيث استحوذ فن العمارة على حيز كبير من اهتمام المغاربة والأندلسيين إذ استوحوا مجالات التعبير والإبداع فيها من واقع حياتهم، كما أدخلوا الفنون الجمالية الزخرفية عليها مما أعطاها ذلك مسحة من الجمال والإبداع، فقد انتقلت التأثيرات المعمارية بين الأندلس والمغرب الأوسط مع انتقال البنائين والصناع والمهندسين، وانعكست مظاهر ذلك التأثير في شكل البناء وزخرفته كما هو الحال مع المساجد بالجزائر وتلمسان على العهد المرابطي.

وبذلك فإنّ القطرين المغرب الأوسط والأندلس قد جمعتهما مظاهر تواصل مختلفة مست ميادين عدة ثقافية واجتماعية وفنية وتاريخية، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن مجال التبادل بينهما كان مفتوحا فقد أسهم في تحقيق التنويع الثقافي من خلال استفادة كل من الآخر.

الملاحق

رسالة حول مشاركة الأندلسيين أهل المغرب الأوسط
في جهاد النصارى من خلال معركة بحرية قرب مدينة تنس على العهد الموحدي

نص الرسالة:

حضرة سيدنا المعظم الأسنى (من المرجح أنه السيد أبو محمد عبد الله ابن الخليفة عبد المؤمن والي بجاية "557-560ه")، بن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين —أيد الله أمرهم، ونصرهم- من الملتزمين لأمرهم، المديمين لحمدهم وشكرهم، الطلبة الذين بفلانة سلام على السيد المعظم الأسنى ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي يسرّ الفتح الجليل آية لأمره شاهدة، ونعمة بأعلى منها واعدة والصلاة على محمد نبيه ورسوله، وعلى صحابته التي عكفت على إعلاء دعوته ونصر كلمته...بإمداد جيوشه بجيوش من الرعب تسير بين أيديها ناهدة، وتغادر فرق الكفر والضلال......

فالكتاب —أعلى الله قدركم، وأدام تأييدكم ونصركم- وقد فتح الله—جلت قدرته وعظمت منته- ببركة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين —أيدهم الله- في غزوة بحرية عظيمة الأثر، كريمة الخُبْرِ والخَبَرِ، ...وصورتها الحسنى أن القطعتين المباركتين اللتين تقدم الاعلام بتوجّههما لانتهاز غزو إن اتفق، ...وكانت الجماعتان اللتان في القطعتين إحداهما من أهل بجاية والثانية من أهل بونة ومقدماهما حسن وأبو بكر —أكرمهم الله- نهضوا وشعارهم التوحيد واستنصارهم بيمن الخلافة، ...فوافوا مرسى تنس —حرسها الله- عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع (من) رجب الفرد، وغذا فيه غرابان اثنان أحدهما من طرطوشة والثاني من برشلونة —فتحهما الله- ولم يكن عند واحد من الفريقين علم بالثاني وإنما كانت مفاجأة لم يتقدم لها مقدمة ....، ووقفت كل قطعة بإزاء صاحبتها فتناطح القوم هناك وتراموا بالسهام وتداعسوا بالرّكاح، ...وتثلّمت أجزاء من المراكب لفرط التداني على سَعة الميدان، وامتد القتال من الوقت المذكور إلى قرب الزوال...فعند ذلك أهبّ الله ريح النصر لأوليائه، ومكّنهم من ظهور أعدائه، ...وتغلبوا على إحدى القطعتين......[1].

أحمد عزاوي، رسائل موحدية، 83/1-84

---

[1] الرسالة مؤرخة بين سنتي 555-558ه، من إنشاء القاضي أبو موسى عيسى بن عمران التلمساني، تدور حول معركة بحرية وقعت بين قطعتين من الأسطول الموحدي من بجاية وبونة ضد قطعتين نصرانيتين من طرطوشة وبرشلونة قرب مدينة تنس بالمغرب الأوسط.

ملحق رقم 02: دخول أهل المغرب إلى الأندلس
من أجل المشاركة في جهاد النصارى على العهد الموحدي

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده، من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيده الله بنصره وأمده بمعونته، إلى الطلبة والموحدين الذين بجزيرة الأندلس، أدام الله توفيقهم وكرامتهم، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أما بعد....

وإنا كتبناه إليكم.... من حضرة مراكش حرسها الله ....وما زلنا –وفقكم الله على أتمّ العناية بتلكم الجزيرة- مهدها الله- والحرص على غوثها والانتواء لنصرتها، والعمل على قصد ذلك بالمباشرة والمشاهدة، إشفاقا على ما استضام منها جيرتُها الأعداء وأبناؤها الأعقّاء مجسمين وروما، وما كادوها به من التكلف والتحيف والتنقص، ... ونراه من الأهم/الأعنى والأول الأوْلى، قياما بحق الله في جهاد أعدائها ومكابري (مناويها)،...وتمكن أسباب التفرغ لذلك والتوسع فيه والنظر في أحكامه، .... فلا يسع إهمالها ولا يسوغ الإضراب عنها، قياما بحق الدين،...ويفضي المقصود الأول من التفرغ للجزيرة –مهدها الله- والتوطئة لأمرها، وما فتئ الاشتغال بهذا الغرب يلظ بأرجائه، ويشتمل على جوانبه ويتخلل زواياه،... وتوجّه حفل الاشتغال إلى الجزيرة –مهدها الله- وتوفرت دواعي الاستعداد لنصرتها وجهاد عدوها، ورأينا في أثنا(ء) ما نحاوله من مَروم هذه الغزوة الميمّنة المَباشرِ أن نقدم بين أيدينا عسكرا مباركا من الموحدين –أعانهم الله- صحبة الشيخ الأجل أبي حفص –أعزه الله- يكون تقدمة لجواز جمهور الموحدين، وموذنا بما عزمنا عليه والله المستعان –من التحرك بجملة أهل التوحيد، والقصد لهذا الغزو الميمون الذي جعلناه نصب العين وتجاه الخاطر، فتتعاونون مع إخوانكم الواصلين –على بركة الله- إليكم على جهاد أعدائكم إلى أن يوافيكم –إن شاء الله- هذا العزم، ... وإذا طالعتم –وفقكم الله- هذه الأنباء،... رأيتموها نعمى تخوّلكم، ...وإذا وصلكم هذا الكتاب فأشيعوه قراءة على من حضركم من أصناف الناس؛ وإرسالا بنسخه إلى من نأى عنكم حتى يجد أثر الاستبشار به...[1].

أحمد عزاوي، رسائل موحدية، 121/1-123

---

[1] الرسالة مؤرخة في 21 ربيع الآخر 564 هـــ، من إنشاء القاضي أبي الحسن بن عياش مبعوثة من طرف الخليفة يوسف بن عبد المؤمن إلى ولاة الأندلس بشان توجيه طليعة عسكرية.

ملحق رقم 03: المهر في الزواج

قال القاضي أبو عبد الله بن الحاج: إذا عقد النكاح و لم يُضرب للكالي أجل فإنه يُضرب له من الأجل بحسب العرف الجاري في البلد في أجل الكوالي وهذا القول...لأنّ النكاح أخف من البيوع، وبه أفتى أبو الوليد بن رشد في قرية سياسة في طريقنا إلى مرسية. فإن شهدتْ البيِّنة بأنه ضرب للكالي أجلا ولا يقفون على مقداره والزوج ينفي أن يضرب له أجل ووالد الزوجة يقول إنه ضرب له، كان من ...يدَّعي الصحة والآخر يدَّعي الفساد، فالقول قول من يدّعي الصحة منهما ولو قال الزوج ووالد الزوجة لا ندري كقول الشهود لا لانبغى أن يجوز النكاح ويُضرب من الأجل مقدار العرف الجاري.

وأما نكاح التفويض، في كتاب الله عز وجل: "لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة" فأجاز النكاح مع عدم الفرض والطلاق فيه مع أن الطلاق المباح لا يكون إلاّ في عقد صحيح. وقوله: "ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة" يريد: وتفرضوا لهن فريضة وأوْ بمعنى الواو، والله أعلم.

ابن الحاج، النوازل، الصفحة 65 من المخطوط

ملحق رقم 04: بعض أصناف اللباس والأفرشة بالأندلس

قال أبو عبد الله ابن الحاج:"...الأمر للمخبول ذلك ذكرت ربعان من دقيق القمح، وثمنان من زيت، وخمسة دراهم ونصف حمل حطب، كل ذلك في الشهر، وقميصان، وزوجا سراويل، وزوجا خف لغريمه، كل ذلك في العام. وفي زمن البرد فرو، ومحشو لعامين، ويفرض له في كسوة رقاده ملحفة، ومرفقة لثلاثة أعوام، وكسا، وفراش مملوء بصوف لأكثر من هذه المدة، تكون هذه الكسوة على اختلاف أنواعها من الجديد الجيد، فإذا انقضت مدتها على اختلافها أُمر لها بغيرها على ما فسرناه والمفروض للمملوكة وابنها...كسوة رقادهما ولباسهما على ما أفتوناه في الأمد والعدد".

ابن الحاج، النوازل، مسألة ص 92 من المخطوط

ملحق رقم 05: الهدايا في الزواج

قال أبو عبد الله بن الحاج: "إذا تَنَازع الرجلُ وزوجَه في ثوبٍ عليهما تقول هي: هو لي فَاكْسُني، ويقول هو: الثوبُ لي كَسَوْتُكِ إيَّاه، فالقولُ قولُ الزوجِ ما كانتِ الزوجة في عصمتِه إذا كان الثوبُ يُشْبه أن يَكْسُوها إيَّاه. وإنْ كانتِ الزوجةُ مطلَّقة...لها الكُسْوة من أجل حمْل بها، فإن ادَّعى أنّه كساه إيَّاه بعدَ الطلاق فهو مُدَّعٍ، وإن ادّعى أنه كساه إيّاها قبلَ الطلاق فالقولُ قوله".

مسألة سئل عنها القاضي ابن رشد وهي: الجواب رضي الله عنك في الرجل يشتري لزوجه ثيابًا أو حليًا من زيّها... كسوتها إياه ويُعطيه لها تلبسه وتمتهنه ثم يُطلقها الزوج وتحتبس بما اشتراه لها ويزعم أن إعطاءها إياه إنما كان تَطْييبا لنفسها وتزيينا عليها طول مكثه معها.

أترى ذلك له ويكون القول قوله بيمين أو بغير يمين؟ وكيف إن كانت له نية وقت الإعطاء أو لم تكن له نية لكنه يقول إذا وقع الفراق فأنا آخذ متاعي وآخر يبتاع لزوجه ما ذكرناه...إياه ولا بيّنة على الإعطاء إلا ما علم من لبسه وامتهانه فذلك...عنها فيقول الورثة للزوجة مثل ما قال الزوج المطلق...فأجاب عن ذلك بأن قال: تصفَّحتُ سؤالك هذا ووقفتُ عليه، والقول قول الزوج مع يمينه فيما اشتراه من الحلي والثياب وأعطاه لزوجه تلبسه أنه إنما أعطاها إياه لتلبسه وتتزين به لا على وجه الهبة والتمليك، وكذلك يكون القول قول ورثته في ذلك مع أَيْمانهم إن مات، إلاَّ أنهم يحلفون على العلم لا على البتِّ. وما صنعته من الصوف والكتان الذي اشتراه زوجها، الحكمُ فيه أن يكون بينهما على قدر قيمة الكتان والصوف من قيمة عملها بعد يمينها فيما عملته مما هو من زي الرجل أنها لن تعمله إلاَّ أن تكون على حقها في عمله وبالله التوفيق، قاله محمد بن رشد.

ابن الحاج، النوازل، مسألة ص 79 من المخطوط

ملحق رقم 06: إقامة أهل المغرب والأندلس للولائم في المناسبات الاجتماعية

قال أبو عبد الله بن الحاج: "إذا دعاه رجلان إلى وليمتين فإن سبق أحدهما قدمّ إجابته وإن لم يسبق أحدهما الآخر أجاب أقربهما إليه دارا لما روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال ﴿**إذا اجتمع داعيان فأجب أقربهما إليك بابا، فإن أقربهما إليك بابا أقربهما جوارا، فإن سبق أحدهما فأجب الذي سبق**﴾".

ابن الحاج، النوازل، مسألة ص 79 من المخطوط

ملحق رقم 07: تبادل المراسلات بين علماء المغرب الأوسط والأندلسيين للاستفسار حول مسائل فقهية مشتركة (فسخ عقد القبالة)

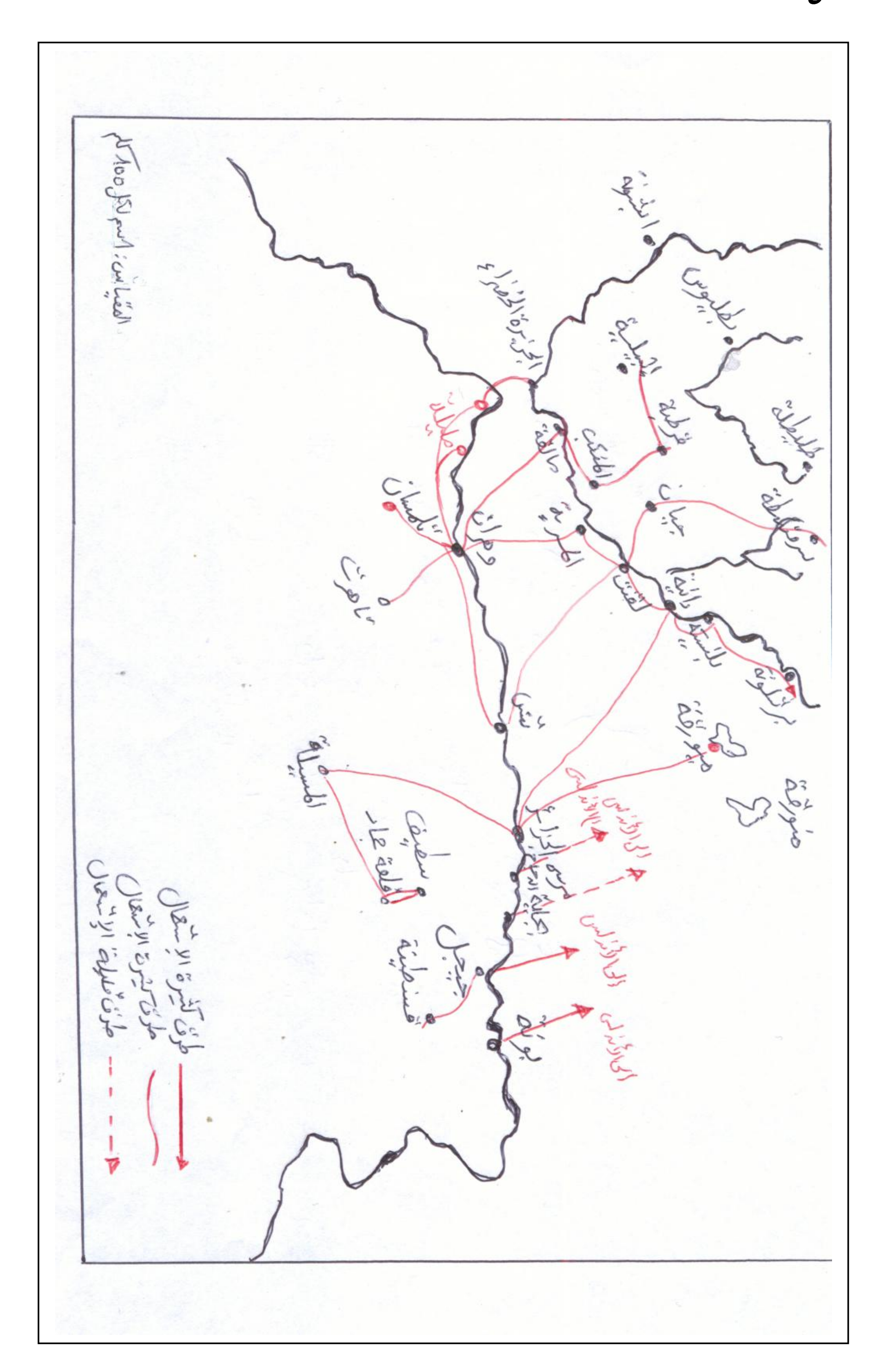
مسألة أفتى فيها القاضي ابن بشر ابن المطرف الأندلسي (ت 422ه/1030م)، وعرضها على أبو علي الحسن بن سلمون المسيلي (ت 431ه/1039م) يستشيره الفتوى، في محتوى النازلة فرد عليه وهي كالآتي: "رفع المتقبلون بالأندلس إلى القاضي أن يسقط عن متقبلي الجنات التي برملة قرطبة وما اتصل بها من الجهة الشرقية بسبب جائحة الخشاش وامتناع السقاية للخوف المذكور قلة ما عليهم من القبالة في الأرض البيضاء ويثبت عليهم الثلثان وأن يسقط عن متقبلي الجنات بالجهة الغربية والجهة الجوفية من مدينة قرطبة بسبب جائحة الخشاش في الأرض، ويثبت الأرباع وإن ذلك من السداد للأحباس المذكورة لما فيه من حق المتقبلين واستلافهم ضمن الجنات التي بالرملة...شهد بذلك كله من وقف إليها وعاينه ورآه على حسب ما وصف فيه...فمن أوقع شهادته بذلك في شهر كذا من سنة كذا وثبت هذا العقد عنده ونظر لهم بما شهد فيه وأجرى المتقبلين على عادة في ذلك أيام قضائه، وشاور في ذلك الفقهاء: يا سادتي وأوليائي ومن أبقاهم الله وسلمهم وأدام بركتهم ونفعهم أدرجت كتابي استرعاء في أحدهما ذكر جنات وفي الثاني ذكر دارين، وثبت عندي بمن قبلت، وتصفحوا رضي الله عنكم الكتابين وعرفوني برأيكم فيهما، وإن كان يجب أن يحطّ القائمون لهما من العدّة التي انعقدت عليهم بها القبالات في الجنات والدور بسبب ما ثبت عندي من ذلك بما هو مذكور في الكتابين، ولما يرغبوني من العادة الجارية في ذلك التي بنيت على تركها فيما استقبل من قبالات الأحباس ولا يكون انعقادها الأعلى ما توجبه السنة في ذلك أم لا؟ مأجورين موفقين إن شاء الله عز وجل".

فجاوب أبو علي الحسن بن سلمون المسيلي: "سيدي وولي من عصمه الله بتوفيقه قرأت مخاطبتك ورأيت هذه المسألة وهي مسألة من الاجتهاد وما حكم به القضاة من مسائل الاجتهاد والرأي، لا يجوز نقضها عند أحد من العلماء لكنه سيدي يجوز ذلك أن تجتهد فيها وتحطهم بقدر اجتهادك ما تراه صلاحا مما يصلح الأحباس وينافس فيها، وإنما حبست لمرافق المسلمين، وأكثر متقبليها محاويج وسبيل الدور هذا السبيل، وفقك الله وأعظم أجرك وأصلحنا برحمته والسلام"[1].

---

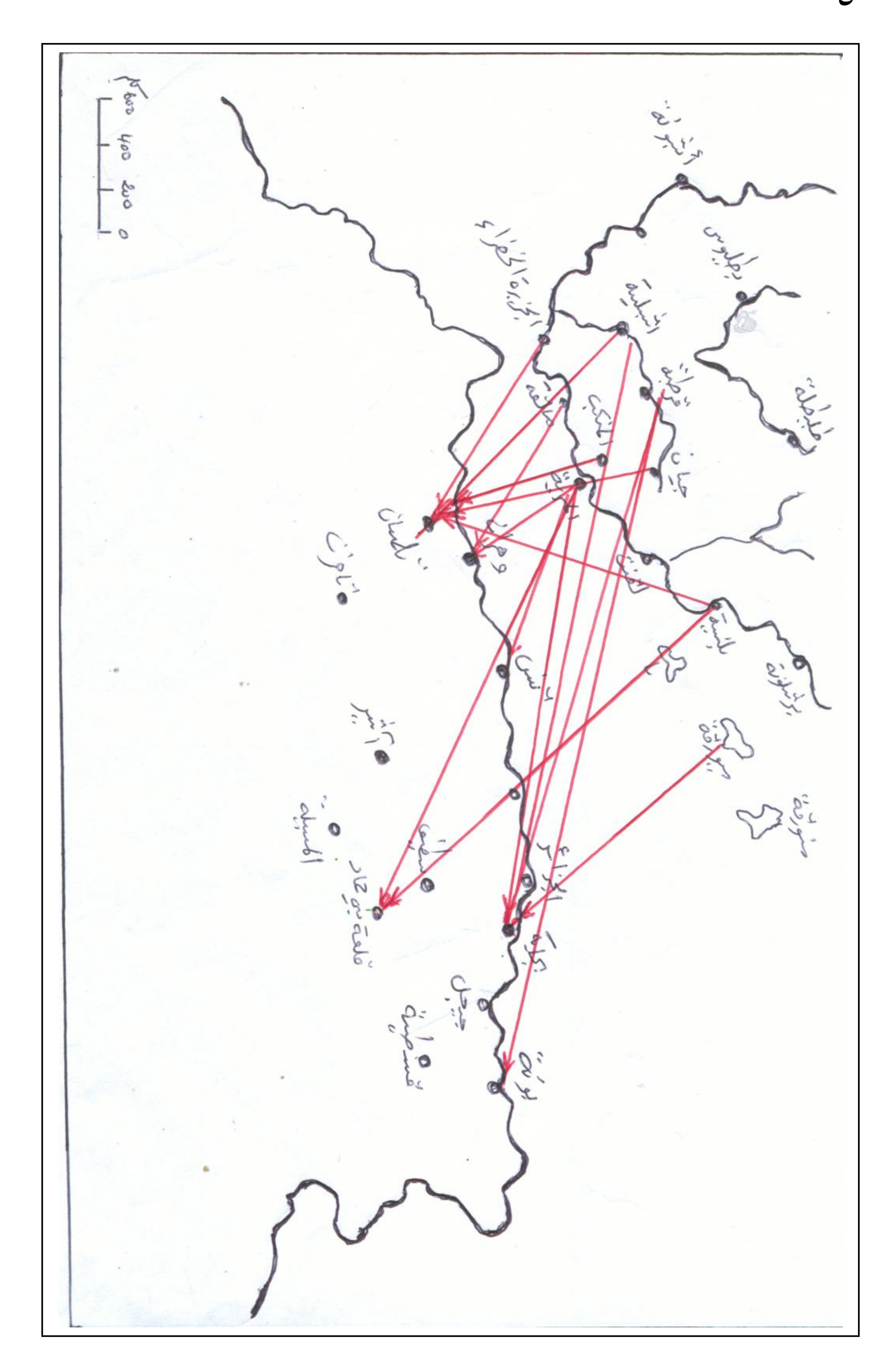
[1] ابن سهل، النوازل، منشورة ضمن سلسلة

-Hespéris Tamuda, Université Mohamed V, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, P26-29.

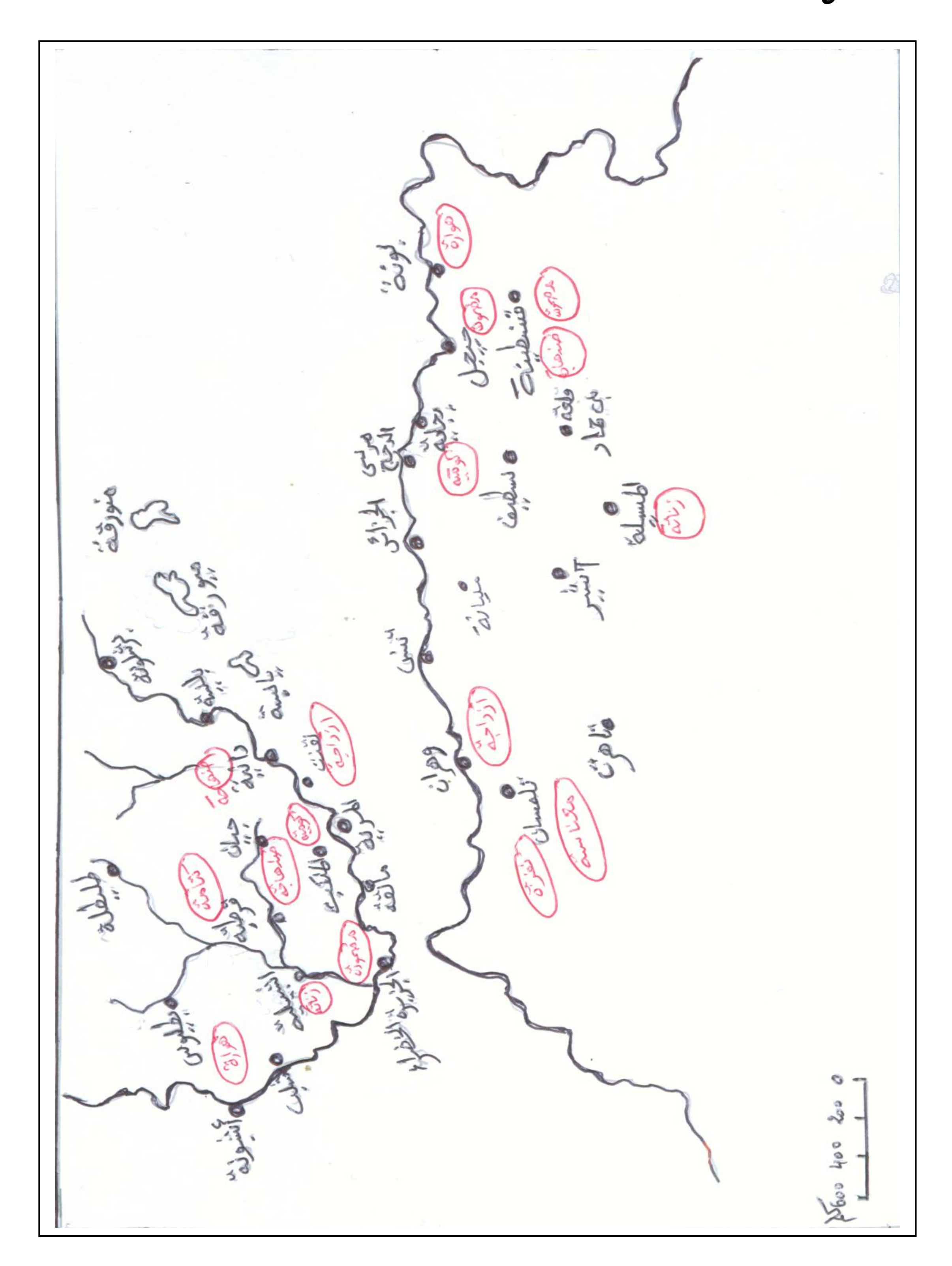


أهم الطرق التجارية وتقابل الموانئ بين المغرب الأوسط والأندلس في النصف الأول من القرن 06ه/12م[1]

[1] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن 06ه/12م، ص307.



مواطن الهجرات الأندلسية إلى المغرب الأوسط خلال القرنين 05-06ه/11-12م



أهم القبائل البربرية المهاجرة للأندلس موطنها بالمغرب الأوسط وأماكن استقرارها بالأندلس خلال القرنين 05-06ه/11-12م



باب البنود



باب البحر

نماذج من أبواب في مدينة بجاية حيث أقام مهاجرة الأندلس

[1]



منارة الخيرالدا



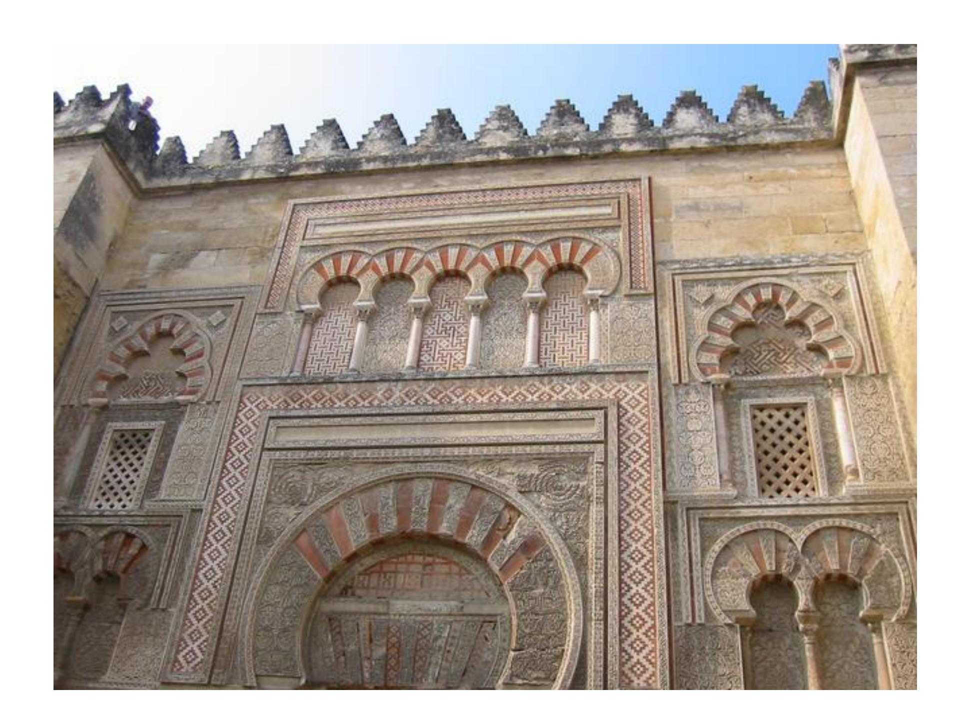
منارة قلعة بني حماد



[1] صور مأخوذة من الأنترنت موقع: www.google.fr

مئذنة مسجد ندرومة

نماذج للتأثير المعماري في شكل وطريقة البناء بين المغرب الأوسط والأندلس [1]



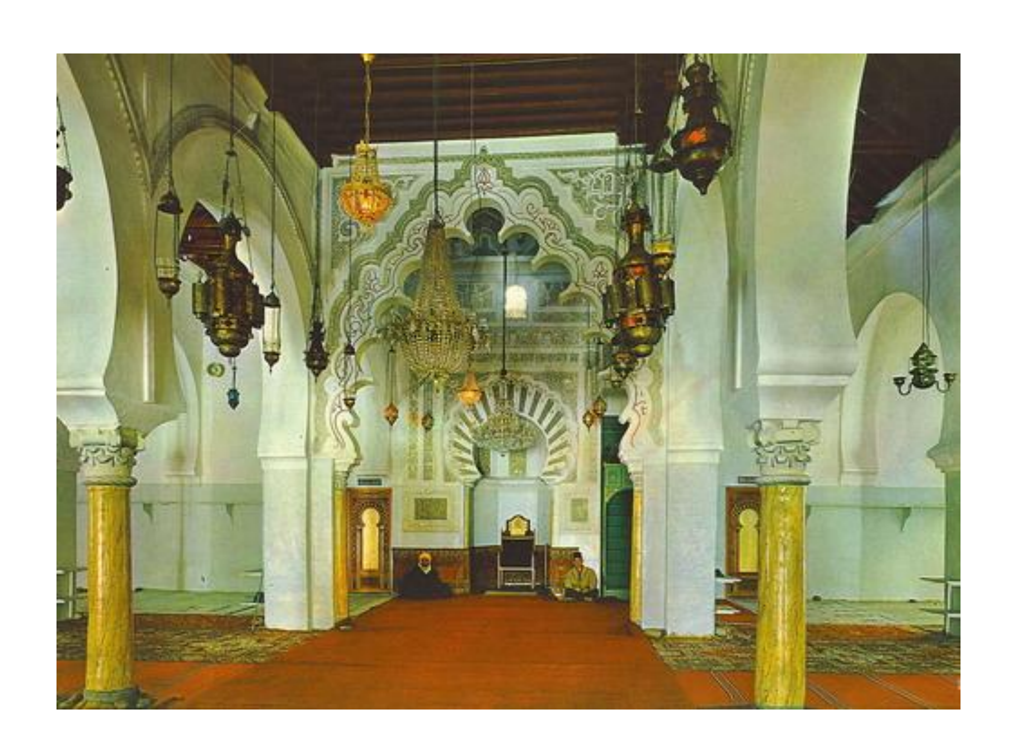
واجهة مسجد قرطبة

[1] صور مأخوذة من الأنترنت موقع: www.google.fr



واجهة مسجد الجزائر

نماذج تأثيرات العمارة الإسلامية بين المغرب الأوسط والأندلس في شكل وطريقة البناء [1]



(1) صور مأخوذة من الأنترنت موقع: www.google.fr

قاعة الصلاة في مسجد تلمسان

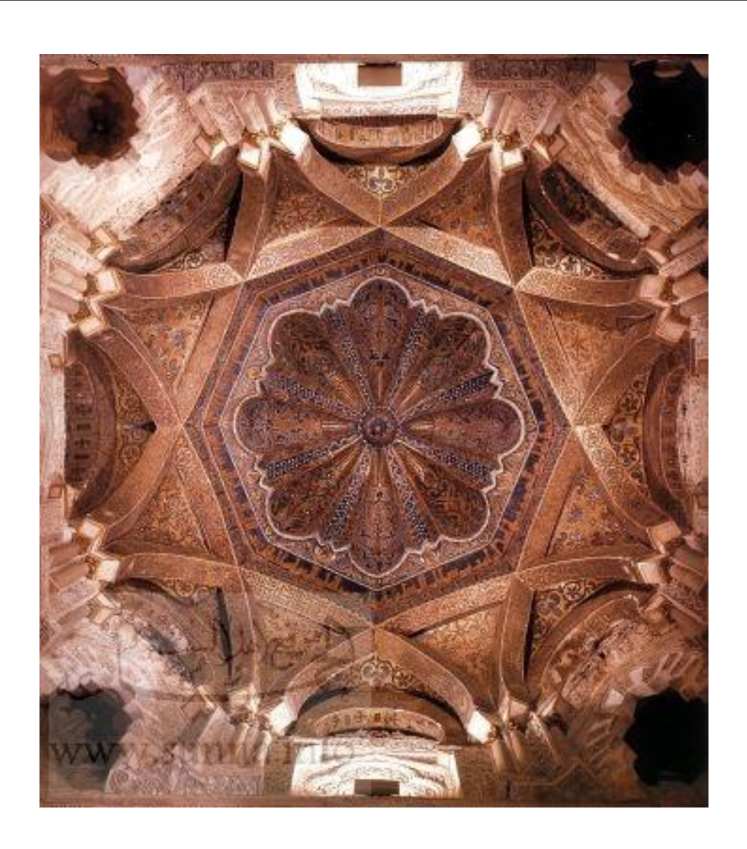


قاعة الصلاة في مسجد قرطبة

نماذج تأثيرات العمارة الإسلامية بين المغرب الأوسط والأندلس في الفنون الزخرفية

(1)

(1) صور مأخوذة من الأنترنت موقع: www.google.fr



زخرفة قبة مسجد قرطبة



زخرفة قبة مسجد تلمسان

(1) **نماذج تأثيرات العمارة الإسلامية بين المغرب الأوسط والأندلس في الفنون الزخرفية**

(1) صور مأخوذة من الأنترنت موقع: www.google.fr

قائمة المصادر والمراجع

أولا-المصادر المخطوطة:

-ابن الحاج: أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت (529ه/1134م):

النوازل "كتاب الأحكام"، الخزانة العامة والمحفوظات بالرباط، رقم 55 ج.

-أبو راس المعسكري: محمد بن أحمد بن ناصر، ت (1238ه/1822م):

عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 1632.

-مؤلف مجهول، ت (ق 07ه/13م):

رسالة في نوادر العلماء المسلمين في الأندلس، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2232.

-مؤلف مجهول، ت (ق 06ه/12م):

تاريخ الدولة الصالحية المرابطية، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 2235.

ثانيا-المصادر المطبوعة:

1-كتب الفقه والنوازل والحسبة:

-ابن الحاج (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري) ت 732ه/ 1331م:

*المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1929، ج1.

-ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) ت 465ه / 1009م:

الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبيد الرحمن عميرة، ط 2، بيروت: دار الجيل، 1996، 2ج.

-ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي) ت 520ه/1126م:

الفتاوى، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق المختار بن الطاهر التليلي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، 1987، سفر2، ج2.

-ابن سحنون (محمد بن سعيد التنوخي) ت 256ه / 870م:

آداب المعلمين، تقديم محمود عبد المولى، د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

-ابن سلمون (أبو القاسم عبد الله بن علي) ت 767ه / 1335م:

العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، نشر بهامش كتاب تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام للقاضي برهان الدين ابن فرحون المالكي، ط 1، مصر: المطبعة العامرة الشرفية، 1301ه.

-ابن سهل (أبو عيسى الأصبغ) ت 486ه/1093م:

*فصل من الأحكام الكبرى حول الاحتساب، نشر التهامي الأزموري وحليمة فرحات، هسبريس، تمودا، 1973، مجلد 14.

*النوازل، نشر كلود كاهين، هسبريس تمودا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1973.

-ابن عمر يحي (يحي) ت 289ه/901م:

أحكام السوق، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، د ط، الشركة التونسية للتوزيع، 1975.

-ابن عبد الرؤوف القرطبي ت 424ه/ 1032 م:

آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي، ط1، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

-ابن عبدون (ت أواخر القرن 06 ه / 12 م):

رسالة في القضاء والحسبة، نشر إليفي بروفنسال، المجلة الآسياوية، باريس، 1934.

-البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) ت 841ه/1438م:

فتاوى "جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002، 4ج.

-السقطي (أبو عبد الله محمد) ت 631 ه/1234 م:

آداب الحسبة، نشر جورج كولان وإليفي بروفنسال، د ط، باريس: مكتبة أرنست لورو،1931.

-الطرطوشي (أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد) ت 520ه/1127م:

كتاب الحوادث والبدع، ضبط وتعليق علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ط 2، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1996.

-القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى) ت 544 ه / 1149 م:

مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، ساهم فيه محمد بن عياض، تحقيق محمد بن شريفة، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.

-الونشريسي (أحمد بن يحي) ت 914ه/1508م:
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء، إشراف محمد حجي، د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، 1981، 11ج.

2-كتب التراجم والسير والمناقب:

-ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف) ت 807 ه / 1404م:
بيوتات فاس الكبرا "ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم"، د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972.

-ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي الأندلسي) ت 658ه/1260م:
*التكملة لكتاب الصلة، تصحيح عزت العطار الحسني، د ط، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، 1956، 2 ج.
*الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط 1، القاهرة: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972 — ط2، دار المعارف، 1985، 2 ج.
*المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصفدي، د ط، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967.
*المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1982.

-ابن أبي أصيبعة (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم) ت 668ه/ 1271م:
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط3، دار الثقافة، 1981.

-ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف) ت 403ه/ 1012 م:
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، نشر السيد عزت العطار الحسيني، ط 2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988، 2ج.

-ابن القاضي (أبو العباس أحمد المكناسي) ت 1025ه/1616م:
جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973، 2ج.

-ابن الزيات التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحي) ت 617ه/1220م:
كتاب التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، ط 2، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1997.
-ابن الزبير (أبو جعفر أحمد) ت 708ه/1308م:
صلة الصلة (هو ذيل للصلة البشكوالية في تراجم أعلام الأندلس) تصحيح وتعليق إليفي بروفنسال، د ط، الرباط: المطبعة الاقتصادية، 1938.
-ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت 494ه/578م:
كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، نشر وتصحيح ومراجعة عزت العطار الحسيني، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1994.
-ابن خير (أبو بكر محمد بن عمر) ت 575 ه / 1179 م:
فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف، تحقيق فرنسشكه كوديراه وخليان روباره، د ط، بيروت: منشورات المكتب التجاري، بغداد: مكتبة المثنى، القاهرة: مؤسسة الخانجي، د ت.
-ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) ت 681ه/1282م:
وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت: دار صادر، 1972، 8ج.
-ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) ت 685ه/1286م:
*المغرب في حلى المغرب، ط3، القاهرة: دار المعارف، 1978، 2ج.
*اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط 2، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1980.
-ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي) ت 799ه/1396م:
الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مصر: مطبعة السعادة، 1329ه.
-الأنصاري (أبو عبد الله الملك المراكشي) ت 703ه/1303م:
الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، د ط، بيروت: دار الثقافة، 1965، سفر 04-05-08، تصحيح عزت العطار الحسيني، سفر 01-02، د ط، مصر: مكتبة الخانجي، بغداد: مكتبة المثنى.

-التميمي (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الفاسي) ت 603ه/1207م:

المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق محمد الشريف، ط1، تطوان: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، 2002.

-الحميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر) ت 488ه/1095م:

جذور المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989.

-الرعيني (أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي) ت 666ه/1267م:

برنامج شيوخ، تحقيق إبراهيم شبوح، د ط، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي لإحياء التراث القديم، 1962.

-الزركلي (خير الدين) ت 1396 ه / 1976 م:

الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تقديم عبد السلام علي، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980، 7ج.

-الضبي (أحمد بن يحي بن أحمد) ت 559 ه/ 1202 م:

بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.

-الغبريني (أبو العباس أحمد بن أحمد) ت 714ه/1314م:

عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1970.

-القفطي (أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف) ت 624ه/ 1226 م:

إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة: دار الفكر العربي، 1986، 2ج.

-القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي) ت 544ه/1149م:

*فهرست شيوخ القاضي عياض المسمى "الغنية"، تحقيق الدكتور علي عمر، ط1، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2003.

*ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تعليق وتقديم محمد بن تاويت الطنجي، د ط، الرباط: مطبعة الشمال الإفريقي، المملكة المغربية، 1965، 1ج.

-المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني) ت 1071ه/1632م:
أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، د ط، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1939، 3ج.
-النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله المالقي) ت 793ه/1390م:
المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، د ط، بيروت: منشورات دار الآفاق، 1983.

3-كتب الجغرافيا والرحلات:

-ابن الشباط (محمد بن علي التوزري) ت 681 ه / 1282 م:
نص عن تاريخ الأندلس ووصفه من كتاب صلة السمط وسمة المرط، تحقيق أحمد مختار العبادي، د ط، مدريد: مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1971.
-ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي) ت 380ه/ 990 م:
صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
-ابن خردازبة (أبو القاسم عبيد الله) ت 280ه/893م:
المسالك والممالك، ليدن مطبعة بريل، 1889.
-ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى) ت 683ه/1283م:
كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.
-ابن شاهين (عبد الباسط خليل المالطي) ت 920ه/1514م:
الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق روبار برونشفيك، كلية الآداب، جامعة باريس، 1936.
-ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطي) ت ق 6ه/12م:
قطعة عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة من كتاب "فرحة الأنفس"، نشر وتحقيق لطفي عبد البديع، معهد المخطوطات العربية، 1955.
-ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد) ت 749ه/1349م:
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا"، تحقيق محمد عبد القادر خريسات، وعصام مصطفى هزايمة، د ط، الإمارات العربية المتحدة: مركز زياد للتراث والتاريخ، 2001، 4ج.
-ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني) ت 334ه / 945 م:
كتاب مختصر البلدان، د ط، بيروت: دار صادر، 1982.

-أبو الفداء (عماد الدين) ت 732ه/1331م:

تقديم البلدان، د ط، بيروت: دار صادر، د ت.

-البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق):

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق محمد البجاوي، ط 1، بيروت: دار الجيل، 1992.

-البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) ت 487ه/1094م:

المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، د ط، بغداد: مكتبة المثنى، 1857.

-البلوي (خالد بن عيسى) ت بعد سنة 755ه/1354م:

تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن بن محمد السائح، اللجنة المشتركة للحفاظ على التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية، د ت، 2 ج.

-الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) ت 627ه/1229م:

معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990.

-الحميري (أبو عبد الله محمد) ت 866ه/1461م:

صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتعليق إليفي بروفنسال، د ط، د ت.

-الحسن الوزان (الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي) ت 952ه/1552م:

وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، 2 ج.

-الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر) ت 556ه/1154م:

كتاب الجغرافية، تحقيق محمد الحاج صادق، د ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

-العذري (أبو العباس أحمد بن عمر) ت 478ه/1085م:

نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، ط1، مدريد: مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965.

-الغرناطي (أبو حامد) ت 565 ه / 1170 م:

المعرب عن بعض عجائب المغرب، تقديم وتحقيق إينغرد بيخارانو، د ط، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، 1991.

-القزويني (زكريا بن محمد بن محمود) ت 682ه/1283م:
آثار البلاد وأخبار العباد، د ط، بيروت: دار صادر.
-القلصادي (أبو الحسن علي الأندلسي) ت 891ه/1486م:
الرحلة، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، ط2، تونس: وزارة الشؤون الثقافية، 1978.
-الإدريسي (أبو عبد الله الشريف) ت 560ه/1166م:
*المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وترجمة محمد حاج صادق، الجزائر.
*القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تقديم إسماعيل العربي، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
-الإصطخري (أبو القاسم إبراهيم بن محمد) ت بعد 340ه/951م:
المسالك والممالك، تحقيق محمد عبد العال الحسني، د ط، القاهرة: دار القلم، 1961.
-المقدسي (أبو عبد الله محمد شمس الدين) ت 387ه/997م:
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة ليدن، 1938.
-مؤلف مجهول، (عاش في القرن 06ه/12م):
الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، د ط، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، د ت.
-اليعقوبي (أحمد بن يعقوب) ت 284ه/ 897 م:
البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002.

4-كتب الأدب العربي والشعر، والأدب الشعبي:

-ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني) ت 776ه/1374م:
جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي، د ط، تونس: مطبعة المنار، 1967.
-ابن بسام (أبو الحسن علي الشنتريني) ت 542ه/1147م:
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1997، 4ج.
-ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) ت 465 ه / 1004 م:
*طوق الحمامة في الألفة والآلاف (رسالة في صفة الحب ومعانيه وأسبابه وأعراضه)، تحقيق محمد يوسف الشيخ محمد وغريد يوسف الشيخ محمد، د ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 2005.
* الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، د ط، القاهرة: دار العروبة للنشر، د ت.

-ابن حمديس الصقلي (عبد الجبار) ت 527ه/1055م:
الديوان، تصحيح وتقديم إحسان عباس، د ط، بيروت: دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، 1960.
-ابن خاقان (أبو نصر محمد بن عبد الله) ت 535ه/1140م:
*قلائد العقيان، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، د ط، تونس: الدار التونسية للنشر، 1990.
*كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، د ط، مصر: مطبعة السعادة، 1907 —تحقيق ودراسة محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.
-ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح) ت 533ه/1137م:
الديوان، تقديم كرم البستاني، د ط، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1980.
-ابن رزين التجيبي ت ق 08ه/14م:
فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان، "صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين"، تحقيق محمد بن شقرون، إشراف إحسان عباس، ط2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984.
-ابن صفوان (أبو بحر بن إدريس التجيبي المرسي) ت 598ه/ 1201 م:
زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، (أشعار الأندلسيين عصر الدولة الموحدية)، علّق عليه عبد القادر محناد، د ط، بيروت: دار الرائد العربي للنشر، 1970.
-ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى) ت 556ه/1160م:
ديوان الزجل، نص ولغة وعروض،ف.كورنيطي،مدريد:المعهد الاسباني العربي للثقافة،1980.
-ابن هانئ (أبو القاسم محمد الإشبيلي) ت 352ه/964م:
ديوان الشعر، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1955.
-الأعمى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة) ت 525ه/1130م:
ديوان الأعمى ومجموعة موشحاته، تحقيق إحسان عباس، د ط، بيروت: المكتبة الأندلسية للنشر والتوزيع، دار الثقافة، د ت.
-الزجالي (أبو يحي عبد الله بن أحمد) ت 694ه/1295م:
أمثال العوام في الأندلس "مستخرجة من كتاب ريّ الأوام، ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام"، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، د ط، فاس: مطبعة محمد الخامس، 1971، 2ج.

-الششتري (أبو الحسن علي الأندلسي) ت ق 07 ه / 13 م:
ديوان الزجل، تحقيق علي سامي النشار، ط1، الإسكندرية: دار المعارف، 1960.
-الأصفهاني (أبو النعيم أحمد بن عبد الله) ت 597ه/1201م:
خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق أوزتاشي آذرنوش، تنقيح محمد المرزوقي ومحمد العروسي المطوي، د ط، الدار التونسية للنشر، 1972.
-القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت 821 ه / 1418 م:
كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق نبيل خالد الطيب، د ط، بيروت، دار الكتب المحلية، 1987، 5ج.
-المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني) ت 1041ه/1632م:
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، د ط، بيروت: دار صادر، 1988، 8ج.
-الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري) ت
مجمع الأمثال، د ط، بيروت: منشورات مكتبة الحياة، 1961، 1ج.
-الوهراني (ركن الدين محمد بن محمد بن محرز) ت 575ه/1575م:
منامات الوهراني ومقاماته، تحقيق شعلان ومحمد نغش، مراجعة عبد العزيز الأهواني، ط1، ألمانيا: منشورات الجمل، 1998.
-مؤلف مجهول:
الطبيخ في المغرب والأندلس على عهد الموحدين، تحقيق هويثي ميراندا، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، .1965

5-كتب التاريخ:

-ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين ابن أبي الكرم) ت 630ه/1232م:
الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998.
-ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله) ت 926ه/1325م:
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1972.
-ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم القيرواني) ت 1110ه/1698م:
المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط3، المكتبة العتيقة، 1967.

-ابن بلكين (عبد الله الأمير الزيري) ت 483ه/1090م:
التبيان في الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، تحقيق إليفي بروفنسال،د ط، مصر:دار المعارف،1955.
-ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت 469ه/ 1076 م:
*المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي،د ط،لبنان:دار الثقافة،1965.
*المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي،د ط،بيروت: دار الكتاب العربي،1973.
*نصوص من كتاب المتين، تحقيق عبد الله محمد جمال الدين، د ط، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 1997.
-ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) ت 465ه/1009م:
جمهرة أنساب العرب، تحقيق إليفي بروفنسال، القاهرة: دار المعارف، 1948.
-ابن خلدون (عبد الرحمن) ت 808ه/1406م:
*كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عرفهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1986، 7 ج، تحقيق سهيل زكار، ط1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1981.
*المقدمة، ط1، بيروت: دار صادر، 2000.
-ابن خلدون (أبو زكريا يحي بن أبي بكر) ت 778ه/1376م:
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، د ط، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1980، 2ج.
-ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني) ت 776ه/1374م:
*الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق وتقديم محمد عبد الله عنان، ط 1، القاهرة: مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، 1975، 3ج.
*أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، "تاريخ إسبانيا الإسلامية"، تحقيق إليفي بروفنسال، ط2، لبنان: دار المكشوف، 1956.
*أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، "القسم الثالث تاريخ المغرب في العصر الوسط"، تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964.

-ابن الصغير ت بعد 300 ه / 912 م:

أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986.

-ابن صاحب الصلاة (أبو مروان عبد الملك الباجي) ت 594ه/1200م:

تاريخ المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، ط3، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987.

-ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي) ت ق 07ه/13م:

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، نشر ج.س.كولان وإليفي بروفنسال، ط3، بيروت، 1951 —ج2، ط2، بيروت: دار الثقافة، 1980 —ج3، ط3، بيروت، 1983 —ج4، تحقيق إحسان عباس، ط3، بيروت: دار الثقافة، 1983 —قسم الموحدين، تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، المغرب: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1985.

-ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله المصري) ت 214ه/829م:

فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

-ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله) ت 463 ه / 1070 م:

القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم، القاهرة: مطبعة السعادة، 1350ه.

-ابن غازي (أبو عبد الله محمد بن أحمد المكناسي) ت 919 ه / 1513 م:

الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، د ط، الرباط: مطبعة الأمنية، 1952.

-ابن القطان (أبو محمد الحسن بن علي) ت 638ه/1230م:

نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، د ط، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990.

-ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) ت 367ه/977م:

تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1989.

-ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري) ت أواخر القرن 06ه/12م:

تاريخ الأندلس، قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1971.

-ابن مرزوق (محمد بن مرزوق التلمساني) ت 781ه/1379م:
المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا الحسن، تحقيق ماريا خيسوس فيغيرا، تقديم محمود بوعياد، د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981.
-البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) ت 555ه/1160م:
*أعز ما يطلب، تقديم وتحقيق عمار طالبي، د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
*المقتبس من كتاب الأنساب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، د ط، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971.
*كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1971، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1986.
-الجوذري (أبو علي منصور العزيزي) ت أواخر ق 04ه/10م:
سيرة الأستاذ جوذر،تحقيق محمد كامل حسن ومحمد عبد الله شعيرة،د ط، دار الفكر العربي.
-الرقيق القيرواني (أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم) ت بعد 417ه/1026م:
تاريخ إفريقية والمغرب،تحقيق عبد الله العلي الزيدان،د ط،بيروت:دار الغرب الإسلامي،1990.
-الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) ت 382ه/1477م:
تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، تونس: المكتبة العتيقة، 1966.
-السلاوي (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) ت 1315ه/1898م:
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر ومحمد الناصري، د ط، الدار البيضاء: دار الكتاب، 1954، 4 ج.
-القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) ت 821ه/1418م:
*قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة: دار الكتاب المصري، 1982.
*نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط1، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، 1959.
-القاضي النعمان (أبو حنيفة النعمان بن محمد بن حيون) ت 363ه/973م:
تاريخ افتتاح الدعوى، تحقيق فرحات الدشراوي، د ط، تونس: الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1955.

-المراكشي (أبو محمد عبد الواحد محي الدين) ت ق 07ه/13م:

*المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الجمهورية العربية المتحدة.

*وثائق المرابطين والموحدين،تحقيق حسين مؤنس،د ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1997.

-النويري (أحمد بن عبد الوهاب التميمي) ت 732ه/1330م:

نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق حسين نصار،القاهرة:المجلس الأعلى للثقافة،1983، 24 ج.

-الورجلاني (أبو زكريا يحي بن أبي بكر) ت 471ه/1073م:

كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر: المكتبة الوطنية، 1979.

-عبد الحليم (أبو علي صالح بن أبي صالح المصمودي) ت ق 08ه/14م:

كتاب الأنساب، منشور ضمن ثلاثة نصوص عربية عن البربر في الغرب الإسلامي، دراسة وتحقيق محمد يعلى، د ط، مدريد: نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.

-عبيد الله بن صالح

نص جديد عن فتح العرب للمغرب، نشر إليفي بروفنسال، تعليق حسين مؤنس، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1954.

-مؤلف مجهول:

الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط 1، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1979.

-مؤلف مجهول:

مفاخر البربر، تحقيق محمد يعلى، د ط، مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.

-مؤلف مجهول:

أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة فيما بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1989.

ثالثا-المراجع العربية والمعربة:

***المراجع العربية:**

-أحمد موسى عز الدين:

النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ط 1، بيروت، القاهرة: دار الشروق، 1983.

-أشياخ يوسف:

تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، ترجمة عبد الله عنان، ط3، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1958.

-أرسلان شكيب:

الحلل السندسية في أخبار الجزيرة الأندلسية، د ط، القاهرة: دار الفكر العربي.

-أبو الفضل محمد أحمد:

شرق الأندلس في العصر الإسلامي " 515-686ه/1121-1287م"، د ط، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996.

-أبو ضيف مصطفى أحمد:

القبائل العربية في الأندلس في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

-أبو مصطفى كمال:

مالقة الإسلامية عصر دويلات الطوائف، د ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

-بورويبة رشيد:

*ابن تومرت، ترجمة عبد الحميد حاجيات، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

*المساجد في الجزائر سلسلة الفن والثقافة، د ط، مدريد، 1971، ج4.

*الدولة الحمادية، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1977.

-بوعزيز يحي:

أعلام الفكر والثقافة في الجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1995، ج1.

-بولقطيب الحسين:

جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، د ط، الرباط: مطبعة النجاح الجديدة، 2002.

-بلغيث محمد الأمين:

دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، د ط، الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع، 2006.

-بن قربة صالح:

المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى "دراسة معمارية وفنية"، د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

-بن شريفة محمد:
تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب (بحوث ونصوص)، د ط، مطبعة دار المناهل، منشورات وزارة الثقافة، 2006، 2ج.
-بن عبود امحمد:
جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، ط 2، تطوان: منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، 1999.
-بن مليح عبد الإله:
ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، د ط، الرباط: منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة.
-الأهواني عبد العزيز:
الزجل في الأندلس، منشورات معهد الدراسات العربية، 1957.
-البارودي رضوان محمد:
جبل الأوراس منذ الفتح الإسلامي حتى الغزوة الهلالية، الإسكندرية: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1985.
-الجابري محمد عابد:
العصبية والدولة، معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الإسلامي، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994.
-الجيلالي عبد الرحمن:
تاريخ الجزائر العام، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، 4ج.
-الحجي عبد الرحمن علي:
*تاريخ الموسيقى الأندلسية، ط1، بيروت: دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1969.
*التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط5، دمشق، دار العلم، 1977.
-الحريري محمد عيسى:
الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 1987.
-الحلو سليم:
الموسيقى الشرقية، ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة.

-الدراجي بوزياني:

القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها، ط1، الجزائر: دار الكتاب العربي، 1999.

-السفطي أحمد:

دراسات في الموسيقى الأندلسية الجزائرية، د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

-السيد عبد العزيز سالم:

*تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط 2، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، 1982.

*تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1999.

*قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس،د ط، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، 2ج.

*تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1985.

-السيد عبد العزيز سالم سحر:

شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995.

- الشكعة مصطفى:

الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ط6، بيروت: دار العلم للملايين، 1986.

-الطاهري أحمد:

البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية، إعادة ترتيب المدينة من خلال المصادر العربية، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.

-الطيب عقاب محمد:

لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر،د ط،الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية،1988.

-الطيبي أحمد توفيق:

دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، د ط، تونس: الدار العربية للكتاب، 1997.

-الطمار محمد بن عمرو:

*تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.

*الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1983.

-العبادي أحمد مختار والسيد عبد العزيز سالم:

*تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، د ط، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1969.

*أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ط1، الإسكندرية: كلية الآداب، 1968.

-العربي إسماعيل:

*دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980.

*عواصم بني زيري ملوك آشير، القلعة، بجاية، غرناطة، المهدية، ط 1، بيروت: دار رائد العربي، 1984.

*دولة بنو زيري ملوك غرناطة، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982.

-العزاوي محمد :

الموحدون وأزمات المجتمع، ط1، الرباط: منشورات دار جذور للطبع، 2006.

-العدوي إبراهيم أحمد:

المجتمع المغربي، ط1، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.

-القادري بوتشيش إبراهيم:

*مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1998.

*المغرب والأندلس في عصر المرابطين "المجتمع، الذهنيات، الأولياء"، ط 1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1993.

*حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2006.

*الإسلام السري في المغرب العربي، ط1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995.

-المدني أحمد توفيق:

كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، 1963.

-الميلي مبارك بن محمد:

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، قسنطينة: المطبعة الجزائرية الإسلامية، 1350ه، 2ج.

-إبراهيم رجب عبد الجواد:

ألفاظ المأكل والمشرب في العربية الأندلسية، دراسة في نفح الطيب للمقري، د ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

-حركات إبراهيم:

مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 09ه/15م،ط1، الدار البيضاء، 2002، ج1.

-إحسان عباس:

*تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، د ط، بيروت: دار الثقافة، 1960

*تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ط6، بيروت: دار الثقافة، 1981.

-حسن أحمد محمود:

الإسلام والثقافة العربية، د ط، دار النهضة المصرية، 1963.

-حسن علي حسن:

الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط 1، مصر: مكتبة الخانجي، 1970.

-حسيني عيدوني رمضاء:

الحلويات الجزائرية القسنطينية، د ط، الجزائر: شركة دار الهدى للطباعة والنشر، 2004.

-خلاف محمد عبد الوهاب:

قرطبة الإسلامية في القرن 05ه/11م، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط1، الدار التونسية للنشر، 1984.

-دندش عصمت:

الأندلس نهاية المرابطين ومستهل الموحدين تاريخ سياسي وحضاري، ط 1، لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1988.

-رزوق محمد:

الأندلسيون وهجراتهم إلى بلاد المغرب في القرنين 16–17م، ط3، الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، 1998.

-سامعي إسماعيل:

تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ط1، قسنطينة: منشورات مكتبة إقرأ، 2007.

-عيسى محمد الحريري:

الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، 1987.

-عبد الكريم جودت يوسف:

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 03-04ه/09-10م، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.

-عبد الحميد سعد زغلول:

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال، د ط، الإسكندرية: منشأة المعارف، 1979.

-عبد القادر حلمي علي:

جغرافية الجزائر "طبيعية، بشرية، اقتصادية"، ط1، الجزائر: المطبعة العربية، 1986.

-عزاوي أحمد:

مجموعة رسائل موحدية، ط1، القنيطرة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح، 1995، 2ج.

-عنان محمد عبد الله:

*دولة الإسلام في الأندلس "دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي"، د ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990، 3ج.

* الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال عصر المرابطين والموحدين، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1964.

-عويس عبد الحليم:

دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط 2، القاهرة: دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1992.

-فيلالي عبد العزيز:

*العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، د ط، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.

*مدينة قسنطينة في العصر الوسيط"دراسة سياسية، عمرانية، ثقافية"،د ط، دار البعث، 2002.

*تلمسان في العهد الزياني، د ط، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2002، 2ج.

-فراد أرزقي محمد:

القوى المغربية في الأندلس عهد ملوك الطوائف القرن 05ه/11م، د ط، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1991.

-قاسم طويل مريم:

مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر " 403-483ه/1012-1090م"، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994.

-لقبال موسى:

*دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر، 1979.

*المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورة الخوارج، د ط، قسنطينة: مطبعة البعث، 1969.

-مرزوق محمد عبد العزيز:

الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، د ط، بيروت: دار الثقافة، د ت.

-مزيان عبد المجيد:

النظريات الاقتصادية عن ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي "دراسة فلسفية واجتماعية"، ط2، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1988.

-مصطفى مسعد سامية:

*الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة عصري المرابطين والموحدين، ط 1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 2003.

*صور من المجتمع الأندلسي، رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية، ط1، مصر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1998.

-مهاوش رشيدة:

ألذ أطباق البطاطس، د ط، الدار البيضاء: منشورات الشعراوي، 2006.

-مؤنس حسين:

فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ط 2، جدة: الدار السعودية، 1985.

-ولد داده محمد:
مفهوم الملك في المغرب من الفتح حتى انتصاف القرن 07ه، د ط، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1977.

*المراجع المعربة:

-أنخل جونزالث بالنثيا:
تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

-أندري برنيان وآخرون:
الجزائر بين الماضي والحاضر،ترجمة رابح اسطنبولي،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.

-أوليفيا ريمي كونستابل:
التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، الرياض، 2002.

-إدريس الهادي روجي:
الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10-12م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992.

-إليفي بورفنسال:
*الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، د ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1990.
*حضارة العرب في الأندلس، ترجمة دوقان قرقوط، د ط، بيروت: منشورات مكتبة الحياة.

-دورثي لورد:
إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، د ط، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1965.

-روبار برونشفيك:
تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، تحقيق حماد الساحلي، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988، 2ج.

-لوبون غوستاف:
حضارة العرب، نقله إلى العربية عادل زعيتر، ط 3، القاهرة: طبع دار إحياء الكتب العربية، 1956.

-ليوبولد تورس بالباس:

المدن الاسبانية الإسلامية، ترجمه من الاسبانية إليودورو دي لابنيا، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الغمار وآخرون، ط1، الرياض: مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003.

-مانويل مورينو جوميث:

الفن الإسلامي في إسبانيا، المكتبة التاريخية، 1958.

-موريس لومبارد:

*الإسلام في مجده الأول من القرن 02-05ه، تحقيق وترجمة إسماعيل العربي، ط3، المغرب: دار الآفاق، 1999.

*الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد الرحمن حميدة، د ط، دمشق: دار الفكر، 1979.

-هوبكتر.ج.ف.ب:

النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، ترجمة أمين توفيق الطيبي، د ط، تونس: الدار العربية للكتاب، 1980.

رابعا-الرسائل الجامعية:

-بوباية عبد القادر:

البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن 05ه/10م "300-422ه/912-1031م"، رسالة دكتوراه دولة، إشراف غازي جاسم الشمري، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2004.

-بن كانون صافية:

التأثيرات الفنية الأندلسية على المغرب الأوسط في العهد الزياني (633-962ه/1235-1554م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1999.

-حمدي مليكة:

المرأة المغربية في عهد المرابطين " 448-541ه/1056-1146م"، رسالة ماجستير، إشراف صالح بن قربة، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2002.

-سفروح أم الخير:
تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الزيانيين "دراسة تاريخية وأثرية"، رسالة ماجستير، إشراف صالح بن قربة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1994.
-شرقي أرزقي:
مكانة المقرنصات الحمادية في العمارة الإسلامية، رسالة ماجستير، إشراف محمد الطيب عقاب، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1996.
-صادقي كمال:
الصناعة الحرفية بالمغرب الأوسط في عهد بني حماد " 398-547ه/1007-1152م"، رسالة ماجستير، إشراف إسماعيل سامعي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007.
-عزرودي نصيرة:
الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب الأوسط من القرن الثاني الهجري (الثامن ميلادي) وحتى آخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي)، رسالة ماجستير، إشراف سحر السيد عبد العزيز سالم، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 2007.
-فاضل وردة:
تطور العناصر الزخرفية في عمارة المغرب الأوسط الدينية من القرن 5 إلى غاية 8ه/11-14م، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، إشراف صالح بن قربة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2002.
-قدور عبد المجيد:
هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط (الجزائر) ونتائجها الحضارية خلال القرنين 10-11ه/16-17م، رسالة ماجستير، إشراف محمد أمين محمود بدوي، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
-معزوز عبد الحق:
الخط الكوفي في الجزائر على الحجر والخشب والجص من القرن 2-8ه/8-14م، دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، إشراف عبد العزيز لعرج، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1996.

خامسا-الدوريات:

-بولسن لوسي:

الطبيخ الأندلسي فن من فنون الحياة ق (05-07ه/11-13م)، مجلة دراسات أندلسية، تونس: عدد 6، 1991.

-بورويبة رشيد:

الحياة الاقتصادية والفنون في بجاية الحمادية، محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1974.

-بوعزيز يحي:

*ماضي مدينة وهران وأمجادها التاريخية، مجلة الثقافة، العدد 52، 1979.

*أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر، مجلة الثقافة، العدد 63، السنة 11، جوان 1981.

-باقة رشيد:

أهمية البحر المتوسط في إستراتيجية الصراع بين الشرق والغرب منذ العهود القديمة إلى نهاية العصور الوسطى، ضمن كتاب دراسات وبحوث مغربية، إعداد وتنسيق إسماعيل سامعي وعلاوة عمارة، قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، 2008.

-بلحميس مولاي:

دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين، مناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، 1974.

-ابن عبد الجليل عبد العزيز:

الموسيقى الأندلسية مظهر من مظاهر التسامح في المجتمع الأندلسي، ط 1، الدار البيضاء: دورية الحضارة الإسلامية في الأندلس، 2003.

-ابن قربة صالح:

العمارة الدينية في عصر المرابطين بالجزائر، مجلة سيرتا، العدد3، السنة2، ماي 1980.

-بن داود سليمان:

دور الجزائريين في نشر الحضارة الإسلامية بالأندلس، من كتاب حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، الجزائر، 1993.

-التميمي عبد الجليل:

مهن الموريسكيين الأندلسيين وحياتهم الدينية، ضمن أعمال المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الموريسكية الأندلسية، تونس: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية، 1999.

-الجيلالي عبد الرحمن:

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، العدد8، سنة 1972.

-حاجيات عبد الحميد:

تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط، الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، السنة 7، 1997.

-حركات إبراهيم:

دور بجاية في الحضارة، مجلة الأصالة، عدد 19، السنة 4، 1974.

-حسن محمد:

الأصول التاريخية للتعريب في المغرب العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد 72، السنة8، فيفري، 1985.

-الخولي سمحة:

-الارتجال وتقاليده في الموسيقى العربية، الكويت: مجلة عالم الفكر، عدد1، أفريل، 1975.

-دنون طه:

*استقرار القبائل البربرية في الأندلس، مجلة أوراق، مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة، عدد 4، 1981.

*إشبيلية في التراث العربي دراسة في نشأة المدينة فتحها وتوزيع القبائل العربية والبربرية فيها في العهد الأموي، من كتاب دراسات أندلسية، ط 1، ليبيا: دار الكتب الوطنية، 2004.

-الدباغ عبد الوهاب خليل:

أثر الفتنة في الحركة العلمية بقرطبة (399-422هـــ/1009-1031م)، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العراق، العددان 25-26، السنة 7،1999.

-رزوق محمد:

الجالية الأندلسية بالمغرب العربي، مجلة المناهل، المغرب، العدد 34، السنة 13، مطبعة فضالة، 1986.

-سعيدوني ناصر الدين:

*مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية، من كتاب دراسات أندلسية، ط 1، بيروت، 2003.

*الجالية الأندلسية بالجزار، مجلة أوراق، مدريد، عدد 4، 1981.

-السيد عبد العزيز سالم سحر:

*الجوانب الإيجابية في الزواج المختلط في الأندلس ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى، الرباط: كلية الآداب، 1955.

*ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، 1995.

*الهجرات الأندلسية والمورسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط، أضواء على المراكز التجارية بين المغرب الأوسط والأقصى في القرن 03هـ، من كتاب أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 1995.

-سالم عبد العزيز:

*العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، العدد1، (أفريل/ماي)، 1977.

*التخطيط ومظاهر العمران في العصور الوسطى، مجلة المجلة، عدد9، سبتمبر، 1957.

-سامعي إسماعيل:

حركة التعليم في المغرب الإسلامي إبان القرنين 3-4ه/9-10م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد1، أفريل 2002.

-شهاب أحمد نهلة:

الأهمية السياسية والعسكرية لمضيق جبل طارق في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة "92-422ه/710-1030م"، مجلة الأحمدية، عدد 11، 2002.

-الطالبي محمد:

الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، السنة 4، 1975.

-الطنجي محمد بن تاويت:

الموسيقى والغناء في الأندلس، مجلة الأبحاث، بيروت، مجلد 21، عدد 2، ديسمبر 1968.

-الطاهر أحمد مكي:

الموشحات فن أصيل ومتطور، مجلة الأصالة، العدد 11، 1972.

-العبادي أحمد مختار:

الأعياد في مملكة غرناطة، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1970.

-العربي إسماعيل:

العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، عدد 19، 1974.

*صنهاجة وكتامة وغيرها من قبائل البربر، مجلة الأصالة، عدد سبتمبر، 1973.

-عبد المجيد إدريس صبحي:

بنو حبوس المكناسيون ودورهم في أحداث المغرب في القرن 04ه/10م، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد 34، 2004.

-عبد الغني شعبان:

الموسيقى العربية وموقعها من الموسيقى العالمية، مجلة عالم الفكر، الكويت، عدد 1 (أفريل/ماي)، 1975.

-عزونة جلول وبلعلجية عبد الحميد:

الموسيقى الأندلسية والإضافة التونسية، مجلة دراسات أندلسية، العدد 12، 1994.

-عزت الشيخ قادر مظفر:

الفن في مسجد قرطبة، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 2، 1986.

-فيلالي عبد العزيز:

جوانب من العلاقات التجارية بين تاهرت والأندلس، مجلة سيرتا، عدد 3، السنة 2، 1980.

-فيغيرا –ج-ماريا:

المترلة الاجتماعية لنساء الأندلس، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

-القادري بوتشيش إبراهيم:

ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة، منشورة ضمن كتاب سلسلة أبحاث وندوات حضارة الأندلس في الزمان والمكان، المغرب، (16-18 أفريل)، جامعة الحسن الثاني، 1992.

-لقبال موسى:

مميزات بجاية وأهمية دورها في سيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، عدد 19، 1974.

-مجاني بوبة:
مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية، دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، 1997.
-مؤنس حسن:
الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين والموحدين، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد1، 1949.
-ميراندا هويثي:
المطبخ الإسباني المغربي خلال عصر الموحدين، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957.
-منغور صوفيا:
عادات وتقاليد الحضارات التي مرت على مدينة قسنطينة، جريدة الخبر، عدد 141، جانفي 2004.
-الميساوي الدبابي سهام:
*الخبز طعام في الأندلس في القرون الخامس والسادس والسابع الهجري (11-12-13م)، مجلة دراسات أندلسية، تونس، عدد 7، جانفي 1992.
*تهذيب المائدة في الأندلس، المجلة العربية للثقافة، عدد 27، 1994.
-المنوني محمد:
تاريخ الموسيقى بالمغرب، مجلة البحث العلمي، ج 14 -15، جانفي 1969.
-اليعلاوي محمد:
بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هانئ الأندلسي، مجلة الأصالة، عدد 24، 1975.
-الناصري محمد مكي:
وحدة المغرب في ظل الإسلام، مجلة الثقافة، عدد 15، جوان 1973.
-نوغاليس سلفادور غومث:
الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، مجلة الأصالة، العدد (46-47)، السنة 151، 1997.

-واشق محمد الشريف:

نظرة تاريخية حول الحركة الثقافية في مدينة بجاية، مجلة الصومام، عدد خاص بملتقى الفكر الإسلامي، (15/8) جويلية، 1985.

-ويتر دايفيد:

فنون الطبخ في الأندلس، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط 1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1988.

سادسا-المراجع الأجنبية:

-Ander Julian Charle, Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1952.

-Baghli Ouahiba, Chaussures Traditionnelles, Alger, 1977.

-De Beylié, La Kalaa des Beni Hammad une capitale Berbère de l'Afrique du Nord, au XI[e] siècle, Paris, Ernest Leroux Editeur, 1909.

-Dozy (R), Supplément aux Dictionnaire Arabes, Leiden, Paris, 1877, Tome II.

-Dozy (R), Dictionnaire Détaille des noms des Vêtements chez les arabes, Amsterdam, 1943.

-Fagnan (E), Additions aux Dictionnaires Arabes, Librairie du Liban, Beyrout.

-Gautier (S.F),Le passé de l'Afrique du Nord,les siècles obscures,Payot,Paris,1937.

-Golvin (L), Recherche Archéologiques à la Qalaa des Beni Hammad, Paris, 1965.

-Golvin (L), Le Maghreb central à l'époque des Zirides, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1957.

-Golvin (L), Essai sur l'architecture Religieuse Musulmane, Klinchesicle, Paris, Archéologie Méditerranéenne, Tome1, 1970.

-Louis Cambusat (Paul), L'évolution des cités du tell en Ifrikya du VII au XI siècle, office des publications universitaires, Tome 1, Alger, 1986.

-Marçais (Georges), Les Poteries et faïences de Bougie Braham, éditeur, Constantine.

-Marçais (Georges), Manuel d'Art Musulmane L'architecture, Tunisie- Algérie- Maroc- Espagne- Sicile, Tome1, Edition Auguste Picard, Paris, 1954.

-Marçais (Georges), Tlemcen Ville d'Art et d'Histoire, 2ème congres de la fondations des société savants de l'Afrique du Nord, Tlemcen publié par soin de la société historique Algérienne, Tome1, Alger, 1936.

-Molines (Maria J. Viguera), Relations entre Maghreb y And Andalous En el Siclo XI, Agencia Espanola de Cooperacion con Mindo Arabe, Madrid, 1992.

-Mirand (Huici), La cocina Hispano- Magrebi, en la Epoca almohade segun un manuscrito anonima, Madrid, 1965.

-Provençal (Levi),l'Espagne Musulmane au Xème siècle,Maison Neuve,La Rose,2002.

-Provençal (Levi), Histoire de l'Espagne Musulmane, Tome 3, Paris, 1967.

-Provençal (Levi), Documents Inédits d'Histoire Almohade, Texte Arabes Relatifs, L'histoire de l'occident Musulman, Fragments manuscrits Duk le Gajoi du Fonds Arabe de l'ex curial, Librairie Orientaliste, Paris, 1928.

-Roger Idris (Hady), Le Mariage en Occident Musulman, (d'après un choix de Fatwas Médiévales, extraites du MIYAR D'AL-WANSARISI), studia Islamica, Encyclopedia Islamica in lucem produt, G.P Maison Neuve, La Rose, Paris.

فهرس الأعلام

-أ-

-ع-

فهرس الأماكن

-أ-

-ب-

-ح-

-خ-

-د-

-س-

-ش-

-ط-

-ع-

-غ-

-ف-

-ق-

-ل-

-م-

فهرس القبائل والشعوب

-أ-

-ب-

-ج-

-ز-

-ص-

-ع-

-ك-

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني: مظاهر التأثيرات الاجتماعية المتبادلة بين أهل المغرب الأوسط وأهل الأندلس

خلال القرنين 05-06 ه / 11-12 م

الفصل الثالث: العلاقات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس

خلال القرنين 05-06ه/11-12م

الفصل الرابع: العلاقات الأدبية والفنية بين المغرب الأوسط والأندلس

خلال القرنين 05-06ه / 11-12م